مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية

السلام عليك يا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

التبيان

في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

المجلد ٦

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحیم

التبيان فی تفسیر القرآن

کاتب:

محمدبن حسن طوسی

نشرت فی الطباعة:

موسسه النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
التبیان فی تفسیر القرآن المجلد ۶ ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
المجلد السادس ----- ۲۳
[تتمة سورة الهود] ..... ص : ۵ ----- ۲۳
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۰] ..... ص : ۵ ----- ۲۳
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۱] ..... ص : ۶ ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
اللغة ..... ص : ۶ ----- ۲۳
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۲] ..... ص : ۷ ----- ۲۴
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۳] ..... ص : ۸ ----- ۲۵
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۴] ..... ص : ۹ ----- ۲۵
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۵] ..... ص : ۱۰ ----- ۲۶
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۶] ..... ص : ۱۱ ----- ۲۶
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۷] ..... ص : ۱۲ ----- ۲۷
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۸] ..... ص : ۱۳ ----- ۲۸
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۹] ..... ص : ۱۴ ----- ۲۸
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۶۰] ..... ص : ۱۴ ----- ۲۸
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۶۱] ..... ص : ۱۵ ----- ۲۹
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۶۲] ..... ص : ۱۷ ----- ۳۰
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۶۳] ..... ص : ۱۷ ----- ۳۰
قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۶۴] ..... ص : ۱۸ ----- ۳۰
قوله تعالی: [سورة هود (۱۱): آیة ۶۵] ..... ص : ۱۹ ----- ۳۱

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۶] ..... ص : ۲۰ ---- ۳۱
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۷] ..... ص : ۲۱ ---- ۳۲
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۸] ..... ص : ۲۲ ---- ۳۲
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۹] ..... ص : ۲۴ ---- ۳۳
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۰] ..... ص : ۲۸ ---- ۳۶
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۱] ..... ص : ۲۹ ---- ۳۶
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۲] ..... ص : ۳۲ ---- ۳۸
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۳] ..... ص : ۳۴ ---- ۳۹
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۴] ..... ص : ۳۵ ---- ۳۹
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۵] ..... ص : ۳۶ ---- ۴۰
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۶] ..... ص : ۳۷ ---- ۴۱
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۷] ..... ص : ۳۷ ---- ۴۱
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۸] ..... ص : ۳۹ ---- ۴۲
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۹] ..... ص : ۴۱ ---- ۴۳
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۰] ..... ص : ۴۱ ---- ۴۳
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۱] ..... ص : ۴۲ ---- ۴۴
اشارة ---- ۴۴
القراءة و الحجة: ..... ص : ۴۲ ---- ۴۴
اللغة و المعنى: ..... ص : ۴۳ ---- ۴۴
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۸۲ الى ۸۳] ..... ص : ۴۴ ---- ۴۵
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۴] ..... ص : ۴۷ ---- ۴۷
قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۵] ..... ص : ۴۸ ---- ۴۷
اشارة ---- ۴۷
اللغة:..... ص : ۴۸ ---- ۴۷

قوله تعالى: [سورة هود (۱۱): آية ۸۶] ..... ص : ۴۸ ----- ۴۸

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۷] ..... ص : ۴۹ ----- ۴۸

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۸] ..... ص : ۵۰ ----- ۴۹

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۹] ..... ص : ۵۲ ----- ۴۹

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۰] ..... ص : ۵۲ ----- ۵۰

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۱] ..... ص : ۵۳ ----- ۵۰

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۲] ..... ص : ۵۴ ----- ۵۱

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۳] ..... ص : ۵۵ ----- ۵۱

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۴] ..... ص : ۵۶ ----- ۵۲

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۵] ..... ص : ۵۷ ----- ۵۳

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۹۶ الى ۹۷] ..... ص : ۵۸ ----- ۵۳

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۸] ..... ص : ۵۹ ----- ۵۴

قوله تعالى [سورة هود (۱۱): آية ۹۹] ..... ص : ۶۰ ----- ۵۴

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۰۰] ..... ص : ۶۱ ----- ۵۵

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۰۱] ..... ص : ۶۱ ----- ۵۵

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۰۲] ..... ص : ۶۲ ----- ۵۵

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۰۳] ..... ص : ۶۳ ----- ۵۶

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۵] ..... ص : ۶۳ ----- ۵۶

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۱۰۶ الى ۱۰۷] ..... ص : ۶۶ ----- ۵۸

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۰۸] ..... ص : ۷۰ ----- ۶۰

اشارة ----- ۶۰

القراءة و اللغة: ..... ص : ۷۰ ----- ۶۰

المعنى: ..... ص : ۷۱ ----- ۶۱

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۰۹] ..... ص : ۷۲ ----- ۶۱

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۰] ..... ص : ۷۲ ---- ۶۲

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۱] ..... ص : ۷۳ ---- ۶۲

اشارة ---- ۶۲

القراءة: ..... ص : ۷۳ ---- ۶۲

اللغة و الاعراب و المعنی: ..... ص : ۷۴ ---- ۶۲

المعنی ..... ص : ۷۷ ---- ۶۴

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۲] ..... ص : ۷۷ ---- ۶۴

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۳] ..... ص : ۷۸ ---- ۶۵

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۴] ..... ص : ۷۸ ---- ۶۵

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۵] ..... ص : ۸۰ ---- ۶۶

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۶] ..... ص : ۸۱ ---- ۶۶

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۷] ..... ص : ۸۲ ---- ۶۷

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): الآیات ۱۱۸ الی ۱۱۹] ..... ص : ۸۳ ---- ۶۷

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۲۰] ..... ص : ۸۶ ---- ۶۹

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): الآیات ۱۲۱ الی ۱۲۲] ..... ص : ۸۸ ---- ۷۰

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۲۳] ..... ص : ۱۸۹ ---- ۷۱

(۱۲) سورة یوسف ..... ص : ۹۱ ---- ۷۲

اشارة ---- ۷۲

[سورة یوسف (۱۲): آیة ۱] ..... ص : ۹۱ ---- ۷۲

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۲] ..... ص : ۹۲ ---- ۷۲

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۳] ..... ص : ۹۳ ---- ۷۳

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۴] ..... ص : ۹۴ ---- ۷۳

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۵] ..... ص : ۹۶ ---- ۷۴

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۶] ..... ص : ۹۷ ---- ۷۵

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۷] ..... ص : ۹۹ ---- ۷۶
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۸] ..... ص : ۱۰۰ ---- ۷۷
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۹] ..... ص : ۱۰۲ ---- ۷۸
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۱۰] ..... ص : ۱۰۲ ---- ۷۸
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۱۱] ..... ص : ۱۰۳ ---- ۷۹
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۱۲] ..... ص : ۱۰۴ ---- ۷۹
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۱۳] ..... ص : ۱۰۷ ---- ۸۱
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۱۴] ..... ص : ۱۰۸ ---- ۸۱
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۱۵] ..... ص : ۱۰۸ ---- ۸۲
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): الآیات ۱۶ الی ۱۷] ..... ص : ۱۱۰ ---- ۸۲
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۱۸] ..... ص : ۱۱۱ ---- ۸۳
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۱۹] ..... ص : ۱۱۲ ---- ۸۴
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۲۰] ..... ص : ۱۱۴ ---- ۸۵
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۲۱] ..... ص : ۱۱۵ ---- ۸۵
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۲۲] ..... ص : ۱۱۷ ---- ۸۶
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۲۳] ..... ص : ۱۱۸ ---- ۸۷
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۲۴] ..... ص : ۱۱۹ ---- ۸۸
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۲۵] ..... ص : ۱۲۵ ---- ۹۱
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): الآیات ۲۶ الی ۲۸] ..... ص : ۱۲۵ ---- ۹۱
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۲۹] ..... ص : ۱۲۷ ---- ۹۲
قوله تعالی :[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۳۰] ..... ص : ۱۲۸ ---- ۹۳
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۳۱] ..... ص : ۱۳۰ ---- ۹۴
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۳۲] ..... ص : ۱۳۲ ---- ۹۵
قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیهٔ ۳۳] ..... ص : ۱۳۳ ---- ۹۶

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۴] ..... ص : ۱۳۵ ---- ۹۷

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۵] ..... ص : ۱۳۷ ---- ۹۷

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۶] ..... ص : ۱۳۸ ---- ۹۸

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۷] ..... ص : ۱۳۹ ---- ۹۹

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۸] ..... ص : ۱۴۰ ---- ۹۹

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۹] ..... ص : ۱۴۱ ---- ۱۰۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۰] ..... ص : ۱۴۲ ---- ۱۰۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۱] ..... ص : ۱۴۳ ---- ۱۰۱

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۲] ..... ص : ۱۴۴ ---- ۱۰۱

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۳] ..... ص : ۱۴۵ ---- ۱۰۲

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۴] ..... ص : ۱۴۶ ---- ۱۰۳

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۵] ..... ص : ۱۴۷ ---- ۱۰۳

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۶] ..... ص : ۱۴۸ ---- ۱۰۴

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۷] ..... ص : ۱۴۸ ---- ۱۰۴

قوله تعالى [سورة يوسف (۱۲): آية ۴۸] ..... ص : ۱۴۹ ---- ۱۰۵

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۹] ..... ص : ۱۵۰ ---- ۱۰۵

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۰] ..... ص : ۱۵۲ ---- ۱۰۶

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۱] ..... ص : ۱۵۳ ---- ۱۰۶

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۲] ..... ص : ۱۵۴ ---- ۱۰۷

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۳] ..... ص : ۱۵۵ ---- ۱۰۸

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۴] ..... ص : ۱۵۶ ---- ۱۰۸

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۵] ..... ص : ۱۵۶ ---- ۱۰۸

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۶] ..... ص : ۱۵۷ ---- ۱۰۹

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۷] ..... ص : ۱۵۹ ---- ۱۱۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۸] ..... ص : ۱۵۹ ---- ۱۱۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۹] ..... ص : ۱۶۰ ---- ۱۱۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۰] ..... ص : ۱۶۰ ---- ۱۱۱

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۱] ..... ص : ۱۶۱ ---- ۱۱۱

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۲] ..... ص : ۱۶۲ ---- ۱۱۲

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۳] ..... ص : ۱۶۳ ---- ۱۱۲

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۴] ..... ص : ۱۶۳ ---- ۱۱۲

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۵] ..... ص : ۱۶۴ ---- ۱۱۳

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۶] ..... ص : ۱۶۵ ---- ۱۱۳

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۷] ..... ص : ۱۶۶ ---- ۱۱۴

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۸] ..... ص : ۱۶۸ ---- ۱۱۵

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۹] ..... ص : ۱۶۸ ---- ۱۱۵

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷۰] ..... ص : ۱۶۹ ---- ۱۱۵

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۷۱ الى ۷۲] ..... ص : ۱۷۰ ---- ۱۱۶

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷۳] ..... ص : ۱۷۱ ---- ۱۱۷

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۷۴ الى ۷۵] ..... ص : ۱۷۲ ---- ۱۱۷

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷۶] ..... ص : ۱۷۳ ---- ۱۱۸

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷۷] ..... ص : ۱۷۵ ---- ۱۱۹

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷۸] ..... ص : ۱۷۶ ---- ۱۱۹

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷۹] ..... ص : ۱۷۷ ---- ۱۲۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۰] ..... ص : ۱۷۷ ---- ۱۲۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۱] ..... ص : ۱۷۹ ---- ۱۲۱

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۲] ..... ص : ۱۸۰ ---- ۱۲۱

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۳] ..... ص : ۱۸۱ ---- ۱۲۲

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٨۴] ..... ص : ١٨١ ----- ١٢٢

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٨۵] ..... ص : ١٨٢ ----- ١٢٢

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٨۶] ..... ص : ١٨٣ ----- ١٢٣

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٨٧] ..... ص : ١٨۵ ----- ١٢۴

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٨٨] ..... ص : ١٨۵ ----- ١٢۴

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٨٩] ..... ص : ١٨٧ ----- ١٢۵

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩٠] ..... ص : ١٨٨ ----- ١٢۶

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩١] ..... ص : ١٩٠ ----- ١٢٧

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩٢] ..... ص : ١٩٠ ----- ١٢٧

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩٣] ..... ص : ١٩١ ----- ١٢٨

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩۴] ..... ص : ١٩٢ ----- ١٢٨

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩۵] ..... ص : ١٩٣ ----- ١٢٩

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩۶] ..... ص : ١٩٣ ----- ١٢٩

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩٧] ..... ص : ١٩۴ ----- ١٣٠

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩٨] ..... ص : ١٩۵ ----- ١٣٠

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ٩٩] ..... ص : ١٩۶ ----- ١٣٠

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ١٠٠] ..... ص : ١٩٧ ----- ١٣١

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ١٠١] ..... ص : ١٩٩ ----- ١٣٢

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ١٠٢] ..... ص : ٢٠٠ ----- ١٣٣

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ١٠٣] ..... ص : ٢٠١ ----- ١٣٣

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ١٠۴] ..... ص : ٢٠١ ----- ١٣۴

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ١٠۵] ..... ص : ٢٠٢ ----- ١٣۴

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ١٠۶] ..... ص : ٢٠٣ ----- ١٣۴

قوله تعالی:[سورة يوسف (١٢): آية ١٠٧] ..... ص : ٢٠۴ ----- ١٣۵

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۱۰۸] ..... ص : ۲۰۵ ----- ۱۳۵

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۱۰۹] ..... ص : ۲۰۵ ----- ۱۳۶

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۱۱۰] ..... ص : ۲۰۷ ----- ۱۳۷

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۱۱۱] ..... ص : ۲۰۹ ----- ۱۳۸

(۱۳)سورة الرعد ..... ص : ۲۱۱ ----- ۱۳۸

اشارة ----- ۱۳۸

[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱] ..... ص : ۲۱۱ ----- ۱۳۹

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲] ..... ص : ۲۱۲ ----- ۱۳۹

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳] ..... ص : ۲۱۵ ----- ۱۴۱

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۴] ..... ص : ۲۱۶ ----- ۱۴۲

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۵] ..... ص : ۲۱۹ ----- ۱۴۳

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۶] ..... ص : ۲۲۱ ----- ۱۴۴

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۷] ..... ص : ۲۲۲ ----- ۱۴۵

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): الآیات ۸ الی ۹] ..... ص : ۲۲۳ ----- ۱۴۵

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۰] ..... ص : ۲۲۵ ----- ۱۴۶

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۱] ..... ص : ۲۲۷ ----- ۱۴۷

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): الآیات ۱۲ الی ۱۳] ..... ص : ۲۲۹ ----- ۱۴۸

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۴] ..... ص : ۲۳۲ ----- ۱۵۰

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۵] ..... ص : ۲۳۴ ----- ۱۵۱

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۶] ..... ص : ۲۳۵ ----- ۱۵۲

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۷] ..... ص : ۲۳۸ ----- ۱۵۳

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۸] ..... ص : ۲۴۱ ----- ۱۵۵

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۹] ..... ص : ۲۴۲ ----- ۱۵۶

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲۰] ..... ص : ۲۴۳ ----- ۱۵۶

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲۱] ..... ص : ۲۴۴ ---- ۱۵۷

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲۲] ..... ص : ۲۴۴ ---- ۱۵۷

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): الآیات ۲۳ الی ۲۴] ..... ص : ۲۴۵ ---- ۱۵۸

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲۵] ..... ص : ۲۴۷ ---- ۱۵۸

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲۶] ..... ص : ۲۴۷ ---- ۱۵۹

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲۷] ..... ص : ۲۴۸ ---- ۱۵۹

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲۸] ..... ص : ۲۴۹ ---- ۱۶۰

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۲۹] ..... ص : ۲۵۰ ---- ۱۶۰

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۰] ..... ص : ۲۵۱ ---- ۱۶۱

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۱] ..... ص : ۲۵۲ ---- ۱۶۱

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۲] ..... ص : ۲۵۵ ---- ۱۶۳

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۳] ..... ص : ۲۵۶ ---- ۱۶۴

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۴] ..... ص : ۲۵۹ ---- ۱۶۵

قوله تعالی :[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۵] ..... ص : ۲۵۹ ---- ۱۶۶

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۶] ..... ص : ۲۶۰ ---- ۱۶۶

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۷] ..... ص : ۲۶۱ ---- ۱۶۷

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۸] ..... ص : ۲۶۲ ---- ۱۶۷

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۹] ..... ص : ۲۶۳ ---- ۱۶۸

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۴۰] ..... ص : ۲۶۴ ---- ۱۶۸

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۴۱] ..... ص : ۲۶۵ ---- ۱۶۹

قوله تعالی: [سورة الرعد (۱۳): آیة ۴۲] ..... ص : ۲۶۶ ---- ۱۶۹

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۴۳] ..... ص : ۲۶۷ ---- ۱۷۰

(۱۴)سورة ابراهیم ..... ص : ۲۶۹ ---- ۱۷۱

اشارة ---- ۱۷۱

[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۱ الی ۲] ..... ص : ۲۶۹ ----- ۱۷۱

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): آیة ۳] ..... ص : ۲۷۲ ----- ۱۷۳

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): آیة ۴] ..... ص : ۲۷۳ ----- ۱۷۳

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): آیة ۵] ..... ص : ۲۷۴ ----- ۱۷۴

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): آیة ۶] ..... ص : ۲۷۵ ----- ۱۷۴

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۷ الی ۸] ..... ص : ۲۷۶ ----- ۱۷۵

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۹ الی ۱۰] ..... ص : ۲۷۷ ----- ۱۷۵

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۱۱ الی ۱۲] ..... ص : ۲۷۹ ----- ۱۷۷

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۱۳ الی ۱۴] ..... ص : ۲۸۱ ----- ۱۷۷

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۱۵ الی ۱۶] ..... ص : ۲۸۲ ----- ۱۷۸

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۱۷ الی ۱۸] ..... ص : ۲۸۳ ----- ۱۷۹

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۱۹ الی ۲۰] ..... ص : ۲۸۶ ----- ۱۸۰

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): آیة ۲۱] ..... ص : ۲۸۷ ----- ۱۸۱

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): آیة ۲۲] ..... ص : ۲۸۸ ----- ۱۸۲

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۲۳ الی ۲۵] ..... ص : ۲۹۰ ----- ۱۸۳

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۲۶ الی ۲۷] ..... ص : ۲۹۲ ----- ۱۸۴

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۲۸ الی ۳۰] ..... ص : ۲۹۳ ----- ۱۸۵

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): آیة ۳۱] ..... ص : ۲۹۵ ----- ۱۸۶

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۳۲ الی ۳۴] ..... ص : ۲۹۶ ----- ۱۸۶

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۳۵ الی ۳۶] ..... ص : ۲۹۸ ----- ۱۸۷

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۳۷ الی ۳۸] ..... ص : ۲۹۹ ----- ۱۸۸

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۳۹ الی ۴۱] ..... ص : ۳۰۱ ----- ۱۸۹

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۴۲ الی ۴۳] ..... ص : ۳۰۲ ----- ۱۹۰

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): آیة ۴۴] ..... ص : ۳۰۵ ----- ۱۹۱

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۵ الى ۴۶] ..... ص : ۳۰۶ ---- ۱۹۲

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۷ الى ۴۸] ..... ص : ۳۰۸ ---- ۱۹۳

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۹ الى ۵۰] ..... ص : ۳۰۹ ---- ۱۹۴

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۵۱ الى ۵۲] ..... ص : ۳۱۱ ---- ۱۹۵

(۱۵)سورة الحجر ..... ص : ۳۱۳ ---- ۱۹۶

اشارة ---- ۱۹۶

[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۱ الى ۲] ..... ص : ۳۱۳ ---- ۱۹۶

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۳ الى ۹] ..... ص : ۳۱۸ ---- ۱۹۹

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۱۰ الى ۱۳] ..... ص : ۳۲۰ ---- ۲۰۰

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۱۴ الى ۱۵] ..... ص : ۳۲۲ ---- ۲۰۱

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۱۶ الى ۱۸] ..... ص : ۳۲۴ ---- ۲۰۲

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۱۹ الى ۲۱] ..... ص : ۳۲۵ ---- ۲۰۳

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۲۲ الى ۲۵] ..... ص : ۳۲۷ ---- ۲۰۴

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۲۶ الى ۲۷] ..... ص : ۳۳۰ ---- ۲۰۶

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۲۸ الى ۳۱] ..... ص : ۳۳۲ ---- ۲۰۷

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۳۲ الى ۳۳] ..... ص : ۳۳۳ ---- ۲۰۸

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۳۴ الى ۳۸] ..... ص : ۳۳۴ ---- ۲۰۸

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۳۹ الى ۴۰] ..... ص : ۳۳۶ ---- ۲۰۹

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۴۱ الى ۴۴] ..... ص : ۳۳۷ ---- ۲۱۰

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۴۵ الى ۴۸] ..... ص : ۳۳۸ ---- ۲۱۰

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۴۹ الى ۵۰] ..... ص : ۳۴۰ ---- ۲۱۱

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۵۱ الى ۵۴] ..... ص : ۳۴۰ ---- ۲۱۱

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۵۵ الى ۵۶] ..... ص : ۳۴۲ ---- ۲۱۳

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۵۷ الى ۶۰] ..... ص : ۳۴۳ ---- ۲۱۳

قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۶۱ الی ۶۴] ..... ص : ۳۴۵ ----- ۲۱۴
قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۶۵ الی ۶۶] ..... ص : ۳۴۵ ----- ۲۱۴
قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۶۷ الی ۷۱] ..... ص : ۳۴۶ ----- ۲۱۵
قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۷۲ الی ۷۸] ..... ص : ۳۴۷ ----- ۲۱۶
قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۷۹ الی ۸۴] ..... ص : ۳۵۰ ----- ۲۱۷
قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۸۵ الی ۸۶] ..... ص : ۳۵۱ ----- ۲۱۸
قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۸۷ الی ۹۱] ..... ص : ۳۵۲ ----- ۲۱۸
قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۹۲ الی ۹۹] ..... ص : ۳۵۴ ----- ۲۲۰
(۱۶) سورة النحل ..... ص : ۳۵۷ ----- ۲۲۱
اشارة ----- ۲۲۱
[سورة النحل (۱۶): آیة ۱] ..... ص : ۳۵۷ ----- ۲۲۱
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): آیة ۲] ..... ص : ۳۵۸ ----- ۲۲۲
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۳ الی ۴] ..... ص : ۳۶۰ ----- ۲۲۳
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۵ الی ۷] ..... ص : ۳۶۱ ----- ۲۲۳
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۸ الی ۹] ..... ص : ۳۶۳ ----- ۲۲۴
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۱۰ الی ۱۱] ..... ص : ۳۶۴ ----- ۲۲۵
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۱۲ الی ۱۳] ..... ص : ۳۶۵ ----- ۲۲۶
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۱۴ الی ۱۶] ..... ص : ۳۶۶ ----- ۲۲۶
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۱۷ الی ۱۸] ..... ص : ۳۶۸ ----- ۲۲۷
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۱۹ الی ۲۱] ..... ص : ۳۷۰ ----- ۲۲۸
قوله تعالی :[سورة النحل (۱۶): الآیات ۲۲ الی ۲۳] ..... ص : ۳۷۱ ----- ۲۲۹
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۲۴ الی ۲۵] ..... ص : ۳۷۲ ----- ۲۲۹
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۲۶ الی ۲۷] ..... ص : ۳۷۳ ----- ۲۳۰
قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۲۸ الی ۳۰] ..... ص : ۳۷۵ ----- ۲۳۱

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۳۱ الى ۳۲] ..... ص : ۳۷۶ ---- ۲۳۲

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۳۳ الى ۳۴] ..... ص : ۳۷۷ ---- ۲۳۲

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۳۵] ..... ص : ۳۷۸ ---- ۲۳۳

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۳۶] ..... ص : ۳۷۹ ---- ۲۳۳

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۳۷] ..... ص : ۳۸۰ ---- ۲۳۴

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۳۸ الى ۳۹] ..... ص : ۳۸۱ ---- ۲۳۴

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۴۰] ..... ص : ۳۸۲ ---- ۲۳۵

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۴۱ الى ۴۲] ..... ص : ۳۸۳ ---- ۲۳۵

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۴۳ الى ۴۴] ..... ص : ۳۸۳ ---- ۲۳۵

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۴۵ الى ۴۷] ..... ص : ۳۸۵ ---- ۲۳۶

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۴۸ الى ۵۰] ..... ص : ۳۸۶ ---- ۲۳۷

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۵۱ الى ۵۲] ..... ص : ۳۸۹ ---- ۲۳۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۵۳ الى ۵۵] ..... ص : ۳۹۰ ---- ۲۳۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۵۶ الى ۵۷] ..... ص : ۳۹۲ ---- ۲۴۰

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۵۸ الى ۶۰] ..... ص : ۳۹۳ ---- ۲۴۱

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۶۱ الى ۶۳] ..... ص : ۳۹۵ ---- ۲۴۲

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۶۴ الى ۶۵] ..... ص : ۳۹۸ ---- ۲۴۴

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۶۶ الى ۶۷] ..... ص : ۳۹۹ ---- ۲۴۴

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۶۸ الى ۶۹] ..... ص : ۴۰۲ ---- ۲۴۶

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۰] ..... ص : ۴۰۴ ---- ۲۴۸

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۱] ..... ص : ۴۰۵ ---- ۲۴۸

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۲] ..... ص : ۴۰۶ ---- ۲۴۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۷۳ الى ۷۴] ..... ص : ۴۰۷ ---- ۲۴۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۵] ..... ص : ۴۰۸ ---- ۲۵۰

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۶] ..... ص : ۴۰۹ ---------- ۲۵۰

قوله تعالى: [سورة النحل (۱۶): الآيات ۷۷ الى ۷۸] ..... ص : ۴۱۰ ---------- ۲۵۱

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۷۹ الى ۸۱] ..... ص : ۴۱۱ ---------- ۲۵۱

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۸۲ الى ۸۳] ..... ص : ۴۱۴ ---------- ۲۵۳

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۸۴ الى ۸۵] ..... ص : ۴۱۵ ---------- ۲۵۳

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۸۶ الى ۸۸] ..... ص : ۴۱۶ ---------- ۲۵۴

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۸۹] ..... ص : ۴۱۷ ---------- ۲۵۵

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۹۰ الى ۹۱] ..... ص : ۴۱۸ ---------- ۲۵۵

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۹۲ الى ۹۳] ..... ص : ۴۲۰ ---------- ۲۵۶

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۹۴ الى ۹۶] ..... ص : ۴۲۲ ---------- ۲۵۷

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۹۷ الى ۱۰۰] ..... ص : ۴۲۴ ---------- ۲۵۸

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۲] ..... ص : ۴۲۵ ---------- ۲۵۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۱۰۳] ..... ص : ۴۲۶ ---------- ۲۵۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۵] ..... ص : ۴۲۷ ---------- ۲۶۰

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۱۰۶] ..... ص : ۴۲۸ ---------- ۲۶۰

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۰۷ الى ۱۰۹] ..... ص : ۴۲۹ ---------- ۲۶۱

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۱۰ الى ۱۱۱] ..... ص : ۴۳۰ ---------- ۲۶۲

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۱۱۲] ..... ص : ۴۳۲ ---------- ۲۶۳

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۱۳ الى ۱۱۴] ..... ص : ۴۳۳ ---------- ۲۶۳

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۱۱۵] ..... ص : ۴۳۴ ---------- ۲۶۴

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۱۶ الى ۱۱۸] ..... ص : ۴۳۵ ---------- ۲۶۴

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۱۱۹] ..... ص : ۴۳۶ ---------- ۲۶۵

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۲۰ الى ۱۲۴] ..... ص : ۴۳۷ ---------- ۲۶۵

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۲۵ الى ۱۲۸] ..... ص : ۴۳۹ ---------- ۲۶۶

(۱۷)سورة الاسراء ..... ص : ۴۴۳ ---- ۲۶۷
اشارة ---- ۲۶۷
[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱ الى ۳] ..... ص : ۴۴۳ ---- ۲۶۸
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴ الى ۶] ..... ص : ۴۴۷ ---- ۲۷۰
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): آية ۷] ..... ص : ۴۴۹ ---- ۲۷۱
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۸ الى ۱۰] ..... ص : ۴۵۱ ---- ۲۷۲
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۱ الى ۱۲] ..... ص : ۴۵۳ ---- ۲۷۳
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۳ الى ۱۵] ..... ص : ۴۵۴ ---- ۲۷۴
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): آية ۱۶] ..... ص : ۴۵۸ ---- ۲۷۶
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۷ الى ۱۹] ..... ص : ۴۶۲ ---- ۲۷۸
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۲۰ الى ۲۲] ..... ص : ۴۶۳ ---- ۲۷۹
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۲۳ الى ۲۴] ..... ص : ۴۶۴ ---- ۲۸۰
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۲۵ الى ۲۷] ..... ص : ۴۶۷ ---- ۲۸۲
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۲۸ الى ۳۰] ..... ص : ۴۶۹ ---- ۲۸۳
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۳۱ الى ۳۳] ..... ص : ۴۷۱ ---- ۲۸۴
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۳۴ الى ۳۶] ..... ص : ۴۷۶ ---- ۲۸۶
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۳۷ الى ۳۹] ..... ص : ۴۷۸ ---- ۲۸۸
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴۰ الى ۴۲] ..... ص : ۴۷۹ ---- ۲۸۹
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴۳ الى ۴۵] ..... ص : ۴۸۱ ---- ۲۸۹
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴۶ الى ۴۸] ..... ص : ۴۸۳ ---- ۲۹۱
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴۹ الى ۵۱] ..... ص : ۴۸۶ ---- ۲۹۲
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۵۲ الى ۵۴] ..... ص : ۴۸۸ ---- ۲۹۳
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۵۵ الى ۵۷] ..... ص : ۴۹۰ ---- ۲۹۴
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۵۸ الى ۶۰] ..... ص : ۴۹۱ ---- ۲۹۵

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۶۱ الى ۶۳] ..... ص : ۴۹۵ ---- ۲۹۷
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۶۴ الى ۶۶] ..... ص : ۴۹۸ ---- ۲۹۸
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۶۷ الى ۶۹] ..... ص : ۵۰۰ ---- ۳۰۰
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۷۰ الى ۷۲] ..... ص : ۵۰۲ ---- ۳۰۱
قوله تعالى :[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۷۳ الى ۷۵] ..... ص : ۵۰۶ ---- ۳۰۳
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۷۶ الى ۷۸] ..... ص : ۵۰۷ ---- ۳۰۳
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۷۹ الى ۸۱] ..... ص : ۵۱۰ ---- ۳۰۵
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۸۲ الى ۸۴] ..... ص : ۵۱۳ ---- ۳۰۷
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۸۵ الى ۸۷] ..... ص : ۵۱۴ ---- ۳۰۷
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۸۸ الى ۹۰] ..... ص : ۵۱۶ ---- ۳۰۸
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۹۱ الى ۹۳] ..... ص : ۵۱۸ ---- ۳۰۹
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۹۴ الى ۹۶] ..... ص : ۵۲۱ ---- ۳۱۱
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۹۷ الى ۹۹] ..... ص : ۵۲۲ ---- ۳۱۲
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): آية ۱۰۰] ..... ص : ۵۲۵ ---- ۳۱۳
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۲] ..... ص : ۵۲۶ ---- ۳۱۴
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۰۳ الى ۱۰۴] ..... ص : ۵۲۸ ---- ۳۱۵
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۰۵ الى ۱۰۶] ..... ص : ۵۲۹ ---- ۳۱۶
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۰۷ الى ۱۰۹] ..... ص : ۵۳۱ ---- ۳۱۷
قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۱۰ الى ۱۱۱] ..... ص : ۵۳۳ ---- ۳۱۷
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۳۱۹

التبيان فی تفسير القرآن المجلد ۶

اشارة

شماره بازیابی:۵-۷-۱۴۶-۱

سرشناسه:طوسی محمد بن حسن ۳۸۵-۴۶۰ق

عنوان و نام پدیدآور:التبیان فی تفسیر القرآن[نسخه خطی]/محمد بن الحسن الطوسی

وضعیت استنساخ :، صفر ۵۹۵ق.

آغاز، انجام، انجامه:آغاز:بسمله. الحمدلله الواحد...سوره و الصافات. مکیه فی قول قتاده و مجاهد و... لیس فیها ناسخ و لا منسوخ...

انجام:... و لو کان مامورا...دون التلاوه لما وجب ان یاتی بلفظه قل فی هذه المواضع کلها. تم الکتاب و الحمدلله رب العالمین.

انجامه:فرغ الحسین بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن یحیی بن الوکیل المعروف بابن الطو...من کتابه هذا الجزء الخامس لنفسه...عشر صفر من سنه خمس و تسعین و خمس مایه و صلی الله علی سیدنا محمد النبی و اهل بیته الطاهرین و سلم تسلیما کثیرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابی یزید و ان محمد و علی سعید.

مشخصات ظاهری:گ ۴۰۰ - ۷۳۱، ۲۷ سطری

یادداشت مشخصات ظاهری:نوع و درجه خط:نسخ

نوع کاغذ:نخودی رنگ، آهار مهره

تزئینات متن: بعضی عناوین و علائم: قرمز

خصوصیات نسخه موجود:امتیاز:ابتدای کتابت این نسخه ربیع الاخر ۵۹۴ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ۵۹۵ق. است.

حواشی اوراق:اندکی تصحیح با نشان" صح "دارد.

یادداشت های مربوط به نسخه:یادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است ": فافهم ان هذا الکتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجیهه لمذهبه "در برگ ۴۰۰ دارد.

معرفی نسخه: اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت، اعراب، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرین و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن. این نسخه جلد ۵ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ۱۴۶، از نسخه های اهدایی" دایرة المعارف بزرگ اسلامی "است که از" کتابخانه های یمن "تهیه شده است.

یاداشت تملک و سجع مهر:شکل و سجع مهر:مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ۴۰۴ دارد. مهر بیضی دیگری با سجع " جمال الدین الحسینی "(؟)در برگ ۴۰۰ دارد.

توضیحات نسخه:نسخه بررسی شده.اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه، رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ۱-۳۲۸ دارد.

یادداشت کلی:زبان:عربی

عنوانهای دیگر:تفسیر تبیان

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۵ق.

شناسه افزوده:حسين بن محمد، قرن ۶ق. كاتب

المجلد السادس

[تتمة سورة الهود] ..... ص : ۵

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۵۰] ..... ص : ۵

وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (۵۰)

آية بلا خلاف قوله «أخاهم» نصب بتقدير (أرسلنا) كأنه قال: و أرسلنا إلى عاد أخاهم و دل عليه ما تقدم من قوله «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً»

و (عاد) مصروف، لأن المراد به الحي و قد يقصد به القبيلة، فلا يصرف قال الشاعر:

لو شهد عاد في زمان عاد لابتزها مبارك الجلاد «۱»

و إنما سمى هوداً أخا عاد مع انهم كفار، و هو نبى لان المراد بذلك الاخوة فى النسب، لا فى الدين، فحذف لدلالة الحال عليه.

و قوله «ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» حكاية ما قال هود (ع) لهم و أمرهم ان يوجهوا عبادتهم الى اللَّه و نفى ان يكون معبود يستحق العبادة غيره.

و من ضم الراء حمله على الموضع، لأن فيها معنى الاستثناء، فكأنه قال ما لكم من إله إلا هو، و لا يجوز فى هذا الاستثناء الحمل على اللفظ، لأن الواجب لا يدخله (من) الزائدة.

و من جره حمله على اللفظ. و قال بعضهم تقديره ما لكم إله غيره و (من) زائدة، فلذلك رفع.

و قوله «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ» أخبار من اللَّه تعالى: حكاية ما قال هود لهم بأنه ليس أنتم إلا متخرصون. و إنما سماهم مفترين بعبادة غير اللَّه، لأنهم فى حكم من قال هى جائزة لغير اللَّه، فلذلك قال لهم ذلك. و مساكن عاد كانت بين بلاد الشام و اليمن تعرف بالأحقاف، و كانوا أصحاب بساتين و زروع، و يسكنون

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۱۶۹ و روايته (لاقبرها) بدل (لابتزها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۶

الرمال، دعاهم هود الى الايمان باللَّه و توجيه العبادة اليه، فكفروا به فأهلكهم اللَّه بالريح، فذكر انها كانت تدخل فى أفواههم فتخرج من أستاههم فتقطعهم عضواً عضواً، نعوذ باللَّه منها.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۵۱] ..... ص : ۶

اشارة

يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۵۱)

آية بلا خلاف اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن هود أنه قال لقومه: لست أطلب منكم- على دعائى لكم الى عبادة اللَّه- أجراً، لأنه ليس جزائى فى ذلك إلا على اللَّه الذى خلقنى، فهلا تتفكرون- بعقولكم- فى ذلك، فتعلمون أن ذلك محض النصيحة لأنه لو كان لغيره لطلبت عليه الأجر.

اللغة ..... ص : ۶

و السؤال و الطلب معناهما واحد، الا ان الطلب قد يكون في غير معنى السؤال، لأن من ضاع منه شـيء يطلبه، او طلب الماء إذا استعذبه أو طلب المعادن، لاـ يقال فيه (سأل) و لا هو سائل. و (الأجر) هو الجزاء على العمل على عمل الخير بالخير. و قـد يسـتحق الأجر على الشكر، كالاجر الذي يعطيه اللّه العبد على شكره لنعمه. و (الفطر) الشق عن أمر اللّه، كما ينفطر الورق عن الثمر، و منه فطر اللّه الخلق. و منه قوله «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ» «۱» و «هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ» «۲» و منه فطر اللّه الخلق لأنه بمنزلـة ما شق عنه فظهر. و قوله «أ فلا تعقلون» يقال لمن عدل عن الاستدلال: لا يعقل، لأنه بمنزلة من لا يعقل،

(۱) سورة الانفطار آية ۱.

(۲) سورة الملك آية ۳.

التبيان في تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷

في انه لا ينتفع بموجب العقل. و قيل ان المعنى «أفلا تعقلون» أني اطلب بذلك نصحكم و صلاحكم فتقبلوه و لا تردوه.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۵۲] ..... ص : ۷

وَ يا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ وَ لا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (۵۲)

آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما قبلها، و فيها حكاية ايضاً عما قال هود لقومه، فانه ناداهم، و قال «يا قَوْمِ اسْـتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» اى اطلبوا منه المغفرة «ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» و انما قدم الاسـتغفار قبل التوبة، لأنه طلب المغفرة التي هي الغرض، ثم بين ما به يتوصل اليها هو التوبة، و الغرض مقدم في النفس، لان الحاجة اليه ثم السبب، لأنه يحتاج اليه من اجله. و قيل ان (ثم) في الآية بمعنى الواو، كما قال «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها» «۱» و كان جعل الزوج منها قبل جميع البشر.

و قيل ان المعنى اسـتغفروا ربكم من الوجه الذي يصح، من الايمان به و تصديق رسـله، و الاقلاع عن معاصيه، و التوبة من القبائح «ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» بمعنى استديموا على ذلك و جددوا التوبة بعد التوبة، لئلا يكونوا مصرين. و كل ذلك جائز.

و ظاهر هـذه الآيـة يقتضـي أن اللّه تعالى يجعل الخير بالتوبة ترغيباً فيها، لأنه وعد متى تاب العاصـي يرسل السـماء عليهم مدراراً و هو الدرر الكثير المتتابع على قدر الحاجة اليه دون الزائد المفسد المضر، و نصبه على الحال.

و

روى انهم كانوا أجدبوا، و انهم متى تابوا أخصبت بلادهم و أثمرت أشجارهم و انزل عليهم الغيث الذي يعيشون به.

(۱) سورة الزمر آية ۶.

التبيان في تفسير القرآن، ج۶، ص: ۸

و (مفعال) صفة للمبالغة كقولهم: منجار، و معطار، و مغزار. و مثله «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» «۱» و لو لا هذا الوعد لما وجب ذلك. و اما الثواب على التوبة فمعلوم عقلًا.

و قوله «وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ وَ لاـ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ» معنـاه ان اللّه تعـالى إذا تبتم «يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِـدْراراً وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى القوة التي فعلها فيكم، و يجوز ان يريد بذلك تمكينهم من النعم التي ينتفعون بها و يلتذون باستعمالها، فان ذلك يسمى قوة.

و قوله «وَ لا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ» تمام الحكاية عنه انه قال لقومه لا تتولوا من عصا اللّه و ترك عبادته.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۵۳] ..... ص : ۸

قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَ ما نَحْنُ بِتارِكِی آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَ ما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (۵۳)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية عما قاله قوم هود له حين دعاهم الى عبادة اللَّه و ترك ما سواه بأنهم قالوا له يا هود لم تجئنا ببينة يعنى بحجة دالة على صدقك و لسنا نترك عبادة آلهتنا لأجل قولك و لسنا مصدقيك، و لا معترفين بعبادة إلهك الذى تدعى انك رسوله، فالبينة الحجة الواضحة التى تفصل بين الحق و الباطل. و البيان فصل المعنى من غيره حتى يظهر للنفس متميزاً مما سواه، و يجوز ان يكون حملهم على رفع البينة مع ظهورها أمور:

أحدها- تقليد الآباء و الرؤساء فدفعوها لذلك.

و منها اتهامهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها.

---

(۱) سورة الطلاق آية ۲- ۳.

و منها انهم دخلت عليهم الشبهة فى صحتها.

و منها اعتقادهم لأصول فاسدة تدعوهم الى جحدها.

و اما الداعى الى عبادة الأوثان فيحتمل ان يكون احد أشياء:

أحدها- انهم ظنوا انها تقربهم الى اللَّه زلفى إذا عبدوها.

الثانى- ان يكونوا على مذهب المشبهة فجعلوا وثناً على صورته فعبدوه.

الثالث- ان يكون القى اليهم ان عبادتها تحظى فى دار الدنيا.

و قوله «عن قولك» معناه بقولك، و جعلت (عن) مكان الباء، لان معنى كل واحد من الحرفين يصح فيه. و قال الرمانى: من عبد إلهاً فى الجملة هو ممن عبد غير اللَّه، لان كل واحد منها لم تخلص العبادة له و لا أوقعها على وجه يستحق به الثواب.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۵۴] ..... ص : ۹

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ إِنِّی أُشْهِدُ اللَّهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (۵۴)

آية.

فى هذه الاية تمام الحكاية عن جواب قوم هود لهود، و هو انهم قالوا مع جحدهم لنبوته «ان نقول» لسنا نقول «إلا اعتراك» أصابك من قولهم عراه يعروه إذا اصابه، قال الشاعر:

من القوم يعروه اجترام و مأثم «۱»

و قيل «اعتراك» أصابك بجنون خبل عقلك، ذهب اليه ابن عباس، و مجاهد.

و انما جاز ان يقول «إلا اعتراك» مع انهم قالوا أشياء كثيرة غير هذا، لان المعنى

---

(۱) قائله ابو خراش: مجمع البيان ۳: ۱۶۹، و تفسير الطبرى ۱۲: ۳۵ و مجاز القرآن ۱: ۲۹۰ و صدره: (تذكر داخلا عندنا و هو فاتك)

ما نقول فى سبب الخلاف الا اعتراك، فحذف، لان الحال يقتضى ان كلامهم فى الخلاف و سببه.

و قوله «قالَ إِنِّی أُشْهِدُ اللَّهَ» اخبار عما أجابهم به هود بأن قال: اشهد اللّه على ادائى إليكم و نصحى إياكم، و على ردكم ذلك على و تكذيبكم اياى و «اشهدوا» أنتم ايضاً اننى برىء مما تشركون، و انما اشهدهم- على ذلك و ان لم يكونوا اهل شهادة من حيث كانوا كفاراً فساقاً- اقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم، فقيل هذا القول اعذاراً و إنذاراً، و يجوز ان يكون يريد بذلك اعلموا كما قال «شهد اللّه» بمعنى علم اللّه.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۵۵] ..... ص : ۱۰

مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِی جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ (۵۵)

آية بلا خلاف.

فى هذه الاية دلالة على صحة النبوة، لأنه قال لقوم من اهل البأس و النجدة «فَكِيدُونِی جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ» اى لا تمهلونى ثقة بأنهم لا يصلون اليه بسوء، لما وعده اللّه (عز و جل) من العز و الغلبة. و مثله قال نوح لقومه «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لا تُنْظِرُونِ» «۱» و

قال نبينا صلّى اللّه عليه و سلم «فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ»

«۲».

و الفرق بين الانظار و التأخير ان الانظار امهال لينظر صاحبه فى أمره، و التأخير خلاف التقديم من غير تضمين.

و فى هذه الاية تضمين بما قبلها، لان التقدير انى برىء مما تشركون من دونه، و هاهنا يحسن الوقف و يحسن ايضاً ان يقف على قوله «تشركون» كان ذلك وقفاً كافياً، لأنه يحسن الوقف عليه، و لا يحسن استئناف ما بعده. و اما الوقف التام

---

(۱) سورة يونس آية ۷۱

(۲) سورة المراسلات آية ۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۱

فهو الذى يحسن الوقف عليه و يحسن استئناف ما بعده نحو قوله «وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ثم يستأنف «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» «۱».

و الكيد طلب الغيظ بالسر و هو الاحتيال بالسر، تقول: كاده يكيده كيداً و كايده مكايدة مثل غايظه مغايظة.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۵۶] ..... ص : ۱۱

إِنِّی تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّی وَ رَبِّكُمْ ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّی عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۵۶)

آية بلا خلاف.

هذه الآية فيها حكاية ما قال هود لقومه بعد ذكر ما قدم من القول فيه انى توكلت على اللّه. و التوكل تفويض الامر الى اللّه تعالى على طاعته فيما امر به، لان ذلك من تسليم التدبير له، لان أفعاله كلها جارية على ما هو أصلح للخلق.

و قوله «ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها» معناه ليس من حيوان يدب الا و هو تعالى آخذ بناصيته اى قادر على التصرف فيه، و تصريفه كيف شاء.

و (الناصية) قصاص الشعر و منه قوله «فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِی وَ الْأَقْدامِ» «۲» و فى جر الرجل بناصيته إذلال له. و اصل الناصية الاتصال من قولهم: (مفازة بناصى مفازة) إذا كانت الاخيرة متصلة بالأولى قال الشاعر:

فیء تناصیها بلا دفیء «۳»

و قال ذو الرمة:

ینصو الجماهین «۴»

و نصوته انصوه نصواً إذا اتصلت به.

---

(۱) سورة الفاتحة آیة ۵- ۶

(۲) سورة الرحمن آیة ۴۱

(۳) مجمع البیان ۳: ۱۶۹

(۴) لم أجده

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۲

و قال ابو النجم:

ان یمس رأسی اشمط العناصی کأنما فرقه مناصی «۱»

ای یجاذب لیتصل به فی مره، و انما قال أخذ بناصیتها مع انه مالک لجمیعها لما فی ذلک من تصویر حالها علی عادة معروفة من أمرها فی إذلالها، فکل دابة فی هذه المنزلة فی الذلة للّه تعالی. و قوله «إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» معناه أن أمر ربی فی تدبیر خلقه علی صراط مستقیم لا عوج فیه و لا اضطراب، فهو یجری علی سبیل الصواب لا یعدل الی الیمین و الشمال و الفساد. و الفائدة هنا ان ربی و إن کان قادراً علی التصریف فی کل شیء فانه لا یفعل إلا العدل و لا یشاء الا الخیر.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۷] ..... ص : ۱۲

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُکُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَیْکُمْ وَ یَسْتَخْلِفُ رَبِّی قَوْماً غَیْرَکُمْ وَ لا تَضُرُّونَهُ شَیْئاً إِنَّ رَبِّی عَلی کُلِّ شَیْءٍ حَفِیظٌ (۵۷)

آیة بلا خلاف.

معنی الایة حکایة ما قال هود لقومه من قوله لهم ان تولیتم، فلیس ذلک لتقصیر فی ابلاغکم و انما هو لسوء اختیارکم فی الاعراض عن نصحکم، و یجوز ان یکون ذلک حکایة ما قال اللّه لهود انهم ان تولوا فقل لهم فقد أبلغتکم. و قال الزجاج: التقدیر فان تتولوا فحذف احدی التائین، لدلالة الکلام علیها، فعلی هذا تقدیره قل لهم فان تتولوا، و مثله قال الجبائی. و التولی الذهاب الی خلاف جهة الشیء و هو الاعراض عنه. و المعنی هنا التولی عما دعوتکم الیه من عبادة اللّه، و اتباع أمره، و الإبلاغ إلحاق الشیء بنهایته، و ذلک انه قد یلحق الحرف بالحرف علی جهة الوصل، فلا یکون إبلاغاً، لأنه لم یستمر الی نهایته.

---

(۱) اللسان (نصا) و مجمع البیان ۳: ۱۶۹ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۳

و قوله «وَ یَسْتَخْلِفُ رَبِّی قَوْماً غَیْرَکُمْ» فالاستخلاف جعل الثانی بدل الاول یقوم مقامه فیما کان علیه الاول، فلما کانوا قد کلفوا، فلم یجیبوا، جعل الثانی بدلًا منهم فی التکلیف.

و قوله «وَ لا تَضُرُّونَهُ شَیْئاً» معناه انه إذا استخلف غیرکم، لا تقدرون له علی ضر و لا نفع. و قیل ان معناه لا ینقصه هلاککم شیئاً، لأنه یجل عن الحاق المنافع و المضار به.

و قوله «إِنَّ رَبِّی عَلی کُلِّ شَیْءٍ حَفِیظٌ» لأعمال العباد حتی یجازیهم علیها.

و قیل معناه یحفظنی من ان تنالونی بسوء.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۸] ..... ص : ۱۳

وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّیْنا هُوداً وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّیْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِیظٍ (۵۸)

آیة.

المعنی و لما جاء أمرنا بهلاک عاد، و دلائله «نَجَّیْنا هُوداً، وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّیْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِیظٍ» یعنی من عذاب الدنیا و الآخرة فسلموا من الامرین.

و النجاة السلامة من الهلاک، و قد تکون السلامة من اصابة الم ما، و الرحمة قد تکون مستحقة بدلالة قوله «و نجیناهم برحمة منا» و یجوز ان یکون المراد بما أریناهم من الهدی و البیان الذی هو رحمة. و الرحمة مستحقه بالوعد و حسن التدبیر فی الفصل بین الولی و العدو. و الغلیظ عظیم الجثة و الکثیفة، و انما وصف به العذاب لأنه بمنزلته فی الثقل علی النفس و طول المکث.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۴

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۵۹] ..... ص : ۱۴

وَ تِلْکَ عادٌ جَحَدُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ کُلِّ جَبَّارٍ عَنِیدٍ (۵۹)

آیة بلا خلاف.

قوله «و تلک» اشارة الی من تقدم ذکره، و تقدیره و «تلک» القبیلة «عادٌ جَحَدُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ» و الجحد الخبر بأن المعنی لیس بکائن علی صحة، فعلی هذا جحدوا هؤلاء الکفار بآیات اللَّه، ای أخبروا بأن المعنی لا نعرف صحته، و النفی خبر بعدمه.

و قال صاحب العین: الجحد إنکارک بلسانک ما تستیقنه نفسک.

و قوله «وَ عَصَوْا رُسُلَهُ» فیه أخبار انهم مع جحدهم دلالة رسل اللَّه، و انکارهم آیات اللَّه، خالفوا ما اراده الدعاة الی اللَّه، علی طریق الإیجاب بالترغیب و الترهیب فالرسول دعاهم الی عبادة اللَّه، فخالفوه و انما قال «عَصَوْا رُسُلَهُ» و هم عصوا هوداً، لأن الرسل قد تقدمت علیهم بمثل ذلک، و ذلک عصیان لهم فیما أمروا به و دعوا الیه من توحید اللَّه و عدله و ان لا یشرکوا به شیئاً.

و قوله «وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ کُلِّ جَبَّارٍ عَنِیدٍ» و العنید العاتی الطاغی، عند یعند عنداً و عنوداً إذا حاد عنه کثیراً قال الشاعر.

انی کبیر لا أطیق العندا «۱»

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۶۰] ..... ص : ۱۴

وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَةً وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ أَلا إِنَّ عاداً کَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ (۶۰)

---

(۱) مجاز القرآن ۱: ۲۹۱ و تفسیر الطبری ۱۲: ۳۵ و القرطبی ۹: ۵۴ و صدره:

إذا رحلت فاجعلونی وسطا.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۵

آیة بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالی فی هذه الآیة ان عاداً لما عصوه، و کفروا به، و کذبوا هوداً ألحق اللَّه بهم الهلاک و اتبعهم فی دار الدنیا لعنة، بمعنی انه اخبر نبینا و الأمم المستقبلة باهلاکهم و انه لعنهم و امر بلعنهم، و عرفهم انه ابعدهم من رحمته.

و اللعنة الدعاء بالابعاد من قولك لعنه إذا قال عليه لعنة اللّه، و أصله الابعاد من الخير يقال ذئب لعين اى طريد، و لا يجوز ان يلعن شيء من البهائم، و ان كانت مؤذية، لأنه لا يجوز ان يدعى عليها بالابعاد من رحمة اللّه.

و قوله «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ» اى و يتبعون لعنة يوم القيامة، يعنى يوم يقوم الناس من قبورهم للجزاء و الحساب، كما قال «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ» «۱» و قوله «أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ» (ألا) معناها التنبيه، و ما بعدها أخبار بأن قوم عاد كفروا ربهم.

و قوله «أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ» نصب (بعداً) على المصدر، و المعنى ابعدهم اللّه بعداً، و وقع (بعداً) موضع ابعاد، كما وقع نبات موضع إنبات فى قوله «أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «۲».

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۱] ..... ص : ۱۵

وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ (۶۱)

آية بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى فى هذه الآية أنه أرسل «إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً» و نصب

---

(۱) سورة المعارج آية ۴۳.

(۲) سورة نوح آية ۱۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۶

(أخاهم) بأرسلنا، عطف على ما تقدم، و انه «قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» و قد فسرناه «۱». و قوله «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه خلقكم من آدم و آدم من تراب.

الثانى- انه خلقكم من الأرض، و الاول اختيار الجبائى و هو الأقوى. و الإنشاء الإيجاد ابتداء من غير استعانة بشيء من الأسباب، و هما نشأتان الاولى فى الدنيا و الثانية فى الآخرة.

و قوله «وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها» اى جعلكم قادرين على عمارة الأرض، و مكنكم من عمارتها و الحاجة الى سكناها. و الاستعمار جعل القادر يعمر الأرض كعمارة الدار.

و قال مجاهد معنى «اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها» أى أعمركم بأن جعلها لكم طول أعماركم. و منه العمرى المسألة المعروفة فى الفقه.

و فى الآية دلالة على فساد قول من حرم المكاسب، لأنه تعالى امتن على خلقه بأن مكنهم من عمارة الأرض فلو كان ذلك محرماً لم يكن لذلك وجه، و العبادة لا تستحق إلا بالنعم المخصوصة التى هى أصول النعم فلذلك لا يستحق بعضنا على بعض العبادة ابتداء، و ان استحق الشكر، و لذلك لا تحسن العبادة ابتداء، كما لا يحسن الشكر إلا فى مقابلة النعم.

و قوله «فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» قد بينا معناه «۲» و قوله «إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ» معناه أنه قريب الرحمة لا من قرب المكان، لكنه خرج هذا المخرج لحسن البيان فى المبالغة. و قيل ان بلاد ثمود بوادى القرى بين المدينة و الشام، و كانت عاد باليمن.

---

(۱) فى تفسير آية. ۵ من هذه السورة صفحة ۵ من هذا المجلد.

(۲) انظر ۵: ۵۱۴ فى تفسير آية ۳ من هذه السورة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۷

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۲] ..... ص : ۱۷

قالُوا يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وَ إِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (۶۲)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية ما أجاب به قوم صالح له حين قالوا له يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا، و معناه قد كنا نرجو منك الخير، و نطمع فيه من جهتك قبل هذا لما كنت عليه من الأحوال الجميلة، فالآن يئسنا منك.

و الرجاء تعلق النفس بمجيء الخير على جهة الظن، و مثله الأمل و الطمع.

و قوله «أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا» معناه تحظر علينا عبادة كان يعبدها آباؤنا.

و قوله «إِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ» معناه إن الذى أتيتنا به لا يوجب العلم بل يوجب الشك فنحن فى شك مما جئتنا به. و الريبة هى الشك إلا ان مع الريبة تهمة للمعنى ليست فى نقيضه، و الشك قد يعتدل فيه النقيضان.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۳] ..... ص : ۱۷

قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَما تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (۶۳)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى فى هذه الآية ما أجاب به صالح قومه ثمود بأن قال لهم «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ» أى حجة من ربى و دليل من جهته. و لا مفعول التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۸

ل (رأيتم) لأنه يلغى كما يلغى إذا دخل عليه لام الابتداء فى قولك (رأيت لزيد خير منك) فكذلك الجزاء. و جواب (إن) الاولى الفاء، و جواب (إن) الثانية محذوف، و تقديره ان عصيته فمن ينصرنى، إلا انه يستغنى بالأول، فلا يظهر.

و قوله «فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ» صورته صورة الاستفهام، و معناه النفى كأنه قال فلا- ناصر لى من اللَّه ان عصيته، و معنى الكلام أعلمتم من ينصرنى من اللَّه ان عصيته بعد بينة من ربى و نعمة، و انما جاز إلغاء (رأيت) لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انفردت عن غيرها، و (من) يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها.

و قوله «فَما تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- ليس تزيدوننى باحتجاجكم بعبادة آبائكم اى ما تزدادون أنتم الا خساراً، هذا قول مجاهد.

و الثانى- قال قوم: تزيدوننى لأنهم يعطونه ذاك بعد أول أمرهم.

الثالث- قال الحسن معناه ان أجبتكم الى ما تدعوننى اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران.

و قال اخرون معناه ما تزيدوننى على ما انا عندكم الا خساراً.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۴] ..... ص : ۱۸

وَ يا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ (۶۴)

فى هذه الآية حكاية ما قال صالح لقومه بعد ان أنذرهم و خوفهم عبادة غير اللَّه، و حذرهم معاصيه. «وَ يا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً» و أشار الى ناقته التى جعلها اللَّه معجزة، لان اللَّه تعالى أخرجها لهم من جوف صخرة و هم يشاهدونها على تلك الصفة، و خرجت و هى حامل كما طلبوا، انها كانت تشرب يوماً فتنفرد به و لهم يوم و تأتى المرعى يوماً و الوحش يوماً. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶،

ص: ۱۹

و قوله «وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ» نهى منه لهم ان يمسوا الناقة بسوء اى بعقر او ضرر. و المس و اللمس متقاربان. و فرق بينهما الرمانى بان المس يكون بين جمادين و اللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الإدراک، و قوله «فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ» جواب النهى بالفاء و كذلک نصبه. و المعنى ان مسستموها بضر اخذكم عذاب عاجل.

قوله تعالى: [سورة هود (۱۱): آية ۶۵] ..... ص : ۱۹

فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (۶۵)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن قوم صالح بأنهم عصوه فيما أمرهم و ارتكبوا ما نهاهم عنه من أذى الناقة و انهم عقروها و العقر قطع العضو الذى له سراية فى النفس قال امرؤ القيس:

يقول و قد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل «۱»

و كان سبب عقرهم لها انهم كرهوا أن يكون لها يوم، و لهم يوم فى الشرب لضيق الماء عليهم و المرعى على ماشيتهم فعقرها (احمر ثمود) و ضربت به العرب المثل فى الشؤم، فلما فعلوا ذلک قال لهم صالح «تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ» أى تلذذوا، فيما يريدون من المدركات الحسان من المناظر و الأصوات و غيرها مما يدرک بالحواس، و يقال للبلاد: دار، لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار. و منه قولهم:

ديار ربيعة، و ديار مضر.

و قيل معنى «فى داركم» اى فى دار الدنيا. و ايام أصله (ايوام) فقلبت الواو ياء و أدغمت الياء الاولى فيها فصارت ايام لاجتماعها و سكون الاولى و انما وجب ذلک لاشتراكهما فى انهما حرفا علة. و قوله «ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ» معناه إن

---

(۱) ديوانه ۱۲۷ (الطبعة المصرية)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰

ما وعدتكم به من نزول العذاب بعد ثلاثة ايام وعد صدق ليس فيها كذب.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۶] ..... ص : ۲۰

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (۶۶)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة إلا إسماعيل و الكسائى و البرجمى و السمونى «يومئذ» بفتح الميم، هنا و فى المعارج. الباقون بكسر الميم على الاضافة. قال ابو على قوله «يومئذ» ظرف- كسرت او فتحت- فى المعنى إلا انه اتسع فيه فجعل اسماً كما اتسع فى قوله «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» «۱» فأضيف المكر اليهما و إنما هو فيهما، فكذلک العذاب و الخزى و الفزع اضفن الى اليوم، و المعنى على ان ذلک كله فى اليوم كما ان المكر فى الليل و النهار.

و من كسر الميم من «عذاب يومئذ» فلان يوماً اسم معرب أضاف اليه ما اضافه من العذاب و الخزى و الفزع، فانجر بالاضافة، و لم تفتح اليوم فتبنيه لاضافته الى المعنى، لان المضاف منفصل عن المضاف اليه و لا يلزمه الاضافة، و المضاف لم يلزم البناء.

و من فتح فقال: من عذاب يومئذ فيفتح مع انه فى موضع جر، فلان المضاف يكتسب من المضاف اليه التعريف و التنكير، و معنى

الاستفهام و الجزاء فى نحو غلام من تضرب اضربه، فلما كان يكتسب من المضاف اليه هذه الأشياء اكتسب منه الاعراف و البناء ايضاً، إذا كان المضاف من الأسماء الشائعة المبنية نحو (اين.

و كيف) و لو كان المضاف مخصوصاً نحو (رجل و غلام) لم يكتسب منه البناء كما اكتسبت من الأسماء الشائعة. و من أضاف على تقدير من عذاب يومئذ و من خزى

---

(۱) سورة سبأ آية ۳۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۱

يومئذ، فلأنها معارف تعرفت بالاضافة الى اليوم.

اخبر اللَّه تعالى انه لما جاء أمره باهلاك قوم صالح الذين هم ثمود نجا صالحاً و المؤمنين معه برحمة منه تعالى.

و قوله «وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ» فالخزى العيب الذى تظهر فضيحته و يستحى من مثله، خزى يخزى خزياً إذا ظهر له عيب بهذه الصفة.

و قوله «إِنَّ رَبَّکَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» فالقوى هو القادر، و العزيز هو القادر على منع غيره من غير ان يقدر أحد على منعه. و أصله المنع فمنه عز على الشيء إذا امتنع بقلبه و منه العز الأرض الصلبة الممتنعة بالصلابة، و منه تعزز بفلان اى امتنع به و يقال (من عزّ بز) اى من غلب سلب.

و كانت علامة العذاب فى ثمود ما قال لهم صالح: آية ذلك ان وجوهكم تصبح فى اليوم الاول مصفرة و فى اليوم الثانى محمرة و فى الثالث مسودة، ذكره الحسن، هذا من حكمته تعالى و حسن تدبيره فى الانذار بما يكون من العقاب قبل ان يكون، للمظاهرة فى الحجة.

و لم يختر ابو عمرو بناء (يوم) إذا أضيف الى مبنى كما اختير فى قوله «عَلى حِينِ غَفْلَةٍ» «۱» لأن هذا أضيف الى الاسم مبنى، و ذلك أضيف الى فعل مبنى فباعده عن التمكن بأكثر مما باعده الاول.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۷] ..... ص : ۲۱

وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (۶۷)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى أنه لما نجا صالحا و المؤمنين و أراد إهلاك الكفار أخذ الذين ظلموا الصيحة، و هى الصوت العظيم من الحيوان. و قال الجبائى لا تكون

---

(۱) سورة القصص آية ۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۲

الصيحة إلا حدوث صوت فى فم و حلق حيوان. و قيل ان جبرائيل عليه السلام صاح بهم، و يجوز ان يكون اللَّه تعالى أحدث الصيحة فى حلق حيوان، و انما ذكر اللفظ لأنه حمله على المعنى، لان الصيحة و الصياح واحد. و يجوز تأنيثه حملًا على اللفظ، كما جاء فى موضع آخر «۱». و قوله «فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ» معناه أنه لما أتتهم الصيحة ليلًا أصبحوا فى ديارهم خامدين على هذه الصفة، و العرب تقول فى تعظيم الأمر: (وا سوأة صباحاه) و الجثوم السقوط على الوجوه. و قيل هو القعود على الركب، يقال: جثم على القلب إذا ثقل عليه، و ذكرهم اللَّه بالظلم هنا دون الكفر ليعلم أن الكفر ظلم النفس إذ يصير الى أعظم الضرر بعذاب الأبد.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۸] ..... ص : ۲۲

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ (۶۸)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى وحده «لثمود» بخفض الدال و تنوينها. و الباقون بغير صرف.

و قرأ حمزة و حفص و يعقوب «ألا إن ثمود» و فى الفرقان. و «عاداً و ثمود» و فى العنكبوت «وَ ثَمُودَ فَما أَبْقى بغير تنوين فيهن وافقهم يحيى و العليمى و السمونى فى سورة (النجم).

قال الفراء قلت للكسائى: لم صرفت (ثمود) هنا؟ فقال: لأنه قرب من المنصوب، و هو مجرور، و انما صرف ثمود فى النصب دون الجر و الرفع، لأنه لما جاز الصرف اختير الصرف فى النصب، لأنه أخف.

قال ابو على الفارسى: الأسماء التى تجرى على القبائل و الأحياء على اضرب

---

(۱) سورة هود آية ۹۵ و سورة الحجر آية ۷۳، ۸۳، و سورة المؤمنون آية ۴۱ و غيرها كثير و الآيات التى ذكرناها الفعل فيها لمؤنث.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۳

أحدها- ان يكون اسماً للحى او للأب.

و الثانى- ان يكون اسماً للقبيلة.

الثالث- ان يكون غلب عليه الأب دون الحى و القبيلة.

و الرابع- ان يستوى ذلك فى الاسم فيجرى على الوجهين، و لا يكون لاحد الوجهين مزية على الآخر فى الكثرة، فمما جاء اسماً للحى قولهم ثقيف و قريش، و كلما لا يقال فيه بنو فلان. و اما ما جاء اسماً للقبيلة فنحو تميم بنت مرة قال سيبويه سمعناهم يقولون: قيس ابنة عيلان، و تميم صاحبة ذلك، و قال تغلب ابنة و ابل. و اما ما غلب عليه اسم ام الحى او القبيلة، فقد قالوا باهلة ابن اعصر، و قالوا يعصر، و باهلة اسم امرأة، قال سيبويه جعل اسم الحى، و محوس لم يجعل اسم قبيلة، و سدوس أكثرهم يجعله اسم القبيلة، و تميم أكثرهم يجعله اسم قبيلة. و منهم من يجعله اسم الأب. و اما ما يستوى فيه اسم قبيلة، و ان يكون اسماً للحى، فقال سيبويه نحو ثمود و عاد، و سماهما مرة للقبيلتين و مرة للحيين، فكثرتهما سواء.

قال: و عاداً و ثموداً، و قال «أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ» و قال «و أتينا ثمود الناقة» فإذا استوى فى ثمود ان يكون مرة للقبيلة و مرة للحى و لم يكن لحمله على احد الوجهين مزية فى الكثرة:

فمن صرف فى جميع المواضع كان حسناً، و من لم يصرف ايضاً كذلك، و كذلك ان صرف فى موضع و لم يصرف فى موضع آخر إلا انه لا ينبغى ان يخرج عما قرأت به القراء لان القراءة سنة، فلا يجوز ان تحمل على ما يجوز فى العربية حتى تنضم اليه الرواية.

معنى قوله «كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا» أى كأن لم يقيموا فيها لانقطاع آثارهم بالهلاك و ما بقى من اخبارهم الدالة على الخزى الذى نزل بهم، يقال غنى بالمكان إذا اقام به و المغانى المنازل قال النابغة: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۴

غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة و تودد «۱»

و اصل الغنى الاكتفاء فمنه الغنى بالمال و الغناء الصوت الذى يتغنى به، و الغناء الاكتفاء بحال الشيء و غنى بالمكان إذا اقام به، لاكتفائه بالاقامة فيه، و الغانية الشابة المتزوجة. و (ألا) معناها التنبيه و هى الف استفهام دخلت على (لا) فالالف يقتضى معنى و (لا) ينفى معنى، فاقتضى الكلام بهما معنى التنبيه مع نفى الفعلية.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶۹] ..... ص : ۲۴

وَ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (۶۹)

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى «قال سلم» بكسر السين و سكون اللام من غير الف هنا، و فى الذاريات. قال محمد بن يزيد المبرد (السلام) فى اللغة يحتمل اربعة أشياء، منها مصدر سلمت، و منها جمع سلامة، و منها اسم من اسماء اللّه، و منها اسم شجرة، و منه قول الأخطل: الإسلام و حرمل و قوله «دار السلام» «۲» يحتمل ان يكون مضافاً الى اللّه تعظيماً لها، و يجوز ان يكون دار السلام من العذاب لمن حصل فيها. و اما انتصاب قوله «سلاماً» فانه لا يحك شيئاً تكلموا به فيحكى كما تحكى الجمل، و لكن هو ما تكلمت به الرسل، كما ان القائل إذا قال لا اله الا اللّه، فقلت له قلت حقاً او قلت اخلاصاً أعملت القول فى المصدر لأنك ذكرت معنى ما قال، فلم يحك نفس الكلام الذى هو جملة يحكى، فكذلك نصب سلاماً هنا، لما كان معنى ما قيل و لم يكن نفس

---

(۱) ديوانه: ۶۵ و مجمع البيان ۳: ۱۷۸ و تفسير الطبرى ۱۵: ۵۶، ۴۶۵.

(۲) سورة الانعام ۱۲۷ و سورة يونس آية ۲۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۲۵

القول بعينه. و قوله «إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً» «۱» قال بسيبويه زعم ابو الخطاب: ان مثله يراد به مثل قولك سبحان اللّه الذى، تفسيره براءة اللّه من السوء، و قولك للرجل سلاماً تريد مسلماً منك لا ابتلى بشىء من أمرك. و قوله «سلام» مرفوع، لأنه من جملة الجملة المحكية، و تقديره سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله «فصبر جميل» «۲» اى فصبر جميل أمثل او يكون المعنى امرى سلام و شأنى سلام، كما يجوز ان يكون فى قوله «فصبر جميل» المحذوف منه المبتدأ، و مثله على حذف المبتدإ قوله تعالى «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَ قُلْ سَلامٌ» «۳» او حذف الخبر و يكون سلام مبتدأ و اكثر ما يستعمل (سلام) بغير الف و لام لأنه فى معنى الدعاء، فهو مثل قولهم خير بين يديك، فمن ذلك قوله «قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي» «۴» و قوله «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ» «۵» و قوله «سَلامٌ عَلى نُوحٍ» «۶» و «سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ» «۷» و قوله «سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى «۸» و قد جاء بالألف و الا قال تعالى «وَ السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى «۹» و «السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ» «۱۰» و ز ابو الحسن ان من العرب من يقول: السلام عليكم، و منهم من يقول سلام عليكم فمن ألحق فيه الالف و اللام حمله على المعهود. و من لم يلحقه حمله على غير المعهود و زعم أن منهم من يقول سلام عليكم بلا تنوين، و حمل ذلك على وجهين:

أحدهما- انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل فى نحو لم يك و لا أدر و يوم يأت.

---

(۱) سورة الفرقان آية ۶۳.

(۲) سورة يوسف آية ۱۸، ۸۳.

(۳) سورة الزخرف آية ۸۹. [.....]

(۴) سورة مريم آية ۴۷.

(۵) سورة الرعد آية ۲۶.

(۶) سورة الصافات آية ۷۹.

(۷) سورة الصافات آية ۱۰۹.

(۸) سورة النمل آية ۵۹.

(۹) سورة طه آية ۴۷.

(۱۰) سورة مريم آية ۳۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۶

و الآخر- انه لما كثر استعمال هذه الكلمة، و فيها الالف و الام جاز حذفها منها لكثرة الاستعمال كما حذفوا من اللهم فقالوا: لا هم كما قال الشاعر:

لا هم لا هم ان عامر العجوز قد حبس الخيل على يعمور

و من قرأ (سلم) بلا الف احتمل أمرين: أحدهما- ان يكون بمعنى (سلم) و المعنى أمرنا سلم و سلم عليكم، و يكون سلام بمعنى سلم، كقولهم حل و حلال، و حرم و حرام، انشد الفراء:

وقفنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما أكيل بالبرق الغمام اللوائح «۱»

و روى كما أنكل. ثم قال الفراء فى رفع سلام انه حين نكرهم، قال هو سلم ان شاء اللَّه، من أنتم؟ فعلى هذا القراءتان بمعنى واحد. و الآخر أن يكون (سلم) خلاف العدو، و الحرب. كأنهم لما كفوا عن تناول ما قدم اليهم فنكرهم و أوجس منهم خيفة، قال انا سلم، و لست بحرب و لا عدو، فلا تمتنعوا من تناول طعامى، كما يمتنع من تناول طعام العدو، و قوله «و لقد» دخلت اللام لتأكيد الخبر، كما يؤكد القسم، و معنى (قد) هنا ان السامع لقصص الأنبياء يتوقع قصة بعد قصة، و (قد) للتوقع فجاءت لتؤذن أن السامع فى حال توقع. أخبر اللَّه تعالى أنه لما جاءت رسل ابراهيم يبشرونه.

و قيل فى البشارة بما ذا كانت قولان:

أحدهما- قال الحسن كانت بأن اللَّه تعالى يهب له إسحاق ولداً و يجعله رسولا الى عباده.

و قال غيره كانت البشارة باهلاك قوم لوط. و قوله «قالُوا سَلاماً» حكاية ما قال رسل اللَّه لإبراهيم مجيباً لهم «سلام».

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۲: ۳۹ و اللسان (سلم) و قد روى ايضاً:

وقفنا فقلنا ايه سلم فسلمت فما كان الا ومؤها بالحواجب

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷

و قوله «فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ» معنى ذلك لم يتوقف حتى جاء- على عادته فى إكرام الأضياف و تقديم الطعام اليهم- بعجل، و هو ولد البقرة يسمى بذلك لتعجيل أمره بقرب ميلاده. و يقال: فيه عجول و جمعه عجاجيل، و «الحنيذ» المشوى و معناه محنوذ، فجاء «فعيل» بمعنى «مفعول» كطبيخ و مطبوخ، و قتيل و مقتول تقول: حنذه حنذاً و يحنذه قال العجاج:

و رهبا من حنذه أن يهجرا «۱»

يعنى الحمراء الوحشية أى حنذها حر الشمس على الحجارة. و قال الحسن حنيذ بمعنى نضيج مشوى. و قال ابن عباس و قتادة و مجاهد: نضيج.

و حكى الزجاج أن الحنيذ هو الذى يقطر ماؤه تقول العرب أحنذ هذا الفرس أى جلله حتى يقطر عرقاً.

و انما قدم الطعام اليهم و هم ملائكة لأنه رآهم فى صورة البشر، فظنهم أضيافاً.

و قال الحسن: جاؤوه فاستضافوه، و الا لم يخف عليه أن الملائكة لا يأكلون و لا يشربون. و قوله «أن جاء» فى موضع نصب بوقوع لبث عليه، كأنه قال فما ابطأ عن مجيئه بجعل، فلما حذف حرف الجر نصب.

قال الفراء: و يحتمل «ان جاء بعجل» أن يكون فى موضع رفع بأن تجعل (لبث) فعلا له كأنك قلت فما أبطأ مجيئه بعجل حنيذ، قال الفراء: (الحنيذ) ما حفرت له فى الأرض ثم عممته و هو فعل أهل البادية. قال الفراء و غيره: و انما

---

(۱) ديوانه: ۹ و مجاز القرآن ۱: ۲۹۲ و تفسير الطبرى ۱۲: ۴۱ و اللسان (حنذ)، (هرج).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸

خافهم ابراهيم من حيث لم ينالوا طعامه، لان عادة ذلك الوقت إذا قدم الطعام إلى قوم فلا يمسونه ظنوا أنهم أعداء.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۰] ..... ص : ۲۸

فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ (۷۰)

آية بلا خلاف.

قيل فى وجه إتيان الملائكة ابراهيم صلّى اللَّه عليه و سلم فى صورة الأضياف قولان:

أحدهما- قال الحسن أنهم أتوه على الصفة التى كان يحبها، لأنه كان يقرى الضيف.

و الآخر- انهم أروه معجزاً من مقدور اللَّه فى صورتهم مع البشارة له بالولد على الكبر، فأخبر اللَّه تعالى ان ابراهيم لما رآهم ممتنعين من تناول الطعام و ان أيديهم لا تصل اليه، و العقل لم يكن مانعاً من أكل الملائكة الطعام و إنما علم ذلك بالإجماع و بهذه الآية، و الا ما كان يجوز أن يقدم ابراهيم الطعام مع علمه بأنهم ملائكة. و يجوز بان يأكلوه و انما جاز ان يتصور الملائكة فى صورة البشر مع ما فيه من الإيهام لأنهم أتوه به دلالة، و كان فيه مصلحة فجرى مجرى السراب الذى يتخيل انه ماء من غير علم انه ماء.

و قوله «نكرهم» يقال نكرته و أنكرته بمعنى. و قيل نكرته أشد مبالغة و هى لغة هذيل و اهل الحجاز، و أنكرته لغة تميم قال الأعشى فى الجمع بين اللغتين:

و انكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث الا الشيب و الصلعا «۱»

---

(۱) ديوانه: ۷۲ القصيدة ۱۳ و تفسير الطبرى ۱۲: ۴۱ و الاغانى ۱۶: ۱۸، و الصحاح، و التاج و اللسان (نكر) و تفسير القرطبى ۹، ۶۶. و مجمع البيان ۳: ۱۷۷ و تفسير الشوكانى ۲: ۴۸۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۹

و قال ابو ذؤيب:

فنكرته فنفرن و افترست به هو جاء هاربة و هاد خرسع «۱»

و قوله «أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» اى أضمر الخوف منهم، و الإيجاس الاحساس قال ذو الرمة:

و قد توجس ركزاً مغفراً ندساً بنبأة الصوت ما فى سمعه كذب «۲»

اى تجسيس. و قبل أوجس أضمر، و انما خافهم حين لم ينالوا من طعامه لأنه رآهم شباباً أقوياء و كان ينزل طرفاً من البلد لم يأمن- من حيث لم يتحرموا بطعامه ان يكون ذلك البلاء حتى قالوا له لا تخف يا ابراهيم «إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ» بالعذاب و الإهلاك و قيل انهم دعوا اللَّه فأحيا العجل الذى كان ذبحه ابراهيم و شواه فظهر و رعى، فعلم حينئذ انهم رسل اللَّه.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۱] ..... ص : ۲۹

وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ (۷۱)

آية بلا خلاف قرأ ابن عباس و حمزة و حفص و يعقوب (فبشرناها) بنصب الباء. الباقون بالرفع. قال ابو على من رفع فباحد أمرين: أحدها بالابتداء، و الآخر بالظرف على مذهب من رفع و ذلك بين. و من فتح احتمل ثلاثة أشياء:

أحدها- ان يكون فى موضع جر و المعنى فبشرناها بإسحاق و يعقوب، و قال ابو الحسن: و هو قوى فى المعنى، لأنها قد بشرت به قال

و فی أعمالها ضعف، لأنك فصلت بين الجار و المجرور بالظرف كما لا يجوز مررت بزيد فی الدار و البيت

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۱۷۸

(۲) مجمع البيان ۳: ۱۷۸

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰

عمرو. و قال الرمانی لا يجوز ذلك لأنه يجب منه العطف على عاملين، و ذلك لا يجوز، لأنه أضعف من العامل الذی قام مقامه و هو لا يجر و لا ينصب.

الثانی- بحمله على موضع الجار و المجرور كقول الشاعر:

إذا ما تلاقينا من اليوم او غدا «۱»

و كقراءة من قرأ «حورا عينا» بعد قوله «يطاف عليهم» بكذا «۲» و مثله قوله:

فلسنا بالجبال و لا الحديدا «۳»

و كقول الشاعر:

جئنی بمثل بنی بدر لقومهم او مثل اسرة منظور بن سيار

او عامر بن طفيل فی مراكبه او حارثاً حين نادى القوم يا جار «۴»

فنصب (عامراً) و (حارثاً) كأنه قال او جئنی بعامر فلما اسقط حرف الجر نصب.

الثالث- أن تحمله على فعل مضمر، كأنه قال فبشرناه بإسحاق، و وهبنا له يعقوب.

قال ابو علی الفارسی: و الوجه الاول نص سيبويه فی فتح مثله نحو مررت بزيد أول أمس و أمس عمرو، و كذلك قال ابو الحسن قال: لو قلت مررت بزيد اليوم و أمس عمرو، كان حسناً و لم يحسن الحمل على الموضع على حد مر رب بزيد و عمراً، فالفصل فيها ايضا قبيح كما قبح الحمل على الجار و غير الجار، فهذا فی القياس مثل الجار فی القبح لأن الفعل يصل بحرف العطف و حرف العطف هو الذی يشرك فی الفعل، و به يصل

---

(۱) لم أجده

(۲) سورة الصافات آية ۴۵ و سورة الزخرف آية ۷۱ و سورة الدهر آية ۱۵ [.....]

(۳) مر هذا البيت فی ۳: ۴۵۵ تاما

(۴) تفسير الطبری ۱۲: ۴۳ (الطبعة الاولى)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱

الفعل الى المفعول به، كما يصل الجار فإذا قبح الأمران وجب أن تحمل قراءة من قرأ بالنصب على تقدير فعل آخر مضمر يدل عليه (بشرنا).

و قيل فی معنى قوله «وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ» ثلاثة أوجه:

أحدها- انها كانت قائمة بحيث ترى الملائكة فضحكت سروراً بالسلامة و أردف ذلك السرور بما كان من البشارة.

و الثانی- انها كانت قائمة من وراء الستر تستمع الى الرسل.

و الثالث- انها كانت قائمة تخدم الأضياف و ابراهيم جالس.

و قال مجاهد: معنى فضحكت حاضت، قال الفراء: لم أسمع ذلك من ثقة وجدته كتابة قال الكميت.

و أضحكت السباع سيوف سعد لقتلى ما دفن و لا ودينا «۱»

يعنى بالحيض و قالوا لحرب بن كعب: تقول ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع و البسر، و قالوا الضحك الطلع و سمع من يحكى أضحكت حوضك إذا ملأته حتى فاض، و انشد بعضهم فى الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر:

و ضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا «۲»

و قال قوم: الضحك العجب و انشد لابى ذؤيب.

فجاء بمزج لم يرَ الناس مثله هو الضحك إلا انه عمل النحل «۳»

و قيل فى معنى «ضحكت» ثلاثة اقوال:

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۲: ۴۲ و مجمع البيان ۳: ۱۸۰.

(۲) مجمع البيان ۳: ۱۸۰ و تفسير القرطبى ۸: ۶۶ و الطبرى ۱۲: ۴۲ و الشوكانى ۲: ۴۸۶.

(۳) تفسير القرطبى ۸: ۶۷ و الطبرى ۱۲: ۵۴۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲

أحدها- انها ضحكت تعجباً من حال الأضياف فى امتناعهم من أكل الطعام مع أن ابراهيم و زوجته سارة يخدمانهم.

و ثانيها- قال قتادة: ضحكت تعجباً من حال قوم لوط أتاهم العذاب و هم فى غفلة.

و ثالثها- قال وهب بن منبة: انها ضحكت تعجباً من ان يكون لهما ولد، و قد هرما، فعلى هذا يكون فى الكلام تقديم و تأخير، كأنه قال فبشرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة.

قوله «فبشرناها» يعنى امرأة ابراهيم سارة بإسحاق انها تلده و من بعد إسحاق يعقوب من ولده فبشرت بنى بين نبيين، و هو إسحاق أبوه نبى و ابنه نبى.

و قال الزجاج: انما ضحكت لأنها كانت قالت لإبراهيم اضمم لوطاً ابن أخيك اليك فانى أعلم ان سينزل على هؤلاء القوم عذاب فضحكت سروراً لما اتى الأمر على ما توهمت.

و قال ابن عباس و الشعبى و الزجاج يقال لولد الولد هذا ابنى من ورائى هو ابن ابنى.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۲] ..... ص : ۳۲

قالَتْ يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (۷۲)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية اخبار عما قالت امرأة ابراهيم حين بشرت بأنها تلد إسحاق و هو ان قالت يا ويلتى. و معنى يا ويلتى الانذار بورود الأمر الفظيع تقول العرب يا للدواهى اى تعالى فانه من ازمانك بحضور ما حضر من اشكالك. و الف (يا ويلتى) يجوز ان يكون الف ندبة. و يحتمل ان يكون للاضافة انقلبت من الياء التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۳

و كان هذا القول من امرأة ابراهيم على وجه التعجب بطبع البشرية، إذ ورد عليها ما لم تجربه العادة قبل ان تفكر فى ذلك كما ولّى موسى مدبراً حين انقلبت العصا حية حتى قيل له «أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ» «۱» و إلا هى كانت مؤمنة عارفة بأن اللّه تعالى يقدر على ذلك.

قال الرمانى: و السبب فى ان العجوز لا تلد أن الماء- الذى يخلق اللّه (عز و جل) منه الولد مع نطفة الرجل- قد انقطع بدلالة ارتفاع الحيض، فجعل اللّه الولد على تلك الحال معجزاً لنبيه ابراهيم (ع).

و قال مجاهد: كان لإبراهيم فى ذلك مائة سنة و لها تسع و تسعون سنة.

و قال ابن إسحاق: كان لإبراهيم مائة و عشرون سنة، و لسارة تسعون سنة.

و البعل الزوج، و أصله القائم بالأمر، فيقولون للنخل الذى يستغنى بماء السماء عن سقى الأنهار و العيون: بعل، لأنه قائم بالأمر فى استغنائه عن تكلف السقى له، و مالك الشىء القيم بتدبيره: بعل، و منه قوله تعالى «أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ» «۲».

و (شيخاً) نصب على الحال، و العامل فيه ما فى هذا من معنى الاشارة أو التنبيه. و فى قراءة ابن مسعود بالرفع. و يحتمل الرفع فى قوله سيبويه و الخليل أربعة أوجه، فيرفع (هذا) بالابتداء، و (بعلى) خبره، و (شيخ) خبر ثانى، كأنه قال هذا شيخ، و يجوز ان يكونا خبرين لهذا، كقولك هذا حلو حامض، و يجوز ان يكون (بعلى) بدلًا من (هذا) و بياناً له و (شيخ) خبره.

و قوله «إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ» ان يكون الولد بين عجوزين شيخين شىء يتعجب منه.

تفسير التبيان ج ۶- م ۳

---

(۱) سورة القصص آية ۳۱.

(۲) سورة الصافات آية ۱۲۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۳] ..... ص : ۳۴

قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (۷۳)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية عما قالت الملائكة لامرأة ابراهيم حين تعجبت من ان تلد بعد الكبر، فإنهم قالوا لها «أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» و هذه الألف للاستفهام و معناها هاهنا التنبيه، و ليست الف انكار، و انما هى تنبيه و توقيف. و العجب يجرى على المصدر و على المتعجب منه كقولك: هذا أمر عجب، و لا يجوز العجب من أمر اللَّه، لأنه يجب ان يعلم انه قادر على كل شىء من الأجناس، لا يعجزه شىء، و ما عرف سببه لا يعجب منه.

و قوله «رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ» يحتمل معنيين:

أحدهما- الدعاء لهم بالرحمة و البركة.

الثانى- التذكير بنعمة اللَّه و بركاته عليهم، و الإخبار لهم بذلك.

و قوله «اهل البيت» يدل على ان زوجة الرجل تكون من أهل بيته فى- قول الجبائى- و قال غيره إنما جعل سارة من أهل البيت لما كانت بنت، عمه على ما قاله المفسرون.

و قوله «إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» معناه مستحمد الى عباده. و قال ابو على: يحمد المؤمنين من عباده، و المجيد الكريم- فى قول الحسن- يقال: مجد الرجل يمجد مجداً إذا كرم قال الشاعر:

رفعت مجد تميم باهلال لها رفع الطراف على العلياء بالعمد «۱»

---

(۱) لم أجده فى ما حضرنى من المصادر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۵

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۴] ..... ص : ۳۵

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَ جاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ (۷۴)

آية فى الكوفى و المدنى.

أخبر اللَّه تعالى انه حين ذهب عن ابراهيم الروع، و هو الافزاع، يقال: راعه يروعه روعاً إذا افزعه قال عنترة:

ما راعنى الا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الخمخم «۱»

أى ما افزعنى، و ارتياع ارتياعاً إذا خاف. و (الروع) بضم الراء النفس، يقال ألقى فى روعى، و هو موضع المخافة و «جاءَتْهُ الْبُشْرى يعنى بالولد «يجادلنا» و تقديره جعل يجادلنا، فجواب (لما) محذوف لدلالة الكلام عليه، لان (لما) تقتضيه، و الفعل خلف منه. و قال الأخفش (يجادلنا) بمعنى جادلنا.

و قال الزجاج: يجوز ان يكون ذلك حكاية حال قد جرت، و الا فالجيد ان تقول: لما قام قمت، و لما جاء جئت. و يضعف ان تقول: لما قام أقوم، و التقدير فى الآية لما ذهب عن ابراهيم الروع و جاءته البشرى اقبل يجادلنا، و أخذ يجادلنا.

و قوله «يجادلنا» يحتمل معنيين أحدهما يجادل رسلنا من الملائكة- فى قول الحسن- الثانى- يسألنا فى قوم لوط. و المعنى انه سأل اللَّه، إلا انه استغنى بلفظ (يجادلنا) لأنه حرص فى السؤال حرص المجادل.

و قيل فى ما به جادل ثلاثة اقوال:

أحدها- قال الحسن: انه جادل الملائكة بأن قال لهم: «إِنَّ فِيها لُوطاً» «۲» كيف تهلكونهم، فقالت له الملائكة «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» «۳».

---

(۱) ديوانه (دار بيروت): ۱۷ و المعلقات العشر: ۱۲۴ و تفسير الطبرى ۱۵: ۴۰۱.

(۲، ۳) سورة العنكبوت آية ۳۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶

الثانى- قال قتادة انه سألهم: أ تعذبون خمسين من المؤمنين ان كانوا؟ قالوا: لا، ثم نزل الى عشرة فقالوا: لا.

الثالث- قال ابو على: جادلهم ليعلم بأى شيء استحقوا عذاب الاستئصال و هل ذلك واقع بهم لا محالة أم على سبيل الاخافة؟ ليرجعوا الى الطاعة.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۵] ..... ص : ۳۶

إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (۷۵)

آية فى الكوفية و المدنى هذا آخر الآية مع الاولى فى البصرى.

هذا إخبار من اللَّه تعالى عن حال ابراهيم، وصفه بانه كان اوّاها. و قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال الحسن: الاوّاه الرحيم. و قال مجاهد هو الرّجاع، و قال الفراء: هو كثير الدعاء.

و قال قوم: هو المتأوه. و قال قوم: هو الرّجاع المتأوه خوفاً من العقاب، و لمثل ذلك حصل له الامان لتمكن الأسباب الصارفة عن العصيان. و (الحليم) هو الذى يمهل صاحب الذنب، فلا يعاجله بالعقوبة.

و قيل: كان ابراهيم ذا احتمال لمن آذاه و خنى عليه لا يتسرع الى المكافأة، و ان قوى عليه. و الاناة السكون عند الحال المزعجة عن المبادرة، و كذلك التأنى: التسكن عند الحال المزعجة من الغضب، و يوصف اللَّه تعالى بانه حليم من حيث لا يعاجل العصاة بالعقاب الذى يستحقونه لعلمه بما فى العجلة من صفة النقص.

و (المنيب) هو الراجع الى الطاعـة عند الحال الصارفة، و منه قوله «وَ أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ» «۱» و التوبة الانابة، لأنها رجوع الى حال الطاعة، و كون ابراهيم منيباً

---

(۱) سورة الزمر آية ۵۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷

الى طاعـة اللّه لا يـدل على انه كان عاصياً قبل ذلك، بل انه يفيد أنه كان يرجع الى طاعته فى المسـتقبل، و ان كان على طاعته أيضاً فيما مضى، و قال ابو على: كان يرجع الى اللّه فى جميع أموره و يتوكل عليه.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۶] ..... ص : ۳۷

يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (۷۶)

آية.

فى هـذه الآيـة حكايـة ما قالت الملائكـة لإبراهيم (ع) فإنها نادته بأن قالت «يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا» القول. و الاعراض الذهاب عن الشيء فى جهة العرض، و يكون انصرافاً عنه بالوجه و التفكر.

و الاشارة بقوله «عن هذا» الى الجدال، و تقديره يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال فى قوم لوط، لان العذاب نازل بهم لا محالة.

و قوله «جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ» يحتمل أمرين: أحدهما- جاء أمره لنا بالعذاب.

و الثانى- جاء إهلاكه لهم بما لا مردّ له.

و قوله «غير مردود» اى غير مدفوع، و الرد اذهاب الشيء الى حيث جاء منه، تقول ردّه يرده رداً، فهو راد و الشيء مردود و الرد و الدفع واحد، و نقيضه الأخذ. و الفرق بين الدفع و الرد، ان الدفع قد يكون الى جهة القدام و الخلف، و الرد لا يكون إلا الى جهة الخلف.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۷] ..... ص : ۳۷

وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ (۷۷)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸

فى هـذه الآية إخبار من اللّه تعالى أنه لما جاءت رسـله لوطاً سـيء بهم، معناه ساءه مجيؤهم، و أصـله سوئ بهم فنقلت حركة الواو الى السين، و قلبت همزة، و الضـمير فى (بهم) عائد الى الرسل، و يجوز تخفيف الهمزة بإلقاء الحركة على ما قبلها، و منهم من يشدد على الشذوذ.

و قوله «وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً» قال ابن عباس ساء بقومه «وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً» أى باضـيافه، و انه لما رأى لهم من جمال الصورة، و قـد دعوه إلى الضيافة، و قومه كانوا يسارعون الى أمثالهم بالفاحشة، فضاق بهم ذرعاً، لهذه العلة.

و المعنى انه ضاق بهم ذرعه: ضاق بأمره ذرعاً إذ لم يجد من المكروه مخلصاً.

و قوله «ضاق» بحفظهم من قومه ذرعه. حيث لم يجد سبيلًا الى حفظهم من فجّار قومه.

و الفرق بين السوء و القبيح ان السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه، و القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله.

و قوله «وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ» حكاية ما قاله لوط فى ذلك الوقت بأن هذا يوم شديد الشر، لان العصيب الشديد فى الشر خاصة، كأنه التف على الناس بالشر او يكون التف شره بعضه على بعض يقال يوم عصيب، قال عدى بن زيد:

و كنت لزاز قومك لم اعرد و قد سلوك فى يوم عصيب «۱»

و قال الراجز:

---

(۱) تفسیر الطبری ۱۵: ۴۰۹ و الاغانی (دار الثقافة) ۲: ۹۳ و مجاز القرآن ۱: ۲۹۴ و قد روی (خصمک) بدل (قومک) و البیت من قصیدة قالها و هو فی حبس النعمان بن المنذر. و (اللزاز) هو شدة الخصومة. و معنی (لم اعرد) لم احجم، و لم انکص.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۹

یوم عصیب یعصب الأبطالا عصب القوی السلم الطوالا «۱»

و قال آخر:

فإنک إن لا ترض بکر بن وائل یکن لک یوم بالعراق عصیب «۲»

و قال کعب بن جعیل:

و یلبون بالخضیض قیام عارفات منه بیوم عصیب «۳»

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۷۸] ..... ص : ۳۹

وَ جاءَهُ قَوْمُهُ یُهْرَعُونَ إِلَیْهِ وَ مِنْ قَبْلُ کانُوا یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ قالَ یا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَکُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ فِی ضَیْفِی أَ لَیْسَ مِنْکُمْ رَجُلٌ رَشِیدٌ (۷۸)

اخبر اللَّه تعالی عن قوم لوط أنهم حین أحسوا بمن نزل بلوط، و ظنوهم أضیافه جاءوا لوطاً «یهرعون» أی یسرعون، و الاسراع: الاهراع فی الشیء- فی قول مجاهد، و قتادة، و السدی- و انما أهرعوا لطلب الفاحشة، لما أعلمتهم عجوز السوء: امرأة لوط بمکان الأضیاف، فقالت ما رأیت احسن وجوهاً، و لا أطیب ریحاً، و لا انطق لساناً و ثنایا منهم. و قال الشاعر:

بمعجلات نحوه مهارع «۴»

---

(۱) تفسیر الطبری ۱۵: ۴۱۰ و مجاز القرآن ۱: ۲۹۴ و روح المعانی ۱۲: ۹۵ و لم یعرف قائله.

(۲) تفسیر الطبری ۱۵: ۴۱۰ و مجاز القرآن ۱: ۲۹۴. [.....]

(۳) تفسیر الطبری ۱۵: ۴۱۰ و مجاز القرآن ۱: ۲۹۴ و روایته (فئام).

(۴) تفسیر الطبری ۱۵: ۴۱۲ و مجاز القرآن ۱: ۲۹۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۰

و قال مهلهل:

فجاءوا یهرعون و هم أساری نقودهم علی رغم الأنوف «۱»

و قوله «وَ مِنْ قَبْلُ کانُوا یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ» و هی إتیان الذکور فی الأدبار، و معناه انهم کانوا قبل هذا المجیء یعملون ذلک. و قیل من قبل ألفوا الفاحشة، فجاهروا بها، و لم یستحیوا منها و قوله «قالَ یا قَوْمِ» یعنی لوطاً لما رآهم هموا باضیافه عرض علیهم النکاح المباح، و أشار الی نساء فقال «هؤُلاءِ بَناتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَکُمْ» قال قتادة. کنّ بناته لصلبه. و قال مجاهد کنّ بنات امّته فکنّ کالبنات له، فان کل نبیّ ابو أمّته و أزواجه أمهاتهم و هو أب لهم.

و قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ» امر من لوط لهم بتقوی معاصی اللَّه و أن لا- یفضحوه فی أضیافه. و قوله «أَ لَیْسَ مِنْکُمْ رَجُلٌ رَشِیدٌ» خرج مخرج الإنکار علیهم و ان کان لفظه لفظ الاستفهام. و الرشید هو الذی یعمل بما یقتضیه عقله، لأنه یدعو الی الحق، و منه الإرشاد فی الطرق، فقال: أما منکم من یدعو الی الحق و یعمل به.

و نقيض الرشد الغى.

و لا يجوز نصب (أطهر) فى- قول سيبويه و اكثر النحويين- لأن الفصل إنما يدخله مع الخبر ليؤذن بأنه معتمد الفائدة دون ما هو زائد فى الفائدة، او على معنى الصفة، فلهذا لم يخبر فى الحال. و أجمعوا على انه لا يجوز (قدم زيد هو ابنك) الا بالرفع. و من اجازه فإنما يجيزه مع المبهم من (هذا) و نحوه تشبيهاً بخبر (كان). و قرأ الحسن و عيسى بن عمرو بالنصب.

و قيل فى وجه عرض المسلمة على الكفار قولان:

قال الحسن: ان ذلك كان جائزاً فى شرع لوط، و فى صدر الإسلام أيضاً،

---

(۱) اللسان (هرع) و تفسير الطبرى ۱۵: ۴۱۲ و تفسير روح المعانى ۱۲: ۹۵، و غيرها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱

و لذلك

زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم بنته بابى العاص قبل أن يسلم.

ثم نسخ بقوله «وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا» «۱».

و الثانى- قال الزجاج إن ذلك عرض بشرط ان يؤمنوا، على ما هو شرط النكاح الصحيح.

و الضيف يقع على الواحد و الاثنين و الجماعة.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷۹] ..... ص : ۴۱

قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ (۷۹)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به قوم لوط حين عرض عليهم بناته و نهاهم عن الفواحش، و دعاهم الى النكاح المباح، بأن قالوا «ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ» و قيل فى معناه قولان:

قال ابن إسحاق و الجبائى: معناه انهنّ لسن لنا بازواج.

و الآخر- اننا ليس لنا فى بناتك من حاجة، فجعلوا تناول ما ليس لهم فيه حاجة بمنزلة ما لا حق لهم فيه. فمن قال بالأول ردّه على ظاهر اللفظ. و من قال بالثانى حمله على المعنى. و قوله «وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ» تمام حكاية ما قالوه للوط، كأنهم قالوا له انك تعلم مرادنا من إتيان الذكران دون الإناث.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۰] ..... ص : ۴۱

قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ (۸۰)

آية بلا خلاف.

هذه حكاية ما قال لوط عند إياسه من قبول قومه، بأنه قال «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً»

---

(۱) سورة البقرة آية ۲۲۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲

و معناه انى لو قدرت على دفعكم و قويت على منعكم من اضيافى لحلت بينكم و بين ما جئتم له من الفساد، و حذف لدلالة الكلام

عليه.

و قوله «أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ» معناه لو كان لی من استعين به فی دفاعكم.

و قيل معناه لو كان لی عشيرة، قال الراجز:

يأوى الى ركن من الأركان فی عدد طيس و مجد بان «۱»

و الركن معتمد البناء بعد الأساس، و ركنا الجبل جانباه. و إنما قال هذا القول مع انه كان يأوى الى اللَّه تعالى، لأنه انما أراد العدة من الرجال، و إلا، فله ركن وثيق من معونة اللَّه و نصره، إلا انه لا يصح التكليف إلا مع التمكين.

و القوة القدرة التی يصح بها الفعل، و يقال للعدة من السلاح قوة، كقوله «وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» «۲» و الشدة بجمع يصعب معه التفكك، و قد يكون بعقد يصعب معه التحلل.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۱] ..... ص : ۴۲

اشارة

قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (۸۱)

آية بلا خلاف.

القراءة و الحجة: ..... ص : ۴۲

قرأ أهل الحجاز (فاسر) بوصل الهمزة من سريت. الباقون بقطعها. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «إلا امرأتك» بالرفع. الباقون بالنصب.

---

(۱) مجاز القرآن ۱: ۲۹۴ و تفسير الطبری ۱۵: ۴۲۲ و معنى (عدد طيس) عدد كثير.

(۲) سورة الانفال آية ۶۱.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۴۳

فحجة من قرأ بقطع الهمزة قوله تعالى «سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ» «۱» و من وصل الهمزة فالمعنى واحد.

اللغة و المعنى: ..... ص : ۴۳

يقال اسرى يسرى و سرى يسرى، فهو سار لغتان بمعنى واحد. و الاسراء: سير الليل قال امرؤ القيس:

سريت بهم حتى تكلّ مطيهم و حتى الجياد ما يقدن بأرسان «۲»

و قال النابغة:

أسرت عليه من الجوزاء سارية تزجی الشمال عليه جامد البرد «۳»

اخبر اللَّه تعالى عما قالت الملائكة رسله للوط حين رأته كئيباً بسببهم «إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ» بعثنا اللَّه لإهلاك قومك، فلا تغتم، فإنهم لا ينالونك بسوء «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ» اى امض و معك أهلك بالليل.

و قوله «بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ» و القطع القطعة العظيمة تمضى من الليل. و قال ابن عباس: طائفة من الليل. و قيل هو نصف الليل كأنه قطع نصفين، ذكره الجبائى و قيل معناه فى ظلمة الليل.

و قوله «وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد لا ينظر احد وراءه، كأنهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة فى هذه العبادة.

و الآخر- قال أبو على لا يلتفت منكم احد الى ماله و لا متاعه بالمدينة، و ليس

---

(۱) سورة الإسراء آية ۱.

(۲) ديوانه: ۲۱۰ و روايته (مطوت) بدل (سريت) و المعنى واحد لأن المطو: هو امتداد السير. و (مطيهم) ما يركبونه من خيل او جمال. و الأرسان هى الحبال التى يقودون الخيل بها.

(۳) ديوانه ۳۱ و مجمع البيان ۳: ۱۸۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۴

المعنى لا يلتفت من الرؤية، كأنه أراد ان فى الرؤية عبرة، فلم ينهوا عنها و انما نهوا عما يفترهم عن الجد فى الخروج من المدينة.

و من رفع (امرأتك) جعله بدلًا من قوله «وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» و من نصبه جعله استثناء من قوله «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ» كأنه قال فأسر بأهلك إلا امرأتك، و زعموا ان فى مصحف عبد اللّه و أبى «فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك»، و ليس فيه «وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» و جاز النصب على ضعفه. و الرفع الوجه. و قيل ان لوطاً لما عرف الملائكة اذن لقومه فى الدخول الى منزله، فلما دخلوه طمس جبرائيل (ع) أعينهم فعميت- هكذا ذكره قتادة- و على أيديهم، فجفت حكاه الجبائى.

و قوله «إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» معناه إن موعد إهلاكهم عند الصبح. و إنما قال «أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ»، لأنه لما اقتضى عظيم ما قصدوا له- من الفحش- إهلاكهم، فقالت الملائكة هذا القول تسلية له.

و قيل انه قال لهم اهلكوهم الساعة، فقالت الملائكة له ان وقت إهلاكهم الصبح «أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ».

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۸۲ الى ۸۳] ..... ص : ۴۴

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (۸۲) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (۸۳)

آيتان تمام الآية الاولى فى المدنى قوله «سجيل» و عند الباقين قوله «منضود».

قيل فى قوله «فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا» ثلاثة أقوال.

أحدها- جاء أمرنا الملائكة باهلاك قوم لوط. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵

الثانى- جاء أمرنا يعنى العذاب، كأنه قيل (كن) على التعظيم و طريق المجاز، كما قال الشاعر:

فقالت له العينان سمعاً و طاعة و حدرتا كالدر لما يثقب «۱»

و الثالث- ان يكون الأمر نفس الإهلاك، كما يقال: لأمر ما، أى لشيء ما و قال الرمانى: انما قال أمرنا بالاضافة و لم يجز مثله فى شىء، لان فى الأمر معنى التعظيم، فمن ذلك الأمر خلاف النهى، و من ذلك الامارة، و التأمر.

و قوله «جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها» معناه قلبنا القرية أسفلها أعلاها «وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها» يعنى أرسلنا على القرية حجارة بدل المطر حتى أهلكتهم عن آخرهم.

و الأمطار إحدار المطر من السماء.

و قوله «من سجيل» قيل فى معنى سجيل ثمانية أقوال:

أحدها- انها حجارة صلبة ليست من جنس حجارة الثلج و البرد. و قيل هو فارسى معرب (سنگ، و گل) ذكره ابن عباس و قتادة و مجاهد و سعيد بن جبير.

و الثانى- قال الفراء من طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الآجر، و يقويه قوله «لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ» «۲». و قال ابو عبيدة انها شديدة من الحجارة و انشد لابن مقبل:

ضرباً تواصى به الابطال سجيناً «۳» إلا ان النون قلبت لاماً.

الثالث- من مثل السجيل فى الإرسال، و السجيل الدلو، و قال الفضل ابن العباس:

من يساجلنى يساجل ماجداً يملأ الدلو الى عقد الكرب «۴»

---

(۱) مر تخريجه فى ۱: ۴۳۱ و هو فى مجمع البيان ۳. ۱۸۵.

(۲) سورة الذاريات آية ۳۳.

(۳) مجمع البيان ۳. ۱۸۳ و مجاز القرآن ۱. ۲۹۶ و اللسان (سجل)، (سجن) و تفسير الطبرى ۱۵. ۴۳۴.

(۴) تفسير الطبرى ۱۵. ۴۳۵

الرابع- من اسجلته أذا أرسلته، فكأنه مثل ما يرسل فى سرعة الإرسال.

الخامس- من اسجلته إذا أعطيته، فتقديره مرسل من العطية فى الإدرار.

السادس- من السجلّ و هو الكتاب، فتقديره من مكتوب الحجارة، و منه قوله «كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَ ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ» «۱» و هى حجارة كتب اللّه ان يعذبهم بها، اختاره الزجاج.

السابع- من سجين اى من جهنم ثم ابتدلت النون لاماً.

الثامن- قال ابن زيد من السماء الدنيا، و هى تسمى سجيلًا.

و معنى «منضود» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال الربيع نضد بعضه على بعض حتى صار حجراً، و قال قتادة مصفوف فى تتابع، و هو من صفة سجيل، فلذلك جره.

و قوله «مسومة» يعنى معلمة، و ذلك انه جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب، فاهلكوا بها، قال قتادة: كانوا أربعة آلاف الف. و قيل:

كانت مخططة بسواد و حمرة ذكره الفراء فتلك تعليمها، و نصب (مسومة) على الحال من الحجارة.

و قوله «عند ربك» معناه فى خزائنه التى لا يتصرف فى شىء منها إلا باذنه، فإذا أمر الملك ان يمطرها على قوم فعل ذلك باذنه. و اصل المسوّمة من السيماء، و هى العلامة، و ذلك ان الإبل السائمة تختلط فى المرعى، فيجعل عليها السيماء لتمييزها.

و قوله «وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان مثل ذلك ليس ببعيد من ظالمى قومك يا محمد أراد به اذهاب قريش، و قال ابو على ذلك لا يكون إلا فى زمان نبى أو عند القيامة، لأنه معجز.

و الثانى- قال «وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» يعنى من قوم لوط انها لم تكن تخطيهم. و قال مجاهد: إن جبرائيل (ع) ادخل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم

---

(۱) سورة المطففين آية ۷- ۹. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷

لوط ثم أخذهم بالجناح الأيمن فاخذهم مع سرحهم و مواشيهم. ثم رفعها الى سماء الدنيا حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم. ثم قلبها، فكان أول ما سقط منها شرافها، فذلك قول اللَّه تعالى «فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها» قال السدى و هو قوله «وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى «۱» و إنما أمطر اللَّه عليهم الحجارة بعد أن قبلت قريتهم تغليظاً للعذاب و تعظيماً له، و قيل قتل بها من كان بقى حياً، و قرية قوم لوط يقال لها: سدوم، بين المدينة و الشام. و قيل إن إبراهيم (ع) كان يشرف عليها فيقول:

سدوم يوم مالك.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۴] ..... ص : ۴۷

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَ لا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (۸۴)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى انه أرسل شعيباً- أخا مدين- اليهم نبياً، و انما سمى شعيباً أخاهم، لأنه كان من نسبهم. و قيل: انهم من ولد مدين بن ابراهيم. و قيل ان مدين اسم القبيلة او المدينة التى كانوا فيها- فى قول الزجاج- فعلى هذا يكون التقدير، و الى أهل مدين أخاهم كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» فقال لهم شعيب:

يا قوم اعبدوا اللَّه وحده لا شريك له، فانه ليس لكم إله يستحق العبادة سواه، و نهاهم ان يبخسوا الناس فيما يكيلوا به لهم و يزينونه لهم، و قال لهم إنى أراكم بخير، يعنى برخص السعر، و حذرهم الغلاء- فى قول ابن عباس و الحسن- و قال قتادة و ابن زيد: أراد بالخير زينة الدنيا و المال. و قال لهم «إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ» يعنى يوم القيامة، لأنه يحيط عذابه بجميع الكفار فى قول الجبائى، فوصف اليوم بالاحاطة، و هو من نعت العذاب فى الحقيقة، لأن اليوم

---

(۱) سورة النجم آية ۵۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸

محيط بعذابه بدلًا من إحاطته بنعيمه، و ذلك أظهر فى الوصف و أهول فى النفس.

و النقصان أخذ الشيء عن المقدار و الزيادة ضم الشيء الى المقدار، و كله خروج عن المقدار أو نقصه عنه. و الوزن تعديل الشيء بغيره فى الخفة و الثقل بآلة التعديل، و إذا قيل شعر موزون معناه معدل بالعروض.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۸۵] ..... ص : ۴۸

اشارة

وَ يا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۸۵)

آية بلا خلاف.

و هذا أيضاً حكاية ما قال شعيب لقومه، و إنه أمرهم ان يوفوا المكيال و الميزان بالقسط يعنى بالعدل و السوية، «وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ» أى لا تنقصوهم «وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى لا تضطربوا بالقبيح.

اللغة:..... ص : ۴۸

يقال عثى يعثى عثاء، و عاث يعيث عيثاً، بمعنى واحد، و الوفاء تمام الحق.

و الوفاء به إتمامه يقال: و فى يفى و أوفى لغتان، و نقيض الوفاء البخس. و الفرق بين البخس و الظلم أن الظلم أعم، لأن البخس نقصان الحق اللازم، و قد يكون الظلم الألم بغير حق.

قوله تعالى: [سورة هود (١١): آية ٨۶] ..... ص : ۴۸

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨۶)

آية.

البقية تركه شيء من شيء قد مضى، و المعنى بقية اللّه من نعمه. و قيل «بقية الله» طاعة اللّه- فى قول الحسن و مجاهد- لأنه يبقى ثوابها أبداً، و كانت هذه البقية خيراً من تعجيلهم النفع بالبخس فى المكيال و الميزان، و انما شرط أنه خير بالايمان فى قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» و هو خير على كل حال، لأنهم إن كانوا مؤمنين باللّه التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹

عرفوا صحته. و وجه آخر- ان المراد «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» فهو ثابت.

و قوله «وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» معناه هاهنا ان هذه النعمة التى أنعمها اللّه عليكم لست أقدر على حفظها عليكم. و إنما يحفظها اللّه عليكم. إذا أطعتموه، فان عصيتموه أزالها عنكم.

و قال قوم «وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» احفظ عليكم كيلكم و وزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم، و لا تظلموهم، و إنما على ان أنهاكم عنه.

قوله تعالى:[سورة هود (١١): آية ٨٧] ..... ص : ۴۹

قالُوا يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «أ صلاتك» على التوحيد. الباقون على الجمع.

هذا حكاية ما قال قوم شعيب له (ع) حين نهاهم عن بخس المكيال و الميزان و أمرهم بايفاء الحقوق «يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ» بهذا، قال الحسن و أرادوا بالصلاة الدين أى أدينك. و قال الجبائى يريدون ما كانوا يرونه من صلاته للّه و عبادته إياه، و انما أضاف ذلك الى الصلاة، لأنها بمنزلة الامر بالخير، و التناهى عن المنكر، و قيل أدينك، على ما حكيناه عن الحسن.

و قوله «أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا» كرهوا الانتقال عن دين آبائهم و دخلت عليهم شبهة بذلك، لأنهم كانوا يعظمون آباءهم و ينزهونهم عن الغلط فى الأمر، فقالوا لو لم يكن صواباً ما فعلوه، و ان خفى عنا وجهه. و قوله «إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ» قيل فى معناه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰

أحدهما- أنهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء- فى قول الحسن و ابن جريج و ابن زيد. و الآخر- أنهم أرادوا «لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ» عند قومك، فلا يليق هذا الأمر بك، و قال المؤرج «الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ» معناه الأحمق السفيه، بلغة هذيل، و الحليم الذى لا يعاجل مستحق العقوبة بها، و الرشيد المرشد.

قال الزجاج «أَوْ أَنْ نَفْعَلَ» موضع (أن) نصب و المعنى او تأمرك ان نترك او ان نفعل فى أموالنا ما نشاء، و المعنى إنا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا. و قال الفراء: معناه أ تأمرك ان نترك ان نفعل فى أموالنا ما نشاء، ف (ان) مردودة على نترك. و وجه آخر، و هو ان يجعل الأمر كالنهى، كأنه قال أ صلاتك تأمرك بذا أو تنهانا عن ذا، فهى حينئذ مردودة على (ان) الاولى و لا إضمار فيه، كأنك

قلت تنهانا ان نفعل فى أموالنا ما نشاء، كما تقول أضربک ان تسيء كأنه قال أنهاک بالضرب عن الاساءة. و يقرأ «أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا». و الـذى نقوله ان قوله «ان نفعـل» ليس بمعطوف على (ان) الاولى، و انما هو معطوف على (ما) و تقديره فعل ما نشاء فى أموالنا، و ليس المعنى أ صلاتک تأمرک ان نفعل فى أموالنا ما نشاء، لأنه ليس بذلک أمرهم.

و «الرشيد» معناه رشيد الأمر، فى أمره إياهم ان يتركوا عبادة الأوثان.

و قيل ان قوم شعيب عذبوا فى قطع الدراهم و كسرها و حذفها.

قوله تعالى:[سورة هود (١١): آية ٨٨] ..... ص : ۵٠

قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱

جواب (أن) فى الاية محذوف، و التقدير يا قوم إن كنت على حجة و دلالة من ربى، و مع ذلک رزقنى منه رزقاً حسناً، و انما وصفه بأنه حسن مع ان جميع رزق اللّه حسن لامرين:

أحدهما- انه أراد ب (حسناً) حسن موقعه لجلالته و عظمته.

و الثانى- انه أراد ما هو عليه على وجه التأكيد. و قيل إن الرزق الحسن هاهنا النبوة. و قال البلخى معناه الهدى و الايمان، لأنهما لا يوصل اليهما إلا بدعائه و بيانه و معونته و لطفه، و تريدون أن أعدل عما انا عليه من عبادته مع هذه الحال الداعية اليها؟، و انما حذف لدلالة الكلام عليه، و الرزق عطاء الخير الجارى فى حكم المعطى، و العطية الواصلة من الإنسان رزق من اللّه. و صلة من الإنسان، لإدرار الخير على العبد فى حكمه.

و قوله «وَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ». قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ليس نهيي لكم لمنفعة اجرّها الى نفسى بما تتركون من منع الحقوق.

و الثانى- أنا لا انهى عن القبيح و افعله مثل من ليس بمستبصر فى أمره، كما قال الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليک إذا فعلت عظيم «١»

و قوله «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ» معناه لست أريد بما آمركم به و أنهاكم عنه الا إصلاح حالكم ما قدرت عليه.

و قوله «وَ ما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ» و التوفيق عبارة عن اللطف الذى تقع عنده الطاعة و ذلک بحسب ما يعلم اللّه تعالى. و انما لم يكن الموفق للطاعة الا اللّه، لان احداً لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة- من غير تعليم- سواه تعالى.

و قوله «عليه توكلت» معناه على اللّه توكلت و فوضت أمرى اليه على وجه الرضا بتدبيره مع التمسک بطاعته «وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ» قيل فى معناه قولان:

---

(١) مر هذا البيت فى ١: ١٩١ و ٢: ١٩٣ و ٣: ۴ و ۵: ١٢۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵٢

أحدهما- قال مجاهد: اليه ارجع. و الثانى- قال الحسن: اليه ارجع بعملى و بنيتى اى اعمل اعمالى لوجه اللّه.

قوله تعالى:[سورة هود (١١): آية ٨٩] ..... ص : ۵٢

وَ يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال شعيب لقومه حين لم يقبلوا أمره و نهيه «يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و قتادة لا يحملنكم.

و الثانى- قال: الزجاج معناه لا يكسبنكم، كأنه قال لا يقطعنكم اليه بحملكم عليه.

و الشقاق و المشاقة المباعدة بالعداوة الى جانب المباينة، و شقها. و كان سبب هذه العداوة دعاؤه لهم الى مخالفة الاباء و الأجداد فى عبادة الأوثان. و ما يثقل عليهم من الإيفاء فى الكيل و الميزان.

و قوله «أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ» قيل أهلك اللَّه قوم نوح بالغرق، و قوم هود بالريح العقيم، و قوم صالح بالرجفة، و قوم لوط بالائتفاك، فحذرهم شعيب ان يصيبهم مثل ذلك.

و قوله «وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قريب منكم فى الزمان الذى بينهم و بينكم، فى قول قتادة.

و الاخر- ان دارهم قريبة من دارهم فيجب ان يتعظوا بهم.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۰] ..... ص : ۵۲

وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّی رَحِيمٌ وَدُودٌ (۹۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۵۳

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية ما قال شعيب أيضاً لقومه بعد تحذيره إياهم عذاب اللَّه و حثهم على ان يطلبوا مغفرة اللَّه. ثم يرجعوا الى طاعته، و أخبرهم ان اللَّه رحيم بعباده، يقبل توبتهم و يعفو عن معاصيهم، ودود بهم أى محب لهم، و معناه مريد لمنافعهم.

و قيل فى معنى «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» قولان:

أحدهما- اطلبوا المغفرة من اللَّه بأن يكون غرضكم. ثم توصلوا اليها بالتوبة.

الثانى- استغفروا ربكم ثم أقيموا على التوبة.

و وجه ثالث- ان معناه استغفروا ربكم على معاصيكم الماضية. ثم ارجعوا اليه بالطاعات فى المستقبل.

و المودة على ضربين: أحدهما- بمعنى المحبة، تقول وددت الرجل إذا أحببته، و الثانى- وددت الشى‌ء إذا تمنيته أود فيهما مودة و انا واد، و الودود المحب لا غير.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۱] ..... ص : ۵۳

قالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَ لَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ (۹۱)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية ما أجاب به قوم شعيب له (ع) فقالوا له حين سمعوا منه الوعظ و التخويف: لسنا نفقه أى لسنا نفهم عنك معنى كلامك، و الفقه: فهم الكلام على ما تضمن من المعنى، و قد صار علماً لضرب من علوم الدين، فصار الفقه عبارة عن علم مدلول الدلائل السمعية، و اصول الدين علم مدلول الدلائل العقلية. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۵۴

و قوله «وَ إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً» قيل فى معناه اربعة اقوال: قال الحسن:

معناه مهينا، و قال سفيان: معناه ضعيف البصر، و قال سعيد بن جبير و قتادة:

كان أعمى. قال الزجاج و يسمى الأعمى بلغة حمير ضعيفاً.

و قال الجبائى معناه: ضعيف البدن.

و قوله «وَ لَوْ لا رَهْطُکَ» فالرهط عشيرة الرجل و قومه، و أصله الشد، و الترهط شدة الاكل، و منه الرهطاء حجر اليربوع لشدته و توثيقه ليخبئ فيه ولده.

و قوله «لرجمناك» فالرجم الرمى بالحجارة، و المعنى لرميناك بالحجارة.

و قيل معناه لسبّيناك «وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ» اى علينا لست بممتنع، فلا نقدر عليك بالرجم، و لا أنت بكريم علينا، و انما تمتنع لمكان عشيرتک. و عشيرته كانوا على دينه.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۲] ..... ص : ۵۴

قالَ يا قَوْمِ أَ رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (۹۲)

آية.

هذا حكاية ما قال شعيب لقومه حين قالوا «لَوْ لا رَهْطُکَ لَرَجَمْناكَ» يا قوم أ عشيرتى و قومى أعز عليكم من اللَّه. و الأعز الأقوى الا منع. و الأعز نقيض الأذل، و العزة نقيض الذلة و العزيز نقيض الذليل.

و قوله «وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا» فالاتخاذ أخذ الشىء لأمر يستمر فى المستأنف كاتخاذ البيت و اتخاذ المركوب، و الظهرى جعل الشىء وراء الظهر قال الشاعر:

وجدنا نبى البرصاء من ولد الظهر «۱»

---

(۱) قائله ارطاة ابن سيهة، انظر نسبه فى الأغانى ۱۳: ۲۷ (دار الثقافة). و البيت فى اللسان (ظهر) و مجاز القرآن ۱: ۳۹۸ و تفسير الطبرى (دار المعارف) ۱۵: ۴۵۹ و صدره:

فمن مبلغ أبناء مرة أننا ...

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۵

و قال آخر:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتى بظهر و لا يعيا على جوابها «۱»

و قيل فيما تعود الهاء اليه من قوله «اتخذتموه» ثلاثة اقوال: فقال ابن عباس و الحسن: انها عائدة على اللَّه. و قال مجاهد: هى عائدة على ما جاء به شعيب.

و قال: الزجاج: هى عائدة على أمر اللَّه.

و قوله «إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» قيل فى معناه هاهنا قولان:

أحدهما- انه محص لأعمالكم لا يفوته شىء منها.

الثانى- انه خبير باعمال العباد ليجازيهم بها- ذكره الحسن- قال سفيان كان شعيب خطيب الأنبياء.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۳] ..... ص : ۵۵

وَ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ وَ ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (۹۳)

آيتان.

فقال لهم شعيب ايضاً «يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ» و المكانة الحال التى يتمكن بها صاحبها من عمل ما، فقال لهم قد مكنتم فى الدنيا من العمل، كما مكن غيركم ممن عمل بطاعة اللّه، و سترون منزلتكم من منزلته. و هذا الخطاب و إن كان ظاهره ظاهر الأمر فالمراد به التهديد، و تقديره كأنكم انما أمرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر و العصيان. و فى هذا نهاية الخزى و الهوان.

و قوله «سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ» معناه انكم تعلمون فى المستقبل

---

(۱) قائله الفرزدق ديوانه ۱: ۹۵ و قد مر فى ۳: ۷۴ و هو فى اللسان (ظهر) و رواية الديوان (زيد لا تهونن) بدل (قيس لا تكونن).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۶

من يحل به العذاب الذى يخزيه اى يفضحه و يذله، و هو أشد من العذاب الذى لا يفضح «وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ» و تعرفون من هو الكاذب منى و منكم.

و قوله «و ارتقبوا» معناه انتظروا ما وعدتكم به من العذاب، يقال رقبه يرقبه رقوباً و ارتقبه ارتقاباً و ترقباً «إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ» اى منتظر لنزول ذلك بكم. و موضع «من يأتيه» ان جعلت (من) بمعنى الذى نصب، و قوله «وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ» عطف عليه، و ان جعلتها للاستفهام كان موضعها الرفع، ذكره الفراء و ادخلوا (هو) فى قوله «و من هو» لأنهم لا يقولون: من قائم؟ و لا من قاعد؟، و انما يقولون: من قام؟ و من يقوم؟ أو من القائم؟ فلما لم يقولوا إلا المعرفة او يفعل، ادخلوا (هو) مع قائم، ليكونا جميعاً فى مقام (فعل، و يفعل) لأنهما يقومان مقام اثنين، و قد ورد فى الشعر من قائم؟ قال الشاعر:

من شارب مربح بالكأس نادمنى لا بالحصور و لا فيها بسئوار «۱»

قال الفراء: و ربما خفضوا بعدها، فيقولون: من رجل يتصدق علىّ؟ بتأويل هل من رجل؟

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۴] ..... ص : ۵۶

وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (۹۴)

آية بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى انه «لَمَّا جاءَ أَمْرُنا» اللّه باهلاك قوم شعيب، و قد بينا معناه فيما مضى «۲» «نَجَّيْنا شُعَيْباً» اى خلصناه، و نجينا معه من كان مؤمناً من قومه برحمة

---

(۱) قائله الأخطل ديوانه ۱۰۷ و اللسان (سور) و روايته: (و شارب مرج).

(۲) فى ۴: ۴۶۲- ۵۰۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۷

من جهته تعالى، و يجوز ان يكون فى نجاة شعيب، و من آمن معه لطف لمن سمع بأخبارهم فيؤمن، كما انه متى كان فى نجاة الظالمين لطف وجب تخليصهم، و كذلك ان كان المعلوم من حال الكافر انه يؤمن فيما بعد وجب تبقيته- عند أبى على و من وافقه- و عند قوم آخرين لا يجب.

و قوله «وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ» أنث الفعل هاهنا لأنه رده الى الصيحة، و فيما قبل «۱» ذكّر، لأنه رده الى الصياح.

و قوله «فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ» قال الجبائى: معناه منكبين على وجوههم.

و قال قوم: الجثوّ على الركب. و قال قوم: معناه خامدين موتى. قال البلخى يجوز ان تكون الصيحة صيحة على الحقيقة، كما روى ان اللّه تعالى امر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا كلهم من شدتها، و يجوز ان يكون ضرباً من العذاب اهلكهم و اصطلمهم تقول العرب:

صاح الزمان بآل فلان إذا هلكوا. قال امرؤ القيس:

دع عنك نهباً صيح فى حجراته و لكن حديث ما حديث الرواحل «۲»

(معنى صيح فى حجراته) اى أهلك و ذهب به.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۵] ..... ص : ۵۷

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ (۹۵)

آية بلا خلاف.

شبه اللَّه تعالى هلاك قوم شعيب و انقطاع آثارهم منها بحالهم لو لم يكونوا فيها يقال: غنى بالمكان إذا اقام به على وجه الاستغناء به عن غيره. و اتخاذه وطناً و مأوى يأوى اليه، و لذلك قيل للمنازل المغانى، و انما شبه حالهم بحال ثمود خاصة، لأنهم أهلكوا بالصيحة كما أهلكت ثمود مثل ذلك مع الرجفة.

---

(۱) آية ۶۷ من هذه السورة.

(۲) ديوانه: ۱۷۴ و اللسان (حجر).

و قوله «أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ» دعاء عليهم بانتفاء الرحمة عنهم كما أهلك اللَّه تعالى ثمود، فلم يرحمهم، و جعل انتفاء الرحمة بعداً من الرحمة، لأنه أظهر فيما يتصور، فكأنهم يرونها حسرة لأنها لا تصل اليهم منها منفعة لما يحصلون عليه من مضرة الحسرة، و (كأن) هذه يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة على ان يضمر فيها، كالاضمار فى (ان) من قوله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» «۱» و يجوز ان تكون (ان) التى تنصب الفعل بمعنى المصدر. و بعدت و بعُدت بالكسر و الضم لغتان. و كانت العرب تذهب بالرفع الى التباعد، و بالكسر الى الدعاء، و هما واحد. و قرأ ابو عبد الرحمن السلمى كما بعدت بضم العين. و الآخر بعداً فنصب على المصدر، و تقديره ألا أهلكهم اللَّه فبعدوا بعداً.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۹۶ الى ۹۷] ..... ص : ۵۸

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۹۶) إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (۹۷)

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى و اقسم انه أرسل موسى نبياً بالآيات، و هى الحجج و المعجزات الدالة على نبوته «وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» اى و حجة ظاهرة مخلصة من تلبيس و تمويه، على أتم ما يمكن فيه. و السلطان، و الآيات و إن كان معناهما الحجج، فإنما عطف إحداهما على الأخرى، لاختلاف اللفظ، و لان معناهما مختلف، لان الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها، و السلطان من جهة القوة العظيمة على المبطل، و كل علم له حجة يقهر بها شبهة من نازعه من اهل الباطل تشبهه، فله سلطان. و قد قيل إن سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة، و السلطان متى كان محقاً حجة

---

(۱) سورة يونس آية ۱۰.

وجب اتباعه، و إذا كان بخلافه لا يجب اتباعه.

و قال الزجاج. سمى السلطان سلطاناً، لأنه حجة اللَّه فى ارضه، و اشتقاقه من السليط و هو مما يستضاء به، و من ذلک قيل للزيت السليط.

و قوله «إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» معناه انه أرسل موسى الى فرعون و اشراف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم.

و قوله «فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ» فالاتباع طلب الثانى للتصرف بتصرف الاول فى اى جهة أخذ، و الأمر هو قول القائل لمن دونه: (افعل). و فيه أخبار ان قوم فرعون اتبعوه على ما كان يأمرهم به. ثم اخبر تعالى ان أمر فرعون لم يكن رشيداً. و الرشيد هو الذى يدعو الى الخير و يهدى اليه فأمر فرعون بضد هذه الحال، لأنه يدعو الى الشر و يصد عن الخير.

و استدل قوم بهذه الآية على ان لفظة الأمر مشتركة بين القول و الفعل، لأنه قال «وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ» يعنى و ما فعل فرعون برشيد، و هذا ليس بصحيح، لأنه يجوز ان يكون أراد بذلک الأمر الذى هو القول، او يكون مجازاً.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۹۸] ..... ص : ۵۹

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (۹۸)

آية بلا خلاف.

هذا اخبار من اللَّه تعالى ان فرعون يوم القيامة يقدم قومه، و معناه يمشى على قدمه يقودهم الى النار، و لو قال يسبق، لجاز ان يوجده اللَّه (عز و جل) قبلهم فى النار. و القيامة هو وقت قيام الناس من قبورهم للجزاء و الحساب بأعمالهم.

و قوله «فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ» معناه أوجب ورودهم الى النار، و الإيراد إيجاب الورود الى الماء او ما يقوم مقامه. قال ابو على: انما لم يقل يوردهم النار، لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۶۰

ذكر ليوم القيامة انه يقدمهم فيه، يدل على انه فعل مستقبل فأجرى الماضى مجرى المستقبل لدلالة الكلام عليه.

و قوله «وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ» قال ابو على: انه مجاز، و المعنى بئس وارد النار. و قال البلخى: بل هو حقيقة، لأنه تعالى وصف النار بأنها بئس الورد المورود، و هى كذلک. و الورد الماء الذى ترده الإبل، و الورد الإبل التى ترد الماء، و الورد ما يجعله عادة لقراءة أو تلاوة للقرآن. و الورد ورد الحمى، كل ذلک بكسر الواو، و حكى عن ابن عباس ان الورد الدخول. و المعنى ان ما وردوه من النار هو المورود بئس الورد لمن ورده. و يقال إنهم إذا وردوه عطاشاً فيردون على الحميم و النيران و لا يزيدون بذلک إلا عذاباً و عطشاً. و انما وصف بأنه بئس، و ان كان عدلًا حسناً لما فيه من الشدة مجازاً.

قوله تعالى [سورة هود (۱۱): آية ۹۹] ..... ص : ۶۰

وَ أُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (۹۹)

آية بلا خلاف.

معنى قوله «وَ أُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً» ان اللَّه لعنهم و الملائكة و المؤمنون، فاختصر على وجه ما ذكرنا على ما لم يسم فاعله، لان الإيجاز لا يخل بهذا المعنى. و اللعن من العباد الدعاء و المسألة للَّه تعالى بالابعاد من الرحمة- فى قولهم لعنة اللَّه- و الذم الوصف بالقبيح على وجه التحقير.

و معنى الآية انهم كيف تصرفوا، و حيث كانوا، فاللعنة تتبعهم. و اللعنة من اللَّه الابعاد من رحمته بان يحكم بذلک، فمن لعنة اللَّه فقد حكم بابعاده من رحمته و انه لا يرحمه.

و قوله «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ» و الرفد العون على الأمر، و انما قيل التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۶۱

هاهنا- رفد، لان اللعنة جعلت بدلا من الرفد بالعطية، و يقال: رفده و هو يرفده رفداً، و رفد- بفتح الراء و كسرها- قال الزجاج كل

شیء جعلته عوناً لشیء و أسندت به شیئاً فقد رفدته، یقال عهدت الحائط و رفدته بمعنی واحد، و الرفد القرح العظیم، و روی- بفتح الراء- فی الآیهٔ و هی لغهٔ شاذهٔ.

قوله تعالی:[سورهٔ هود (۱۱): آیهٔ ۱۰۰] ..... ص : ۶۱

ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْقُری نَقُصُّهُ عَلَیْکَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِیدٌ (۱۰۰)

آیهٔ بلا خلاف.

قوله «ذلک» اشارهٔ الی النبأ کأنه قال النبأ من انباء القری، و قد تقدم ذکره. ثم وقعت الاشارهٔ الیه، و الانباء جمع نبأ کالاخبار جمع خبر الا انه لا یقال نبأ الا فی خبر عظیم، یقال لهذا الأمر نبأ ای خبر عظیم.

قوله «نقصه علیه» فالقصص الخبر عن الأمور التی یتلو بعضها بعضاً، یقال قص قصصاً و هو یقص اثره ای یتبع اثره، و اقتص منه ای یتبعه بجنایته.

و قوله «مِنْها قائِمٌ وَ حَصِیدٌ» فالقائم المعمور، و الحصید الخراب من تلک الدیار، لان الإهلاک قد اتی علیها و لم تعمر فیما بعد. و قیل «مِنْها قائِمٌ» علی بنائه و ان کان خالیاً من اهله، و الحصد قطع الزرع من الأصل، فالحصید منهم کالزرع المحصود، و حصدهم بالسیف إذا قتلهم.

قوله تعالی:[سورهٔ هود (۱۱): آیهٔ ۱۰۱] ..... ص : ۶۱

وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لکِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِی یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّکَ وَ ما زادُوهُمْ غَیْرَ تَتْبِیبٍ (۱۰۱)

آیهٔ بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۶۲

اخبر اللَّه تعالی انه بما فعله بالأمم التی أهلکها لم یظلم احداً منهم، و لکن ظلموا هم أنفسهم بأن ارتکبوا المعاصی التی استحقوا بها الهلاک فکان ذلک ظلمهم لأنفسهم، و بین انه «فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ» یعنی الأوثان التی کانوا یعبدونها من دون اللَّه ما دفعت عنهم و لا اعانتهم بشیء لما جاء امر اللَّه و إهلاکه و عذابه «وَ ما زادُوهُمْ غَیْرَ تَتْبِیبٍ» بمعنی غیر تخسیر- فی قول مجاهد و قتادهٔ- مأخوذ من تبت یده أی خسرت، و منه تباً له، و قال جریر:

عرادهٔ من بقیهٔ قوم لوط ألا تباً لما فعلوا تبابا «۱»

و انما قال یدعون من دون اللَّه، لأنهم کانوا یسمونها آلههٔ و یطلبون الحوائج منها، کما یطلب الموحدون من اللَّه. و معنی «من دون الله» مَن منزلته ادنی من منزلهٔ عبادهٔ اللَّه، لأنه من الأدون، و هو الأقرب الی جههٔ السفلی.

قوله تعالی:[سورهٔ هود (۱۱): آیهٔ ۱۰۲] ..... ص : ۶۲

وَ کَذلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ إِذا أَخَذَ الْقُری وَ هِیَ ظالِمَهٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِیمٌ شَدِیدٌ (۱۰۲)

آیهٔ بلا خلاف.

وجه التشبیه فی قوله «وَ کَذلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ» ان اخذه الظالم الذی یساوی من تقدمه فی ظلمه و حاله فی بطلان الفلاح ببقائه، کأخذه الذی قبله، لأنه لیس هناک محاباهٔ لاحد من خلقه. و الأخذ نقل الشیء الی جههٔ الآخذ، فلما نقلهم اللَّه الی جههٔ عقابه کان قد أخذهم به، و الظالم الفاعل للظلم و العادل الفاعل للعدل.

ثم اخبر تعالی ان اخذه للظالم مؤلم شدید، و الشدهٔ تجمع یصعب معه التفکک، و یقال للنقص شدهٔ، و شدهٔ الألم لجمعه علی النفس

بما يعسر زواله.

---

(۱) ديوانه: ۷۲ من قصيدة فى هجاء الراعى النميرى، و هو فى تفسير الطبرى ۱۵: ۴۷۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۶۳

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۰۳] ..... ص : ۶۳

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (۱۰۳)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى ان فيما أخبر به- من إهلاك من ذكره على وجه العقوبة لهم على كفرهم- آية أى علامة عظيمة بما فيها من البيان عن الامر الكثير قال الشاعر:

بآية تقدمون الخيل زوراً كأن على سنابكها مداماً «۱»

قوله «لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ» أى لمن خشى عقوبة اللَّه يوم القيامة، و الخوف انزعاج النفس بتوقع الشر و نقيضه الامن، و هو سكون النفس بتوقع الخير. و الفرق بين العذاب و الألم أن العذاب استمرار الألم قال عبيد:

فالمرؤ ما عاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب «۲»

و قوله «ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ» معناه ان يوم القيامة يوم يجمع فيه الناس و يشهده جميع الخلائق، و ليس يوصف فى هذه الصفة يوم سواه، و الجمع ضم احد الشيئين الى الآخر. و قيل هو جعل الشيئين فصاعداً فى معنى، و القبض ضم الشيء الى الوسط كقبض البساط، و هو نقيض بسطه من غير تبرى اجزائه.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۵] ..... ص : ۶۳

وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (۱۰۴) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ (۱۰۵)

آيتان بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا الكسائى و ابن عامر يوم (يأت) بغير ياء. الباقون بياء فى

---

(۱) اللسان (أيا) و روايته (شعثا) بدل (زورا)

(۲) مر هذا البيت فى ۵: ۲۱۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۶۴

الوصل دون الوقف، إلا ابن كثير، فانه أثبت الياء فى الحالين.

قال أبو على: من أثبت الياء فى الوصل، فهو القياس البين، لأنه لا شيء- هاهنا- يوجب حذف الياء فى الوصل، و من حذفها فى الوقف شبهها بالفاصلة، و ان لم يكن فاصلة، لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة بدلالة انهم قد حذفوها كما حذفوا الحركة، فكما ان الحركة تحذف فى الوقف، فكذلك ما يشبهها من هذه الحروف، فكان فى حكمها، و من أثبتها فى الحالين فقد أحسن، لأنها أكثر من الحركة فى الصوت، فلا ينبغى إذا حذفت الحركة للوقف ان تحذف الياء له، كما لا تحذف سائر الحروف، و من حذف الياء فى الحالين جعلها فى الحالين بمنزلة ما يستعمل محذوفاً مما لم يكن ينبغى فى القياس ان يحذف نحو (لم يك، و لا أدر) و هى لغة هذيل، قال الشاعر:

كفاك كفاً لا تليق درهماً جواداً و أخرى تعط بالسيف الدما «۱»

فحذف الياء فى تعط، و ليس هذا ما يوجب حذفها.

و الضمير فى قوله «وَ ما نُؤَخِّرُهُ» عائد على قوله «يَوْمٌ مَشْهُودٌ» و هو يوم الجزاء. و معناه الاخبار بأنه تعالى ليس يؤخر يوم الجزاء إلا ليستوفى الأجل المضروب لوقوع الجزاء فيه. و انما قال «لأجل» و لم يقل الى اجل، لان قوله «لأجل» يدل على الغرض، و ان الحكمة اقتضت تأخيره. و لو قال الى اجل لما دل على ذلك. و قوله «يَوْمَ يَأْتِ» يعنى يوم القيامة الذى تقدم ذكره بأنه مشهود. و الضمير فى (يأتى) حين الجزاء، لأنه قد تقدم الدليل عليه فى قوله «يوم مشهود» و احسن الإضمار ما يدلّ الكلام عليه، و انما أضاف (يوم) الى الفعل، لأنه اسم زمان فناسب الفعل للزمان من حيث انه لا يخلو منه، و انه يتصرف بتصرفه. و انه لا يكون حادثاً الا وقتاً، كما ان الزمان لا يبقى.

و معنى قوله «لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» أى لا تتكلم فحذف أحدى التائين

---

(۱) تفسير القرطبى ۹: ۹۸ و اللسان (ليق)

لدلالة الكلام عليه. و قيل فى معنى «لا تكلم» قولان:

أحدهما- ان فيه وقتاً يمنعون من التكلم إلا بالحق فهو باذنه تعالى.

و الاخر- انه لا يتكلم بكلام ينفع إلا بإذنه: من شفاعة و وسيلة، بدلالة قولهم «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ. انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» «۱».

و قال الجبائى: الاذن الجاؤهم الى الحسن، لأنه لا يقع منهم ذلك اليوم قبيح.

و قوله «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ» اخبار منه تعالى بأنهم ينقسمون قسمين منهم الأشقياء، و هم المستحقون للعقاب، و منهم السعداء و هم المستحقون للثواب.

و الشقاء قوة أسباب البلاء، و الشقى من شقى بسوء عمله فى معاصى اللّه، و السعيد من سعد بحسن عمله فى طاعة اللّه، و انما وصف الأجل بأنه معدود، لأنه متناه منقض، لان كل معدود قد وجد عدده، لا يكون ذلك الا متناهياً.

فان قيل كيف قال- هاهنا- «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» و قال فى موضع آخر «هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ. وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» «۲» و قال فى موضع آخر «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها» «۳» و قال «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» «۴» و قال فى موضع آخر «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» «۵» و هل هذا إلا ظاهر التناقض؟!.

قلنا: لا تناقض فى ذلك لان معنى قوله «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» انهم يسألون سؤال توبيخ و تقرير و تقريع، لإيجاب الحجة عليهم لا سؤال استفهام، لأنه تعالى

---

(۱) سورة الانعام آية ۲۴- ۲۵ [.....]

(۲) سورة المرسلات ۳۵- ۳۶

(۳) سورة النحل آية ۱۱۱

(۴) سورة الصافات آية ۲۴

(۵) سورة الرحمن آية ۳۹

عالم بـذلك لنفسه. و قوله «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» «۱» اى لا- يسأل ليعلم ذلك منه حيث انه تعالى قد علم أعمالهم قبل ان يعملوها. و قيل ان معناه إنه لا يسأل عن ذنب المـذنب إنس و لا جان غيره، و انما يسأل المـذنب لا غير، و كذلك قوله «يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ» «۲» أى لا- ينطقون بحجة، و انما يتكلمون بالإقرار بـذنوبهم و لوم بعضهم بعضاً، و طرح بعضهم على بعض الـذنوب، فاما المتكلم بحجة، فلا. و هذا كما يقول القائل لمن يخاطبه بخطاب كثير فارغ من الحجة: ما تكلمت بشيء، و ما نطقت بشيء، فسمى من يتكلم بما لا حجة فيه له: غير متكلم، كما قال «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ» «۳» و هم كانوا يبصرون و يسمعون إلا انهم لا يقبلون و لا يفكرون فيما يسمعون، و لا يتأملون، فهم بمنزلة الصم، قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع «۴»

و قال بعضهم ان ذلك اليوم يوم طويل له مواضع، و مواطن، و مواقف، فى بعضها يمنعون من الكلام، و فى بعضها يطلق لهم ذلك بدلالة قوله «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» و كلاهما حسن و الاول احسن.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۱۰۶ الى ۱۰۷] ..... ص : ۶۶

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ (۱۰۶) خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (۱۰۷)

آيتان بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذين شقوا باستحقاقهم عذاب النار جزاء بسوء أعمالهم داخلون فى النار، و انما سمى الشقى شقياً قبل دخوله فى النار، لأنه

---

(۱) سورة الرحمن آية ۳۹

(۲) سورة المرسلات ۳۵

(۳) سورة البقرة آية ۱۷۱

(۴) مر تخريجه فى ۲: ۸۰، ۴: ۱۳۴، ۵: ۴۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۶۷

على حال تؤديه الى دخولها، من قبائح اعماله. فاما ما

روى من قوله (ع) (إن الشقى شقىّ فى بطن امه)

، فجاز، لان المعنى ان العلوم من حاله انه سيشقى بارتكاب المعاصى التى تؤديه الى عذاب النار، كما يقال لولد شيخ هرم هذا يتيم و معناه انه سييتم.

و قوله «لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ» قال أهل اللغة: الزفير أول نهاق الحمير، و الشهيق آخر نهاقها، قال رؤبة:

حشرج فى الجوف سحيلًا أو شهق حتى يقال ناهق و ما نهق «۱»

و الزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع قال الجعدى:

خيط على زفيرة فتم و لم يرجع الى دقة و لا هضم «۲»

و أصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق المزفور، و الزفر الحمل على الظهر خاصة لشدته، قال الشاعر:

طوال انضية الاعناق لم يجدوا ريح الإماء إذا راحت بأزفار «۳»

و الزفر السيد، لأنه يطيق عمل الشدائد، و زفرت النار إذا سمع لها صوت فى شدة توقدها، و الشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف عند

النفس. و أصله الطول المفرط من قولهم: جبل شاهق أى ممتنع طولا.

و قوله «خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ» فالخلود الكون فى الامر أبداً، و الدوام البقاء أبداً، و لهذا يوصف اللَّه تعال بأنه دائم، و لا يوصف بأنه خالد.

و قوله «إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ» اختلفوا فى هذا الاستثناء على عدة أقوال:

فالذى نختاره- و يليق بمذهبنا فى الارجاء- ان اللَّه تعالى أخبر ان الأشقياء

---

(۱) ديوانه ۱۰۶ و تفسير القرطبى ۹: ۹۸ و اللسان (حشرج) و تفسير الطبرى ۱۵: ۴۷۹

(۲) اللسان (زفر)

(۳) اللسان (زفر)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۶۸

المستحقين للعقاب يحصلون فى النار ثم استثنى من أراد من فساق أهل الصلاة إذا أراد التفضل بإسقاط عقابه، أو من يشفع فيه النبى صلى اللَّه عليه و سلم فانه عند ذلك لا يدخله النار و تكون على هذا- (ما) معناها (من) كأنه قال الا من شاء ربك، فلا يدخله النار، و هو قول ابن عباس و قتادة و الضحاك، و جابر بن عبد اللَّه، و أبى سعيد الخدرى و جماعة من المفسرين. و يجوز على هذا المذهب أن يكون استثناء من الخلود، فكأنه قال إلا ما شاء ربك بأن لا يخلدهم فى النار بل يخرجهم عنها.

و قال قتادة: ذكر لنا أن ناساً يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابوا، ثم يدخلهم اللَّه الجنة بفضله و رحمته يقال لهم الجهنميون، قال قتادة

و حدثنا أنس ابن مالك أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم قال يخرج قوم من النار.

و قال قتادة: و لا نقول ما يقول اهل حروراء.

و روى عن ابن عباس أنه قال قوله «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً» «۱» و قوله «خالِدِينَ فِيها إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ» فى اهل التوحيد. و روى عن ابن مسعود أنه قال:

ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد. و ذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقابا. و قال الشعبى: جهنم أسرع الدارين عمرانا، و اسرعهما خراباً.

ثانيها- قال ابن زيد و حكاه الرمانى: إن المعنى خالدين فيها ما دامت السموات سموات، و الأرض أرضاً إلا ما شاء ربك، من الزيادة المضاعفة.

و ثالثها- قال الجبائى: إن المعنى ما دامت السموات لأهل الآخرة و أرضهم إلا ما شاء ربك مما كان قبل أن يدخلوها من أوقات وقوفهم فى صدر يومهم فى الموقف، لان اللَّه تعالى قال «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ».

و رابعها- ما ذكره كثير من أهل العربية كالفراء و الزجاج و غيرهم: ان (إلا) فى الاية بمعنى (سوى) و التقدير ما دامت السموات و الأرض سوى ما شاء ربك كما يقول القائل: لو كان معنا رجل إلا زيد أى سوى زيد، و لك عندى ألف درهم

---

(۱) سورة النبأ آية ۲۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۶۹

الا الألفين التى لك عندى، أى سوى الألفين و مثله قوله «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» «۱» أى سوى ما قد سلف، لأن قوله «وَ لا تَنْكِحُوا» مستقبل «و إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ» ماض، و المعنى على هذا «خالِدِينَ فِيها» مقدار دوام السموات و الأرض

سوی «ما شاءَ رَبُّکَ» من الخلود و الزیادة.

و خامسها- ما قال الفراء: إن (الا) بمعنی الواو کما قال الشاعر:

و کل أخ مفارقه أخوه لعمر أبیک الا الفرقدان «۲»

و علی هذا لو قال القائل لک عندی ألف الا ألفین لزمه ثلاثة آلاف درهم، لأنه استثناء الزائد من الناقص، فکأنه قال الا ألفین منفردین. و لو قال ما لک عندی الف الا ألفین فإنما أقر بألفین کأنه قال ما لک عندی سوی ألفین. و لو قال لک عندی ألف الا ألفان بالرفع أقر بألف فقط، لأنها صفة مثبتة، کأنه قال الف لا الفان.

و سادسها- أن ذلک تعلیق لما لا یکون بما لا یکون، کأنه قال «إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ» و هو لا یشاء ان یخرجهم منها و تکون الفائدة أن لو شاء أن یخرجهم لقدر، و لکنه قد أعلمنا انهم خالدون أبداً.

و سابعها- ذکره الزجاج: ان الاستثناء وقع علی أن لهم زفیراً و شهیقاً إلا ما شاء ربک من أنواع العذاب التی لم یذکرها.

و ثامنها- ذکره البلخی: ان المراد بذلک الا ما شاء ربک من وقت نزول الآیة الی دخولهم النار، و لو لا هذا الاستثناء لوجب ان یکونوا فی النار من وقت نزول الآیة أو من یوم یموتون.

فان قیل کیف یستثنی من الخلود فیها ما قبل الدخول فیها؟! قلنا: یجوز ذلک إذا کان الاخبار به قبل دخولهم.

---

(۱) سورة النساء آیة ۲۲.

(۲) امالی السید المرتضی ۲: ۸۸ و سیبویه ۱: ۳۷۱ و تفسیر القرطبی ۹: ۱۰۱ و قد نسب الی عمرو بن معد کرب. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۷۰

و تاسعها- ما ذکره قوم من أصحابنا فی التفسیر إن المعنی انهم فیها یعنی فی النار فی حال کونهم فی القبور دائمین فیها ما دامت السموات و الأرض، فإنها إذا عدمت انقطع عقابهم الی أن یبعثهم اللَّه للحساب.

و قوله «إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ» مما یکون فی الآخرة.

و قوله «إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِما یُرِیدُ» معناه انه کلما أراد شیئاً فعله، لأنه لا یجوز علیه البداء بالرجوع عما أراده، و لا المنع من مراده و لا یتعذر علیه شیء منه مع کثرته بارادة من أفعاله.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۰۸] ..... ص : ۷۰

اشارة

وَ أَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّةِ خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّکَ عَطاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ (۱۰۸)

آیة بلا خلاف.

القراءة و اللغة: ..... ص : ۷۰

قرأ أهل الکوفة الا أبا بکر «سعدوا» بضم السین. الباقون بفتحها.

قال ابو علی: حکی سیبویه: سعد یسعد سعادة، فهو سعید. و ینبغی أن یکون غیر متعد، کما أن خلافه الذی هو (شقی) کذلک، و إذا لم یکن متعدیاً لم یجب أن یبنی منه المفعول به، و إذا کان کذلک، ضم السین مشکل الا ان یکون سمع فیه لغة خارجة عن القیاس أو یکون من باب (فعل و فعلته) نحو غاض الماء و غضته، و حزن و حزنته، و لعلهم استشهدوا علی ذلک بقولهم (مسعود) فانه علی

سعد فهو مسعود، و لا دلالة في ذلك، لأنه يجوز ان يكون مثل أجنه اللَّه فهو مجنون، و أحبه فهو محبوب، فالمفعول جاء في هذا على أنه حذفت الزيادة منه، كما حذف من اسم الفاعل في نحو (و يكشف جمانة دلو الدالى) و انما هو المدلى، التبيان في تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۱

و مثله «وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ» «۱» يعنى ملاقح فجاء على حذف الزيادة، فعلى هذا يكون أصله أسعدوا بحذف الزائد. و حكى البلخى انهما لغتان- ضم السين- لغة هذيل، و فتحها لغة سائر العرب.

المعنى: ..... ص : ۷۱

لما اخبر اللَّه تعالى أن الذين شقوا بفعلهم المعاصى و استحقوا الخلود في النار، اخبر ان الذين سعدوا بطاعات اللَّه و الانتهاء عن معاصيه يكونون في الجنة «ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ» و معنى ما دامت السموات و الأرض المصدر، كأنه قال دوام السموات و الأرض الا- مشيئة ربك، و فيه حسن التقابل، و فيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار إلا الوجهين الذين ذكرناهما في جواز إخراج بعض الأشقياء ممن تناول الوعيد لهم و إخراجهم من النار بعد دخولهم فيها، فان ذلك لا يجوز- هاهنا- لإجماع الأمة على أن كل مستحق للثواب لا بد أن يدخل الجنة، و لا يخرج منها بعد دخوله فيها.

و قيل فيه وجه آخر يوافق ما قلناه في الآية الاولى، و هو أن يكون المعنى «أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا» بطاعات اللَّه يدخلون الجنة خالدين فيها، و استثنى من جملتهم من كان مستحقاً للنار، و أراد اللَّه عقابهم. ثم إخراجهم منها فكأنه قال خالدين فيها الا مدة ما كانوا معاقبين في النار، ذهب اليه الضحاك و هو يليق بقولنا في الارجاء.

و قوله «عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» يعنى غير مقطوع- في قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك- يقال جذّه يجذه جذّاً فهو جاذ، و جذ اللَّه أثرهم قال النابغة:

يجذّ السلوقى المضاعف نسجه و يوقد بالصفاح نار الحباحب «۲»

---

(۱) سورة الحجر آية ۲۲.

(۲) ديوانه: ۴۴ و تفسير القرطبى ۹: ۱۰۳ و اللسان (حبحب)، (سلق)، (صفح) و روايته (تقد) بدل (يجذ) و (توقد) بدل (يوقد).

التبيان في تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۲

و يقال جذه اللَّه جذ الصليانة، و هى نبات. و قوله (عطاء) نصب على المصدر بما يدل عليه الأول كأنه قال أعطاهم النعيم عطاء غير مجذوذ.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۰۹] ..... ص : ۷۲

فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ ما يَعْبُدُونَ إِلَّا كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (۱۰۹)

آية بلا خلاف.

نهى اللَّه تعالى نبيه- و المراد به أمته- ان يكونوا في شك من عبادة هؤلاء يعنى الكفار الذين تقدم ذكرهم، و انه باطل. و (المرية)- بكسر الميم و ضمها- الشك مع ظهور الدلالة البينة. و أصله مرى الضرع ليدر بعد دروره، فلا معنى له إلا العبث بفعله.

و قوله «ما يَعْبُدُونَ إِلَّا كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ» أنهم مقلدون في عبادتهم الأوثان، كما كان آباؤهم كذلك.

و قوله «وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ» أخبار منه تعالى انه يعطيهم- على جهة الوفاء- قسمتهم من خير أو شر على قدر استحقاقهم- في قول ابن عباس- و قال ابن زيد: ما يستحقونه من العذاب من غير ان ينقص منه شيء على وجه العقوبة بعد أن يوفوا ما

حكم لهم به من الخير فى الدنيا.

و (النصيب) القسم المجعول لصاحبه و منه أنصباء الورثة. و النصيب الحظ و النقص البخس و المنقوص المبخوس.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۱۰] ..... ص : ۷۲

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (۱۱۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۳

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى أنه أعطى موسى الكتاب يعنى التوراة و إن قومه اختلفوا فيه يعنى فى صحة الكتاب الذى انزل اليه، و أراد بذلك تسلية النبى صلى اللَّه عليه و سلم عن تكذيب قومه إياه و جحدهم للقرآن المنزل عليه، فبين له أنه كذلك فعل قوم موسى بموسى، فلا تحزن لذلك، و لا تغتم له. ثم قال «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» معناه و لو لا خبر اللَّه السابق بأنه يؤخر الجزاء الى يوم القيامة لما فى ذلك من المصلحة، لعجل الثواب و العقاب لأهله. (و الكلمة) واحدة الكلم و لذلك، يقال للقصيدة: كلمة. ثم أخبر عن حال كفار قوم النبى صلى اللَّه عليه و سلم أنهم لفى شك مما أخبرناك به مريب، و (الريب) أقوى الشك. (و الاختلاف) ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الآخر، و هو على ثلاثة أوجه:

أحدها- اختلاف النقيضين فهذا لا يجوز أن يصحا معاً، فأحدهما مبطل لصاحبه.

و الآخر اختلاف الجنسين، كاختلاف المجتهدين فى جهة القبلة، فهذا يجوز أن يصحا، لأنه تابع للمصلحة و لا تناقض فى ذلك، و منه اختلاف المجتهدين فى الفروع على مذهب من قال بجوازه.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۱۱] ..... ص : ۷۳

اشارة

وَ إِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۱۱)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۷۳

اختلف القرّاء فى قوله «وَ إِنَّ كُلًّا لَمَّا» على اربعة أوجه:

قرأ ابن كثير و نافع بتخفيف (إن) و تخفيف (لما) و قرأ ابن عامر و حمزة التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۴

و حفص عن عاصم بتشديدهما معاً. و قرأ أبو عمرو و الكسائى بتشديد الأولى و تخفيف الثانية.

و قرأ أبو بكر عن عاصم بتخفيف الاولى و تشديد الثانية.

اللغة و الاعراب و المعنى: ..... ص : ۷۴

و قيل فى معنى (لمّا) بالتشديد خمسة أوجه:

أوّلها- قول الفراء إنها بمعنى (لمن ما) فاجتمعت ثلاث ميمات، فحذفت واحدة ثم أدغمت الاولى فى الثانية، كما قال الشاعر:

و انّى لمّا أصدر الامر وجهه إذا هو أعيا بالسبيل مصادره «۱»

ثم تخفف، كما قرأ بعض القراء: «وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ» «۲» فحذف احدى الياءين ذكره الفراء.

و الثانى- ما اختاره الزجاج: أن (لمّا) بمعنى (إلا) كقولهم سألتك لما فعلت، و مثله «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ» «۳» لأنه دخله معنى ما كلهم إلا لنوفينّهم.

و قال الفراء هذا لا يجوز إلا فى التميز، لأنه لو جاز ذلك لجاز ان تقول جاءنى القوم لمّا زيداً بمعنى الّا زيداً، هذا لا يجوز بلا خلاف.

الثالث- اختاره المازنى: أنَّها هى المخففة شددت للتأكيد. قال الزجاج:

هذا لا يجوز، لأنه انما يجوز تخفيف المشددة عند الضرورة، فأما تشديد المخففة، فلا يجوز بحال.

الرابع- حكاه الزجاج: إنها من لممت الشيء ألمه لمّاً إذا جمعته إلا أنها

---

(۱) قائله العجاج تفسير الطبرى ۱۵: ۴۹۴ و تفسير القرطبى ۹: ۱۰۵ و مجمع البيان ۳: ۲۰۰

(۲) سورة النحل آية ۹۰.

(۳) سورة الطارق آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۵

بنيت على (فعلى) فلم تصرف نحو (تترى) كأنه قال و إن كلا جميعاً ليوفينهم.

الخامس- قراءة الزهرى (لما) بالتنوين بمعنى شديداً، كقوله «وَ تَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا» «۱».

و اللام فى قوله (لما) يحتمل أن تكون لام القسم دخلت على (ما) التى للتوكيد، و يحتمل أن تكون لام الابتداء دخلت على (ما) بمعنى الذى، كقوله «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ» «۲» و مثله «وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ» «۳» قال الشاعر:

فلو ان قومى لم يكونوا أعزة لبعد لقد لاقيت لا بد مصرعا «۴»

و حكى عن العرب انى لبحمد اللَّه لصالح قال أبو على من قرأ بتشديد (إن) و تخفيف (لما) فوجهه بين، و هو انه نصب (كلا) ب (إن) و (إن) تقتضى أن يدخل على خبرها أو اسمها لام، فدخلت هذه اللام و هى لام الابتداء على الخبر فى قوله «وَ إِنَّ كُلًّا لَمَّا» و قد دخلت الخبر لام اخرى و هى التى يتلقى بها القسم، و تختص بالدخول على الفعل و يلزمها فى اكثر الامن النونين، فلما اجتمعت اللامان و اتفقا فى تلقى القسم، و اتفقا فى اللفظ فصل بينهما، كما فصل بين (إن) و اللام، فدخلت (ما) لهذا المعنى، و ان كانت زائدة للفصل، كما جاءت النون- و إن كانت زائدة- فى قوله «فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ» «۵» و كما صارت عوضاً من الفعل فى قولهم: أما لى، فهذا بين، و يلى هذا الوجه فى البيان قول من خفف (ان) و نصب (كلا) و خفف (لما)، كما قال الشاعر:

كأن ثدييه حقان «۶»

---

(۱) سورة الفجر آية ۱۹

(۲) سورة النساء آية ۳

(۳) سورة النساء آية ۷۲

(۴) تفسير الطبرى ۱۵: ۴۹۸

(۵) سورة مريم آية ۲۶

(۶) الكتاب لسيبويه ۱: ۲۸۰ و الفية ابن عقيل ۱: ۳۳۴ الشاهد ۱۰۸ و تفسير الطبرى ۱۵: ۴۹۷ و تمام البيت:

و صدر مشرق النحر كأن ثدياه حقان

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۶

و أراد (كأن) المشددة، فخفف، و اعمل، لان سيبويه حكى عمن يثق به أنه سمع من العرب من يقول: ان عمراً لمنطلق، قال و أهل المدينة يقرؤن «وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ» «۱» يخفون و ينصبون، و وجه النصب بها مع التخفيف ان (ان) مشبهة فى نصبها بالفعل، و الفعل يعمل محذوفاً كما يعمل غير محذوف فى نحو (لم يك زيد منطلقاً، فلا تك منطلقاً) و كذلك «فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ» فاما من خفف (ان) و نصب (كلا) و شدد (لما) فقراءته مشكلة لأن (أن) إذا نصب بها و كانت مخففة كانت بمنزلة الثقيلة و (لما) إذا شددت كانت بمنزلة (إلا) فكذلك قراءة من شدد (لما) و ثقل (ان) مشكلة، لأنه كما لا يحسن أن تقول: ان زيد إلا منطلقاً فكذلك لا يحسن تثقيل (ان) و تخفيفها و يراد الثقيلة مع تثقيل (لما) فاما قولهم: نشدتك اللَّه لما فعلت، و الا فعلت، فقال الخليل: معناه لتفعلن، كما تقول: أقسمت عليك لتفعلن و إنما دخل (إلا و لما) لان المعنى الطلب، فكأنه قال: ما أسألك إلا فعل كذا، فلم يذكر حرف النفى فى اللفظ، و إن كان مراداً، و ليس فى الآية معنى نفى و لا طلب، و ضعف ابو على الوجه الذى حكيناه من ان أصله (لمن ما) فأدغم النون فى الميم بعد ما قلبت ميماً. قال: لان الحرف المدغم، إذا كان قبله ساكن نحو (يوم مالك) لم يقوّ الإدغام فيه على أن يحرك الساكن الذى قبل الحرف المدغم، فإذا لم يجز ذلك فيه، و كان التغيير أسهل من الحذف، فانه لا يجوز الحذف الذى هو أجدر، فى باب التغيير من تحريك الساكن على أنّ فى هذه السورة ميمات اجتمعت فى الإدغام، أكثر مما اجتمعت فى (لمن ما) و لم يحذف منها شىء نحو قوله «وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ» «۲» و لم يحذف شىء منها فبأن لا يحذف- هاهنا- أجدر و حكى عن الكسائى أنه قال لا أعرف وجه التثقيل فى (لما) قال ابو على: و لم يبعد فى ذلك، قال أبو على: و لو خفف مخفف (ان) و رفع (كلا) و ثقل (لما) و يكون المعنى ما كل الا ليوفينهم، كما قال «وَ إِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا» «۳» لكان ذلك أبين من النصب فى (كل) و تثقيل

---

(۱) سورة يس آية ۳۲

(۲) سورة هود آية ۴۸

(۳) سورة الزخرف آية ۳۵ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۷

(لما) و (كل) فى الآية معرفة، و المعنى و إن كل المكلفين ليوفينهم ربك أعمالهم أو كل المختلفين على ما تقدم ذكره كما يقولون: مررت بكل قائماً، و التوفية بلوغ المقدار من غير نقصان، و التوفية مساواة المقدار فى معناه، لأنه إذا ساواه فى جنسه لم يجب به توفية.

المعنى ..... ص : ۷۷

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه يوفى جميع المكلفين ما يستحقونه على أعمالهم من الثواب و العقاب، لأنه عالم بما فعلوه خبير به، لا يخفى عليه شىء من ذلك و من ليس بعالم لا يمكنه ذلك، لأنه يجوز ان يكون قد خفى عليه كثير منه، و هو تعالى لا يخفى عليه خافية.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۱۲] ..... ص : ۷۷

فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَكَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۱۱۲)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه النبى صلّى اللَّه عليه و سلم و أمته أن يستقيموا كما أمرهم اللَّه، و كذلك من رجع الى اللَّه و الى نبيه «و لا تطغوا» يعنى فى

الاستقامة، فيخرجوا عن حدها بالزيادة على ما أمرهم فرضاً كان أو نفلًا. و قيل: معناه لا تطغينكم النعمة، فتخرجوا من الاستقامة.

و (الاستقامة) الاستمرار فى جهة واحدة، و ان لا يعدل يميناً و شمالًا.

و (الطغيان) تجاوز المقدار فى الفساد. و الطاغى كالباغى فى صفة الذم، و طغى الماء مشبه بحال الطاغى، و انما خص من تاب دون ان أسلم من أول حاله للتغليب فى الأكثر و يدخل فيه الأقل على وجه التبع.

و قوله «إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» اخبار منه تعالى أنه عالم بأعمالهم لا يخفى عليه شيء منها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۸

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۱۳] ..... ص : ۷۸

وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (۱۱۳)

آية بلا خلاف.

نهى اللَّه تعالى فى هذه الآية عباده المكلفين عن أن يركنوا الى الذين ظلموا نفوسهم و غيرهم. و (الركون) الى الشيء هو السكون اليه بالمحبة اليه و الإنصات اليه، و نقيضه النفور عنه. و انما نهاهم عن الركون الى الظلمة لما فى ذلك من الاستئناس به «فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» جواب النهى و بيان، لأنهم متى خالفوا هذا النهى، و سكنوا الى الظالمين نالتهم النار، و لم يكن لهم ناصر من دون اللَّه يدفع عنهم ثم لا يجدون من ينصرهم، و يدفع عنهم على وجه المغالبة، و الولى ضد العدو، و جمعه أولياء. و قال الجبائى معنى «ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ» انكم إن ركنتم الى الكفار و الظالمين، و سكنتم اليهم مستكم النار فى الآخرة ثم لا تنصرون فى الدنيا على الكفار.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۱۴] ..... ص : ۷۸

وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ (۱۱۴)

آية بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر (زلفا) بضم اللام. أمر اللَّه تعالى فى هذه الآية نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم و أمة نبيه باقامة الصلاة، و إقامتها هو الإتيان بأعمال الصلاة على وجه التمام فى ركوعها و سجودها و سائر فروضها. و قيل اقامة الصلاة هو عمل على استواء كالقيام الذى هو الانتصاب فى الاستواء. و قيل هو الدوام على فعلها من قولهم:

ما قائم اى دائم واقف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۷۹

و قوله «طَرَفَيِ النَّهارِ» يريد بهما صلاة الفجر و المغرب- فى قول ابن عباس و الحسن و ابن زيد و الجبائى- و قال الزجاج يعنى الغداة الظهر و العصر، و به قال مجاهد، و محمد بن كعب القرطى، و الضحاك. و يحتمل أن يريد بذلك صلاة الفجر و العصر، لان طرف الشيء من الشيء و صلاة المغرب ليست من النهار.

و قوله «وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ» قال ابن عبّاس و مجاهد و ابن زيد: يريد العشاء الآخرة و قال الزجاج يعنى المغرب و العشاء الآخرة. و (الزلفة) المنزلة و جمعها زلف قال العجاج:

ناج طواه الأين ممّا و جفا طى الليالى زلفاً فزلفا «۱»

قال الزجاج:و يجوز زلفاً بضم اللام، و نصبه على الظرف و هو واحد مثل الحلم، و يجوز أن يكون جمع زليف مثل قريب و قرب، و منه اشتقاق المزدلفة لأن ازدلاف الناس اليها منزلة من عرفات.

و من قال: المراد ب (طرفى النهار) الفجر و المغرب، قال ترك ذكر الظهر و العصر لأحد أمرين:

أحدهما ترك ذكرهما لظهورهما فى انهما صلاة النهار، و التقدير أقم الصلاة طرفى النهار مع الصلاة المعروفة من صلاة النهار.

و الآخر- انهما ذكرا على التبع للطرف الأخير، لأنهما بعد الزوال، فهما أقرب اليه. و قد قال اللّه تعالى «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ» «۲» و دلوكها زوالها.

---

(۱) ديوانه: ۸۴ و مجاز القرآن ۱/ ۳۰۰ و سيبويه ۱: ۱۸۰ و اللسان (زلف، حقف، سما، و جف) و الصحاح، و التاج (زلف) يصف الشاعر بعيره. و بعده:

سماوة الهلال حتى احقوقفا

و الأين التعب، و الوجف السرعة فى السير. شبهه بالهلال. لاعوجاجه، عند علوه و صعوده.

(۲) سورة الإسراء آية ۷۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۸۰

و قوله «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» قيل فيه و جهان:

أحدهما- تذهب به على وجه التكفير إذا كانت المعصية صغيرة.

و الآخر- ان المراد بالحسنات التوبة تذهب بالسيئة أى تسقط عقابها، لأنه لا خلاف فى ان سقوط العقاب عند التوبة. و قد قيل ان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات فكأنها أذهبت بها.

و قوله «ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ» يعنى ما ذكره من قوله «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» فيه تذكار لمن تذكر به و فكّر فيه.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۱۵] ..... ص : ۸۰

وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (۱۱۵)

آية بلا خلاف.

أمر اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم بالصبر على أذى قومه و تكذيبهم إياه، و التجلد عليه، و على القيام بما افترض عليه من أداء الواجب، و الامتناع من القبيح، و بين له انه لا يضيع و لا يهمل أجر المحسنين على إحسانهم بل يكافيهم عليه أتم الجزاء و أكمل الثواب، و (الصبر) حبس النفس عن الخروج الى ما لا يجوز من ترك الحق، و ضده الجزع قال الشاعر:

فان تصبرا فالصبر خير مغبة و ان تجزعا فالأمر ما تريان «۱»

و الصبر على الباطل مذموم، قال اللّه تعالى «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ» «۲» و يعين على الصبر شيئان:

---

(۱) من هذا البيت فى ۱: ۲۰۲.

(۲) سورة ص آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۸۱

أحدهما- العلم بما يعقب من الخير فى كل وجه و عادة النفس له.

و الثانى- استشعار ما فى لزوم الحق من العز و الأجر بطاعة اللّه. و الصبر مأخوذ من الصبر المر، لأنه تجرع مرارة الحق بحبس النفس عن الخروج الى المشتهى.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۱۶] ..... ص : ۸۱

فَلَوْ لا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَ

كانُوا مُجْرِمِينَ (۱۱۶)

آية بلا خلاف.

معنى «فَلَوْ لا- كانَ» هلا- كان، و لم لا، و ألا كان، و معناه النفى و تقديره لم يكن من القرون من قبلكم، فهو تعجيب و توبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من كان قبلهم فى الفساد نحو عاد و ثمود، و سائر القرون الذين مرّ ذكرهم فى القرآن، و أخبر اللَّه بهلاكها «أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ» أى كان يجب أن يكون منهم قوم باقون فى الأرض ينهون عن الفساد فى الأرض مع إنعام اللَّه عليهم بكمال العقل و القدرة، و بعثة الرسل اليهم، و اقامة الحجج. و أولوا بقية هم الباقون، فعجب اللَّه نبيه كيف لم يكن منهم بقية فى الأرض يأمرون فيها بالمعروف و ينهون فيها عن المنكر، و كيف اجتمعوا على الكفر حتى استأصلهم اللَّه بالعذاب و العقوبات لكفرهم باللَّه و معاصيهم له ثم استثنا بقوله «الا قليلا» و المعنى انهم هلكوا جميعاً الا قليلًا ممن أنجى اللَّه منهم، و هم الذين آمنوا مع الرسل، و نجوا معهم من العذاب الذى نزل بقومهم.

و قوله «وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كانُوا مُجْرِمِينَ» معناه أنهم اتبعوا التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۸۲

التلذذ و التنعم بالأموال و النعم التى أعطاهم اللَّه إياها، و قضوا الشهوات و ذلك من الحرام. و بين انهم كانوا بذلك مجرمين عاصين للَّه تعالى.

و قال الفراء و الزجاج: ان قوله «الا قليلًا» استثناء منقطع، لأنه إيجاب لما تقدم فيه صيغة النفى و إنما تقدم تهجين لمخرج السؤال، و لو رفع لجاز فى الكلام.

و معنى «أُتْرِفُوا فِيهِ» اى عوّدوا الترفة بالتنعيم و اللذة، و ذلك ان الترفة عادة النعمة قال الشاعر:

يهدى رؤس المترفين الصداد الى أمير المؤمنين الممتاد «۱»

اى المسئول، و أبطر بهم النعمة حتى طغوا و بغوا، و فى الآية دلالة على وجوب النهى عن المنكر، لأنه تعالى ذمهم بترك النهى عن الفساد، و انه نجا القليل بنهيهم عنه، فلو نهى الكثير كما نهى القليل لما اهلكوا، و معنى «أُولُوا بَقِيَّةٍ» اصحاب جماعة تبقى من نسلهم، و البقية ممدوحة يقال فى فلان بقية أى فيه فضل و خير، كأنه قيل بقية خير من الخير الماضى.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۱۷] ..... ص : ۸۲

وَ ما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ (۱۱۷)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى انه لم يهلك أهل قرية فيما مضى، ممن ذكر إهلاكهم مع أن أهلها او أكثرهم يفعلون الصلاح، و انما اهلكهم إذا أفسدوا كلهم او أكثرهم و الإصلاح فعل الصلاح. و قوله «بظلم» فيه ثلاثة أوجه: أولها بظلم صغير، فيكون منهم لأنه يقع مكفراً بما معهم من الثواب الكثير.

---

(۱) قائلة رؤبة و قد مر فى ۴/ ۶۳ من هذا الكتاب و هو تفسير الطبرى ۱۲/ ۷۹ (الطبعة الاولى).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۸۳

الثانى- بظلم كثير من قليل منهم، مع أن أكثرهم المصلحون، لان القليل لا يعتد به فى جنب الكثير.

الثالث- ان المعنى بظلم منا، كما قال اللَّه تعالى «إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً» «۱».

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۱۱۸ الى ۱۱۹] ..... ص : ۸۳

وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَ لا یَزالُونَ مُخْتَلِفِینَ (۱۱۸) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ کَلِمَةُ رَبِّکَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِینَ (۱۱۹)

آیتان فی الکوفی و البصری تمام الاولی عند قوله مختلفین و هی آیة فیما سوی ذلک.

هذه الآیة تتضمن الاخبار عن قدرته تعالی بأنه لو شاء تعالی لجعل الناس أمة واحدة أی علی دین واحد، کما قال «إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلی أُمَّةٍ» «۲» و قال «وَ لَوْ لا أَنْ یَکُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً» «۳» أی علی دین واحد بأن یلجئهم الی الإسلام بأن یخلق فی قلوبهم العلم بأنهم لو داموا علی غیر ذلک لمنعوا منه، لکن ذلک ینافی التکلیف و یبطل الغرض بالتکلیف لأن الغرض به استحقاق الثواب.

و قوله «وَ لا یَزالُونَ مُخْتَلِفِینَ» معناه فی الأدیان کالیهود و النصاری و المجوس و غیر ذلک من اختلاف المذاهب الباطلة فی قول مجاهد و قتادة و عطا و الأعمش و الحسن فی روایة، و فی روایة أخری عن الحسن أنهم یختلفون بالارزاق و الأحوال و یتحیز بعضهم لبعض. و الاول أقوی.

---

(۱) سورة یونس آیة ۴۴.

(۲) سورة الزخرف آیة ۲۲، ۲۳.

(۳) سورة الزخرف آیة ۳۳.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۸۴

و الاختلاف هو اعتقاد کل واحد نقیض ما یعتقده الآخر، و هو ما لا یمکن أن یجتمعا فی الصحة و ان أمکن ان یجتمعا فی الفساد، ألا تری أن الیهودیة و النصرانیة لا یجوز أن یکونا صحیحین مع اتفاقهما فی الفساد، و یجوز ان یکون فی اختلاف اهل الملل المخالفة للإسلام حق، لأن باعتقاد الیهودی ان النصرانیة باطلة و اعتقاد النصرانی ان الیهودیة فاسدة حق.

و قوله «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ» استثناء منقطع، و لذلک جعل رأس آیة، و لو کان متصلًا لم یجز ذلک، و انما کان استثناء منقطعاً، لان الاول علی انهم یختلفون بالباطل، و لیس کذلک من رحم لاجتماعهم علی الحق. و المعنی «وَ لا یَزالُونَ مُخْتَلِفِینَ» بالباطل «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ» بفعل اللطف لهم الذی یؤمنون عنده و یستحقون به الثواب، فان من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل.

و قوله «وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک ان المراد و للرحمة خلقهم و لیس لاحد ان یقول لو أراد ذلک لقال: و لتلک خلقهم لأن الرحمة مؤنثة اللفظ و ذلک ان تأنیث الرحمة لیس بتأنیث حقیقی، و ما ذلک حکمه جاز ان یعبر عنه بالتذکیر، و لذلک قال اللَّه تعالی «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِیبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ» «۱» و لم یقل قریبة علی انه لا یمتنع ان یکون المراد: و لأن یرحم خلقهم، لأن الرحمة تدل علی ذلک، فعلی هذا یکون التذکیر واقعاً موقعه.

الثانی- ان یکون اللام لام العاقبة، و التقدیر أنه خلقهم و علم أن عاقبتهم تؤل الی الاختلاف المذموم، کما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۲» و کما قلنا فی قوله «وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ» «۳» و هو المروی عن ابن عباس و الحسن و عطاء و مالک، و قد یکون اللام بمعنی (علی) کقولک أکرمتک علی

---

(۱) سورة الاعراف آیة ۵۶.

(۲) سورة القصص آیة ۸.

(۳) سورة الاعراف آیة ۱۷۹.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۸۵

برّك بى اى لبرّك بى، فيكون التقدير، و على ذلك خلقهم، و لا يجوز ان يكون اللام لام الغرض، و يرجع الى الاختلاف المذموم، لان اللَّه تعالى لا يخلقهم و يريد منهم خلاف الحق، لأنه صفة نقص يتعالى اللَّه عن ذلك. و ايضاً فلو أراد منهم ذلك الاختلاف، لكانوا مطيعين له، لأن الطاعة هى موافقة الارادة و الأمر، و لو كانوا كذلك لم يستحقوا عقاباً. و قد قال تعالى «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «۱». فبيّن تعالى انه خلقهم و أراد منهم العبادة، فكيف يجوز مع ذلك ان يكون مريداً لخلاف ذلك، و هل هذا الا تناقض؟! يتعالى اللَّه عن ذلك.

على ان فى اختلاف أهل الضلال ما يريده اللَّه، و هو اختلاف اليهود و النصارى فى التثليث، و اختلاف النصارى لليهود فى تأبيد شرع موسى.

و قيل ان معنى الاختلاف هاهنا هو مضى قوم و مجىء قوم آخرين، كما قال «هُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً» «۲». و هذا الاختلاف يجوز ان يريده اللَّه.

و قال الحسن قوله «وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» مردود على قوله «وَ ما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ» «۳» و المعنى خلقهم ليكون عدله فيهم، هذا، لا أن يهلكهم و هم مصلحون.

و قوله «وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً» على الايمان، و هذه مشيئة القدرة «وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» ان تكون مشيئته و قدرته عليهم، «وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» قال ليخالف اهل الحق اهل الباطل، و هو كقوله «لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ» «۴».

---

(۱) سورة الذاريات آية ۵۶.

(۲) سورة الفرقان آية ۶۲.

(۳) سورة هود آية ۱۱۸. [.....]

(۴) سورة الشورى آية ۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۸۶

و يقوى هذا التأويل قوله «وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِى عَمَلِى وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» «۱». و قوله «قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ» «۲»، فيكون اللَّه خلقهم ليخالفوا الكافرين و المبطلين. و قال عمر عن الحسن: ان معنى «وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» ليكون أمر الكفار مختلفاً بكفرهم و تكذيبهم. و قال البلخى: أخبر أنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم، فإنهم غير مختلفين، هذا معنى الآية، و الا فلا معنى لها. ثم قال «وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» اى لان يكونوا أمة واحدة متفقين غير مختلفين.

و قوله «وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ»، معناه التحذير لكل احد ان يكون ممن تملأ جهنم به، و تمامها وقوع مخبرها على ما تقدم بها، و هذا يمين أقسم اللَّه به، و تقديره يميناً لاملأن، كما تقول: حلفى لأضربنك، و بدا لى لأضربنك. و كل فعل كان تأويله كتأويل بلغنى، أو قيل لى أو انتهى إلىّ، فان (اللام) و (ان) يصلحان فيه، فتقول بدا لى لأضربنك، و بدا لى ان أضربك، فلو قيل و تمت كلمة ربك أن يملأ جهنم من الجنة و الناس كان صواباً.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۲۰] ..... ص : ۸۶

وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِى هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (۱۲۰)

آية بلا خلاف.

قوله «و کلا» نصب علی المصدر، و تقدیره، کل القصص نقص علیک. و قال قوم: نصب علی الحال، فقدم الحال قبل العامل، کما تقول: کلا ضربت، و یجوز ان یکون نصباً علی انه مفعول به، و تقدیره: و کل الذی تحتاج الیه نقص علیک،

---

(۱) سورة یونس آیة ۴۱.

(۲) سورة الکافرون آیة ۱- ۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۸۷

و یکون «ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ» بدلًا منه- فی قول الزجاج- و القصص الخبر عن الأمور بما یتلو بغضه بغضاً، مأخوذاً من قصه یقصه إذا اتبع أثره، و منه قوله «قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ» «۱» أی اتبعی اثره. و الانباء جمع نبأ، و هو الخبر بما فیه عظم الشأن، و کذلک یقولون لهذا الأمر نبأ، و التثبیت تمکین اقامة الشیء ثبته تثبیتاً إذا مکنه، و معنی «ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ» یحتمل ان یکون ذلک بتسکینه، و یحتمل ایضاً ان یکون بالدلالة علی وجوده. و الفؤاد القلب مأخوذ من المفتاد، و هو المشوی قال النابغة:

کان خارجاً من حیث صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد «۲»

.و معنی «وَ جاءَکَ فِی هذِهِ الْحَقُّ» قال ابن عباس، و الحسن، و مجاهد: یعنی فی هذه السورة. و قال الجبائی یعنی جاءک فی هذه الأنباء. و قال الزجاج: یعنی فی هذه الأزمان. و قال قتادة: معناه فی هذه الدنیا. و الأول أصح، و التقدیر و جاءک فی هذه السورة الحق مع ما جاءک فی سائر السور.

و معنی (الآیة) الاعتبار بقصص الرسل لما فیه من حسن صبرهم علی أمتهم و اجتهادهم فی دعائهم الی عبادة اللّه مع الحق الذی من عمل علیه نجا، و مع الوعظ الذی یلین القلب لسلوک طریق الحق، و مع تذکر الخیر و الشر، و ما یدعو الیه کل واحد منهما فی عاقبة النفع أو الضرر.

و قوله «و موعظة» یعنی جاءک موعظة تعظ الجاهلین باللّه.

و قوله «وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ» معناه تذکرة تذکر المؤمنین باللّه و رسله کی لا یفعلوا غیر الواجب.

---

(۱) سورة القصص آیة ۱۱.

(۲) اللسان (فأد) و مجمع البیان ۳/ ۲۰۳.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۸۸

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): الآیات ۱۲۱ الی ۱۲۲] ..... ص : ۸۸

وَ قُلْ لِلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ إِنَّا عامِلُونَ (۱۲۱) وَ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (۱۲۲)

آیتان فی الکوفی و البصری، و إحدی المدینین تمام الاولی انا عاملون، و آیة فیما سوی ذلک.

أمر اللّه نبیه صلّی اللّه علیه و سلم ان یقول للکفار الذین لا یصدقون بتوحید اللّه و لا یعترفون بنبوة نبیه صلّی اللّه علیه و سلم «اعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ» و المکانة الطریقة التی یتمکن من العمل علیها، و یقال: له مکانة عند السلطان- أی جاه، و قدر- و هذا خرج مخرج التهدید، و هو مثل قوله «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «۱».

و قوله «إِنَّا عامِلُونَ» معناه إنا عاملون علی الایمان الذی أمرنا اللّه به و دعانا الیه.

و قوله «وَ انْتَظِرُوا» أی توقعوا، و قد فرق بینهما بأن التوقع طلب ما یقدر أنه یقع، لأنه من الوقوع. و الانتظار طلب ما یقدر النظر الیه، لأنه من النظر.

و الفرق بين الانتظار و الترجى، أن الترجى للخير خاصة، و الانتظار فى الخير و الشر. و لو دخلت الفاء فى قوله «إنا» لأفاد أن الثانى لأجل الأول و حيث لم تدخل لم تفد ذلك.

و متعلق الانتظار يحتمل أمرين:

أحدهما- انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور، فانا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر و العلوّ، فى قول ابن جريج.

---

(۱) سورة حم السجدة آية. ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۸۹

الثانى- انتظروا ما يعدكم ربكم على الكفر من العذاب، فانا منتظرون ما يعدنا على الايمان من الثواب.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۲۳] ..... ص : ۱۸۹

وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۱۲۳)

آية بلا خلاف.

قرأ نافع و حفص يرجع- بضم الياء و فتح الجيم- و قرأ أهل المدينة، و ابن عامر، و حفص، و يعقوب (يعلمون) بالياء- هاهنا، و فى النمل. الباقون بالتاء.

من ضم الياء فلقوله «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ» «۱»، و المعنى رد أمرهم الى اللَّه.

و من فتح الياء فلقوله «وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» «۲»، و المعنيان متقاربان.

و من قرأ بالتاء فى «تعملون» جعل الخطاب للنبىّ و لأمته، و هو أعمّ فائده.

و من قرأ بالياء فى «يعملون» جعل ذلك متوجهاً الى من تقدم ذكره من الكفار، و فيه ضرب من التهديد.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية بأن له غيب السموات و الأرض، و خص الغيب بذلك لاحد أمرين:

أحدهما- لان ذلك يدل على ان له شهادة ايضاً.

---

(۱) سورة الانعام آية ۶۲، و فى سورة يونس آية ۳۰ «وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ».

(۲) سورة الانفطار آية ۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۰

الثانى- لعظم شأن الغيب الذى له. و من كان له الغيب كان له الشهادة، و الغيب كون الشيء بحيث لا يلحقه الحس، و منه «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» «۱».

أى عالم الموجود و المعدوم، و ما يغيب عن احساس الناس و ما يظهر لها، و معنى «وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ» أى يذهب الى حيث ابتدأ منه، فرجوع الأمر الى اللَّه بالاعادة بعد النشأة الاولى. و قيل ترجع الأمور الى ان لا يملكها سواه تعالى- فى قول أبى على الجبائى.

و قوله «فاعبده» أى وجه عبادتك اليه وحده «وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» فالغفلة السهو، الا ان الغفلة يغلب عليها ان تكون بعد اليقظة، كالنوم بعد الانتباه، و السهو نقيض الذكر من غير علة فى الصفة. و المعنى انه ليس ربك يا محمد صلّى اللَّه عليه و سلم بساه عن اعمال عباده، بل هو عالم بها و مجاز كلًا على ما يستحقه من ثواب أو عقاب، فلا يحزنك إعراضهم عنك، و ترك قبولهم منك.

و قال كعب الا حبار خاتمه التوراة خاتمه هود.

---

(۱) سورة التوبة آية ۹۵، ۱۰۹ و سورة المؤمنون آية ۹۳، و سورة الزمر آية ۴۶، و سورة الجمعة آية ۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۱

(۱۲) سورة يوسف ..... ص : ۹۱

اشارة

مكية فى قول مجاهد، و قتادة، و هى مائة و احدى عشر آية بلا خلاف فى ذلك

[سورة يوسف (۱۲): آية ۱] ..... ص : ۹۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (۱)

آية بلا خلاف.

لم يعدوا (الر) آية، لأنه على حرفين، و لا يشاكل رؤوس الآى، فيعد من الفواصل بالوجهين، لأنه بالحرفين يجرى مجرى الأسماء الناقصة. و إنما يؤمّ بالفواصل التمام، و انما يعد (طه) لأنه يشبه رؤوس الآى. و قد بينا فيما تقدم اختلاف المفسرين فى مبادئ السور بهذه الحروف «۱». و قلنا أن أقوى الأقوال قول من قال إنها اسماء للسور، فلا وجه، لا عادة القول فيها.

قوله «تِلْكَ آياتُ» قال قوم: هو اشارة الى ما تقدم من ذكره من السورة فى قول «الر» كأنه قال سورة يوسف «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ».

الثانى- انه اشارة الى ما يأتى من ذكرها على وجه التوقع لها. و قال قوم:

---

(۱) انظر ۱/ ۴۷- ۵۰، ۲/ ۳۸۸، ۴/ ۳۶۷، ۵/ ۳۸۱، ۵۱۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۲

معناه هذه تلك الآيات التى وعدتم بها فى التوراة، كما قال «الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ» معناه المظهر لحلال اللَّه و حرامه و المعانى المرادة به، و هو قول مجاهد و قتادة، و يروى عن معاذ أنه قال (المبين) قال بين الحروف التى سقطت عن ألسن الأعاجم، و هى ستة يعنى حروف الحلق.

و البيان هو الدلالة. و قال الرمانى البيان: إظهار المعنى من الطريق التى من جنسه. و البرهان إنما هو إظهار صحة المعنى بما يشهد به، و إنما سميت (آيات) لما فيها من الدلالة القاطعة على صحة ما تضمنته الآية الدالة.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۲] ..... ص : ۹۲

إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۲)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى أنه انزل هذا الكتاب قرآناً عربياً لكى يعقلوا معانيه و أغراضه، و سمّاه (قرآناً) لما تضمن مجموع خبر يوسف و غير ذلك. و (القرآن) كلام فى أعلا طبقة البلاغة، و وجه بلاغة القرآن كونه فى نهاية التلاؤم المنافى للتنافر فى تأليف اللفظ و المعنى: مع تشاكل المقاطع فى الفواصل بما يقتضيه المعنى و مع تصريف القول على احسن ما تصرف به المعنى.

و العقل مجموعة علوم يتمكن معها من الاستدلال بالشاهدين على الغائب، و يفصل به بين الحسن و القبيح. ثم يجرى على كل ما

يعقله الإنسان فى نفسه من المعانى.

و فى الآيهٔ دليل على ان كلام اللَّه محدث، لأنه وصفه بالانزال و بأنه عربى، و لا يوصف بذلك القديم.

و فيه دلالـهٔ على أن القرآن غير اللَّه، لأنه وصـفه بأنه عربى، و من يزعم أن اللَّه عربى، فقد كفر، و ما كان غير اللَّه فهو محدث. بيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۳

و الهاء فى قوله «إِنَّا أَنْزَلْناهُ» كنايـهٔ عن الكتاب الـذى تقدم ذكره. قال الزجاج: و يجوز ان يكون المعنى إنا أنزلنا خبر يوسف، و قصـته، لأن علماء اليهود، قالوا لكبراء المشـركين: سلوا محمداً صلّى اللَّه عليه و سلم لم انتقل يعقوب من الشام الى مصر، و عن قصهٔ يوسف، فانزل اللَّه الآيهٔ و دليله قوله «لَقَدْ كانَ فِى يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ».

قوله تعالى:[سورة يوسف (١٢): آية ٣] ..... ص : ٩٣

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ (٣)

آيهٔ بلا خلاف.

أخبر اللَّه انه يقص على نبيه احسن القصـص، و (القصص) يتعدى بحرف الجر فى عليك لان معناه يتلو بعض الحديث بعضاً، و لو قال: نخبرك، لتعـدى بنفسه و قوله «أَحْسَنَ الْقَصَصِ» يـدل على ان الحسن يتفاضـل و يتعـاظم، لأن لفظ أفعل حقيقتها ذلك، و انما يتعاظم بكثرة استحقاق المدح عليه.

و قوله «بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هـذَا الْقُرْآنَ» دخلت البـاء فى بمـا أوحينا، لتبيين أن القصـص يكون قرآناً و غير قرآن، و القصـص- هاهنا- بـالوحى: القرآن كـأنه قـال أوحينا اليك هـذا القرآن، و نصب القرآن بإيقاع الوحى عليه، و كان يجوز فيه الجر على البـدل من (ما) و الرفع على ان يكون جواب (ما) (هذا) فى قول الزجاج، و لم يقرأ بغير النصب.

و قوله «وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ» بمعنى كنت يا محمـد صلّى اللَّه عليه و سـلم قبل وحينا اليك غافلًا عن الأحكام التى ذكرناها فى القرآن حـتى أتينـاك بهـا، و دللنـاك عليهـا، و لم تكن تهتـدى اليهـا. و قيـل معنـاه من الغـافلين عن قصهٔ يوسـف و أخوته، حتى أخبرناك بها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۴

قوله تعالى:[سورة يوسف (١٢): آية ۴] ..... ص : ٩۴

إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ (۴)

آيهٔ بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و ابو جعفر «يا أبت» بفتح التاء فى جميع القرآن. الباقون بكسر التاء، و ابن كثير يقف بالهاء. الباقون يقفون بالتاء، و قرأ ابو جعفر أحد عشر و تسعهٔ عشر بسكون العين فيها. الباقون بفتحها.

العامـل فى (إذ) أحـد أمرين: أحـدهما- اذكر «إِذْ قالَ يُوسُفُ». و الثانى- نقص عليك «إذ قال»، فى قول الزجاج، و لا يكون على هـذا الوجه ظرفاً للقصص فى معنى نذكره، و يجوز فى «يا أبت» ثلاثهٔ أوجه من الاعراب:

أحدهما- الكسر على حذف ياء الاضافهٔ.

الثانى- (يا أبت) بفتح التاء على حذف الألف المنقلبهٔ عن ياء الاضافهٔ، كأنه أراد يا أبتا، فحذف الالف كما تحذف الياء، فتبقى الفتحهٔ دالهٔ على الالف، كما ان الكسرهٔ دالهٔ على الياء، قال رؤبهٔ:

يا أَبتا علّك أو عساكا «۱»

فلما كثرت هذه الكلمة فى كلامهم ألزموه القلب، قال ابو على الفارسى:

و يحتمل ان يكون مثل يا طلحة اقبل، و وجهه ان الأسماء التى فيها تاء التأنيث أَكثر ما ينادى مرخماً، فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة فى الترخيم و ترك الامر يجرى على ما كان يجرى عليه فى الترخيم من الفتح، فلم يعتد بالهاء، و اقحامها كما قالوا: و أجمعت اليمامة يريدون أهل اليمامة، قالوا: أجمعت أهل اليمامة، فلم يعتدوا برد اهل.

---

(۱) تفسير القرطبى ۹: ۱۱۹ و صدره:

تقول بنتى قد انى اناكا

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۵

الثالث- يا أَبة بضم الهاء فى قول الفراء و لم يجره الزجاج، قال: لأن التاء عوض من ياء الاضافة. قال الرمانى هذا جائز لأن العوض لا يمنع من الحذف، و الوقف يجوز على التاء، لان الاضافة مقدّرة بعدها، و ان قدر على حذف الالف لم يجز الوقف، الا بالتاء و ان قدر على الاقحام جاز الوقف كقول النابغة:

كلينى لهم يا أميمة ناصب و ليل اقاسيه بطىء الكواكب «۱»

و انما دخلت الهاء فى (يا أَبت) للعوض من ياء الاضافة إذ يكثر فى النداء، مع لزوم معنى الاضافة، فكان أحق بالعلامة لهذه العلة. و قال أبو على: إنما وقف ابن كثير بالهاء، فقال يا أَبة، لأن التاء التى للتأنيث تبدل منها الهاء فى الوقف، و لم يجز على تقدير الاضافة، لأنه إذا وقف عليها سكنت للوقف و إذا سكنت كانت بمنزلة ما لا يراد به الاضافة فأبدل منها الهاء كما إذا قال يا طلحة أَقبل بفتح التاء، و إذا وقف عليها أَبدل الهاء ياء.

و إنما- أعاد ذكر «رأيتهم» لامرين: أحدهما- للتوكيد حيث طال الكلام.

الثانى- ليدل انه رآهم و رأى سجودهم، و فى معنى سجودهم قولان:

أحدهما- هو السجود المعروف على الحقيقة تكرمة له لا عبادة له.

الثانى- الخضوع- فى قول أبى على- كما قال الشاعر:

ترى الا كم فيه سجدا للحوافر «۲»

و هو ترك للظاهر، و قال الحسن: الأحد عشر اخوته، و الشمس و القمر أبواه، و انما قال ساجدين بالياء و النون، و هو جمع ما لا يعقل، لأنه لما وصفها بفعل ما يعقل من السجود أجرى عليها صفات ما يعقل، كما قال «يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ» «۳» لما أمروا امر من يعقل.

---

(۱) مر تخريجه فى ۵: ۳۶۸.

(۲) مر هذا الشعر فى ۱: ۱۴۸، ۲۶۳، ۳۱۱، ۴: ۲۳۳، ۳۸۳.

(۳) سورة النمل آية ۱۸. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۶

و (كوكباً) منصوب على التمييز و (أَحد عشر) الاسمان جعلا اسماً واحداً، و كذلك الى تسعة عشر، و اللغة الجيدة عند البصريين فتح العين، و حكى سكون العين، و حكى الزجاج احدى عشر و هى لغة ردية.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵] ..... ص : ۹۶

قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۵)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى الا- أبا الحارث و قتيبة، و العبسى، و ابن اليزيدى بامالة «رؤياك» و الرؤيا فى جميع القرآن، و روى ابو الحارث فتح «رؤياك» و امالة الباقى. و قرأ قتيبة امالة «الرؤيا» و نصب «رؤياك».

و قرأ خلف فى اختياره بامالة ما فيه ألف و لام. الباقون بالتفخيم.

و خفف الهمزة فى جميع ذلك أَبو جعفر، و ورش، و السمونى، و شجاع و الترمذى فى الإدراج، إلا ان أبا جعفر يدغم الواو فى الياء فتصير ياء مشددة، قال ابو على النحوى (الرؤيا) مصدر كالبشرى و السقيا و البقيا و الشورى إلا انه لما صار اسماً لهذا التخيل فى المنام جرى مجرى الأسماء، كما أن (درّ) لما كثر فى كلامهم فى قولهم للّه درك جرى مجرى الأسماء، و خرج من حكم الاعمال: فلا يعمل واحد منهما اعمال المصدر، و مما يقوى خروجه عن أحكام المصادر تكسيرهم لها (درى) فصادر بمنزلة (ظلم) و المصادر فى الأكثر لا تكسر، و الرؤيا على تحقيق الهمزة، فان حذفت قلبتها فى اللفظ واواً و لم يدغم الواو فى الياء، لان الواو فى تقدير الهمزة فهى لذلك غير لازمة، فلا يقع الاعتداد بها فلم تدغم، و قد كسر اوّلها قوم فقالوا (ريا) فهؤلاء قلبوا الواو قلباً لا على وجه التخفيف، و من ثم كسروا الفاء، كما كسروا من قولهم: قرن لوى و قرون لى. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۷

فى هذه الآية حكاية ما أجاب به يعقوب يوسف حين قصَّ عليه رؤياه و منامه، فقال له «يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ» أى لا تخبرهم بها فإنك إن أخبرتهم بذلك حسدوك و كادوك و احتالوا عليك، و انما قال ذلك لعلمه بأن تأويل الرؤيا أنهم يخضعون له.

و قوله «يا بنى» فيه ثلاث يا آت، الياء الاصلية، و ياء الاضافة، و ياء التصغير.

و حذفت ياء الاضافة اجتزاء بالكسرة و أدغمت احدى الياءين فى الاخرى. و فتح الياء و كسرها لغتان. و انما صغر (بنى) مع عظم منزلته، لأنه قصد بذلك صغر السن، و لم يقصد به تصغير الذم.

و الرؤيا تصور المعنى فى المنام على توهم الأبصار، و ذلك أن العقل مغمور بالنوم، فإذا تصور الإنسان المعنى توهم أنه يراه.

و الأخ المساوى فى الولادة من أب او أم أو منهما، و يجمع أخوة و آخاء. و الكيد طلب الغيظ بأذى الطالب لغيره كاده يكيد كيداً، فهو كائد.

و قوله «إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ» اخبار منه تعالى بأن الشيطان معاد للإنسان، و يلقى العداوة بينهم، و اللام فى قوله (لك كيداً) لام التعدية، كما يقال قدمت له طعاماً، و قدمت اليه طعاماً. و قال قوم: هو مثل قولهم شكرته و شكرت له، لأنه يقال كاده يكيده، و كاد له.

و حكى الكسائى أن قوماً يقولون: (الرّيا) بكسر الراء و تشديد الياء فيقلبون الهمزة واواً و يدغمون الواو فى الياء. و (رؤياً) فيها أربع لغات بضم الراء مع الهمزة و بالواو بلا همزة. و قد قرئ بهما، و بضم الراء و الإدغام. و بكسر الراء، و لا يقرأ بهاتين.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶] ..... ص : ۹۷

وَ كَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلى آلِ يَعْقُوبَ كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۸

آية بلا خلاف.

هذه حكاية ما قال يعقوب لابنه يوسف (ع) و قوله له ان اللّه يجتبيك، و يختارك، و يصطفيك و يكرمك بذلك، كما أكرمك بأن

أراك فى منامك هـذه الرؤيا، فوجه التشبيه و هو إعطاء الرؤيا بإعطاء الاجتباء مع ما انضاف اليه من الصـفات الكريمـة المحمودة التى ذكرهـا. و الاجتباء إختيار معالى الأمور للمجتبى مثل ما اختاره اللّه تعالى ليوسف من الخصال الكريمـة و الأمور السـنية، و قال الحسن: اجتباه اللّه بالنبوّة، و بشره بذلك. و أصله من جبيت الشيء إذا أخلصته لنفسك، و منه جبيت الماء فى الحوض.

و موضع الكاف من و (كذلك) نصب، و المعنى مثل ما رأيت تأويله يجتبيك ربك.

«وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ» معناه أنه تعالى يعرفك عبارة الرؤيا- فى قول قتادة، و مجاهد- و ذلك تأويل أحاديث الناس عما يرونه فى منامهم، و قيل كان أعبر الناس للرؤيا، ذكره ابن زيد. و قال الزجاج، و الجبائى: معناه يعلمك تأويل الأحاديث فى آيات اللّه تعالى و دلائله على توحيده، و غير ذلك من أمور دينه. و التأويل فى الأصل هو المنتهى الذى يؤل اليه المعنى. و تأويل الحديث فقهه الذى هو حكمه، لأنه اظهار ما يؤل اليه أمره مما يعتمد عليه و فائدته.

و قوله «وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ» فاتمام النعمة هو أن يحكم بدوامها على إخلاصها من شائب بها فهذه النعمة التامة بخلوصها مما ينغصها، و لا تطلب الا من اللّه تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه. و قوله «كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ» اخبار من يعقوب ليوسف أن اللّه تعالى يديم عليه هـذه النعمـة، كما أدامها على أبويه قبله: إبراهيم و إسحاق، و اصطفائه إياهما و جعله لهما نبيين رسولين الى خلقه التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۹۹

ثم أخبر مع ذلك أن اللّه تعالى عليم بمن يصلح أن يجتبى، حكيم فى اجتبائه من يجتبيه واضع للشيء فى موضعه، و فى غير ذلك من أفعاله. قال الفراء: قوله «وَ كَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ» جواب لقوله إنى رأيت أحد عشر كوكبا، فقيل له، و هكذا يجتبيك ربك (فكذلك، و هكذا) سواء فى المعنى، و قال ابن إسحاق إنما قص اللّه تعالى قصة يوسف على محمد (صلّى اللّه عليه و سلم) ليعلمه أنه بغى عليه أخوته و حسدوه، فيسليه بذلك من بغى قومه عليه و حسدهم إياه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷] ..... ص : ۹۹

لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ (۷)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وحده «آية للسائلين» على التوحيد الباقون «آيات» على الجمع. قال أبو على النحوى من أفرد جعل شأنه كله آية. و يقوى ذلك قوله «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» «۱»، فأفرد، و كل واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال آية، فأفرد مع ذلك، و من جمع جعل كل واحد من أحواله آية، و من جمع على ذلك على أن المفرد المنكر فى الإيجاب يقع دالا على الكثرة كما يكون ذلك فى غير الإيجاب قال الشاعر:

فقتلا بتقتيل و ضرباً بضربكم جزاء العطاش لا ينام من الثار «۲»

اللام فى قوله «لقد» هى اللام التى يتلقى بها القسم. أقسم اللّه تعالى فى هذه الآية أنه كان فى يوسف و فى اخوته آيات. و الآية الدلالة على ما كان من الأمور العظيمة.

و الآية و العلامة و العبرة نظائر فى اللغة. و قال الرمّانى: الفرق بين الآية و الحجة:

أن الحجة معتمد البينة التى توجب الثقة بصحة المعنى. و الآية تكشف عن المعنى

---

(۱) سورة المؤمنون آية ۵۱

(۲) مجمع البيان ۳: ۲۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۰۰

الذى فيه أعجوبة. و وجه الآية فى يوسف و اخوته أنهم نالوه للحسد بالأذى مع أنهم أولاد الأنبياء: يعقوب و إسحاق و ابراهيم، فصفح و عفا، و أحسن و رجع الى الأولى، و كان ذلك خروجا عن العادات.

و قال الزجاج: معناه بصيرة للذين سألوا النبى صلّى اللّه عليه و سلم فانبأهم بقصة يوسف- و هو صلّى اللّه عليه و سلم لم يقرأ كتاباً، و لم يعلمه إلا من جهة الوحى- جوابا لهم حين سألوه.

و فى يوسف لغتان ضم السين و كسرها، و كذلك يونس بضم النون، و كسرها، و القراء على الضم فيهما، و حكى قطرب فتح النون فى يونس و هى شاذة.

قوله تعالى:[سورة يوسف (١٢): آية ٨] ..... ص : ١٠٠

إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ (٨)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و الكسائى «مبين اقتلوا» بضم التنوين. الباقون بكسره قال أبو على: من ضم التنوين اتبع حركة التنوين ضمة الهمزة بعده، لان تحريكه ملزم لالتقاء الساكنين، كما قالوا مذ به و فى ظلمات فاتبعوا الضمة و كذلك «مُبِينٍ اقْتُلُوا» «وَ قالَتِ اخْرُجْ»، و من كسر لم يتبع، و كسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين فى الامر الأكثر.

و العامل فى (إذا) اذكر، و تقديره اذكر إذ قالوا ليوسف. و يحتمل أن يكون العامل فيه ما فى الآية الاولى من قوله «لَقَدْ كانَ فِی يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ. إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ».

و فى الآية اخبار عما قالت أخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف و تأويل يعقوب إياه. و قولهم: ان يوسف و أخاه لأبيه و أمه، و هو ابن يامين «أَحَبُّ إِلى أَبِينا» يعقوب «منا» مع انا عصبة أى جماعة، و الحب ضد البغض، و الحب التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ١٠١

- بفتح الحاء- سمى به، لأنه مما يحب، و الحب- بكسر الحاء- المفرط لما فيه من الحب، و الأحباب ان يبرك البعير فلا يثور، لأنه يحب البروك و المحبة، على ضربين:

أحدهما- المحبة التى هى ميل الطباع.

و الثانى- ارادة المنافع.

و الفرق بين المحبة و الشهوة أن الإنسان يحب الولد، و لا يشتهيه بأن يميل طبعه اليه و يرق عليه و يريد له الخير. و الشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة.

و العصبة الجماعة التى يتعصب بعضها لبعض، و قولهم «وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ» أى جماعة يعين بعضها البعض، و كانوا عشرة. و العصبة يقع على الجماعة من عشرة إلى خمسة عشر، و لا واحد له من لفظه، كالرهط و القوم و النفر.

و قوله «إِنَّ أَبانا لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ» معناه الاخبار عن قولهم ان أبانا فى ذهاب عن طريق الحق و الصواب الذى فيه التعديل بيننا فى المحبة. و قيل: انهم أرادوا انه غلط فى تدبير أمر الدنيا إذ كانوا انفع له من يوسف و أخيه من أمه و أبيه إذ كانوا يقومون بأمواله و مواشيه، و لم يريدوا الضلال فى الدين، لأنهم لو أرادوا ذلك، لكانوا كفاراً، و ذلك خلاف الإجماع.

و اكثر المفسرين على ان اخوة يوسف كانوا أنبياء، و قال قوم: لم يكونوا كذلك، و هو مذهبنا، لأن الأنبياء لا يجوز ان تقع منهم القبائح، و خاصة ما فعلوه مع أخيهم يوسف من طرحه فى الجب، و بيعهم إياه بالثمن البخس، و ادخالهم الغم به على أبيهم يعقوب، و كل ذلك يبين أنهم لم يكونوا أنبياء. و قال البلخى:

ذهب قوم الى أنهم لم يكونوا فى تلك الحال بلغوا الحلم، و قد يقع مثل ذلك ممن قارب البلوغ، و ان لم يبلغ، و يعاتب عليه و يذم، و

يضرب على فعله.

و من قال: كانوا بالغين غير انهم لم يكونوا أنبياء استدل على بلوغهم بقوله «وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ»، و قولهم «يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» و قال الأنبياء الأسباط من بنى يعقوب غير هؤلاء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۰۲

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹] ..... ص : ۱۰۲

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ (۹)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن اخوة يوسف انهم قال بعضهم لبعض «اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ، وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ» و معناه اطرحوه فى أرض تأكله السباع او يهلك بغير ذلك من الأمور. و قيل: معناه اطرحوه فى أرض يبعد عن أبيه، و لا يقدر عليه.

و قوله «يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ» جواب الأمر فى قوله «اقْتُلُوا يُوسُفَ» و لا يجوز فيه غير الجزم، لأنه ليس فيه ضمير، و المعنى انكم متى قتلتموه او طرحتموه فى أرض اخرى خلالكم أبوكم و حن عليكم «وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ» معناه إنكم إذا فعلتم ذلك و بلغتم أغراضكم تبتم مما فعلتموه، و كنتم من جملة الصالحين الذين يفعلون الخيرات، فيكفر عنكم عقاب ما فعلتموه. و قال الحسن: معناه تكونوا قوماً صالحين فى أمر دنياكم، و لم يريدوا أمر الدين.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰] ..... ص : ۱۰۲

قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (۱۰)

آية بلا خلاف.

قرأ نافع و ابو جعفر «غيابات» على الجمع. الباقون «غيابة» على التوحيد، و قرأ الحسن تلتقطه بالتاء، كما قالوا ذهبت بعض أصابعه، قال ابو على: وجه قول من أفرد، أن الجب لا يخلوا ان يكون له غيابة واحدة او غيابات، فغيابة المفرد يجوز ان يعنى به الجمع، كما يعنى به الواحد، و وجه قول من جمع: انه يجوز ان يكون له غيابة واحدة، فجعل كل جزء منه غيابة، فجمع على ذلك، كقولهم التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۰۳

شابت مفارقة، و يجوز ان يكون عنده للجب غيابات، فجمع على ذلك.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن واحد من جملة القوم أنه قال على وجه المشورة عليهم «لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ» و لكن اطرحوه فى جب عميق قليل الماء. و قيل إنه كان اسم القائل لذلك (روبيل) و كان ابن خالة يوسف- فى قول قتادة و ابن إسحاق- و قال الزجاج: كان يهوذا، و الغيابة الموضع الذى يغيب فيه صاحبه و غيابة البئر شبه الجاف او طاف فوق الماء وضعوه فيها. و كلما غيب شيء عن الحس بكونه، فهو غيابة. و قال الحسن يعنى فى قعر الجب قال المنخل:

فان انا يوم غيبتنى غيابتى فسيروا بسيرى فى العشيرة و الأهل «۱»

و الجب البئر التى لم تطوَ، لأنه قطع عنها ترابها حتى طغى الماء من غير طى، و منه المحبوب قال الأعشى:

لئن كنت فى جب ثمانين قامة و رقّيت أسباب السماء بسلم «۲»

و (السيارة) الجماعة المسافرون، لأنهم يسيرون فى البلاد. و قيل: هم مارة الطريق. و (الالتقاط) تناول الشيء من الطريق، و منه اللقطة و اللقيطة.

و قيل: انهم أشاروا عليه بأن يقعد فى دلو المدلى إذا استسقى ليخرجه من البئر ففعل. و معنى التقاطه أن يجدوه من غير ان يحسبوه، يقال وردت الماء التقاطاً إذا وردته من غير ان تحسبه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۱] ..... ص : ۱۰۳

قالُوا يا أَبانا ما لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ (۱۱)

آية بلا خلاف.

---

(۱) الشاعر هو المنخل بن نسيع العنبرى. تفسير القرطبى ۹/ ۱۳۲ و التاج (غيب) و مجاز القرآن ۱/ ۳۰۲.

(۲) ديوان (دار بيروت) ۱۸۲ و الصبح المنير ۸۴ و مجاز القرآن ۱/ ۳۰۲ و تفسير القرطبى ۹/ ۱۳۲ و الكتاب لسيبويه ۱/ ۲۳۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۰۴

كلهم قرأ «تأمنا» بفتح الميم و ادغام النون الأولى فى الثانية، و الاشارة الى اعراب النون المدغمة بالضم اتفاقاً، قال ابو على وجه ذلك ان الحرف المدغم بمنزلة الموقوف عليه من حيث جمعهما السكون، فمن حيث اشموا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً فى الإدراج اشموا النون المدغمة فى (تأمنا) و ليس ذلك بصوت خارج الى اللفظ، و انما هى هيئة العضو لإخراج ذلك الصوت به ليعلم بذلك أنه يريد ذلك المتهيأ له.

حكى اللَّه تعالى عن أخوة يوسف لما تآمروا على ما يفعلونه بيوسف أنهم، قالوا لأبيهم لم «لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ» قال الزجاج: يجوز فى (تأمنا) أربعة أوجه:

تأمننا بالإظهار و رفع النون الأولى، لان النونين من كلمة، و «تأمنا» بالإدغام و هى قراءة القراء لالتقاء المثلين، و (تأمنا) بالإدغام و الإشمام، و هو الذى حكاه ابن مجاهد عن الفراء، للاشعار بالضمة، و (تئمنا) بكسر التاء و هى قراءة يحيى ابن و ثاب، لأن ماضيه فعل، كما قالوا تعلم و نعلم إلا ان القراءة بالإدغام و الإشمام.

و الأمن سكون النفس الى انتفاء الشرّ، و ضده الخوف، و هو انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر. و قوله «وَ إِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ» تمام الحكاية عنهم أنهم قالوا إنا ليوسف لناصحون مشفقون عليه. و النصح إخلاص العمل من فساد يتعمد، و نقيضه الغش. و النصح فى التوبة إخلاصها مما يفسدها. و ذلك واجب فيها و هى التوبة النصوح.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۲] ..... ص : ۱۰۴

أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۱۲)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمرو «نرتع و نلعب» بالنون فيهما. و كسر العين من «يرتع» من غير بلوغ الى الياء أهل الحجاز، إلا المالكى. و العطار عن الزبيبى اثبات (ياء) فى الوصل، و الوقف بعد العين. الباقون بسكون العين، و لم التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۰۵

يختلفوا فى سكون الباء من و يلعب، و قرأ نافع يرتع، و يلعب بالياء فيهما، و كسر العين. و قرأ أهل الكوفة بالياء فيهما، و جزم العين و الباء. قال ابو على: قراءة ابن كثير حسنة، لأنه جعل الارتعاء القيام على المال لمن بلغ و جاوز الصغر، و أسند اللعب الى يوسف لصغره، و لا لوم على الصغير فى اللعب، و لا ذم.

و الدليل على صغر يوسف قول أخوته «وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» و لو كان كبيراً ما احتاج الى حفظهم. و ايضاً قال يعقوب أخاف ان يأكله

الذئب، و لو لم يكن صغيراً ما خاف عليه، و انما يخاف الذئب على من لا دفاع فيه، و لا ممانعة له: من شيخ، فانٍ او صبى صغير قال الشاعر:

أصبحت لا أحمل السلاح و لا املك رأس البعير ان نفرا

و الذئب أخشاه ان مررت به وحدى و أخشى الرياح و المطرا «۱»

فأما اللعب فمما لا ينبغى ان ينسب الى اهل النسك و الصلاح، ألا ترى الى قوله: «أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ» «۲» فقوبل اللعب بالحق فدل على انه خلافه، و قال «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» «۳» و قال «وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً» فأما الارتعاء فهو افتعال من رعيت مثل سويت و استويت و كل واحد منهما متعد الى مفعول به، قال الشاعر:

ترتعى السفح فالكثيب فذا قا ر فروض القطا فذات الرّئال «۴»

و قال ابو عبيدة: و يجوز ان يقال نرتع و يراد ترتع إبلهم و وجه ذلك انه كان الأصل ترتع إبلنا ثم حذف المضاف و أسند الفعل الى المتكلمين، فصار نرتع و كذلك نرتعى على ترتعى إبلنا، ثم يحذف المضاف فيكون نرتعى. و قال أبو عبيدة: نرتع نلهو، و قد تكون هذه الكلمة على غير معنى النيل من الشيء كقولهم فى المثل العبد و الرتعة، فكان على هذا النيل و التناول مما يحتاج اليه الحيوان.

---

(۱) قائله الربيع بن ضبيع الفزارى. سيبويه ۱: ۴۶ و مجمع البيان ۳: ۲۱۴.

(۲) سورة الأنبياء آية ۵۵،

(۳) سورة التوبة ۹ آية ۶۵

(۴) قائله الأعشى، ديوان: ۱۶۳ و اللسان (سفح)، (رأَل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۰۶

و اما قراءة أبى عمرو، و ابن عامر، فعلى أن معناه نرتع إبلنا، او على اننا ننال ما نحتاج اليه و معناه ننال. فأما قوله «و نلعب» فحكى ان أبا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب، و هم أنبياء؟ فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء، فعلى هذا سقط الاعتراض و لا يجوز ان يكون المراد به مثل ما قال الشاعر:

حدَّت حداد تلاعب و تقشعت غمرات قالت ليسه حيران «۱»

فكان اللعب هاهنا الذى لم يتشمّر فى أمره، فدخله بعض الهوينا، فهذا أسهل من الوجه الذى قوبل بالحق،

و قد روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم انه قال لجابر: (فهلّا بكراً تلاعبها و تلاعبك)

و انما أراد بذلك التشاغل بالمباح و العمل بما يتقوى به على العبادة و الطاعة. و قد روى عن بعض السلف انه كان إذا اكثر النظر فى مسائل الفقه قال احمضونا، و

قد روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم انه قال ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فان المبتت لا أرضاً قطع و لا ظهراً أبقى. فليس هذا اللعب من الذين «قال إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» فى شيء.

و من قرأ بالياء فإن كان يرتع من اللهو، كما فسّره ابو عبيدة، فلا يمتنع ان يخبر به عن يوسف لصغره، كما لا يمتنع ان ينسب اليه اللعب كذلك إن كان «يرتع» من النيل من الشيء، فلذلك ايضاً لا يمتنع عليه ايضاً، فوجهها بيّن، و هو أبين من قول من قال «و نلعب» بالنون، لأنهم سألوا إرساله ليتنفس بلعبه، و لم يسألوا إرساله ليلعبوهم.

و الرتع الاتساع فى البلاد بالذهاب فى جهاتها من اليمين و الشمال، فلان يرتع فى المال و غيره من ضروب الملاذ، و اصل الرتعة التصرف فى الشهوات رتع فلان فى ماله إذا أنفق فى شهواته قال القطامى:

أ كفراً بعد رد الموت عنى و بعد عطائك المائة الرّتاعا «۲»

(۱) مجمع البيان ۳: ۲۱۴ و روايته:

جدت جداد بلاعب و تقشعت عمرات قالت ليسه حيران

(۲) مر فى ۱/ ۲۶ و تفسير الطبرى (دار المعارف) ۱۵: ۵۶۹، و الطبعة الاولى ۱۲/ ۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۰۷

و قال مجاهد معنى «نرتع» يحفظ بعضنا بعضاً من الرعاية. و اللعب يحتمل ما يستهجن و يسترذل لطلب الفرح من غير مراعاة شىء من الحِلْم كفعل الصبى إذا قصد هذا القصد.

أخبر اللَّه تعالى عن اخوة يوسف انهم قالوا لأبيهم أرسل يوسف معنا ينال الملاذ و يتفرَّح، و نحن حافظون له و مراعون لأحواله فلا تخشى عليه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۳] ..... ص : ۱۰۷

قالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ (۱۳)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى و خلف فى اختياره، و ابو جعفر و ورش و الأعشى و اليزيدى فى الإدراج إلا سجادة، و مدين من طريق عبد السلام «الذّيب» بتخفيف الهمزة فى المواضع الثلاثة. الباقون الهمزة. و الهمز و ترك الهمز لغتان مشهورتان قال ابو على: و الأصل فيه الهمزة، فان خفف جاز، و ان وقع فى مكان الردف قلب قلباً كما قال الشاعر:

كأن مكان الردف منه على رال «۱»

فقلب الهمزة الفاً.

أخبر اللَّه تعالى حكاية عن يعقوب انه قال حين طلب اخوة يوسف إنفاذ يوسف معهم، و احتيالهم فى ذلك. و اشفق من ذلك، قال «إِنِّي لَيَحْزُنُنِي» اى يؤلم قلبى. يقال حزّنتك و أحزنتك لغتان، و الحزن ألم القلب بفراق المحب و يعظم إذا كان فراقه الى ما يبغض «أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ» اى ليحزننى اذهابكم به، و الذهاب

(۱) قائله امرؤ القيس، ديوانه: ۱۶۵ و امالى الشريف المرتضى ۱: ۲۲۹ و صدره:

و صم صلاب ما يقين من الوجى

و هو يصف حوافر الفرس بأنها (صم) اى صلبة (لا يقين) ليس فيها تجويف (من الوجى) و هو الخفاء. و (مكان الردف) الموضع الذى يردف عليه الراكب. و (الرال) فرخ الغزال.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۰۸

و المرور و الانطلاق نظائر و بيّن انه يخاف عليه الذئب ان يأكله لان الذئاب كانت ضارية فى ذلك الوقت. و الذئب سبع معروف، و اشتقاقه من تذاءب الريح إذا جاءت من كل جهة، فالذئب يختل بالحيلة من كل وجه.

و قوله «وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ» جملة فى موضع الحال و تقديره أخاف ان يأكله الذئب فى حال كونكم ساهين عنه، و الخوف و الفزع و القلق نظائر و نقيضه الأمن.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۴] ..... ص : ۱۰۸

قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ (۱۴)

آيهٔ بلا خلاف.

لما قال لهم يعقوب ما ذكره فى الآيـهٔ الاولى، قالوا فى الجواب عن ذلك لئن اكله الـذئب و نحن جماعـهٔ متعاضـدون متناصـرون نرى الـذئب قـد قصـده، فلاـ نمنع عنه «إِنَّا إِذاً لَخاسِـرُونَ» أى بمنزلـهٔ الخاسـر الـذى ذهب رأس ماله على رغم منه، و الخسـران ذهاب رأس المال، و الربح زيادهٔ على رأس المال. و اللام فى قوله «لئن» هى التى يتلقى بها القسم، فكأنهم أقسـموا على ما قالوه. و أعظم الخسـران ما يذهب بالثواب، و يؤدى الى العقاب، فلذلك أقسموا عليه، و قال المؤرج: معناه إنا اذاً لمضيّعون بلغهٔ قيس عيلان.

قوله تعالى:[سورهٔ يوسف (۱۲): آيهٔ ۱۵] ..... ص : ۱۰۸

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۵)

آيهٔ بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۰۹

حكى اللَّه تعالى انه لما أذن يعقوب ليوسف فى المضـى معهم، و ذهبوا به «وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ» اى عزموا على فعل ذلك، و لا يقال:

أجمع الاـ إذا قويت الـدواعى الى الفعـل من غير صـارف و أمـا من دعـاه داع واحـد، فلاـ يقال فيه أنه أَجمع، فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعى، و يجوز ان يكون المراد انهم اتفقوا على إلقائه فى غيابهٔ الجب، و الجعل و التصيير و العمل نظائر فى اللغهٔ.

و الغيابهٔ البقعهٔ التى يغيب فيها الشـىء عن الحس. و قيل طلبوا بئراً قليلهٔ الماء تغيبه و لا تغرقه. و قيل بل جعلوه فى جانب جبها، و سـمّى البئر التى لم تطو جباً لأنه جبّ ترابها عنها فقط، كأنه ليس فيها إلا قطع التراب. و جواب (لمّا) محذوف و تقديره عظمت فتنتهم أو كبر ما قصدوا له. و قال قوم: الواو فى و أجمعوا مقحمهٔ. و المعنى أجمعوا أن يجعلوه و هو مذهب الكوفيين، و أنشدوا قول امرئ القيس:

فلمّا أجزنا ساحهٔ الحىّ و انتحى بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل «۱»

يريد، فلما أجزنا ساحهٔ الحى انتحى، و قال آخر:

حتى إذا قملت بطونكم و رأيتم أبناءكم شبّوا

و قلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخبُّ»

يريد قلبتم، فادخل الواو. و البصـريون لا يجيزونه. و قوله «وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ» يعنى إلى يوسف، قال الحسن أَعطاه اللَّه النبوهٔ، و هو فى الجب «لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هـذا» معنـاه سـتخبرهم بـذلك فى المسـتقبل و «هُمْ لا يَشْـعُرُونَ» قال ابن عباس و الحسن و ابن جريـج لا يشـعرن بأنه يوسف. و قال مجاهد و قتادهٔ: لا يشعرون بأنه اوحى اليه.

و الشعور ادراك الشىء بمثل الشعرهٔ فى الدقهٔ، و منه المشاعر فى البدن. و قال

---

(۱) ديوانه: ۱۴۹ من معلقته الشـهيرهٔ و تفسير الطبرى ۱۵: ۵۷۵ و فى المعلقات العشـر (حقاف) بـدل (قفاف) و قال و روى (حقف ذى ركام).

(۲) انظر ۳: ۱۹ تعليقهٔ ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۱۰

قوم: معنى قوله «لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ» لتجازينهم على فعلهم، تقول العرب للرجل: تتوعده بمجازاهٔ سوء فعله: لأنبئنك، و لأعرفنك، يعنى لأجازينك.

قوله تعالى:[سورهٔ يوسف (۱۲): الآيات ۱۶ الى ۱۷] ..... ص : ۱۱۰

وَ جاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ (۱۶) قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنَّا صادِقِينَ (۱۷)

آيتان بلا خلاف.

فى الكلام حذف، لان التقدير إنهم أجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب، و فعلوا ذلک، فلما فعلوه جاؤوا حينئذ «أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ» و المجيء و المصير الى الشيء واحد، و قد يكون المصير بالانقلاب، كمصير الطين خزفاً، و قد يكون بمعنى الانتقال. و العشاء آخر النهار. و نصبه لأنه من ظروف الزمان. و منه اشتق (الأعشى) لأنه يستضيء ببصر ضعيف. و البكاء جريان الدمع من العين عند حال الحزن، فكانوا يعلمون أن أباهم يحزن لما جاءوا من خبر يوسف، فبكوا مع بكائه عليه، و فى حال خبره لما تصوروا تلک الحال. و قيل: إنهم أظهروا البكاء ليوهموا أنهم صادقون فيما قالوه.

و قوله «إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الزجاج: ذهبنا نتنصل مشتق من السباق فى الرمي. و قال الجبائى: نستبق فى العدو لنعلم أينا أسرع عدواً «وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا» يعنى تركناه عند الرحل ليحفظه.

و قوله «وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا» أى لست بمصدق لنا «وَ لَوْ كُنَّا صادِقِينَ» و جواب (لو) محذوف، و تقديره: و لو كنا صادقين ما صدقتنا، لاتهامک لنا فى أمر يوسف، و دل الكلام عليه. و لم يصفوه بأنه لا يصدق الصادق، لان المعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۱۱

انه لا يصدقهم اتهاماً لهم لشدة محبته ليوسف يسيء الظن بهم، و لا تسكن نفسه الى خبرهم.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۸] ..... ص : ۱۱۱

وَ جاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ (۱۸)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن أخوة يوسف انهم جاءوا أباهم، و معهم قميص يوسف ملطخ بدم. و قالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب. و قال ابن عباس و مجاهد كان دم سخلة، قال الحسن: لما رأى يعقوب القميص صحيحاً، قال: يا بنى و اللَّه ما عهدت الذئب عليماً.

قال عامر الشعبى: كان فى قميص يوسف ثلاث آيات:

أحدها- حين ألقى على وجه أبيه، فارتد بصيراً، و حين قدّمن دبر، و حين جاءوا على قميصه بدم كذب. و معنى (كذب) مكذوب فيه، كما قيل الليلة الهلال فيرفع، و كما قال «فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ» «۱» أى ما ربحوا فى تجارتهم إلا انه وصف فى المصدر، و تقديره بدم ذى كذب، لكن إذا بولغ فى الصفة اجرى على هذه الصفة، و قال الفراء يجوز ان يكون المصدر وقع موقع مفعول، كما يقع مفعول موقع المصدر فى مثل قول الراعى القطامى:

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً و لا لفؤاده معقولا «۲»

---

(۱) سورة البقرة آية ۱۶. [.....]

(۲) تفسير الطبرى ۱۵: ۵۸۳، و جمهرة اشعار العرب: ۱۷۵ و مجاز القرآن ۱: ۳۰۳ و امالى الشريف المرتضى ۱: ۱۰۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۱۲

و لا يجيزه سيبويه، و يقول مفعول لا يكون مصدراً، و يتأول قولهم: خذ ميسوره، و دع معسوره أى خذ ما يسر و دع ما عسر عليه، و

كذلك: ليس لفؤاده معقولًا أى ما يعقل به.

و قوله «قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً» حكاية ما قال يعقوب لهم. و التسويل تزيين النفس ما ليس بحسن- فى قول قتادة- و قيل معناه تقرير معنى فى النفس على الطبع فى تمامه، و هو تقدير معنى فى النفس على توهم تمامه.

و قوله «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» فالصبر الجميل هو الصبر الذى لا شكوى فيه على ما يدعو إليه العقل، و يحتمل رفع الصبر أمرين: أحدهما- ان يكون خبر ابتداء و تقديره فأمرى صبر جميل. الثانى- ان يكون مبتدأ، و خبره محذوف، و تقديره فصبر جميل أولى من الجزع الذى لا ينبغى لى، قال الشاعر:

يشكوا الى جملى طول السرى صبر جميل فكلانا مبتلى «۱»

و لو نصب لجاز، و لكن الأحسن الرفع، لأنه موصوف. و قوله «وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ» حكاية ما قال يعقوب عند ذلك، بأن اللَّه تعالى هو الذى يطلب منه المعونة على ما ذكروه، و تقديره استعين باللَّه على احتمال ما تصفونه، و على الصبر كله.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۹] ..... ص : ۱۱۲

وَ جاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ فَأَدْلى دَلْوَهُ قالَ يا بُشْرى هذا غُلامٌ وَ أَسَرُّوهُ بِضاعَةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ (۱۹)

آية بلا خلاف.

---

(۱) امالى الشريف المرتضى ۱: ۱۰۷، و روايته:

شكا الى جملى طول السرى يا جملى ليس الى المشتكى

الدرهمان كلفان ما ترى صبر جميل فكلانا مبتلى

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۱۳

قرأ أهل الكوفة «يا بشرى» بغير الف. الباقون بالألف و الياء، و كان يجوز أن يقرأ بياء مشددة «بشرىّ» و هى لغة هذيل غير انه لم يقرأ به احد، قال أبو ذؤيب:

سبقوا هوىّ و اعنقوا لهواهم فتخرموا و لكل جنب مصرع «۱»

قال ابو على: من قرأ (يا بشراى) فاضافه الى الياء التى للمتكلم، كأن للألف التى هى حرف الاعراب موضعان من الاعراب:

أحدهما- ان تكون فى موضع نصب لأنه منادى مضاف.

و الآخر- ان تكون فى موضع كسر، لأنه بمنزلة حرف الاعراب فى غلامى.

و من قرأ «يا بشرى» احتمل وجهين:

أحدهما- ان يكون فى موضع ضم مثل يا رجل بالنداء لاختصاصه كاختصاص الرجل.

و الآخر- ان يكون فى موضع النصب لأنك اشعت النداء و لم تخص به، كما فعلت فى الوجه الاول كقوله «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ» «۲».

اخبر اللَّه تعالى أنه حين ألقى أخوة يوسف يوسف فى غيابة الجب جاءت سيارة، و هم جماعة مسافرون مارة فبعثوا واردهم، و هو الذى يصير الى الماء ليستقى منه «فَأَدْلى دَلْوَهُ» يعنى أرسل دلوه ليملأ، يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها لتملأ، و دلوتها إذا أخرجتها مملأة، و قيل انه لما أرسل الدلو تعلق بها يوسف، فقال المدلى «يا بشراى» هذا غلام، فى قول قتادة و السدى.

و قيل فى معنى (بشراى) قولان:

---

(۱) ديوانه ۱: ۲ و امالى الشريف المرتضى ۱: ۲۹۳ و رواية الامالى (لسبيلهم) بدله (لهواهم).

(۲) سورة يس آية ۳۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۱۴

أحدهما- انه بشر أصحابه بأنه وجد عبداً.

الثاني- قال السدى كان اسمه (بشرى) فناداه.

و قوله «وَ أَسَرُّوهُ بِضاعَةً» قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد و السدى أسره المدلى، و من معه من باقى التجار لئلا يسألوهم الشركة فيه.

الثاني- قال ابن عباس اسره اخوته يكتمون أنه أَخوهم و تابعهم على ذلك يوسف لئلا يقتلوه. و البضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء إذا قطعته، و منه المبضع، لأنه يبضع به العرق. و معنى «و أسروه» أنهم لما وجدوه أحبوا أن لا يعلم أنه موجود، و ان يوهموا أنه بضاعة دفعها اليهم أهل الماء، و نصب بضاعة على الحال.

و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ» اخبار منه تعالى بأنه عالم بأفعالهم، فيجازيهم على جميعها، و ان أسروا بها، و في ذلك غاية التهديد.

قوله تعالى:[سورة يوسف (١٢): آية ٢٠] ..... ص : ١١٤

وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن اخوة يوسف أنهم باعوا يوسف. يقال شريت أشرى إذا بعت. و منه قوله «وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» «۱» و قال يزيد ابن مفرغ الحميرى:

و شريت برداً ليتنى من بعد برد كنت هامه «۲»

---

(۱) سورة البقرة آية ۱۰۲

(۲) مر هذا البيت فى ۱: ۳۴۸، ۳: ۲۵۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۱۵

و قوله «بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ» أى بثمن ذى بخس أى ناقص. و قيل بثمن ذى ظلم، لأنه كان حرّاً، لا يحل بيعه، فالثمن هو بدل الشيء من العين أو الورق. و يقال فى غيرهما أيضاً مجازاً. و البخس النقص من الحق، يقال: بخسه فى الوزن او الكيل إذا نقصه من حقه فيهما. و معنى «معدودة» اى قليلة، لان الكثير قد يمنع من عدده لكثرته. و قيل: عدوها و لم يزنوها. و قيل: انهم كانوا لا يزنون الدراهم حتى تبلغ أوقية، و أوقيتهم أَربعون درهماً. و قال عبد اللَّه بن مسعود و ابن عباس و قتادة: إنها كانت عشرين درهماً. و عن أبى عبد اللَّه (ع) إنها كانت ثمانية عشر درهماً. و قال ابن عباس و مجاهد: ان الذين باعوه اخوته، و انهم كانوا حضوراً، فقالوا هذا عبد لنا ابق، فباعوه. و قال قتادة الذين باعوه السيارة.

و قوله «وَ كانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» يعنى الذين باعوه، زهدوا فيه، فلذلك باعوه بثمن بخس، و تقديره و كانوا زاهدين فيه من الزاهدين بجهلهم بما له عند اللَّه من المنزلة الرفيعة، و انما قدموا الظرف، لأنه أقوى فى حذف العامل من غيره، و لا يجوز قياساً على ذلك (و كانوا زيداً من الضاربين)

قوله تعالى:[سورة يوسف (١٢): آية ٢١] ..... ص : ١١٥

وَ قالَ الَّذِي اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْواهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ

الْأَحادِيثِ وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۲۱)

آيهٔ بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن من اشترى يوسف (ع) من بايعه من أَهل مصر أنه قال:

لامرأته حين حمله اليها «أَكْرِمِي مَثْواهُ» يعنى موضع مقامه، و انما أمرها بإكرام مثواه دون إكرامه فى نفسه، لان من أُكرم غيره لأجله كان أعظم منزلهٔ ممن يكرم فى نفسه فقط، و الإكرام إعطاء المراد على جههٔ الإعظام، و هو يتعاظم التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۱۶

فأعلاه منزلهٔ ما يستحق بالنبوهٔ، و أدناه ما يستحق لخصلهٔ من الطاعهٔ أَدناها كإماطهٔ الأذى من الطريق و غيره.

و قوله «عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً»، بين أَنه إِنما يأمرها بإكرامه لما يرجو من الانتفاع به فيما بعد أو للتبنى به. و قال ابن مسعود: احسن الناس فراسهٔ ثلاثهٔ:

العزيز حين قال لامرأته «أَكْرِمِي مَثْواهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا» و ابنهٔ شعيب حين قالت فى موسى «يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» «۱» و أَبو بكر حين ولى عمر.

و قوله «وَ كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ» و وجه التشبيه فيه انه تعالى شبه التمكين له فى الأرض بالتوفيق للأسباب التى صار بها الى ما صار بالنجاهٔ من الهلاك و الإخراج الى اجلّ حال.

و قوله «وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ» اللام فيه محمولهٔ على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه فى الأرض، و لنعلمه من تأويل الأحاديث.

و قوله «وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ» معناه أَنه قادر عليه من غير مانع حتى يقع ما أراد، و منه وقوع المقهور بالغلبهٔ فى الذلهٔ. و قيل غالب على امر يوسف يدبره و يحوطه.

و قوله «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» اخبار منه تعالى ان اكثر الخلق غير عالمين بحسن تدبير اللَّه لخلقه، و ما يجريه اليهم من مصالحهم و انه قادر لا يغالب، بل هم جاهلون بتوحيده، و لا يدل ذلك على ان من فعل ما كرهه اللَّه يكون قد غالب اللَّه، لان المراد بذلك ما قلناه من انه غالب على ما يريد فعله بعباده.

فاما ما يريده على وجه الاختيار منهم فلا يدل على ذلك، و لذلك لا يقال إن اليهودى المقعد قد غلب الخليفهٔ حيث لم يفعل ما اراده الخليفهٔ من الايمان، و فعل ما كرهه من اليهوديهٔ و هذا واضح.

---

(۱) سورهٔ القصص آيهٔ ۲۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۱۷

قوله تعالى:[سورهٔ يوسف (۱۲): آيهٔ ۲۲] ..... ص : ۱۱۷

وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۲۲)

آيهٔ بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى ان يوسف لما بلغ أَشده، و هو كمال القوهٔ. و قال قوم هو من ثمانى عشرهٔ سنهٔ الى ستين سنهٔ، و قال ابن عباس من عشرين. و قال مجاهد من ثلاث و ثلاثين سنهٔ، و الأشد جمع، لا واحد له من لفظه مستعمل. و فى القياس واحده شد، كواحد الاضرّ ضرّ، و واحد الأشر شر قال الشاعر:

هل غير ان كثر الأشر و أهلكت حرب الملوك أكاثر الأموال «۱»

و قوله «آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً» يعنى أَعطيناه ذلك، و الحكم القول الفصل الذى يدعو الى الحكمهٔ و يقال تقديراً لما يؤتى له بعلهٔ: يعلم

من دليل الحكم و من غير دليل الحكم. و الأصل فى الحكم تبيين ما يشهد به الدليل، لأن الدليل حكمة من اجل أنه يقود الى المعرفة. و قيل: معناه آتيناه الحكم على الناس. و قيل آتيناه الحكمـة فى فعله بألطافنا له، و الحكيم العامل بما يدعو اليه العلم. و العلم ما اقتضى سكون النفس. و قال قوم هو تبيين الشىء على ما هو به، و زاد فيه الرمانى: ما يحل فى القلب تحرزا من الرؤية، لأنها يبين بها الشىء على ما هو به، لكنه معنى يحل فى العين. و من قال الإدراک ليس بمعنى لا يحتاج الى ذلک.

و قوله «وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» معناه مثل ما جازينا يوسف نجازى كل من أحسن و فعل الافعال الحسنة من الطاعات. و الإحسان هو النفع بالحسن الذى يستحق به الحمد، فعلى هذا يصح أن يحسن الإنسان إلى نفسه كما يصح أن يسىء الى

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۲۲۱ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۲: ۹۸ و روايته (الأشد) بدل (الأشر).

نفسه، و لا يصح ان ينعم على نفسه، لأن النعمة تقتضى استحقاق الشكر عليها، و لا يصح ذلک بين الإنسان و نفسه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۲۳] ..... ص : ۱۱۸

وَ راوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَ قالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (۲۳)

آية بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو، و عـاصم و حمزة و الكسـائى (هيت) بفتـح الهـاء و التـاء، و قرأ ابن كثير بفتـح الهـاء، و ضم التـاء. و قرأ نـافع و ابن عامر (هيت) بكسر الهاء و فتح التاء. و روى هشام بن عامر عن ابن عامر (هئت) بالهمز من تهيأت، و كسر الهاء، و ضم التاء، و أنكر الهمزة أبو عمرو بن العلاء و الكسائى، قال طرفة:

ليس قومى بالابعدين إذا ما قال داع من العشيرة هيت

هم يجيبون ذا هلم سراعاً كالابابيل لا يغادر بيت «۱»

فهذا شاهد لابن كثير قال ابو عبيدة: «هَيْتَ لَكَ» معناه هلم، قال: و قال:

رجل لعلى (ع):

أَبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا ان العراق و اهله سلم اليک فهيت هيتا «۲»

قال ابو الحسن: و كسر الهاء لغة، و قال بعضهم بالهمز من تهيأت لک، و هى حسنة إلا ان المعنى الاول أحسن، لأنها دعته، و المفتوحة أكثر اللغات، ففيه ثلاث لغات.

---

(۱) مجـاز القرآن ۱: ۳۰۳، و تفسير القرطبى ۹: ۱۹۴، و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) ۳: ۱۵، و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۲: ۱۰۰.

(۲) انظر تخريجه فى الصفحة التى بعدها.

و معنى قوله «و راودته» أى طالبته، و المراودة المطالبـة بأمر للعمل به، و منه المرود لأنه يعمل به، و لا يقال فى المطالبـة بدين راوده. و معنى «الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها» يعنى امرأة العزيز «وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ» فالتغليق اطباق الباب بما يعسر فتحة. و انما قيل (غلقت) لتكثير الاغلاق او المبالغة فى الاغلاق، و ألف (باب) منقلبة من الواو لقولهم: بويب و أبواب.

و معنى «هيت لک» تعال و هلم الى ما هو لک، أنشد ابو عمرو بن العلاء:

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيت ان العراق و اهله سلم اليك فهيت هيت «۱»

و يقال للواحد و الاثنين و الجمع و الذكر و الأنثى (هيت) بلفظ واحد. و قال ابن عباس و الحسن و ابن زيد معنى «هيت لک» هلم لک.

و قوله «معاذ الله» حكاية عن يوسف أنه قال ذلک. و المعنى أعوذ عياذاً باللَّه أن أجيب الى هذا أو ان يكون هذا أى اعتصم باللَّه من هذا. و قوله «إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ» معناه ان الملک الذى هو زوجها، مالكى فى الحكم «أَحْسَنَ مَثْوايَ» باكرامى و بسط يدى و رفع منزلتى، و هو قول مجاهد و ابن إسحاق و السدى و الجبائى، و قال الحسن يعنى العزيز، و قال الزجاج يجوز ان يكون أراد ان اللَّه ربى احسن مثواى أى فى طول مقامى. و قوله «إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» حكاية ان يوسف قال: ان من ظلم نفسه بارتكاب المعاصى لا يفلح و لا يفوز بشيء من الثواب.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۲۴] ..... ص : ۱۱۹

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ (۲۴)

---

(۱) اللسان (هيت) و مجاز القرآن ۱: ۳۰۵، و تفسير القرطبى ۹: ۱۹۴ و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) ۳: ۱۵، و تفسير الطبرى ۱۲: ۹۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۲۰

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة، و نافع «المخلصين» بفتح اللام. الباقون بكسرها. قال أبو على حجة من كسر اللام قوله «أَخْلَصُوا دِينَهُمْ» «۱» و من فتح اللام، فيكون بنى الفعل للمفعول به، و يكون معناه و معنى من كسر اللام واحد، فإذا أَخلصوا هم دينهم فهم مخلصون، و إذا أُخلصوا فهم مخلصون.

و معنى (الهمّ) فى اللغة على وجوه، منها: العزم على الفعل، كقوله «إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ» «۲»، أى أرادوا ذلک و عزموا عليه. و مثله قول الشاعر:

هممت و لم افعل و كدت و ليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله «۳»

و قال حاتم طى:

و للَّه صعلوک تساور همه و يمضى على الأيام و الدهر مقدما «۴»

و منها: خطور الشيء بالبال، و ان لم يعزم عليه. كقوله «إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما» «۵» و المعنى ان الفشل خطر ببالهم، و لو كان الهم هاهنا عزماً لما كان اللَّه وليهما، لأنه قال «وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» «۶»، و ارادة المعصية و العزم عليها معصية بلا خلاف، و قال قوم: العزم على الكبير كبير، و على الكفر كفر، و لا يجوز أن يكون اللَّه ولىّ من عزم على الفرار عن نصرة نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم و يقوى ذلک ما قال كعب ابن زهير:

---

(۱) سورة النساء آية ۱۴۵.

(۲) سورة المائدة آية ۱۲.

(۳) تفسير القرطبى ۹: ۱۶۶ و مجمع البيان ۳: ۲۲۳. [.....]

(۴) مجمع البيان ۳: ۲۲۳.

(۵) سورة آل عمران آية ۱۲۲

(۶) سورة الانفال آية ۱۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۲۱

فكم فيهم من سيد متوسع و من فاعل للخير إن هم أو عزم

ففرق بين الهم و العزم و ظاهر التفرقة يقتضى اختلاف المعنى، و منها المقاربة يقولون: هم بكذا، و كذا أى كاد يفعله قال ذو الرّمة:

أقول لمسعود بجرعاء مالكك و قد هم دمعى ان تسيح اوائله «۱»

و الدمع لا يجوز عليه العزم، و انما أراد كاد، و قارب، و قال ابو الأسود الدؤلى:

و كنت متى تهمم يمينك مرة لتفعل خيراً يعتقبها شمالكا «۲»

و على هذا قوله تعالى «جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» «۳» أى يكاد و قال الحارثى:

يريد الرمح صدر أبى براءٍ و يرغب عن دماء بنى عقيل «۴»

و منها الشهوة و ميل الطباع، يقول القائل فيما يشتهيه و يميل طبعه و نفسه اليه هذا من همى، و هذا أهم الأشياء الى. و روى هذا التأويل فى الآية عن الحسن. و قال: اما همها و كان أخبث الهم، و اما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء، و إذا احتمل الهم هذه الوجوه نفينا عنه (ع) العزم على القبيح و أجزنا باقى الوجوه، لان كل واحد منها يليق بحاله، و يمكن ان يحمل الهم فى الآية على العزم، و يكون المعنى، و هم بضربها و دفعها عن نفسه، كما يقول القائل كنت هممت بفلان اى بأن أوقع به ضرباً او مكروهاً، و تكون الفائدة على هذا الوجه فى قوله «لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ» مع ان الدفع عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها، إنه لما هم بدفعها أراه اللَّه برهاناً على انه ان اقدم على ما يهم به، أهلكه أهلها و قتلوه، و انها تدّعى عليه المراودة لها على القبيح و تقذفه بأنه دعاها اليه و ضربها لامتناعها منه، فأخبر تعالى انه صرف بالبرهان عنه السوء

---

(۱) الاغانى (دار الثقافة) ۱۷: ۳۰۸.

(۲) مجمع البيان ۳: ۲۲۴.

(۳) سورة الكهف آية ۷۸.

(۴) تأويل مشكل القرآن: ۱۰۰، و مجمع البيان ۳: ۲۲۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۲۲

و الفحشاء اللذين هما القتل و المكروه او ظن القبيح و اعتقاده فيه.

فان قيل هذا يقتضى ان جواب (لو لا) تقدمها فى ترتيب الكلام، و يكون التقدير: لو لا ان رأى برهان ربه لهمّ بضربها، و تقدم جواب (لو لا) قبيح او يقتضى ان تكون (لو لا) بغير جواب!.

قلنا: اما تقدم جواب (لو لا) فجائز مستعمل و سنذكر ذلك فيما بعد، و لا نحتاج اليه فى هذا الجواب، لان العزم على الضرب و الهم به وقعا إلا انه انصرف عنها بالبرهان الذى رآه، و يكون التقدير و لقد همت به و هم بدفعها لو لا ان رأى برهان ربه، لفعل ذلك، فالجواب المتعلق ب (لو لا) محذوف فى الكلام، كما حذف فى قوله «وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ. وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» «۱» معناه، و لو لا فضل اللَّه عليكم لهلكتم و مثله «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» «۲» لم تنافسوا فى الدنيا و تحرصوا على حطامها، و قال امرؤ القيس:

فلو انها نفس تموت سويّة و لكنها نفس تساقط أنفسا «۳»

و المعنى فلو انها نفس تموت سوية لنقصت و فنيت، فحذف الجواب تعويلًا على ان الكلام يقتضيه، و لا بد لمن حمل الآية على انه هم بالفاحشة ان يقدر الجواب، لان التقدير، و لقد همت بالزنا و هم بمثله، و «لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ» لفعله.

و انما حمل همّها على الفاحشة و همّه على غير ذلك، لأن الدليل دل من جهة العقل و الشرع على ان الأنبياء، لا يجوز عليهم فعل القبائح، و لم يدل على انه لا يجوز عليها ذلك بل نطق القرآن بأنها همت بالقبيح، قال اللَّه تعالى و قال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه. و قوله حاكياً عنها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه و إنه لمن الصادقين و قال «قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِی لُمْتُنَّنِی فِیهِ وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» و أجمعت الأمة من المفسرين و اصحاب الاخبار

---

(۱) سورة النور آية ۲۰.

(۲) سورة التكاثر آية ۵.

(۳) ديوانه: ۱۱۷ و اللسان «جمع» و امالى السيد المرتضى ۱: ۴۷۹. و رواية اللسان «جميعه» بدل «سوية».

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۲۳

على انها همت بالمعصية، و قد بين اللَّه تعالى ذلك فى مواضع كثيرة ان يوسف لم يهم بالفاحشة. و لا عزم عليها منها قوله «کَذلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ» و قوله «إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِینَ» و من ارتكب الفاحشة لا يوصف بذلك و قوله «ذلِکَ لِیَعْلَمَ أَنِّی لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَیْبِ» و لو كان الأمر على ما قاله الجهال من جلوسه مجلس الخائن و انتهائه الى حل السراويل، لكان خائناً، و لم يكن صرف عنه السوء و الفحشاء. و قال ايضاً «وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَعْصَمَ» و فى موضع آخر حكاية عنها «أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِینَ» و قوله حكاية عن العزيز حين رأى القميص قد من دبر «إِنَّهُ مِنْ کَیْدِکُنَّ إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ» فنسب الكيد اليها دونه، و قوله ايضاً «یُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَ اسْتَغْفِرِی لِذَنْبِکِ إِنَّکِ کُنْتِ مِنَ الْخاطِئِینَ» فخصها بالخطاب و أمرها بالاستغفار دونه. و قوله «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَیَّ مِمَّا یَدْعُونَنِی إِلَیْهِ. وَ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّی کَیْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَیْهِنَّ وَ أَکُنْ مِنَ الْجاهِلِینَ، فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ کَیْدَهُنَّ» و الاستجابة تقتضى براءة ساحته من كل سوء، و يدل على انه لو فعل ما ذكروه، لكان قد صبا و لم يصرف عنه كيدهن. و قوله «قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَیْهِ مِنْ سُوءٍ» و العزم على المعصية من اكبر السوء. و قوله حاكياً عن الملك «ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی، فَلَمَّا کَلَّمَهُ قالَ إِنَّکَ الْیَوْمَ لَدَیْنا مَکِینٌ أَمِینٌ» و من فعل ما قاله الجهال لا يقال له ذلك.

و وجه آخر فى الآية: إذا حمل الهم على ان المراد به العزم، و هو ان يحمل الكلام على التقديم و التأخير، و يكون التقدير و لقد همت به و لو لا ان رأى برهان ربه لهم بها و يجرى ذلك مجرى قولهم: قد كنت هلكت، لو لا انى تداركتك، و قتلت لو لا انى خلصتك، و المعنى لو لا تداركى لك لهلكت و لو لا تخليصى لك لقتلت، و ان لم يكن وقع هلاك و لا قتل قال الشاعر:

فلا يدعنى قومى صريحاً لحرة لئن كنتُ مقتولًا و يسلم عامر «۱»

---

(۱) الكتاب لسيبويه ۱/ ۲۷: و أمالى الشريف المرتضى ۱/ ۴۸۰ و مجمع البيان ۳/ ۲۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۲۴

و قال آخر:

فلا يدعنى قومى صريحاً لحرَّة لئن لم أُعجل طعنة أو اعجل «۱»

فقدم جواب (لئن) فى البيتين جميعاً. و قال قوم: لو جاز هذا لجاز أن تقول: قام زيد لو لا عمرو، و قصد زيد لو لا بكر، و قد بينا ان ذلك غير مستبعد، و ان القائل قد يقول: قد كنت قمت لو لا كذا، و كذا، و قد كنت قصدتك لو لا ان صدنى فلان، و ان لم يقع قيام و لا قصد. على ان فى الكلام شرطاً، و هو قوله «لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ» فكيف يحمل على الإطلاق.

و البرهان الذى رآه، روى عن ابن عباس، و الحسن، و سعيد بن جبير، و مجاهد: انه رأى صورة يعقوب عاضّاً على أنامله.

و قال قتادة: انه نودى يا يوسف أنت مكتوب فى الأنبياء و تعمل عمل السفهاء.

و روى فى رواية أخرى عن ابن عباس: انه رأى الملك.

و هذا الذى ذكروه كلّه غير صحيح، لان ذلك يقتضى الإلجاء و زوال التكليف، و لو كان ذلك لما استحق يوسف على امتناعه من الفاحشة مدحاً و لا ثواباً، و ذلك ينافى ما وصفه اللَّه تعالى. من انه صرف عنه السوء و الفحشاء، و انه من عبادنا المخلصين.

و يحتمل ان يكون البرهان لطفاً لطف اللَّه تعالى له فى تلك الحال او قبلها، اختار عنده الامتناع من المعاصى، و هو الذى اقتضى كونه معصوماً و يجوز ان تكون الرؤية بمعنى العلم، و قال قوم: البرهان هو ما دل اللَّه تعالى يوسف على تحريم ذلك الفعل، و على ان من فعله استحق العقاب، لان ذلك صارف عن الفعل و مقوّى لدواعى الامتناع، و هذا ايضا جائز، و هو قول محمد بن كعب القرطى و اختيار الجبائى.

---

(۱) مجمع البيان ۳/ ۲۲۵ و أمالى السيد المرتضى ۱/ ۴۸۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۲۵

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۲۵] ..... ص : ۱۲۵

وَ اسْتَبَقَا الْبابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۲۵)

آية بلا خلاف.

معنى قوله «وَ اسْتَبَقَا الْبابَ» اى طلب كل واحد من يوسف و امرأة العزيز السبق الى الباب، و السبق تقدم الشيء لصاحبه فى مجيئه.

و قوله «وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ» اى شقته طولًا، و القد شق الشيء طولًا، و منه:

قد الأديم يقده قدّاً، فهو مقدود، إذا كان ذاهبا فى جهة الطول على استواء.

و قوله «من دبر» اى من جهة الخلف. و القبل جهة القدام، يقال أتاه قبلًا، و دبراً، إذا أتاه من الجهتين و معنى «أَلْفَيا سَيِّدَها» صادفاه، ألفى يلفى الفاً قال ذو الرمة:

و مطعم الصيد هبّال لبغيته الفى أباه بذاك الكسب يكتسب «۱»

و قوله «قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً» حكاية ما قالت المرأة للملك، و ما فى مقابلة من أراد بأهلك سوءاً، و الجزاء مقابلة العمل بما هو حقه من خير او شر يقال: جازاه يجازيه مجازاة، و جزاءً «إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ» معناه انه ليس مقابلته إلّا سجنه أو يعذب على فعله عذاباً مؤلماً موجعاً. و عطف العذاب- و هو اسم- على الفعل، و هو قوله «ان يسجن» لأن تقديره إلا السجن أو عذاب اليم.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۲۶ الى ۲۸] ..... ص : ۱۲۵

قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ (۲۶) وَ إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۲۷) فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (۲۸)

---

(۱) اللسان «طعم»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۲۶

ثلاث آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى فى الاية الأولى عن يوسف انه قال للملك حين قذفته زوجته بالسوء: هى طالبتنى عن نفسى، و انا برىء الساحة، و

شهد له بذلك شاهد من أهل المرأة. قال ابن عباس، و سعيد بن جبير- فى رواية عنهما- و ابو هريرة: انه كان صبياً فى المهد. و فى رواية اخرى عن ابن عباس، و ابن جبير، و هو قول الحسن و قتادة: انه كان رجلًا حكيما، و اختاره الجبائى، قال: انه لو كان طفلًا لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه الى الثانى، فلما قال الشاهد إن كان قميصه كذا، و كذا ذهب الى الاستدلال بأنه لو كان هذا المراود، لكان القميص مقدوداً من قبل، و حيث هو مقدود من دبر علم أنها هى المراودة و مع كلام الطفل لا يحتاج الى ذلك.

و قوله «إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ» حكاية ما قال الشاهد، و كذلك قوله «وَ إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ» تمام الحكاية عن الشاهد.

و (من) فى قوله «قد من دبر ... و ... من قبل» لابتداء الغاية، لان ابتداء القد كان منها. و التى فى قوله «من الكاذبين» للتبعيض، لأنه بعض الكاذبين و اسقط (أن) من شهد أنه ان كان لأنه ذهب مذهب القول فى الحكاية، كما قال «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» «۱» لان التقدير يوصيكم اللَّه فى أولادكم ان المال، و قال ابو العباس المبرد: معنى

---

(۱) سورة النساء آية ۱۱ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۲۷

«إِنْ كانَ قَمِيصُهُ» ان يكن، و جاز ذلك فى كان، لأنها ام الباب، كما جاز ما كان أبردها.

و لم يجز ما أصبح أبردها. و قال ابن السراج: إن يكن بمعنى ان يصح قد قميصه من دبر.

و قوله «فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ» حكاية من اللَّه ان الملك لما سمع قول الشاهد و رأى قميصه قد من دبر اقبل عليها و قال: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» و قال قوم إن ذلك من قول الشاهد. و الكيد طلب الشىء بما يكرهه، كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه و يأباه.

و قوله «فلما رأى» تحتمل الرؤية أمرين:

أحدهما- ان يكون المعنى رؤية العين، فلا يكون رؤية للقد، لأنه حال، و انما بين رؤية القميص.

و الآخر- ان يكون بمعنى العلم فيكون رؤية للقد، لأنه خبر. و الهاء فى قوله (إنه) يحتمل ان تكون عائدة الى السوء، و يحتمل ان تكون عائدة الى ما تقدم ذكره من معنى الكذب.

و النون فى قوله «كيدكن» نون جماعة النساء، و شددت لتكون على قياس نظيرها من المذكر فى ضربكموا فى انه على ثلاثة أحرف. و قال قوم ان ذلك من قول الزوج. و قال آخرون من قول الشاهد

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۲۹] ..... ص : ۱۲۷

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ (۲۹)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما نادى زوج المرأة يوسف، فقال له يا يوسف، و لذلك قال قوم:

إنه لم يكن له غيرة. و روى عن ابن عباس انه قال ذلك من قول الشاهد و اسقط حرف النداء لأنه اسم علم و لم يجز ذلك فى المبهم «أَعْرِضْ عَنْ هذا» اى اصرف وجهك عنه. و الاعراض صرف الوجه عن الشىء الى جهة العرض، التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۲۸

فكأنه قال اجعله بمنزلة ما تصرف وجهك عنه بأن لا تذكره «وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ» اى اطلبى المغفرة من اللَّه من خطيئتك، و الذنب الخطيئة، و الخطيئة العدول عما تدعوا اليه الحكمة الى ما تزجر عنه، و يقال لصاحبه خاطئ إذا قصد ذلك، فإذا وقع عن غير قصد قيل

اخطأ المقصد، فهو مخطئ، و ان لم يكن صفة ذم. و اصل الخطأ العدول عن الغرض الحكمى بقصد أو غير قصد، فان كان بقصد قيل خطئ يخطأ خطأ فهو خاطئ قال أمية:

عبادك يخطئون و انت ربّ بكفيك المنايا و الحياة «۱»

و انما قال «من الخاطئين» و لم يقل من الخاطئات تغليبا للمذكر على المؤنث إذا اختلطا، كما تقول عبيدك و اماءك جاءونى.

قوله تعالى :[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۰] ..... ص : ۱۲۸

وَ قالَ نِسْوَةٌ فِی الْمَدِینَةِ امْرَأَتُ الْعَزِیزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (۳۰)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى انه «قالَ نِسْوَةٌ فِی الْمَدِینَةِ» التى كان فيها الملك و زوجته و يوسف إن امرأة العزيز تطلب فتاها عن نفسه، و العزيز المنيع بقدرته عن ان يضام فى أمره و سمى بذلك لأنه كان ملكاً ممتنعا بملكه و اتساع قدرته قال أبو داود:

درة غاص عليها تاجر حليت عند عزيز يوم ظل «۲»

و الفتى الغلام الشاب و المرأة فتاة قال الشاعر:

---

(۱) مجمع البيان ۳/ ۲۲۶، و تفسير الطبرى «الطبعة الاولى» ۱۲/ ۱۰۹ و روايته «الحتوم» بدل «الحياة»

(۲) تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۱۰ و مجمع البيان ۳/ ۲۲۹. و رواية الطبرى «عاص» بدل «غاص» و «جليت» بدل «حليت»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۲۹

كأنا يوم قرىّ انما يقتل إيانا قتلنا منهم كل فتى ابيض حسانا «۱»

و معنى «شَغَفَها حُبًّا» بلغ الحب شغاف قلبها، و هو داخله. و قوله «إِنَّا لَنَراها فِی ضَلالٍ مُبِینٍ» معناه إنا لنعلمها فى عدول عن طريق الرشد، فعابوها بذلك و ذلك ان تصير الى ما يذهلها و يبلغ صميم قلبها بحب إنسان. و إنما حذف حرف التأنيث فى قوله «وَ قالَ نِسْوَةٌ» لأنه تأنيث جمع قدم عليه الفعل، و تأنيث الجمع تأنيث لفظ يبطل تأنيث المعنى، لأنه لا يجتمع فى اسم واحد تأنيثان، و كما يبطل تذكير المعنى فى رجال، فإذا صار كذلك جاز فيه و جهان، ان حمل على اللفظ أنث، و ان حمل على المعنى ذكر.

و قيل فى معنى الشغاف ثلاثة أوجه: شغاف القلب غلافه، و هو جلدة عليه تقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب- فى قول السدى و أبى عبيدة- الثانى- قال الحسن: هو باطن القلب. الثالث- قال ابو على الجبائى: هو وسط القلب قال النابغة:

و قد حال همّ دون ذلك داخل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع «۲»

و روى شعفها بالعين اى ذهب بها الحب كل مذهب من شعف الجبال و هى رءوسها قال امرؤ القيس:

أ تقتلنى و قد شعفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالى «۳»

قال ابو زيد هما مختلفان فالشعف بالعين فى البغض و بالغين فى الحب.

---

(۱) الكتاب لسيبويه ۱/ ۲۷۱، ۳۸۳

(۲) ديوانه ۷۹ و روايته (شاغل) بدل (داخل) و تفسير القرطبى ۹/ ۱۷۹ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۲/ ۱۱۰

(۳) ديوانه ۱۶۲، و تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۱۱ و القرطبى ۹/ ۱۷۷ و الشوكانى (الفتح القدير.) ۳/ ۱۹ و رواية الديوان:

ليقتلنى انى شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالى

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۳۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (١٢): آية ٣١] ..... ص : ١٣٠

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَ آتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)

آية بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و نافع فی رواية الأصمعی عنه «حاشا» بألف. الباقون بلا الف، فمن حجة أبی عمرو، قول الشاعر:

حاشی أبی ثوبان إن به ضنَّاً عن الملحاة و الشَّتم «١»

قال ابو علی الفارسی لا يخلوا قولهم: حاش للَّه من ان يكون الحرف الجار فی الاستثناء، كما ذكرناه فی البيت أو فاعل من قولهم: حاشی يحاشی، و لا يجوز ان يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل علی مثله، و لأن الحروف لا تحذف إذا لم يكن فيها تضعيف، فإذا بطل ذلك ثبت انها فاعل مأخوذاً من الحشا الذی هو الناحية. و المعنی انه صار فی حشاء ای ناحية مما قذف به، و فاعله يوسف، و المعنی بعد عن هذا الذی رمی به «للَّه» ای لخوفه من اللَّه، و مراقبة أمره. و من حذف الالف، فكما حذف لم يك، و لا أدر، فإذا أريد به حرف الجر يقال حاشا، و حاش، و حشا، ثلاث لغات قال الشاعر:

حشا رهط النبی فان فيهم بحوراً لا تكدرها الدّلاء «٢»

حكی اللَّه تعالی عن امرأة العزير انها حين سمعت قول نسوة المدينة فيها

---

(١) تفسير القرطبی ٩/ ١٨١ و مجاز القرآن ١/ ٣١٠، و المفضليات. ١٩ و الاصمعيات ٨٠ و اللسان و التاج «حشی» و تفسير الطبری «الطبعة الاولی» ١٢/ ١١٥

(٢) اللسان «حشا» و مجمع البيان ٣: ٢٢٩.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌٦، ص: ١٣١

و عذلهنّ إياها، و مكرهنَّ بها. و قيل انهن مكرن بها لتريهن يوسف، فلما اطلعتهن علی ذلك أشعن خبرها، و المكر الفتل بالحيلة الی ما يراد من الطلبة يقال: هی ممكورة الساقين بمعنی مفتولة الساقين، و ممكورة البدن أی ملتفة «أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ» أی بعثت إليهن تدعوهن الی دعوتها.

و قوله «وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً» معناه اعدّت، و معناه اتخذت من العتاد، و قولهم: اعتدت من العدوان، و الألف فيه ألف وصل، و المتكأ الوسادة، و هو النمرق الذی يتكأ عليه. و قال قوم: انه الأترج. و أنكر ذلك ابو عبيدة.

و قوله «وَ آتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً» قيل انها قدمت إليهن فاكهة و أعطتهن سكّيناً ليقطعن الفاكهة، فلما رأينه- يعنی يوسف- دهشن «وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ» و قوله «أكبرنه» أی أعظمنه و أجللنه. و قال قوم: معنی ذلك انهن حضن حين رأينه و أنشد قول الشاعر:

يأتی النساء علی اطهارهنَّ و لا يأتی النساء إذا اكبرن اكبارا «١»

و أنكر ذلك ابو عبيدة، و قال: ذلك لا يعرف فی اللغة، لكن يجوز ان يكون من شدة ما أعظمنه حضن، و البيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر.

و قوله «حاش لله» تنزيه له عن حال البشر، و انه لا يجوز ان تكون هذه صورة للبشر، و انما هو ملك كريم. و قال الجبائی: فيه دلالة علی تفضيل الملائكة علی البشر لأنه خرج مخرج التعظيم، و لم ينكره اللَّه تعالی، و هذا ليس بشیء، لأن اللَّه تعالی حكی عن النساء انهن أعظمن يوسف، لما رأين من وقاره و سكونه و بعده عن السوء. و قلن: ليس هذا بشراً، بل هو ملك يريدون فی سكونه، و لم يقصدن كثرة ثوابه علی ثواب البشر، و كيف يقصدنه، و هن لا طريق لهن الی معرفة ذلك، علی ان هذا من قول النسوة اللاتی وقع

منهن من الخطأ و الميل

(۱) تفسير القرطبى ۹: ۱۸۰ و تفسير الشوكانى ۳: ۲۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۳۲

اليه ما لا يجوز ان يحتج بقولهن. و قوله لم ينكره اللَّه، انما لم ينكره، لأنه تعالى علم انهن لم يقصدن ما قال الجبائى، و لو كن قصدنه لأنكره، على أن ظاهر الكلام انهن نفين ان يكون يوسف من البشر، و فيه قطع على انه ملك، و هذا كذب، و لم ينكره اللَّه. و الوجه فيه انهن لم يقصدن الاخبار بذلك عن حاله، و انما اخبرن بتشبيه حاله فيما قلناه بحال الملائكة، فلذلك لم ينكره اللَّه.

و قوله «ما هذا بَشَراً» نصب بشراً على مذهب اهل الحجاز فى اعمال (ما) عمل ليس، فيرفعون بها الاسم، و ينصبون الخبر، فأما بنو تميم، فلا يعلونها قال الشاعر:

لشتّان ما أنوى و ينوى بنو أبى جميعاً فما هذان مستويان

تمنوا لى الموت الذى يشعب الفتى و كل فتى و الموت يلتقيان «۱»

و قد قرئ «ما هذا بشرى» أى ليس بمملوك، و هو شاذ، لا يقرأ به.

و قرئ (متكأ) بتسكين التاء. قال مجاهد: معنا الا ترج، و قال قتادة:

معناه طعاماً، و به قال عكرمة و ابن زيد و ابن اسحق و الضحّاك، و قال مجاهد و غيره: اعطى يوسف نصف الحسن، و قيل ثلثه. و قيل ثلثاه. و الباقى لجميع الخلق.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۲] ..... ص : ۱۳۲

قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَ لَيَكُوناً مِنَ الصّاغِرِينَ (۳۲)

آية بلا خلاف.

هذه الآية فيها حكاية ما قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتى عذلنها على محبتها ليوسف،

(۱) مجمع البيان ۳/ ۲۲۹ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۳۳

و انها حين رأت ما فعلت النسوة للدهش بيوسف، قالت لهن هذا هو ذلك الذى لمتنَّنى فيه، و اللوم الوصف بالقبيح على وجه التحقير، و مثله الذم و ضده الحمد.

و قوله «وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ» اعتراف منها انها هى التى طلبته عن نفسه و انه استعصم منها أى امتنع من ذلك، و الاستعصام طلب العصمة من اللَّه بفعل لطف من ألطافه ليمتنع من الفاحشة. و فيه دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبيح.

و قوله «وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ» اخبار عما قالت امرأة العزيز على وجه التهديد ليوسف من انه ان لم يفعل ما تأمره به من المعصية و يجيبها الى ملتمسها لتمنعنّه التصرف من مراده بالحبس، تقول: سجنه يسجنه سجناً، و السجان المتولى للسجن على وجه الحرفة.

و قوله «وَ لَيَكُوناً مِنَ الصّاغِرِينَ» هذه النون الخفيفة التى يتلقى بها القسم، و إذا وقفت عليها وقفت بالألف، تقول: و ليكونا، و هى بمنزلة التنوين الذى يوقف عليه بالألف قال الشاعر:

و صلّ على حين العشيات و الضحى و لا تعبد الشيطان و اللَّه فاعبدا «۱»

اى فاعبدن، فأبدل فى الوقف من النون ألفاً. و الصغار الذل بصغر القدر صغر يصغر صغاراً، و منه قوله «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ» «۲».

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۳] ..... ص : ۱۳۳

قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَ إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ (۳۳)

---

(۱) قائله الأعشى، ديوانه ۱۰۳ القصيدة ۱۷ و روايته «فاحمدا» بدل «فاعبدا» و هو فى مجمع البيان ۳. ۲۳۰ و تفسير الطبرى ۱۲: ۱۶ «فاعبدا».

(۲) سورة التوبة آية ۲۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۳۴

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن يوسف انه لما سمع وعيد المرأة له بالحبس و الصغار ان لم يجبها الى ما تريده، قال يا «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» من ركوب الفاحشة، و انما جاز ان يقول السجن أحب إليَّ من ذلك، و هو لا يحب ما يدعونه اليه، و لا يريده، و لا يريد السجن ايضاً، لأنه ان أريد به المكان فذلك لا يراد، و ان أريد به المصدر، فهو معصية منهى عنها، فلا يجوز ان يريده لأمرين:

أحدهما- ان ذلك على وجه التقدير، و معناه انى لو كنت مما أريد لكانت ارادتى لهذا أشد.

الثانى- ان المراد ان توطين نفسى على السجن أحب إليَّ.

و قيل معناه ان السجن أسهل عليَّ مما يدعوننى اليه.

و قرأ الحس (السجن) بفتح السين و أراد المصدر، و به قرأ يعقوب، و تأويله ما قلناه. و الدعاء طلب الفعل من المدعو و صيغته صيغة الامر إلا ان الدعاء لمن فوقك و الأمر لمن دونك.

و قوله «إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ» معناه ضرر كيدهن، لأن كيدهن قد وقع، و الصرف نفى الشىء عن غيره بضده او بأن لا يفعل، و صورته كصورة النهى إلا ان النهى مع الزجر لمن هو دونك، و ليس كذلك الصرف (و الصبا) رقة الهوى، يقال صبا يصبو صباً فهو صاب، فكأنه قيل أميل هواى اليهنَّ، قال الشاعر:

الى هند صبا قلبى و هند مثلها يصبى «۱»

و قال ايضاً:

---

(۱) قائله زيد بن ضبة، تفسير القرطبى ۹: ۱۸۵ و مجاز القرآن ۱: ۳۱۱ و اللسان (صبا) و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) ۳: ۲۱ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۱۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۳۵

صبا صبوة بل لجَّ و هو لجوج و زالت له بالانعمين حدوج «۱»

و قوله «وَ أَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ» معناه و أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل، لأنه بمنزلة من قد اعتقد الشىء على خلاف ما هو به، و إلا فهو كان عالماً بأن ذلك معصية، و الغرض فيه بيان ان صفة الجهل من أغلظ صفة الذم.

و قال البلخى و الجبائى: فى الآية دلالة على انه لا ينصرف احد عن معصية إلا بلطف اللَّه عزَّ و جلَّ، لأنه لو لم يعلم ذلك، لما صح خبره به، و ليس فى الآية ما يدل على ذلك، بل فيها ما يدل على ان يوسف كان له لطف، و لولاه لفعل المعصية، و أما ان يدل على

انه لا ـ أحد ينتهى عن معصية إلا ـ بلطف، فلا، بل ذلك مجوّز، و ليس فيها ما يمنع منه، و يحتمل قوله «أصب إليهن» على لفظ الجمع أشياء:

أحدها- قال ابو على الجبائى: ان كل واحدة منهن دعته الى مثل ما دعت اليه امرأة العزيز بدلالة هذا الكلام. و قال قوم: انهن قلن لها نحن نسأله ان يفعل ما دعوته اليه، فخلت كل واحدة منهن به. و يحتمل ان يكون المراد أصب الى قولهن فى الدعاء الى اجابة امرأة العزيز.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۴] ..... ص : ۱۳۵

فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۳۴)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى انه أجاب يوسف الى ما دعاه به و أراد منه و رغب اليه فيه و انه فعل، لأنه دعا به، فهو اجابة له و استجابة و الذى تعلقت به الارادة مستجاب، و قال ابو على الجبائى: الاجابة من اللَّه تعالى ثواب لقوله تعالى

---

(۱) قائله ابو ذؤيب الهذلى، ديوانه ۱/ ۵۰ و شواهد المغنى ۱۰۹، و الخزانة ۱/ ۱۹۴ و مجاز القرآن ۱/ ۳۱۱ و مجمع البيان ۳/ ۲۲۹.

«وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ» «۱» و هذا انما هو فى الجملة، قال الرمّانى: و صرف اللَّه تعالى له عن الفعل بالزجر عنه و اعلامه الذم على فعله، و فرق بين الصرف عن الفعل و الزجر عنه، بأن الزجر عنه بالذم على إيقاعه. و الصرف عنه اعلامه ان غيره أصلح له من غير ذم عليه لو عمله كما يجب فى الزجر، و الظاهر بغير ذلك أشبه، لأن يوسف (ع) كان عالماً بأن ما دعته اليه قبيح يستحق به الذم، و مع ذلك سأل ان يصرف ضرر كيدهن عنه، لأن كيدهن الذى هو دعاؤهن و اغواؤهن، كان قد حصل، فكأنه قد سأل اللَّه تعالى لطفاً من ألطافه يصرفه عنده عن اجابة النسوة إلى ما دعوته من ارتكاب المعصية، لأن ظاهر القول خرج مخرج الشرط و الجزاء المقتضيين للاستقبال، فكان ما قلناه أولى. فقوله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه هاهنا انه السميع لدعاء الداعى العليم باخلاصه فى دعائه او ترك إخلاصه و بما يصلحه من الاجابة او يفسده، قال الرمانى: و لا يجوز ان يكون السميع للصوت بمعنى العليم بالصوت موجوداً، لأنه قد يعلم الإنسان موجوداً، إذا كان بعيداً و هو لا ـ يسمعه كعلمه بصوت المطارق فى الحدادين، و ليس من طريق الحاسة و انما يعلمه بضرب من الاستدلال او يظن ذلك، و إذا علمه من طريق الحاسة علمه ضرورة، فكان ذلك فرقاً بين الموضعين.

و قال ابو على الجبائى: فى الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم انه يكون، لان يوسف عالماً بأنه إن كان له لطف فلا بد ان يفعل اللَّه به، و مع هذا سأله.

و ليس فى الآية ما يدل على ذلك لأنه لا يمتنع ان يكون يوسف سأل لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء، و لو لم يدع له لم يكن ذلك لطفاً، فما سأل الا ما جوّز ان لا يكون لو لم يدع، غير ان المذهب: ما قال ابو على لأنه تعالى تعبّدنا بأن نقول «رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ» «۲» و قد علمنا انه لا يحكم الا بالحق، و لكن الآية لا تدل على ذلك.

---

(۱) سورة الرعد آية ۱۵ و سورة المؤمن (غافر) آية ۵۰. [.....]

(۲) سورة الأنبياء آية ۱۱۲.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۵] ..... ص : ۱۳۷

ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (۳۵)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى انه ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات، يقال بدا يبدو بدواً، و بدأ و البداء فى الرأى التلون فيه، لأنه كلما ظهر رأى مال اليه، و انما قال «لهم» و لم يقل (لهن) مع تقدم ذكر النسوة، لامرين: أحدهما- قال الحسن انه أراد بذلك الملك. و الثانى- انه أراد ذكر الذكور معهنّ من أعوانها فغلب المذكر، فقال لهم، قال الرمانى: و فاعل (بدا) مضمر و تقديره ثم بدا لهم بداء، و دل عليه قوله «ليسجننه».

و الآيات التى رأوها، قال قتادة: هو قدّ القميص و حز الايدى و قال غيره:

هو قطع الايدى و الاستعظام، و قدّ القميص.

و قوله «ليسجننه» انما هو فعل المذكر كما قال «بدا لهم» و لم يقل (لهن) و دخلت النون الثقيلة جواباً للقسم و ليس بفعل المؤنث، و لو كان على صيغة فعل المؤنث قيل (ليسجنَّ) (و ليقتلنّ) ثم تدخل عليها نون التأكيد الشديدة فيصير ليسجنانه كقولك تقتلنانه.

و قوله «حتى حين» ف (حتى) تنصرف على اربعة أوجه، تكون حرف جر، و حرف عطف، و ناصبة للفعل، و حرف من حروف الابتداء، فالجارّة نحو هذه التى فى الآية، و العاطفة كقولهم خرج الناس حتى الأمير، و الناصبة كقوله «حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ» «۱»، و حرف الابتداء كقولك سرحت القوم حتى زيد مسرّح.

---

(۱) سورة الرعد آية ۳۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۳۸

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۶] ..... ص : ۱۳۸

وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَ قالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (۳۶)

آية بلا خلاف.

و فى الآية تقدير فسجن يوسف، و دخل معه فتيان يعنى شابّان. و الفتى الشاب القوى قال الشاعر:

يا عزّ هل لك فى شيخ فتى ابداً و قد يكون شباب غير فتيان

و قال الزجاج: كانوا يسمون المملوك فتى، شيخاً كان او شاباً. و الفتيان قال السدى و قتادة: كانا غلامى ملك مصر الأكبر أحدهما صاحب شرابه و الآخر صاحب طعامه، فنمى اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمّه. و ظن ان الآخر ساعده و مالأه على ذلك.

و قوله «قالَ أَحَدُهُما» يعنى احد الفتيين ليوسف: «إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً» من رؤيا المنام، و الخمر عصير العنب إذا كان فيه الشدة و التقدير اعصر العنب للخمر، و قال الضحاك: هى لغة، تسمى العنب خمراً ذكر جماعة انها لغة عمان.

و قال الزجاج: تقديره عنب الخمر.

و قوله «وَ قالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً» فالحمل رفع الشيء بعماد، يقال: حمل يحمل حملا، و احتمل احتمالًا، و تحمَّل تحمُّلا، و حمَّله تحميلا.

و (الخبز) معروف «تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ» و قوله «نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ» اى أخبرنا بتأويل رؤيانا «إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» معناه انّا نعلمك او نظنك ممن يعرف تأويل الرؤيا. و من ذلك

قول علی (ع) (قیمة کل ما یحسنه)

ای ما یعرفه.

و الإحسان النفع الواصل الی الغیر إذا وقع علی وجه یستحق به الحمد و إذا اختصرت فقلت هو النفع الذی یستحق علیه الحمد جاز، لان ما یفعله الإنسان

لا یسمی احساناً. و قیل انه کان یداوی مریضهم و یعزّی حزینهم

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۳۹

و یجتهد فی عبادة ربه. و قال الزجاج: کان یعین المظلوم و ینصر الضعیف و یعود المریض. و قیل «من المحسنین» فی عبارة الرؤیا، لأنه کان یعبِّر لغیرهم، فیحسن.

ذکره الجبائی.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۳۷] ..... ص : ۱۳۹

قالَ لا یَأْتِیکُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُکُما بِتَأْوِیلِهِ قَبْلَ أَنْ یَأْتِیَکُما ذلِکُما مِمَّا عَلَّمَنِی رَبِّی إِنِّی تَرَکْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ (۳۷)

آیة بلا خلاف.

فی هذه الآیة اخبار بما أجاب به یوسف للفتیین اللذین سألاه عن المنام، فقال لهما «لا یَأْتِیکُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ» و الطعام کل جسم فیه طعم یصلح للأکل، غیر انه یختلف بإضافته الی الحیوان. و الرزق العطاء الجاری فی الحکم و کذلک لو أعطاه مرة واحدة، و قد حکم بانه یجریه کان رزقاً. و قال السدی و ابن إسحاق: معنی ذلک انی عالم بتعبیر الرؤیا إذ لا یأتیکما ما ترزقانه فی منامکما إلا نبأتکما بتأویله فی الیقظة. و قال ابن جریج: کان الملک إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معلوماً، فأرسل به الیه، فعلی هذا یرزقانه فی الیقظة. و قیل إنه کان یخبر بما غاب کما کان عیسی (ع)، و إنما عدل عن تعبیر الرؤیا إلی الجواب بهذا لاحد أمرین:

أحدهما- ما قال ابن جریج: انه کره ان یخبرهما بالتأویل علی أحدهما فیه، فلم یترکاه حتی أخبرهما. و قال ابو علی: إنما قدم هذا، لیعلما ما خصه اللَّه به من النبوة، و لیقبلا الی الطاعة، و الإقرار بتوحید اللَّه. و الانباء: الاخبار بما یستفاد و ذلک ان النبأ له شأن، و فیه تعظیم الخبر بما فیه من الفائدة، و لذلک أخذت منه النبوة. و التأویل: الخبر عما حضر بما یؤل الیه أمره، فیما غاب.

و لذلک قال «قَبْلَ أَنْ یَأْتِیَکُما» و تأویل القرآن ما یؤل الیه من المعنی أی یرجع التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۴۰

الیه و التعلیم تفهیم الدلالة المؤدیة الی العلم بالمعنی، و قد یکون الاعلام بخلق العلم بالمعنی فی القلب.

و قوله «إِنِّی تَرَکْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ» اخبار من یوسف أنه إنما علمه اللَّه تعالی تأویل ما سألاه لإیمانه باللَّه وحده لا شریک له و عدوله عن ملة الکفار و جحدهم البعث و النشور و الجزاء بالثواب و العقاب، و (هم) الثانیة دخلت للتأکید لأنه لما دخل بینهما قوله «و بالآخرة» صارت الأولی کالملغاة، و صار الاعتماد علی الثانیة، کما قال «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ» «۱» و کما قال «أَ یَعِدُکُمْ أَنَّکُمْ إِذا مِتُّمْ وَ کُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّکُمْ مُخْرَجُونَ» «۲».

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۳۸] ..... ص : ۱۴۰

وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِی إِبْراهِیمَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ ما کانَ لَنا أَنْ نُشْرِکَ بِاللَّهِ مِنْ شَیْءٍ ذلِکَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَیْنا وَ عَلَی النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ (۳۸)

آیة بلا خلاف.

فى هذه الآية أخبار عن يوسف أنه قال لهما: إني فى ترك اتباع ملة الكفار و جحدهم البعث و النشور و فى إيمانى باللَّه و توحيدى له اتبعت ملة آبائى ابراهيم و إسحاق و يعقوب، فالاتباع اقتفاء الأثر و هو طلب اللحاق بالأول، فاتباع المحق بالقصد الى موافقته من أجل دعائه. و الملة مذهب جماعة يحمى بعضها بعضاً فى الديانة، و أصله الحمّى من المليلة و هى حمى ما يلحق الإنسان دون الحمى. و الآباء جمع أب و هو الذى يكون منه نطفة الولد، و الأم الأنثى التى يكون منها الولد و الجد أب بواسطة، و لا يطلق عليه صفة أب، و إنما يجوز ذلك بقرينة تدل على انه أب بواسطة الأبن، وجد الأب أب بواسطتين.

---

(۱) سورة النمل آية ۳، و سورة الروم آية ۴.

(۲) سورة المؤمنون آية ۳۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۴۱

و قوله «ما كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» إخبار من يوسف أنه ليس له، و لا لاحد من آبائه أن يشرك باللَّه شيئاً، و دخلت (من) للنفى العام، و الاشراك بلوغ منزلة الجمع لعبادة غير اللَّه الى عبادته- فى عظم الجرم. و اليهودى مشرك، لأنه بكفره بالنبى قد بلغ تلك المنزلة فى عظم الجرم. و قوله «ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا» اعتراف منه ان ذلك العدول عن عبادة غير اللَّه هو من فضل اللَّه عليهم من حيث كان بلطفه و هدايته و توفيقه. و الفضل النفع الزائد على مقدار الواجب بوجوب الدين الذى يستحق به الشكر، و كل ما يفعله اللَّه تعالى بالعبد، فهو فضل من فضله. و العقاب ايضاً فضل، لأنه زجر به عن المعاصى. و قيل ذلك من فضل اللَّه علينا ان جعلنا أنبياء و على الناس ان جعلنا رسلًا اليهم- فى قول ابن عباس- و قوله «على الناس» دال على اللَّه قد عمّ جميع خلقه بفضله و هدايته إياهم الى التوحيد و الايمان.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۹] ..... ص : ۱۴۱

يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (۳۹)

آية.

هذا حكاية ما نادى به يوسف للمستفتين له عن تأويل رأياهما، فقال لهما «يا صاحِبَيِ السِّجْنِ» اى يا ملازمى السجن. و الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص بوجه من الوجوه، و هو خلاف ملازمة الاتصال، و لذلك قيل أصحاب مالك، و اصحاب الشافعى للاختصاص بمذاهبهما، و اصحاب النبى لملازمتهم له، و الكون معه فى حروبه، و صاحبا السجن هما الملازمان له بالكون فيه.

و السجن هو الحبس الذى يمنع من التصرف قال الفرزدق:

و ما سجنونى غير انى ابن غالب و انى من الأثرين غير الزعانف «۱»

---

(۱) ديوانه ۱: ۵۳۶ و سيبويه ۱: ۳۶۶ و قد مر فى ۱: ۳۲۰ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۴۲

و قوله «أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ» فيه أقوال: قال قوم أملاك متباينون خير أم المالك القاهر للجميع، يدلهم بهذا على أنه لا يجوز ان يعتقدوا الربوبية إلا للَّه تعالى- عز و جل- وحده. و قال الحسن متفرقون من صغير و كبير و وسط، يعنى الأوثان. و قال قوم: معناه متفرقون بمباينة كل واحد للآخر بما يوجب النقص، و القاهر القادر بما يجب به الغلبة لا محالة و القهار مبالغة فى الصفة يقتضى انه القادر بما يجب به الغلبة لكل احد و الخير الا بلغ فى صفة المدح، و الشر الا بلغ فى صفة الذم.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۰] ..... ص : ۱۴۲

ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۴۰)

آية بلا خلاف.

و هذا تمام ما قال يوسف للكفار الذين يعبدون غير اللَّه، فقال لهم لستم تعبدون من دون اللَّه إلا أسماء سميتموها. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه لما كانت الأسماء التى سموا بها آلهتهم لا تصح معانيها صارت كأنها اسماء فارغة يرجعون فى عبادتهم اليها فكأنهم إنما يعبدون الأسماء، لأنه لا يصح معانى يصح لها من إله و رب.

الثانى- إلا اصحاب أسماء سميتموها لا حقيقة لها، و العبادة هى الاعتراف بالنعمة مع ضرب من الخضوع فى أعلى الرتبة، و لذلك لا يستحقها إلا اللَّه تعالى و قوله «ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ» أى لم ينزل اللَّه على صحة ما تدعونه حجة، و لا برهاناً، فهى باطلة لهذه العلة، لأنها لو كانت صحيحة، لكان عليها دليل. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۴۳

و قوله «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» معناه ليس الحكم إلا للَّه فيما فعله او أمر به، و الحكم فصل المعنى بما تدعو إليه الحكمة من صواب او خطأ. و الأمر قول القائل لمن دونه (افعل) و الصحيح انه يقتضى الإيجاب. و قوله «أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» معناه أمر أن تعبدوه، و كره منكم عبادة غيره، لان الأمر لا يتعلق بأن لا يكون الشىء، لأنه انما يكون أمراً بارادة المأمور و الارادة لا تتعلق الا بحدوث الشىء.

و قوله «ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» معناه ان الذى أمر به من عبادته وحده، و ان لا يشرك به شىء هو «الدِّينُ الْقَيِّمُ» المستقيم الصواب، و لكن اكثر الناس لا يعلمون صحة ما أقوله، لعدولهم عن الحق، و النظر و الاستدلال.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۱] ..... ص : ۱۴۳

يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ (۴۱)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية اخبار عما أجاب به يوسف للفتيين فى تأويل رؤياهما حين راجعاه فى معرفته، فقال «يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً» يعنى سيده، و مالكه، لأنه كان صاحب شرابه، و اجرى عليه صفة الرب، لأنه مضاف، كما يقال رب الدار، و الضيعة.

و «أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ» فروى ان صاحب الصلب، قال ما رأيت شيئاً، فقال له قضى الامر الذى فيه تستفتيان.

و هذا يدل على انه كان ذلك بوحى من اللَّه و لفظ احد لواحد من المضاف اليه مما له مثل صفة المضاف فى الافراد نحو احد الانسانين، واحد الدرهمين، فهو إنسان و درهم لا- محالة. و البعض يحتمل ان يكون لاثنين فصاعدا، و لذلك إذا قال جاءنى احد الرجال، فهم منه إنه جاءه واحد منهم. و إذا قال جاءنى بعض الرجال جاز ان يكون اكثر من واحد. و الاستفتاء طلب الفتيا. و الفتيا جواب بحكم التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۴۴

المعنى، فهو غير الجواب بعينه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۲] ..... ص : ۱۴۴

وَ قالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (۴۲)

آية بلا خلاف.

و هذا حكاية عما قال يوسف (ع) للذى ظن انه ينجو منهما، و قال ابو على:

الظن هاهنا بمعنى العلم لقوله «ظَنَنْتُ أَنِّی مُلاقٍ حِسابِیَهْ» «۱» و قال قتادة: الرؤیا علی الظن، و قال غیره: إلا رؤیا الأنبیاء، فإنها یقین. و الظن هو ما قوی عند الظان کون المظنون علی ما ظنه مع تجویزه ان یکون علی خلافه. و النجاة هی السلامة. و قوله «اذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ» یعنی عند سیدک کما قال الشاعر:

و إن یک رب أذواد فحسبی أصابوا من لقائک ما أصابوا «۲»

و انما سأله ان یذکره عند سیده بخیر و یعرفه علمه و ما خصه اللّه تعالی من الفضل و العلم لیکون ذلک سبب خلاصه. و الذکر حضور المعنی للنفس، و علی حال الذکر یتعاقب العلم و أضداده من الجهل و الشک. و النسیان ذهاب المعنی عن النفس و عزوبه عنها. و الهاء فی قوله «فأنساه» تعود الی یوسف فی قول ابن عباس- و التقدیر فأنسی یوسف الشیطان ذکر اللّه، فلذلک سأل غیره حتی قال مجاعة إن ذلک کان سبب للبثه فی السجن مدة من الزمان. و قال ابن إسحاق و الحسن و الجبائی یعود علی الساقی، و تقدیره فأنسی الساقی الشیطان ذکر یوسف.

---

(۱) سورة الحاقة آیة ۲۰

(۲) قائله النابغة الذبیانی. دیوانه ۱۹ (دار بیروت) و روایته:

و ان تکن الفوارس یوم حسبی أصابوا من لقائک ما أصابوا

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۴۵

و قوله «فَلَبِثَ فِی السِّجْنِ بِضْعَ سِنِینَ» فاللبث فی المکان هو الکون فیه علی طول من الزمان، و اللبث و الثبوت و السکون نظائر. و البضع قطعة من الدهر.

و قیل البضع من الثلث الی العشر- فی قول ابن عباس- و قال قتادة و مجاهد الی التسع و قال وهب: الی سبع سنین. و السنة إثنا عشر شهراً و یجمع سنین و سنوات.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۴۳] ..... ص : ۱۴۵

وَ قالَ الْمَلِکُ إِنِّی أَری سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یابِساتٍ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی رُؤْیایَ إِنْ کُنْتُمْ لِلرُّؤْیا تَعْبُرُونَ (۴۳)

آیة بلا خلاف.

حکی اللّه تعالی فی هذه الآیة: إن الملک الذی کان یوسف فی حبسه، و کان ملک مصر فیما روی، قال إنه رأی فی المنام «سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ» یعنی مهازیل «وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یابِساتٍ» ثم أقبل علی قومه، فقال «یا أَیُّهَا الْمَلَأُ» ای یا ایها الاشراف و العظماء الذین یرجع إلیهم «أَفْتُونِی فِی رُؤْیایَ إِنْ کُنْتُمْ» تعبرون الرؤیا، و تدعون العلم بتأویلها، و الملک القادر الواسع المقدور الذی الیه السیاسة و التدبیر.

و الرؤیا تخیل النفس للمعنی فی المنام حتی کأنه یری، و یجوز فیها الهمزة و ترکها. و البقرات جمع بقرة و السمن زیادة فی البدن من الشحم و اللحم و هو علی الشحم أغلب، و العجف یبس الهزال یقال: عجف یعجف عجفاً، فهو أعجف.

و الأنثی عجفاء، و الجمع عجاف، و سنبلات جمع سنبل، و العبارة: نقل معنی التأویل الی نفس السائل بالتفسیر، و هی من عبور النهر و غیره، و منه المعبر و العبّارة، و إنما دخلت اللام فی قوله «للرؤیا» مع أن الفعل یتعدی بنفسه، لأنه التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۴۶

إذا تقدم المفعول ضعف عمله، فجاز إدخال حرف الاضافة لهذه العلة، و لا یجوز یعبرون للرؤیا، لأنه فی قوة عمله.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۴] ..... ص : ۱۴۶

قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَ ما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ (۴۴)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به الملأ الملك حين سألهم عن تعبير رؤياه و لم يعرفوا معناها، قالوا: «أَضْغاثُ أَحْلامٍ» أى هذه الرؤيا أضغاث أحلام، و الأضغاث جمع ضغث، قال قوم: هو الحزمة من الحشيش، و البقل، و غيره. و قال آخرون: هو خلط قش المد، و هو غير متشاكل، و لا متلائم، فشبهوا به تخليط المنام، و نفوا ان يكونوا عالمين بمثل ذلك. و قال قتادة: هى اخلاط أحلام.

و قال ابن مقبل:

خود كان فراشها وضعت به أضغاث ريحان عداه شمال «۱»

و قال آخر:

يحمى ذمار جنين قل مانعه طاوٍ لضغث الخلا فى البطن ممتكن «۲»

و قال آخر:

و استقل منى هذه قدر بطنها و ألقيت ضغثاً من خلًا متطيب «۳»

و الأحلام جمع حلم، و هو الرؤيا فى النوم، و قد يقال: جاء بالحلم أى الشيء الكثير، كأنه جاء بما لا يرى إلا فى النوم لكثرته. و الحلم: الاناة، حلم حلماً:

إذا كان ذا أناة و إمهال. و الحلم ضد الطيش. و منه

(۱، ۲) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۲: ۱۲۵ و روايته (غداة) بدل (عداه).

(۳) مجاز القرآن ۱: ۳۱۲ و جمهرة اشعار العرب ۲: ۲۳ و قد نسب الى عوف بن عطية ابن عمر بن الحارث بن تميم. انظر. سمط اللآلى ۳۷۷، ۷۲۳ و معجم البلدان ۲۷۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۴۷

«إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ» «۱» و الحليم: من له ما يصح به الأناة دون الخرق و العجلة. و اللَّه الحليم، الكريم، و (الحلم) بضم اللام ما يرى فى المنام، لأنها حال أناة و سكون و دعة تقول: حلم يحلم حلماً- بسكون اللام- إذا أردت المصدر، و الحلمة رأس الثدى، لأنها، تحلم الطفل، و الحلام الجدى الذى قد حلمه الرضاع، ثم كثر حتى قيل لكل جدى.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۵] ..... ص : ۱۴۷

وَ قالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (۴۵)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى فى هذه الآية أن الذى نجا من الفتيين اللذين رأيا المنام، و فسره لهما يوسف- و هو صاحب الشراب- على ما ذكره له يوسف، فتذكر بعد وقت و حين من الزمان، لأمر يوسف، و قال لهم أنا أخبركم بما يؤل اليه هذا المنام، فابعثونى حتى ابحث عنه.

و (النجاة) التخلص من الهلاك. و الاذكار طلب الذكر. و مثله التذكّر و الاستذكار، و وزنه (الافتعال) من الذكر و أَصله الاذتكار، فقلبت التاء ذالًا و أدغمت فيها الدال على أصل ادغام الاول فى الثانى و يجوز اذّكر، على تغليب الأصلى على الزائد. و (الامة) المذكورة هى الجملة من الجبن، و أصله الجماعة من الجبن، و سميت الجماعة الكثير من الناس أمة، لاجتماعها على مقصد فى أمرها.

و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة: «بعد أمة» أى بعد حين، و حكى الزجاج و غيره عن ابن عباس «بعد أمة» اى بعد نسيان، يقال أمه يأمه أمهاً- بفتح الميم-، و حكى عن أبى عبيدة- بسكون الميم- قال الزجاج هذا ليس بصحيح و أجازه غيره، و روى هذه القراءة عن جماعة كقتادة و عكرمة و غيرهم.

---

(۱) سورة هود آية ۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۴۸

و تأويل الرؤيا تفسير ما يؤل اليه معناه، و تأويل كل شىء تفسير ما يؤل اليه معنى الكلام. و حكى عن الحسن أنه قرأ «أنا أجيبكم بتأويله» و هو خلاف المصحف.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۶] ..... ص : ۱۴۸

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (۴۶)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن الذى نجا من الفتيين انه جاء يوسف بعد أن قال لهم ابعثونى. و قال له يا «يوسف» و حذف حرف النداء، لأنه اسم علم «أَيُّهَا الصِّدِّيقُ» و الصديق الكثير التصديق بالحق للأدلة عليه، و كل نبىّ صدّيق بهذا المعنى «أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ» أى أخبرنا عن حكم هذه الرؤيا، و (الفتيا) جواب عن حكم المعنى، و قد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يسمى فتيا.

و قوله «لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» معنى (لعل) الشك، لأنها طمع و اشفاق، و انما قال ذلك لطمعه أن يكون، و اشفق ان لا يكون، و لو قال لأرجع الى الناس ليعلموا، لكان فيه تعليل السؤال، غير ان الشك فى (لعل) قد يكون للمتكلم، و قد يكون للمخاطب، و (الرجوع) الى الشىء المرور الى الجهة التى جاء منها، و الرجوع عنه الذهاب عنه. و قوله «لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» يحتمل أمرين:

- أحدهما لعلهم يعلمون بمكانك و منزلتك.

الثانى- لعلهم يعلمون تأويل الرؤيا.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۷] ..... ص : ۱۴۸

قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (۴۷)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۴۹

آية.

حكى اللَّه تعالى عن يوسف ما أجاب به المستفتى عن تعبير الرؤيا التى رآها الملك، فقال له إنكم «تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً» أى مستمرة. و قيل: متوالية.

و قيل: على عادتكم. و الدأب استمرار الشىء على عادة، يقال هو دأب بفعل كذا إذا استمر فى فعله، و قد دأب يدأب دأباً. و سكن القراء كلهم الهمزة، إلا حفصاً فانه فتحها، و هى لغة مثل سمع، و سمع، و نهر و نهر. و نصب (دأباً) على المصدر أى تدأبون دأباً، و كلهم همز إلا من مذهبه ترك الهمزة و أبو عمرو إذا أدرج.

و قوله «فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ» حكاية عن تمام ما قال يوسف له: من أن ما تحصدونه لا تذرّوه و لا تدرسونه، و دعوه فى السنبل إلا القليل الذى تأكلونه. و قيل إنما أمرهم بذلك، لأن السنبل لا يقع فيه السوس، و لا يهلك، و ان بقى

مـدة من الزمـان، و إذا صـفى أسـرع اليه الهلاـك، و (الزرع) طرح الحب فى الأرض بالـدفن مع التعاهـد له بالسـقى، تقول. زرع يزرع زرعاً، و ازرع ازراعاً، و زارعه مزارعة، و (الحصد) قطع الزرع، حصده يحصده حصداً و استحصد الزرع إذا جاز حصاده.

قوله تعالى [سورة يوسف (۱۲): آية ۴۸] ..... ص : ۱۴۹

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (۴۸)

آية بلا خلاف.

و هذا تمام حكاية ما فسر به الرؤيا يوسف (ع)، فقال لهم: إنه يجيء بعد هذه السنين التى زرعتم فيها و حصدتم، سبع سنين أخر شداد و هى جمع شديدة، و الشدة قوة الالتفاف، و الشدة و الصلابة و الصعوبة نظائر. و شدة الزمان التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۵۰

و صعوبته بمعنى. و ضدها الرخاء. و قيل الشدة تكون فى سبعة أصناف فى الأصل:

فى العقد، و المد، و الزمان، و الغضب، و الألم، و الشراب، و البدن.

و قوله «يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ» أضاف الأكل الى السـنين، لأنها بمنزلة ما يأكل ذلك لوقوع الأكل فيها كما يكون الاكل فى الآكل قال الشاعر:

نهارك يا مغرور سهو و غفلة و ليلك نوم و الردى لك لازم «۱»

و التقديم التقريب الى جهة القدام، و التأخير التبعيد الى جهة الخلف، و الإحصان الاحراز، و هو إلقاء الشـىء فيما هو كالحصن المنيع، أحصنه إحصاناً إذا أحرزه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۹] ..... ص : ۱۵۰

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ (۴۹)

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى بالتـاء (تعصـرون) على الخطاب أى أنتم. الباقون بالياء على الرجوع الى الناس، و هـذا حكايـة ما بشـر به يوسـف المستفتى له أنه يأتى بعد هذه السنين الصعبة سنة. و العام السنة مأخوذ من العوم، لما لأهله فيه من السبح الطويل.

و قال الخليل: العام حول يأتى على شتوة و صيفة. و الحول، و السنة مثل ذلك.

و قوله «فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ» فالغوث النفع الـذى يأتى على شـدة حاجة ينفى المضـرّة، و الغيث المطر الذى يجىء فى وقت الحاجة، غاثهم اللَّه يغيثهم غيثاً، و أصابهم غيث. و الغيث الكلأ الذى ينبت من ماء السـماء و جمعه غيوث. و الغياث أصـله من الواو، اغاثه اللَّه اغاثة، و غوث تغويثاً: إذا قال وا غوثاه من يغيثنى، و يقول الواقع فى بلية: اغثنى أغاثك اللَّه، و (يغاث) يحتمل ان يكون من الياء.

---

(۱) تفسير القرطبى ۹: ۲۹۴ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۲: ۱۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۵۱

و يحتمل ان يكون من الواو «و يعصرون» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعصرون الثمار التى تعتصر فى الخصب من العنب و الزيتون و السمسم. و حكى بعضهم أنهم لم يعصروا- أربع عشرة سنة- زيتاً و لا عنباً، فيكون المعنى تعصرون للخصب الذى أتاكم، كما كنتم تعصرون فى ايام الخصب.

الثانى- فى رواية أُخرى عن ابن عباس تحلبون.

الثالث- قال ابو عبيدة و الزجاج: تنجون نجاء المعتصر بالماء عند الغصص، كما قال عدى بن زيد:

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى «۱»

و قال ابو زيد الطائى:

صاديا يستغيث غير مغاث و لقد كان عصرة المنجود «۲»

و اصل العصر عصر العنب، و نحوه من الرطب المستخرج ماؤه و كذلك ما فيه الدهن ليستخرج دهنه، و منه العصارة ما يخرج بالعصر، و الاعتصار شرب الماء قليلًا قليلًا عند الغصص، و المعصر الكاعب، لأنه يجرى فيها ماء الشباب، و المعصرات السحائب التى تنعصر بالمطر، و الاعصار ريح تثير السحاب او الغبار، لأنه كالمعتصر منها. و العصرة المنجاة كنجا الغصان باعتصار الماء، و العصرة الدنية فى النسب، لأنه كالمعتصر من الرطب. و قرئ يعصرون بضم الياء، و فتح الصاد شاذاً و معناه يمطرون.

و قال البلخى: و هذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول:

ان الرؤيا على ما عبرت اولًا، لأنهم كانوا قالوا هى أضغاث أحلام، فلو كان ما قالوه صحيحاً لما كان يتأوّلها.

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱: ۴۱۲

(۲) تفسير القرطبى ۹: ۲۰۴ و مجاز القرآن ۱: ۳۱۳ و تفسير القرطين ۱: ۲۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۵۲

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۰] ..... ص : ۱۵۲

وَ قالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلی رَبِّکَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِی قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ إِنَّ رَبِّی بِکَیْدِهِنَّ عَلِیمٌ (۵۰)

آية بلا خلاف.

قرأ البرجمى و السلمونى «النسوة» بضم النون. و الباقون بكسرها، و هما لغتان. و الكسر افصح. و فى الكلام حذف، لأن تقديره إن الناجى الذى استفتى يوسف عن تفسير رؤيا الملك حين فسره له، رجع الى الملک و أخبره به، و عرّفه ان ذلک فسره له يوسف، فقال الملک عند ذلک: ائتونى به و الكلام دال عليه، و ذلک من عجائب القرآن، و عظم فصاحته. و معنى «ائْتُونِی بِهِ».

أجيئونى به «فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ» يعنى رسول الملک، قال له يوسف ارجع الى سيدک. «فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِی قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ» و انما رد الرسول ليبين للملک براءته مما قرف به، و انه حبس بظلم من غير بينة، و لا اعتراف بذنب، و قال قتادة: طلب العذر.

و قوله «إِنَّ رَبِّی بِکَیْدِهِنَّ عَلِیمٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و هو الصحيح- انه أخبر ان اللَّه تعالى عالم بكيد النسوة.

و الثانى- ان سيدى العزيز عليم بكيدهن. و الاول عليه اكثر المفسرين.

و الملک هو القادر الواسع المقدور الذى اليه السياسة و التدبير، و كان هذا الملک ملک مصر. و يجوز ان يمكّن اللَّه تعالى الظالم من الظلم، و ينهاه عن فعله، و لا يجوز أن يملكه الظلم، لأن ما يملكه، فقد جعله له، و ذلک لا يليق بعدله. و التمليک تمكين الحى مما له ان يتصرف فيه فى حكم اللَّه تعالى بحجة العقل و السمع، و على هذا إذا مكَّن اللَّه تعالى من الظلم او الغصب لا يكون ملكه، لأنه لم يجعل له التصرف فيه، بل زجره عنه، قال الرمانى: يجوز أن يسلب اللَّه تعالى الخلق التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۵۳

ما ملكهم فى الدنيا بسوء أفعالهم، كما يسلب بعضهم بكفرهم، و الا فهو له، فان أخذ بالموت عنه على طريق العارية ثم يرد اليه و يعوض مما فاته بكرمه تعالى، و قيل: إن يوسف انما قال ما بال النسوة جميع النساء و لم يخص امرأة العزيز حسن عشرة منه، و قال قوم ذلک يدل على ان كل واحدة منهن دعته الى نفسها مثل امرأة العزيز.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۱] ..... ص : ۱۵۳

قالَ ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (۵۱)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى انه حين رجع الرسول الى الملك برسالة يوسف جمع النساء و قال لهنّ ما خطبكن إذ راودتنّ يوسف عن نفسه، و الخطب الأمر الذى يخاطب به صاحبه، مما يستعظم شأنه، يقال هذا خطب جليل، و ما خطبك، و ما شأنك؟.

و قوله «قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ» حكاية عما اجابته به النسوة، فإنهن قلن للملك على وجه التنزيه «حاش لله» اى عياذ باللَّه، و تنزيهاً من هذا الأمر، كقوله «معاذ اللَّه». و قد يستثنى به، فيقال أتانى القوم حاشى زيد، بمعنى إلا زيداً «ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ» اى لم نعلم عليه امراً قبيحاً. قالت امرأة العزيز عند ذلك معترفة بخطئها «الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ» أى بان الحق يقال حصحص الأمر و حصحص الحق اى حصل على أمكن وجوهه، و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة، و أصله حصّ من قولهم حص شعره إذا استأصل قطعة منه، و الحصة اى القطعة

من الشيء، فمعنى «حَصْحَصَ الْحَقُّ» انقطع عن الباطل بظهوره. و مثله كبوا و كبكبوا، و كف الدمع و كفكفه، و رده و ردده، فهو زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق ذكره الزجاج. و أصله من حصحص البعير ثفناته فى الأرض إذا برك حتى يستبين آثارها فيها. قال حميد بن ثور الهذلى:

و حصحص فى صمّ القنا ثفناته و رام القيام ساعة ثم صمما «۱»

و يقال انحص الوبر عن جنب البعير و انحت إذا انحسر و معنى «أَنَا راوَدْتُهُ» انا طالبته بذلك، «وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى امتناعه من ذلك.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۲] ..... ص : ۱۵۴

ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ (۵۲)

آية بلا خلاف.

اختلفوا فى من هذا الكلام حكاية عنه؟ فقال اكثر المفسرين كالحسن و مجاهد و قتادة و الضحاك: انه من قول يوسف «ذلك» يعنى ذلك الامر من فعلى من ردّ الرسول ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب، و قطع الحكاية عن المرأة، و جاز ذلك لظهور الكلام الدال على ذلك، كما قال «و كذلك يفعلون» و قبله حكاية عن المرأة «وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً» «۲» و كما قال «فَما ذا تَأْمُرُونَ» و مثله حكاية قول الملأ «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ» «۳» و قال الجبائى و البلخى: انه من قول المرأة. و المعنى ان اعترافى على نفسى بذلك ليعلم يوسف انى لم اخنه بالغيب، لان العزيز سألها و لم يكن يوسف حاضراً و كلا الأمرين جائزان، و الاول أشبه، و الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد فى السر، و ضد الخيانة الامانة،

---

(۱) اللسان (صمم) و روايته:

و حصحص فى صم القنا ثفناته و ناء بسلمى نوءة ثم صمما

[.....]

(۲) سورة النمل آية ۳۴

(۳) سورة الاعراف آية ۱۰۹- ۱۱۱

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۵۵

و هی تأدیة الحق علی ما وقع به العقد. و الفرق بین الخیانة و الغدر أن الخیانة تکون علی وجه السر و الغدر نقض العهد بخلاف الحق جهراً، و الکید الاحتیال فی إیصال الضرر الی صاحبه، کاده یکیده کیداً، فهو کائد.

و اللام فی قوله «لیعلم» لام (کی) و معناها تعلیق ما دخلت علیه بالفعل الـذی قبله، بمعنی انه وقع من اجله، و انما یتعلق بـذلک الارادة.

و قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی کَیْدَ الْخائِنِینَ» ای لا یدعوهم الیها و لا یرغبهم فیها و انما یفعلونها بسوء اختیارهم.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۵۳] ..... ص : ۱۵۵

وَ ما أُبَرِّئُ نَفْسِی إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّی إِنَّ رَبِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ (۵۳)

آیة بلا خلاف.

هذا اخبار عما قال یوسف علی وجه التواضع للَّه لست أبرئ نفسی من السوء، و التبرئة ازالة الشیء عما کان لازماً له، لان النفس امارة بـالسوء ای تنـازع الی السوء، فلست أبرئ نفسی من ذلـک، و ان کنت لاـ اطاوعهـا فیما نازعت الیه، و الأمّارة الکثیرة الامر بالشـیء، و النفس بهـذه المنزلـة لکثرة ما تشتهیه و تنازع الیه مما یقع الفعل لأجله، و هذا مجاز فی الأصل غیر انه کثر اسـتعماله فی العرف، فیقال نفسـی تأمرنی بکـذا و تـدعونی الی کذا من جهة شـهوتی له، و الا فلا یصح ان تأمر الإنسان نفسه، لأنه یقتضـی الرتبة، لأنه قول القائل لمن دونه (افعـل) و ذلک لا یصـح بین الإنسان و بین نفسه، و اکثر المفسـرین علی ان هـذا من قول یوسف. و قال ابو علی الجبائی هو من کلام المرأة.

و قوله «إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّی» اسـتثناء من الأنفس التی یرحمها اللَّه، فلا تدعو الی القبیح، بان یفعل معها من الالطاف ما تنصـرف عن ذلک.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۵۶

و قوله «إِنَّ رَبِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ» تمـام الحکایـة عن قائـل ذلک انه اعترف بان اللَّه تعال غفور رحیم ای ساتر علیهم ذنوبهم رحیم بهم بان یعفو عنهم و یقبل توبتهم.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۵۴] ..... ص : ۱۵۶

وَ قالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی فَلَمَّا کَلَّمَهُ قالَ إِنَّکَ الْیَوْمَ لَدَیْنا مَکِینٌ أَمِینٌ (۵۴)

آیة بلا خلاف.

هذه السیاقة تدل علی ان ما مضـی حکایة عن قول المرأة، لان یوسف لم یکن حاضـراً ذلک المجلس، و ان الملک حین سـمع جمیع ذلـک قـال ائتونی بیوسف اسـتخلصه لنفسـی، و طلب هـذا الملـک ان یکون یوسف له وحـده دون شـریک فیه، و الاسـتخلاص طلب خلوص الشیء من شائب الاشتراک. و قال ابن إسحاق کان هذا الملک: الولید ابن ریان.

و قوله «فلما کلمه» فیه حـذف، و تقدیره انه لما أمر بإحضاره فأحضـر قال له بعد ان کلمه «انک» یا یوسف «الْیَوْمَ لَدَیْنا مَکِینٌ أَمِینٌ» ای عرفنا أمانتک، و ثقتک، و انت علی حالـة یتمکن من کان علیها مما یریـد، یقال لفلان مکانـة عند الملک، و هو مکین عنده، و أصله التمکن من الامر (و الأمین) الموثوق به، و الامانـة حالـة ثقة یؤمن معها نقض العهد بالفتح، و ذلک کالعقد فی الودیعة و فی التخلیة و العقد فی الدین، و العقد فی القیام بالحق.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۵۵] ..... ص : ۱۵۶

قالَ اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ (۵۵)

آية بلا خلاف.

و هذا حكاية ما قال يوسف حين قال له الملك انك اليوم لدينا مكين أمين التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۵۷

«اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ» يعنى أرضك، و الالف و اللام يعاقبان حرف الكناية، و أراد بذلك الأرض التى هى ملكه و يجمع فيها ماله و طعامه، طلب اليه ذلك ليحفظ ذلك عمّن لا يستحقه و يوصله الى الوجوه التى يجب صرف الأموال لها، فلذلك رغب الى الملك فيه، لان الأنبياء لا يجوز ان يرغبوا فى جمع اموال الدنيا الا لما قلناه. و قوله «إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ» معناه حافظ للمال عمن لا يستحقه عليم بالوجوه التى يجب صرفها اليه، و فى الآية دلالة على جواز تقلد الامر من قبل السلطان الجائر إذا تمكن معه من إيصال الحق الى مستحقه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۶] ..... ص : ۱۵۷

وَ كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَ لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (۵۶)

آية بلا خلاف.

قرأ «نشاء» بالنون ابن كثير وحده. الباقون بالياء.

من قرأ بالنون، فعلى معنى ان يوسف يتبوّء من الأرض حيث يشاء، و طابق بينه و بين قوله «نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ»، و يكون على احد معنيين:

أحدهما- ان تكون المشيئة أسندت اليه، و هى ليوسف، لما كانت بأمره و ارادته كما قال «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى» (۱) فأضاف الرمى الى اللَّه، لما كان بقدرته و ارادته.

و الثانى- ان يكون الموضع المتبوإ موضع نسك و عبادة او موضعاً يقام فيه الحق، من أمر بمعروف، او نهى عن منكر، و يقوى النون قوله «نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ».

---

(۱) سورة الانفال آية ۱۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۵۸

و من قرأ بالياء حمله، على انه يتبوء يوسف حيث يشاء هو نفسه.

اخبر اللَّه تعالى أنه كما لطف ليوسف حين أخرجه من السجن و خلصه من المهالك كذلك مكنه من التصرف، و المقام فى الأرض حيث يشاء كيف يشاء، و قال الجبائى: كان هذا التمكن ليوسف ثواباً من اللَّه على طاعته و إحسانه الذى تقدم منه فى الدنيا. و قال غيره: ليس فى ذلك دلالة على انه ثواب، و يجوز أن يكون تفضلًا عليه بذلك من غير ان ينقص من ثوابه شىء، و التمكين الاقدار بما يتسهل به الفعل من رفع الموانع و إيجاد الآلات و الالطاف و غير ذلك مما يحتاج اليه فى الفعل. و التبوء هو اتخاذ منزل يرجع اليه و أصله الرجوع من «باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» قال الشاعر:

فان تكن القتلى بواء فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر (۱)

اى يرجع بدم بعضها على بعض، فان هذا المقتول لا كفاء لدمه. و قوله «نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ» اخبار منه تعالى انه يفعل رحمته بمن يشاء من عباده على وجه التفضل عليهم و الإحسان اليهم، و انه لا يضيع اجر الذين يحسنون أفعالهم و يفعلون ما أمرهم اللَّه به على وجهه، بل يثيبهم على ذلك.

و الإحسان على ثلاثة أوجه:

أحدها- ان يحسن الى غيره، فذلك انعام.

و ثانيها- ان يحسن الى نفسه بأن ينفعها نفعاً حسناً.

و ثالثها- ان يفعل حسناً مبهماً لا يضيفه الى نفسه و لا الى غيره.

و اللام فى قوله «مَكَّنّا لِيُوسُفَ» يحتمل ان يكون مثل قوله «رَدِفَ لَكُمْ» «۲» و «لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ» «۳» بدلالة قوله «مَكَّنّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنّاكُمْ فِيهِ» «۴» و قوله «مَكَّنّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ» «۵» «و يتبوء» فى موضع نصب على الحال.

---

(۱) قائلة ليلى الاخيلية، قد مر فى ۱: ۳۷۸ و هو فى اللسان (بوأ)

(۲) سورة النمل آية ۷۲

(۳) سورة يوسف آية ۴۴

(۴) سورة الأحقاف آية ۲۶

(۵) سورة الانعام آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۵۹

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۷] ..... ص : ۱۵۹

وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۵۷)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى ان الثواب الذى يثيب اللَّه به الذين يؤمنون به و يتقون معاصيه فى الآخرة، و هى النشأة الثانية، فان الدنيا هى النشأة الاولى و الآخرة خير و أعظم نفعاً من منافع الدنيا التى تنالها الكفار.

و قال ابو على الجبائى:اجر الآخرة خير من ثواب الدنيا، لان ما تقدم فى الآية الاولى يقتضيه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۸] ..... ص : ۱۵۹

وَ جاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (۵۸)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن اخوة يوسف الذين كانوا ألقوه فى الجب، و باعوه بثمن بخس انهم جاءوه و دخلوا عليه، فعرفهم يوسف و لم يشك فيهم، و لم يعرفه اخوته بل كانوا جاهلين بحاله منكرين له، و كان سبب مجيئهم اليه مجيء سنى القحط التى كان ذكرها يوسف فى تعبير الرؤيا، فجاءوا الى مصر يمتارون كما جاء غيرهم من الناس- فى قول السدى، و ابن اسحق و غيرهما، و ليس لأحد ان يقول: كيف يجوز مع كمال العقل ان يعرفهم يوسف، و هم يجهلونه مع انه نشأ معهم؟.

و ذلك ان عنه جوابين.

أحدهما- قال الجبائى: انهم فارقوه و هو صبى امرد، فجاءوه و قد التحى و كبر و تغيرت حاله، فلم يعرفوه. و قال البلخى: ان ذلك مما خرق اللَّه تعالى فيه العادة لنبيه (ع).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۶۰

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۹] ..... ص : ۱۶۰

وَ لَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ قالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَ لا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (۵۹)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان يوسف لما أمر بتجهيز اخوته فجهزهم، و الجهاز فاخر المتاع الذى يحمل من بلد الى بلد، و منه قولهم: فلان يجهز، و منه جهاز المرأة، قال لهم جيئونى «بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ» و انما قال ذلك، لأنه كان أخا يوسف لأبيه و امه، و هو ابن يامين- فى قول قتادة و غيره- و كان أخاهم لأبيهم خاصة.

و قوله «أَ لا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ» خطاب من يوسف لإخوته، فقال أ ليس قد عرفتم عدلى و إيفائى الكيل من غير بخس له. و الوفاء تمام الامر على ما يوجبه الحق، و يكون ذلك فى الكيل، و فى الوزن، و فى الذرع، و فى العدّ، و فى العقد.

و (الكيل) مصدر كال يكيل، و هو فصل المكيال بملئه. و (المكيال) مقدار يفصل عليه ما يطرح فيه.

و قوله «وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ» فيه قولان: أحدهما- قال مجاهد: خير المضيفين.

و الثانى- خير المنزلين فى سعر الطعام. و (المنزل) واضع الشيء فى منزلته، و قد يكون للشيء منزلتان، إحداهما اولى من الاخرى، فمن وضعها فى الاولى فهو خير المنزلين كسعر الطعام الذى يضعه فى اولى منزلتيه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۰] ..... ص : ۱۶۰

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَ لا تَقْرَبُونِ (۶۰)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۶۱

ثم قال يوسف لإخوته بعد ان قال لهم «ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ» متى ما لم تفعلوا ما أمرتكم به من إتيانكم بأخيكم، فأنى لا أكيل لكم الطعام، و لا أبايعكم، و مع هذا فلا تقتربون يعنى لا تجيئونى، و الذى اقتضى طلبه الأخ من أبيهم انه فاوضهم و ساءلهم عن اخبارهم و أحوالهم، و اخبار أهلهم، كما يتساءل الناس عن مثل ذلك، و دل الكلام على ذلك، و هو من عجيب فصاحة القرآن، و إنما استجاز ان يطلب أخاهم و لا معاملة بينه و بينهم، لأنهم ذكروا ان أباهم آثره عليهم بالمحبة مع حكمته و فضله، أحب ان يراه و تطلعت نفسه الى ان يعلم السبب فيما يقتضى هذه الحال، و انما أخفاهم أمره و لم يطلعهم على ما أنعم اللَّه عليه، لأنه خاف ان يكتموا أباه أمره لما تقدم لهم فيه و أحب ان يجرى تدبيره على تدريج لئلا يهجم عليه ما يشتد معه اضطرابهم.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۱] ..... ص : ۱۶۱

قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ وَ إِنَّا لَفاعِلُونَ (۶۱)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به اخوة يوسف يوسف حين حثهم على الإتيان بأخيهم بأنهم «قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ» و نحن نفعل ذلك، و المراودة المطالبة من قولهم راد يرود، فهو رائد اى طلب، و فلان يرتاد موضعاً اى يطلبه، و فى المثل (الرائد لا يكذب اهله) و منه الارادة و هى طلب الفعل بما هو كالسبب له، لان الداعى الى الفعل داع الى ارادته، لأنّ باجتماع الامرين يقع الفعل من عالم قادر، و الفاعل من جعل الشيء موجوداً بعد ان كان معدوماً، و كل فاعل جاعل، و ليس كل جاعل فاعلًا، لأنه قد يكون جاعلًا على صفة، كالجاعل للجسم متحركاً. قال الرمانى: الفرق بين العامل و الفاعل ان العامل للشيء قد يكون المغير له، و الفاعل لا يكون إلا الموجد له، و الفرق بين العامل و الجاعل ان العامل لا التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۶۲

يكون الا مغيراً له، و قد يكون الجاعل غير مغير له، لأنه يجعله على صفة بحكمه فيه كالذى يجعله كافراً بحكمه انه كافر.

و قال ابن إسحاق: الذى وعدوا بفعله الاجتهاد فى المصير بأخيهم اليه لأنهم جوّزوا ان لا يجيبهم أبوهم الى الإرسال به معهم. و قال ابو على: و عدوه بان يصيروا به اليه ان أرسله أبوه معهم، فالعدة به كانت واقعة بشرط.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۲] ..... ص : ۱۶۲

وَ قالَ لِفِتْيانِهِ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِي رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۶۲)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «لفتيانه» الباقون «لفتيته» قال ابو الحسن كلام العرب قل: لفتيانك، و ما فعل فتيانك، و ان كانوا ايضاً فى أدنى العدد إلا ان يقولوا: ثلاثة و أربعة.

اخبر اللَّه تعالى عن يوسف انه أمر فتيانه بأن يجعلوا بضاعتهم فى رحالهم.

و (الفتى) الشاب القوى، و جمعه فتية و فتيان. و قال قتادة: كانوا غلمانه.

و قال غيره: كانوا مماليكه. و (البضاعة): قطعة من المال التى للتجارة.

و (الرحال) جمع رحل و هو الشيء المعد للرحيل من وعاء المتاع او مركب من مراكب الجمال، و جمعه فى القليل ارحل و فى الكثير رحال. و انما جعل بضاعتهم فى رحالهم، ليقوى دواعيهم فى الرجوع اليه إذا رأوا إكرامه إياهم، ورد بضاعتهم اليهم مع جدوب الزمان و شدته. و يجوز ان يكون جعلها فى رحالهم ليرجعوا اليه متعرّفين عن سبب ردها. و قال قوم معناه ليعلموا انى لست اطلب أخاهم للرغبة فى مالهم.

و قوله «لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها» معناه لكى يعرفونها، و انما قال (لعل) لأنه جوز أن تشتبه عليهم، فيمسكوا فيها «إِذَا انْقَلَبُوا» أى إذا رجعوا الى أهليهم «لَعَلَّهُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۶۳

يَرْجِعُونَ»

اى لكى يرجعوا، و اللّام لام الغرض، و انما اتى ب (لعل) لأنه جوز أن لا يعودوا.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۳] ..... ص : ۱۶۳

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۶۳)

آية بلا خلاف.

قرأ (يكتل) بالياء حمزة و الكسائى. الباقون بالنون.

من قرأ بالياء رد الكناية الى أخو يوسف، و من قرأ بالنون رده الى جماعتهم، لقوله «وَ نَمِيرُ أَهْلَنا».

حكى اللَّه تعالى عن أخوة يوسف أنهم حين رجعوا الى أبيهم و حصلوا معه، قالوا يا أبانا منعنا الكيل «فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا» اى ابعثه «معنا نكتل» و نحن نحفظه و نحتاط عليه. و الاكتيال هو الكيل للنفس، و هو افتعال من الكيل، و انما قال «مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ» و هو قد كال لهم، لان المعنى منع منا الكيل ان لم نأت بأخينا. لقوله «فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَ لا تَقْرَبُونِ» و هو قول الحسن و الزجاج و الجبائى. و هو الصحيح.

و قال قوم: معناه إنه لما كال لهم لكل واحد كيل بعير و منعهم تمام الكيل الذى أرادوه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۴] ..... ص : ۱۶۳

قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (۶۴)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۶۴

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «حافظاً» على وزن فاعل. الباقون «حفظاً» على المصدر.

و هـذا حكايـة ما قال يعقوب لولـده حين قالوا له «فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا» فانه قال لهم «هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ» و الامن اطمئنان القلب الى سـلامة الأمر يقال: أمنه يأمنه.

أمنـاً و ائتمنه يـأتمنه ائتماناً. و منه قوله «فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ» «۱» ثم أخبر تعـالى، فقال «فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً» فمن قال على لفظ الفاعل نصبه على الحال. و يحتمل ان يكون نصبه على التميز، و لم ينصبه على الحال، و الحال يدل على انه تعالى الحافظ.

و التمييز يرجع الى من يحفظ بأمره من الملائكة و كلا الوجهين أجازهما الزجاج.

و من قرأ على المصـدر نصـبه على التميز لا غير، و لو قرئ (خير حافظ) على الاضافـة لـدل على ان الموصوف حافظ، و ليس كذلك التمييز، و حقيقة (خير من كذا) انه أنفع منه على الإطلاق، و انه لا شيء انفع منه، قال ابو على الفارسى:

وجه قراءة من قرأ (حفظاً) بغير ألف انه قد ثبت من قولهم «و نحفظ أخانا» و قولهم «وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» انهم أضافوا الى أنفسهم «حفظاً» فـالمعنى على الحفـظ الـذى نسبوه الى أنفسـهم، و ان كان منهم تفريط فى حفظ يوسف، كما قال «أَيْنَ شُـرَكائِيَ» «۲» و لـم يثبت للّه شريك، و لكن على معنى الشـركاء الذين نسـبتموهم إلىّ، فكذلك المعنى على الحفظ الذى نسبوه الى أنفسهم، و المعنى «فاللّه خير حفظاً» من حفظكم الذى نسبتموه الى أنفسكم. و من قرأ (حفظاً) فعلى التميز دون الحال.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۵] ..... ص : ۱۶۴

وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتـاعَهُمْ وَجَـدُوا بِضـاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قالُوا يا أَبانا ما نَبْغِي هـذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَيْنا وَ نَمِيرُ أَهْلَنا وَ نَحْفَظُ أَخانا وَ نَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (۶۵)

آية بلا خلاف.

---

(۱) سورة البقرة آية ۲۸۳.

(۲) سورة النحل آية ۲۷، و سورة القصص آية ۶۲، ۷۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۶۵

أخبر اللّه تعالى عن اخوة يوسف أنهم لما فتحوا متاعهم، و المتاع مبيع التجار مما يصـلح للاستمتاع، فالطعام متاع و البر متاع و أثاث البيت متاع، و المراد به هاهنا أوعيـة الطعام «وَجَدُوا بِضاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ» اى أصابوا بضاعتهم التى كانوا وزنوها بشرى الطعام قد جعلت فى وسط أمتعتهم، فلما رأوا ذلك «قالُوا يا أَبانا ما نَبْغِي» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال قتادة: ما نطلب؟ على وجه الاستفهام.

و الثانى- قـال الجبائى: ما نبغى: فيما أخبرناك به عن ملك مصـر ليس بالكـذب و دليله ان هـذه بضاعتنا ردت إلينا، و أجاز الفراء، و الزجاج كلا الوجهين، و قولهم «وَ نَمِيرُ أَهْلَنا» اى نجلب لهم الميرة، و الميرة الاطعمـة التى تحمل من بلـد الى بلـد يقال: ماره يميره ميراً إذا حمل له الطعام الى بلده قال الشاعر:

بعثتك مائراً فمكثت حولًا متى يأتى غياثك من تغيث «۱»

و قوله «وَ نَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ» اى و يعطينا فضل كيل بعير، لمكان أخينا «ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الجبائى: ان ذلك كيل قليل، لا يكفينا نحتاج ان نضيف اليه كيل بعير أخينا.

الثانى- قال الحسن: ان ذلك متيسر على من يكيل لنا، و اليسر إتيان الخير بغير مشقة، و ضده العسر. و كذلك اليسير و العسير.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۶] ..... ص : ۱۶۵

قالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قالَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ (۶۶)

---

(۱) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳/ ۸ و تفسير القرطبى ۹/ ۲۲۴ و اللسان (غوث) و روايته:

بعثتك مائراً فلبثت حولًا متى يأتى غواثك من تغيث

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۶۶

آية بلا خلاف.

هذه حكاية ما قال يعقوب- لبنيه حين سألوه إنفاذ أخيهم معهم، و ان بضاعتهم ردت اليهم، و انه ان أنفذه معهم ازدادوا كيل بعير- انى لست «أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ» و معناه حتى تحلفوا لى باللَّه لتجيؤنى به. و الإيتاء الإعطاء آتاه يؤتيه إيتاء، و الإتيان به المجيء به، و الموثق العقد المؤكد بالقسم، و انما قال موثقاً من اللَّه، و انما هو موثق من أنفسهم، لأن المعنى موثقاً من جهة إشهاد اللَّه او القسم باللَّه، فاما على أنفسهم، فهو العقد عليها بما لا يجوز حله لها.

و قوله «إِلَّا أَنْ يُحاطَ بِكُمْ» موضع (أن) نصب بأنه مفعول له، و تقديره إلا لإحاطة بكم، كما يقول القائل: ما تأتينى إلا، لأخذ الدراهم، و ما تأتينى إلا ان تأخذ الدراهم- ذكره الزجاج- و الاحاطة أصله ضرب السور حول الشيء. و منه قيل يعلمه علم احاطة اى على التحديد. و المعنى هاهنا إلا ان يحال بينكم و بينه.

و قوله «فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قالَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ» معناه انهم لما أجابوه الى اليمين، و حلفوا له و اشهدوا على أنفسهم بذلك قال يعقوب «اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ» اى حافظ و قيم به. و الوكيل القيم بالتدبير و القائم بالقسط فهو العدل فى حكمه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۶۷] ..... ص : ۱۶۶

وَ قالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ ما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (۶۷)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۶۷

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن يعقوب أنه قال لبنيه حين أنفذ أخاهم معهم «يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ» و قيل فى سبب قوله ذلك قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و قتادة، و الضحاك، و السدى، و الحسن: انه خاف عليهم العين، لأنهم كانوا ذوى صور حسنة و جمال و هيبة.

و قال الجبائى: انه خاف عليهم حسد الناس لهم، و ان يبلغ الملك قوتهم و شدة بطشهم فيقتلهم خوفاً على ملكه، و أنكر العين. و قال لم تثبت بحجة. و انما هو شيء يقوله الجهال العامة.

و الذى قاله غير صحيح فى امر العين بل غير منكر ان يكون ما قال المفسرون صحيحاً،

و قد روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم انه قال: (العين حق)، و انه عوذ الحسن و الحسين (ع)، فقال فى عوذته: (و أعيذ كما من كل عين لامّة)

و قد رويت فيه أخبار كثيرة، و قد جرت العادة به. و اختاره البلخى، و الرمانى و اكثر المفسرين، و ليس يمتنع ان يكون اللَّه تعالى أجرى العادة لضرب من المصلحة أنه متى ما نظر انسان الى غيره على وجه مخصوص اقتضت المصلحة إهلاكه أو إمراضه أو إتلاف ماله، فالمنع من ذلك لا وجه له.

و قوله «وَ ما أُغْنِی عَنْکُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ» اعتراف منه بأنه لا یملک الامر، و لا یغنی عمن یریده اللَّه بسوء. و الغنی ضد الحاجة.

و قوله «إِنِ الْحُکْمُ إِلَّا لِلَّهِ» ای لیس للفصل بین الأمور علی ما تقتضیه الحکمة الا اللَّه.

و قوله «علیه توکلت» ای فوضت امری الی اللَّه یدبره کیف یشاء. و التوکل من صفات المؤمنین.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۶۸

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۶۸] ..... ص : ۱۶۸

وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَیْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما کانَ یُغْنِی عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا حاجَةً فِی نَفْسِ یَعْقُوبَ قَضاها وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ (۶۸)

آیة بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالی ان اخوة یوسف، لما وردوا علیه، و دخلوا علیه من أبواب متفرقة حسب ما أمرهم به أبوهم و رغبهم فیه لم یکن یعقوب یغنی عنهم من اللَّه شیئاً الا حاجة فی نفس یعقوب قضاها من خوف العین علیهم أو الحسد علی اختلاف القولین، و (الّا) بمعنی (لکن) لأن ما بعدها لیس من جنس ما قبلها.

و قوله «وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ» اخبار من اللَّه تعالی ان یعقوب عالم بما علمه اللَّه. و قیل فی معناه قولان:

أحدهما- ان ما ذکره اللَّه من وصفه بالعلم کان ترغیباً فیه.

و الآخر- انه لیس ممن یعمل علی جهل، بل علی علم، براءة له من الامر لولده بما لا یجوز له، «وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» ذلک من حاله، کما علمه اللَّه.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۶۹] ..... ص : ۱۶۸

وَ لَمَّا دَخَلُوا عَلی یُوسُفَ آوی إِلَیْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّی أَنَا أَخُوکَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ (۶۹)

آیة بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالی عن اخوة یوسف أنهم لما دخلوا علی یوسف آوی یوسف أخاه الیه، و الإیواء ضم المحبوب و تصییره الی موضع الراحة. و منه المأوی المنزل الذی یأوی الیه صاحبه للراحة فیه. و قال الحسن و قتادة: ضمه الیه و أنزله معه، و قد اجتمعت فی (آوی) حروف العلة کلها الالف و الواو و الیاء، و العلة فی ذلک التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۶۹

أن الهمزة بمنزلة الحرف الصحیح، لأنها لیست حرف مد و لین، فجاز ذلک علی قلبه لهذه العلة. و قال له حین اواه الی نفسه «إِنِّی أَنَا أَخُوکَ» یوسف «فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ» و إنما قال له ذلک، لأنه و إن کان علم ان له أخاً من أبیه و أمه إلا انه لا یعلم انه هذا، و الابتئاس و الاکتئاب و الاغتمام نظائر، و معناه اختلاط البؤس بالحزن، و انما جاز ان یأخذه بالصواع مع تعریفه انه أخوه لامرین:

أحدهما- انه کان بمواطأة منه له.

و الثانی- قال وهب بن منبه: انه أراد أنا أخوک مکان أخیک الذی هلک.

و الأول أصح.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۷۰] ..... ص : ۱۶۹

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقایَةَ فِی رَحْلِ أَخِیهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَیَّتُهَا الْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسارِقُونَ (۷۰)

آیة بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى ان يوسف لما جهز أخوته بجهازهم يعنى الطعام الـذى اشتروه ليحملوه الى بلدهم. و منه جهاز المرأة «جَعَلَ السِّقايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ» و السقاية المراد بها هاهنا صواع الملك الذى كان يشرب فيه. و قيل: كان من فضة. و قال ابن زيد كان كأساً من ذهب. و قيل انه صير مكيالًا للطعام. و السقاية فى الأصل الإناء الـذى يسقى فيه، و الرحل آلـة السفر من وعاء أو مركب، و المراد هاهنا وعاء أخيه الذى يحمل فيه طعامه.

و قوله «ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ» اى نادى مناد. و الإيذان الاعلام بقول يسمع بالاذن.

و مثله الأذن، و الاذن الإطلاق فى الفعل بقول يسمع بالاذن، و (و العير) قافلة الحمير- فى قول مجاهد. و قيل هى القافلة التى فيها الإجمال. و الأصل الحمير إلا انه كثر حتى صارت تسمى كل قافلة محملة عيراً تشبيهاً. و قوله «إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ» فالسرقة أخذ الشيء من حرز فى خفى بغير حق، إلا ان الشرع قدر أنه لا يتعلق بها القطع التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۷۰

إلا إذا سرق مقداراً معيناً على خلاف بين الفقهاء، فعندنا هو ما قدره ربع دينار، و عند قوم عشرة دراهم، و عند آخرين ثلاث دراهم.

و قيل فى وجه ندائهم بالسرقة مع انهم لم يسرقوا شيئاً قولان:

أحدهما- ان ذلك من قول أصحابه، و لم يأمرهم يوسف بذلك، و لا علم.

و إنما كان أمر بجعل السقاية فى رحل أخيه على ما أمره اللَّه تعالى، فلما فقدها الموكلون بها اتهموهم بها. و هو اختيار الجبائى.

و الثانى- انهم نادوهم على ظاهر الحال فيما يتغلب على ظنونهم و لم يكن يوسف أمر به، و إن علم انهم سيفعلونه. و قال قوم قولًا ثالثاً: ان معناه إنكم سرقتم يوسف من أبيه حين طرحتموه فى الجب. و قال آخرون: ان ذلك خرج مخرج الاستفهام، و ليس فى جعل السقاية فى رحل أخيه تعريضاً لأخيه بأنه سارق، لأنه إذا كان ذلك يحتمل السرقة، و يحتمل الحيلة فيه حتى يمسكه عنده، فلا ينبغى ان يسبق احد الى اعتقاد السرقة فيه، و ليس فى ذلك إدخال الغم على أخيه لأنا بينا انه كان اعلمه إياه، و واطأه عليه، ليتمكن من إمساكه عنده على ما أمره اللَّه تعالى به، و النداء و ان كان للعير فالمراد به اهل العير، كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و إنما أراد أهلها.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۷۱ الى ۷۲] ...... ص : ۱۷۰

قالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ (۷۱) قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ (۷۲)

آيتان.

حكى اللَّه تعالى عن اهل العير انهم حين سمعوا نداءهم بأنكم سارقون أقبلوا عليهم و قالوا اى شيء فقدتموه، فقال لهم اصحاب يوسف انا فقدنا صواع الملك، و من جاء به ورده، فله حمل بعير من الطعام. و الإقبال مجيء الشيء الى جهة المقابلة التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۷۱

بوجهه، و ضده الأدبار. و مثله التوجه، و التحاذى. و الفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يدرى اين هو، و الفاقد من الوحش هى التى تغيب ولدها عنها قال الشاعر:

بكاء ثكلى فقدت حميماً فهى ترثى بأبى و ابنى ما «۱»

و الصواع مكيال الطعام. و كان هذا الصواع كأساً للملك يشرب فيه و جمعه صيعان و أصواع. و قال ابن عباس: كان من فضة، و (الحمل) بالكسر على الظهر و بفتح الحاء فى البطن، و جمعه أحمال و حمول. و البعير الجمل و جمعه بعران و ابعرة. و قوله «وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ» اى كفيل به، و ضمين له، و قائل، قال الشاعر:

فلست بآمن فيها بسلم و لكنى على نفسى زعيم «۲»

و إنما قال و انا به زعيم و قبله ذكر جمع، لأن زعيم القوم متكلم عنهم فكأنه قد كلم بذلك جميعهم قالت ليلى الا خيلية:

حتى إذا برزوا اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما «۳»

و ذلک انه زعيم القوم لرئاسته، زعم زعامة و زعاماً إذا صار رئيساً، قال ابو على: أصله القول.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷۳] ..... ص : ۱۷۱

قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَ ما كُنَّا سارِقِينَ (۷۳)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به اهل العير لما سمعوا النداء، و ما يدل على رد الصواع

---

(۱) قائلة رؤبة اللسان (بنى) و يروى (ترثى بأبا و ابنا ما).

(۲) تفسير الطبرى (الطبعة الأولى) ۱۳: ۱۳ و مجاز القرآن ۱: ۳۱۵.

(۳) تفسير القرطبى ۹: ۲۳۲ و سمط اللآلى: ۴۳ و تفسير الطبرى ۱۳: ۱۳ و امالى السيد المرتضى ۱: ۴۹۷ حاشية. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۷۲

انهم اقسموا باللَّه انا لم نجىء للافساد فى الأرض و إنا لم نكن سارقين. و الفساد اضطراب التدبير على وجه قبيح، و نقيضه الصلاح. و يقال فسد الشىء إذا تغير الى حال تضر كفساد الطعام، و غيره من الأمور، و قوله «تاللَّه» التاء بدل من بدل، لأنها بدل من الواو و الواو بدل من الباء، فضعفت عن التصرف، فاختصت بدخولها على اسم اللَّه لا غير دون غيره من الأسماء، لأنه لا يقال (تالرحمن) و دخلت التاء فى تاللَّه على وجه التعجب، لأنها لما كانت نادرة فى حروف القسم جعلت للنادر من المعانى يتعجب منه. و إنما قالوا «تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ» مع انهم لم يعلموا ذلک لأمرين:

أحدهما- لما رأوا من صحة معاملتهم و شده توقّيهم لما لا يجوز لهم مما ينبئ عن مقاصدهم.

الثانى- قيل لأنهم ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ظناً منهم أن ذلک عن سهو، و هذا لا يليق بحال الشراق من الناس. و ضعف البلخى هذا الوجه، و قال كيف يكون ذلک و هم لما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم أظهروا السرور به و الفرح، و قالوا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا فكيف يردونها مع ذلک!.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۷۴ الى ۷۵] ..... ص : ۱۷۲

قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ (۷۴) قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (۷۵)

آيتان.

حكى اللَّه تعالى عن اصحاب يوسف انهم قالوا لأهل العير لما سمعوا جحودهم الصواع، و أنكروا ان يكونوا سارقين «فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ» فى جحودكم و إنكاركم، و قامت البينة على انكم سرقتموه، و ما الذى يستحق ان يفعل بمن التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۷۳

سرق؟ فأجابهم اهل العير، و قالوا من أدرك عنده الصواع، و وجد فى رحله جزاؤه أخذ من وجد فى رحله رقّاً، فهو جزاؤه عندنا كجزائه عندكم لأنه كان من عادتهم ان يسترّقوا السارق- فى قول الحسن، و معمر، و السدى، و ابن إسحاق- و فيه تقديران فى الاعراب:

أحدهما- جزاؤه استرقاق من وجد فى رحله، فهذا الجزاء جزاؤه، كما تقول جزاء السارق القطع، فهو جزاؤه لتمكين البيان الأخير.

الثانى- جزاؤه من وجد فى رحله، فالسارق جزاؤه، فيكون مبتدأ ثانياً، و الفاء جواب الجزاء، و الجملة خبر (من) و (من) هاهنا يحتمل وجهين:

أحدهما- ان يكون بمعنى الذى، و تقديره جزاؤه الذى وجد فى رحله مسترقاً.

و الآخر- معنى الشرط، كأنه قال جزاء السرّاق إن وجد فى رحل إنسان منا، فالموجود فى رحله جزاؤه استرقاقاً. و قوله «كَذلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ» اخبار منهم بأن ذلك عادتهم فى مجازاة كل ظالم.

و قد قيل فى تأويل الآية وجهان:

أحدهما- ان يكونوا فى ذلك على شرع لنبى من أنبياء اللّه.

و الآخر- ان يكون ذلك على عادة الملوك فى اهل الجنايات لمصالح العباد لا على حقيقة الجزاء الذى يعمل بأمر اللّه بدلالة قوله فيما بعد «ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ» فأضاف الجزاء الى دين الملك دون اللّه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (١٢): آية ٧۶] ..... ص : ١٧٣

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ١٧۴

آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب «يرفع درجات من يشاء» بالياء فيهما على وجه الكناية عن اللّه.

الباقون بالنون فيهما على وجه الاخبار منه تعالى عن نفسه. و نوّن التاء من (درجات) اهل الكوفة. الباقون على الاضافة.

اخبر اللّه تعالى ان يوسف أمر أصحابه بأن يفتشوا أوعيتهم و رحالاتهم، و ان يبدؤوا بأوعية الجماعة قبل وعاء أخيه ليكون ابعد من التهم، فلما لم يجدوا فيها شيئاً امر حينئذ باستخراجها من وعاء أخيه. ثم اخبر اللّه تعالى انه كاد ليوسف، و الكيد التعريض للغيظ، و كان التدبير على أخوة يوسف حتى أخذ منهم أخوهم بما يوجبه حكمهم، هو كالتعريض للغيظ من جهة اغتمامهم بما نزل من ذلك الامر بهم. و التقدير كدنا اخوته له بما دبرنا فى أمره.

و قيل الكيد التعريض للضرّ بما خفى، و قد يعبر عن الجزاء على المعصية بالكيد، كقوله «وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» اى عقوبتى.

و قوله «ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ» معناه إنه لم يكن يوسف ممن يأخذ أخاه على دين الملك فى جزاء من سرق ان يستعبد قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضينى أ هذا دينه ابداً و دينى «١»

اى هذا عادته ابداً و عادتى. و قوله «إِلّا أَنْ يَشاءَ اللّهُ» قال الحسن إنما قال ذلك لأنه تعالى كان أمره بذلك بدلالة قوله «نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ» اى بما نريه من وجوه الصواب فى بلوغ المراد.

و قوله «وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» قيل فى معناه قولان:

---

(١) مر هذا الشعر فى ١: ٣۶، ٢: ١۴٨، ٣: ۴۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ١٧۵

أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن، و سعيد بن جبير: معناه «وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ» معلم «عليم» و هو اللّه تعالى الغنى بنفسه عن التعليم.

و الثانى- ان معناه «وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ» ممن رفعه اللّه «عليم» قد رفعه بالعلم من وجه آخر، فهو أعلم بذلك الامر الآخر.

و فى ذلك دلالة على أنه تعالى عالم لنفسه، لأنه لو كان عالم بعلم، لكان فوقه عليم، و ذلك باطل. و الضمير فى قوله تعالى «استخرجها» عائدة الى السقاية.

و قال الزجاج هی عائدة الی الصواع و انه یذکر و یؤنث، و من قرأ درجات من نشاء علی الاضافة، فالمعنی نرفع منازل من نشاء رفع منازله و مراتبه فی الدنیا بالعلم علی غیره، کما رفعنا مرتبة یوسف فی ذلک علی مراتب اخوته. و من قرأ بتنوین «درجات» فالمعنی نرفع من نشاء درجات و مراتب کما رفعنا لیوسف، ف «من» منصوبة علی هذه القراءة، و علی القراءة الاولی مخفوضة.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۷۷] ..... ص : ۱۷۵

قالُوا إِنْ یَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها یُوسُفُ فِی نَفْسِهِ وَ لَمْ یُبْدِها لَهُمْ قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَکاناً وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ (۷۷)

آیة بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالی عن اخوة یوسف انه لما استخرج الصواع من رحل أخیه، قالوا إن کان هذا سرق، فقد سرق أخ له من قبل یعنون یوسف، و اختلفوا فیما نسبوه الیه من السرقة من قبل، قال سعید بن جبیر، و قتادة، و ابن جریج انه کان سرق صنماً کان لجده أبی امه، فکسره و ألقاه علی الطریق، فقال ابن إسحاق: إن جدته خبأته فی ثیابه منطقة إسحاق لتملکه بالسرقة محبة لمقامه عندها. و قال قوم انه کان یسرق من طعام المائدة للمساکین. و قوله «فَأَسَرَّها التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۷۶

یُوسُفُ فِی نَفْسِهِ»

یعنی أخفی هذه الکلمة فی نفسه، «وَ لَمْ یُبْدِها لَهُمْ» أی لم یظهرها لهم.

و اختلفوا فیما أسر فی نفسه، فقال ابن عباس و الحسن و قتادة: أسر قوله «أَنْتُمْ شَرٌّ مَکاناً» أی ممن قلتم له هذا «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ» انه کذب. و قال قوم: أسرها بإضمار الکلمة للدلالة علیها قال حاتم طی:

أ ماوی ما یغنی الثراء عن الفتی إذا حشرجت یوماً و ضاق بها الصدر «۱»

و انما قال إن مکانکم شرّاً لما ظهر من الأمر الذی یقتضی هذا الوصف. و الصفة و الوصف مصدران بمعنی واحد مثل وعد وعدة، و وجه وجهة. و قال الحسن لم یکن اخوة یوسف یومئذ أنبیاء، و إنما اعطوا النبوة فیما بعد، و عندنا إنهم لم یکونوا أنبیاء فی وقت، لا فی الحال، و لا فیما بعد، لان ما فعلوه بیوسف من الافعال القبیحة ینافی النبوة لأن النبی لا یقع- عندنا- منه قبیح أصلًا، لا صغیر و لا کبیر.

و قال البلخی: کذبوا فی قولهم «سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ» و اللَّه اعلم بما یعنون فی ذلک و انه کذب، و قال لم یصح عندنا ان اخوة یوسف کانوا أنبیاء و جوز ان یکون الأسباط غیرهم او کانوا من أولادهم.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۷۸] ..... ص : ۱۷۶

قالُوا یا أَیُّهَا الْعَزِیزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَیْخاً کَبِیراً فَخُذْ أَحَدَنا مَکانَهُ إِنَّا نَراکَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ (۷۸)

آیة بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالی فی هذه الآیة عن أخوة یوسف انه لما أخذ یوسف أخاه منهم مظهراً لاسترقاقه قالوا له، و هم لا یعرفونه «یا أَیُّهَا الْعَزِیزُ» و العزیز الممتنع

---

(۱) مر هذا البیت فی ۵: ۶۳

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۷۷

بقدرته من ان یضام. و العزّ منع الضیم بسعة المقدور و السلطان «إِنَّ لَهُ أَباً شَیْخاً کَبِیراً» یعنون یعقوب أبا أخیهم ای انه کبیر السن، و یجوز ان یریدوا: کبیر القدر «فَخُذْ أَحَدَنا مَکانَهُ» ای خذ واحداً منا عبداً بدله- فی قول الحسن و غیره- «إِنَّا نَراکَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ» إلینا فی الکیل ورد بضاعتنا. و قد أملنا ذلک منک.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۷۹] ..... ص : ۱۷۷

قالَ مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ (۷۹)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به يوسف أخوته حين قالوا له خذ واحداً منا بدله، لأنه قال لهم «معاذ الله» أى اعتصاماً باللَّه أن يكون هذا. و الاعتصام امتناع الهارب من الامر بغيره، و لذلك يقال اعتصم بالجبل من عدوه. و اعتصم باللَّه من شر عدوه، فانا لا نأخذ «إِلَّا مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا» يعنى الصواع «عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ» و معناه إنا لو أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده لكنا ظالمين، واضعين للشىء فى غير موضعه. و العرب تقول معاذ اللَّه، و معاذه اللَّه و عوّذه اللَّه و عياذ اللَّه. و تقول: اللهم عائذاً بك اى انى أعوذ عائذاً بك، فكأنه قال استجير باللَّه من أن آخذ بريئاً بسقيم.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۰] ..... ص : ۱۷۷

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قالَ كَبِيرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ وَ مِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ (۸۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۷۸

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى عن اخوة يوسف حين آيسوا من تسليم أخيهم اليهم، فاليأس ضد الطمع، يقال: يئس يأساً و استيأس استيئاساً، فهو يائس، و مستيئس، و آيس يأس مثله.

و قوله «خَلَصُوا نَجِيًّا» أى انفردوا من غير أن يكون معهم غيرهم ممن ليس منهم، و هذا من عجيب فصاحة القرآن الخارقة للعادة لأن بقوله «خلصوا» دل على ما قلناه من معنى الكلام الطويل.

و اصل الخلوص حصول الشيء من غير شائب فيه من غيره، كخلوص الذهب من الشائب، و سمى الخلاص لذلك، و قوله «نجياً» مصدر يدل بلفظه على القليل و الكثير، و الواحد و الجمع. و النجوى مثله، و لذلك قال تعالى فى الواحد «وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا» «۱» و فى الجمع «خَلَصُوا نَجِيًّا» قال الشاعر:

إنى إذا ما القوم كانوا أنجيه و اضطرب القوم اضطراب الأرشية

هناك أوصينى و لا توصى بيه «۲»

و المناجاة رفع المعنى من كل واحد الى صاحبه على وجه خفى. و اصل النجو الارتفاع من الأرض و المناجاة المسارة و نجى جمعه أنجية، و هم يتناجون.

و «قالَ كَبِيرُهُمْ» يعنى أكبرهم، و قال قتادة و ابن إسحاق: هوروبيل، فانه كان أكبرهم سناً. و قال مجاهد: هو شمعون، و كان أكبرهم عقلًا و علماً دون السن. و الأول أليق بالكلام و الظاهر: «أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ» يعنى أما علمتم أن أباكم قد حلفكم و أقسمتم له باللَّه فى حفظ أخيكم، و قبل هذا ما فرطتم فى يوسف أى قصرتم فى حفظه. و اصل التفريط التقديم من قوله صلّى اللَّه عليه و سلم (انا فرطكم على الحوض) أى متقدمكم.

و الموثق و الايثاق: العهد الوثيق و (ما) فى قوله

---

(۱) سورة مريم آية ۵۲

(۲) مر هذا الشعر فی ۱: ۲۱۸ و هو فی تفسیر القرطبی ۹: ۲۴۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۷۹

«ما فَرَّطْتُمْ» یحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب:

أحدها- ان تکون منصوبة ب (تعلموا)، کأنه قال ألم تعلموا تفریطکم فی یوسف.

الثانی- رفع بالابتداء و الخبر (من قبل).

الثالث- ان تکون صلة لا موضع لها من الاعراب، لأنها لم تقع موقع اسم معرب.

و قوله «فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّی یَأْذَنَ لِی أَبِی» لست أقوم من موضعی الا أن «یَأْذَنَ لِی أَبِی أَوْ یَحْکُمَ اللَّهُ» ای الی ان یحکم اللَّه. و قیل معناه بمجازاة أو غیرهما مما أردّ به أخی ابن یامین علی أبیه، و کانوا تناجوا بمحاربته فلم یتفقوا علی ذلک خوفاً من غمّ أبیهم بأن یقتل بعضهم فی الحرب و قوله «وَ هُوَ خَیْرُ الْحاکِمِینَ» اخبار من هذا القائل بأنه تعالی خیر الحاکمین و الفاصلین، و اعتراف منه برد الامر الی اللَّه تعالی.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۸۱] ..... ص : ۱۷۹

ارْجِعُوا إِلی أَبِیکُمْ فَقُولُوا یا أَبانا إِنَّ ابْنَکَ سَرَقَ وَ ما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا وَ ما کُنَّا لِلْغَیْبِ حافِظِینَ (۸۱)

آیة بلا خلاف.

و هذا اخبار من اللَّه تعالی بما قال أحدهم المتخلف عنهم بمصر، فانه قال لإخوته الباقین ارجعوا الی أبیکم. و یحتمل ان یکون حکایة عما قال اخوة یوسف بعضهم لبعض، فإنهم قالوا ارجعوا الی أبیکم.

و قوله «یا أَبانا إِنَّ ابْنَکَ سَرَقَ» یعنون ابن یامین، علی ما ظهر لنا من الامر و لا نشهد الا بما علمنا من الظاهر، فأما الغیب و الباطن فلا نعلمه و لا نحفظه.

و قیل ما شهدنا إلا بما علمنا فی قولنا لهم إن من یسرق یستعبد، لأن ذلک متقرر عندنا فی شرعنا- ذکره ابن زید- و الشهادة خبر عن مشاهدة أو اقرار او حال التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۸۰

و یجوز أن یشهد الإنسان بما علمه من جهة الدلیل کشهادتنا بأن لا إله إلا اللَّه و أن محمداً رسول اللَّه.

و قال الرمانی: علم الغیب هو علم من لو شاهد الشیء لشاهده بنفسه لا بأمر یستفیده. و العالم بهذا المعنی هو اللَّه وحده تعالی.

و قیل فی معنی قوله «وَ ما کُنَّا لِلْغَیْبِ حافِظِینَ» قولان:

أحدهما- ما کنا نشعر ان ابنک سیسرق، فی قول الحسن و مجاهد و قتادة.

و الثانی- انا لا ندری باطن الامر فی السرقة، و هو الأقوی. و روی عن ابن عباس و قراءة الکسائی فی روایة قتیبة عنه «سرِّق» بتشدید الراء علی ما لم یسم فاعله، و معناه انه قذف بالسرقة، و اختار الجبائی هذه القراءة. قال لأنها ابعد من ان یکونوا أخبروا بما لم یعلموا.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۸۲] ..... ص : ۱۸۰

وَ سْئَلِ الْقَرْیَةَ الَّتِی کُنَّا فِیها وَ الْعِیرَ الَّتِی أَقْبَلْنا فِیها وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (۸۲)

آیة بلا خلاف.

هذا حکایة ما قال اخوة یوسف لیعقوب أبیهم حین رجعوا الیه و حکوا له ما جری، فقالوا له سل أهل القریة التی کنا فیها، و اهل العیر التی أقبلنا فیها عمّا أخبرناک به «وَ إِنَّا لَصادِقُونَ» فیما أخبرناک به، و حذف المضاف الذی هو الأصل، و اقام المضاف الیه- من القریة و العیر- مقامه اختصاراً لدلالة الکلام علیه.

و المراد بالقریهٔ- هاهنا- مصر، فی قول ابن عباس و الحسن و قتادهٔ. و کل أرض جامعهٔ لمساکن کثیرهٔ بحدود فاصلهٔ تسمی- فی اللغهٔ- قریهٔ، و أصلها من قربت الماء ای جمعته، و القریهٔ و البلدهٔ و المدینهٔ نظائر فی اللغهٔ. و انما أرادوا بذلک أن من سألت من أهلها أخبروک بما ظهر فی هذه القصهٔ. و انا ما کذبناک.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۸۱

قوله تعالی:[سورهٔ یوسف (۱۲): آیهٔ ۸۳] ..... ص : ۱۸۱

قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَکُمْ أَنْفُسُکُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِیلٌ عَسَی اللَّهُ أَنْ یَأْتِیَنِی بِهِمْ جَمِیعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ (۸۳)

آیهٔ بلا خلاف.

هذا حکایهٔ ما قال یعقوب لبنیه حین قالوا له ما تقدم ذکره، فإنه قال «بَلْ سَوَّلَتْ لَکُمْ أَنْفُسُکُمْ» و قال قتادهٔ معناه بل زیّنت. و قال غیره: معناه سهّلت.

و التسویل حدیث النفس بما تطمع فیه، و منه السؤل، و المنی، و یقال أعطاک اللَّه سؤلک، فکأنه قال هذا من تقدیر النفس فیما تطمع ان یکون. ثم اخبر یعقوب، فقال «صبر جمیل» ای شأنی او أمری صبر جمیل، فعلی هذا یکون واقع بأنه خبر الابتداء. و یجوز ان یکون ابتداء، و خبره محذوف، و تقدیره فصبر جمیل أمثل من غیره، و الصبر حبس النفس عما تنازع الیه مما لا یجوز.

و الصابر علی هذا الوجه من صفات المدح، و الجمیل معناه- هاهنا- ما یتقبله العقل، و قد یسمی ما یتقبله الطبع بأنه جمیل.

و قوله «عَسَی اللَّهُ أَنْ یَأْتِیَنِی بِهِمْ جَمِیعاً» یعنی روبیل و ابن یامین و یوسف «إِنَّهُ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ» معناه- هاهنا- انه علیم بحسرتی علی فقد اولادی و صدق ما یقولونه من کذبه، انه الحکیم فی تدبیره بخلقه، عسی ان یأتینی بهم اجمع.

قوله تعالی:[سورهٔ یوسف (۱۲): آیهٔ ۸۴] ..... ص : ۱۸۱

وَ تَوَلَّی عَنْهُمْ وَ قالَ یا أَسَفی عَلی یُوسُفَ وَ ابْیَضَّتْ عَیْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ کَظِیمٌ (۸۴)

آیهٔ بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالی عن یعقوب أنه تولی عنهم بعد ان قال لهم ما تقدم ذکره بمعنی أعرض بوجهه عنهم، و التولی و الاعراض بمعنی واحد «وَ قالَ یا أَسَفی عَلی یُوسُفَ» التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۸۲

ای یا حسرتاه، فی قول الحسن و قتادهٔ و الضحاک. و انما نادی بالاسف علی وجه البیان، لان الحال حال حزن کأنه قال: یا اسف احضر، فانه من احیانک و أوقاتک، و مثله (وا حزناه). و الاسف الحزن علی ما فات. و قیل: هو أشد الحزن یقال: أسف یأسف أسفاً و تأسف تأسفاً، و هو متأسف.

و قوله «ابْیَضَّتْ عَیْناهُ» فالابیضاض انقلاب الشیء الی حال البیاض. و المعنی انه عمی فلم یبصر شیئاً. و العین حاسهٔ الإدراک للمرئیات. و الحزن الغم الشدید، و هو من الحزن، و هی الأرض الغلیظهٔ، و الکظیم هو الممسک للحزن فی قلبه لا یبثه بما لا یجوز الی غیره، و منه قوله «وَ الْکاظِمِینَ الْغَیْظَ» «۱» ای لا- یتسرع بموجبه الی غیره. و قیل کظیم علی الحزن لم یقل یا أسفاه- فی قول مجاهد و الضحاک، و الحسن- و قیل کظیم بالغیظ علی نفسه، لم أرسله مع إخوته- فی قول السدی و الجبائی.

قوله تعالی:[سورهٔ یوسف (۱۲): آیهٔ ۸۵] ..... ص : ۱۸۲

قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْکُرُ یُوسُفَ حَتَّی تَکُونَ حَرَضاً أَوْ تَکُونَ مِنَ الْهالِکِینَ (۸۵)

آیهٔ بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال بنو يعقوب لأبيهم حين رأوه حزيناً «تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ» معناه لا تزال تذكر، فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و السدى، يقال فتئ يفتأ فتئاً و فتوءاً، و قال أوس بن حجر:

فما فتئت خيل تثوب و تدعى و يلحق منها لاحق و تقطع «۲»

اى فما زالت، و حذفت (لا) من تفتأ، لأنه جواب القسم بمعنى نفى

---

(۱) سورة آل عمران آية ۱۳۴.

(۲) ديوانه ۵۸ و مجاز القرآن ۱/ ۳۱۶ و تفسير القرطبى ۹/ ۲۵۰،

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۸۳

المستقبل، لأنه لو كان اثباتاً لم يكن بد من اللام و النون، فجاز لما فيه من الإيجاز من غير التباس، كما قال امرؤ القيس:

فقلت يمين اللّه أبرح قاعداً و لو قطعوا رأسى لديك و اوصالى «۱»

و الحرض ذو المرض و البلى- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قال الحسن و قتادة: معناه حتى تكون ذا الهرم او تكون من الميتين. و اصل الحرض فساد الفعل و الجسم للحزن و الحب، قال العرجى:

انى امرؤ لج بى حب فاحرضنى حتى بليت و حتى شفنى السقم «۲»

و رجل محرض إذا كان مريضاً قال امرؤ القيس:

ارى المرء ذا الأذواد يصبح محرضا كإحراض بكر فى الديار مريض «۳»

و لا يثنى حرض و لا يجمع لأنه مصدر، يقال: حرضه على فلان اى أفسده عليه بما يغريه، و إنما قالوا هذا القول إشفاقاً عليه و كفّاً له عن البكاء اى لا تزال تذكر يوسف بالحزن و البكاء عليه حتى تصير بذلك الى مرض لا تنتفع بنفسك معه، لأنه كان قد أشفى على ذهاب بصره و فساد جسمه، او تموت بالغم.

و الهلاك ذهاب الشيء بحيث لا يدرى الطالب له اين هو، فالميت هالك لهذا المعنى.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۶] ..... ص : ۱۸۳

قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۸۶)

آية بلا خلاف.

---

(۱) ديوانه ۱۶۱ و قد مر فى ۲/ ۲۲۷، ۳/ ۲۱۶.

(۲) مجاز القرآن ۱/ ۳۱۶ و تفسير القرطبى ۹/ ۲۵۱ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳/ ۲۵.

(۳) ديوانه ۱۲۹ و تفسير القرطبى ۹/ ۲۵۱ و الطبرى ۱۳/ ۲۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۸۴

هذا حكاية ما أجاب به يعقوب بنيه لما قالوا له ما تقدم ذكره، أى انما أشكو، و الشكوى صفة ما يجده من البلوى، و انما وصف (ع) ذلك للّه طلباً للفرج من جهته، و البث تفريق الهمّ بإظهاره عن القلب، يقال: بثه ما فى نفسه بثاً و أبثه إبثاثاً، و بث الخيل على العدو: إذا فرقها عليه. و قال ابن عباس معنى (بثى) همى.

و قوله أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ»

قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: اعلم ان رؤيا يوسف صادقة و انى ساجد له.

و الثانى- قال قتادة: أعلم من احسان اللَّه (عزّ و جل) الى ما يوجب حسن ظنى به، و انما جاز على يعقوب و هو نبى، ان يبكى حتى تبيض عيناه من الحزن، لان عظم المصيبة يهجم على النفس حتى لا يملك معه القرار بالصبر حتى يرتفع الحزن، مع انه على ولد لا كالأولاد، فى جماله، و عقله، و عفافه، و علمه، و أخلاقه، و بره، من غير تأس يوجب السلوة، و لا رجاء يقرب الحال الجامعة، و مع هذا فلم يكن منه الا ما يوجب الأجر العظيم و الثواب الجزيل الكريم، و البكاء ليس بممنوع منه فى الشرع، و انما الممنوع اللطم، و الخدش، و الجز، و تخريق الثياب، و القول الذى لا يسوغ، و كل ذلك لم يكن منه (ع) و إنما جاز أن يخفى خبر يوسف على يعقوب مع قرب المسافة بينهما، لأن يوسف كان بمصر و يعقوب بأرض الجزيرة من أرض حران، و لم يعرف يوسف أباه مكانه ليزول همه، لأنه فى تلك المدة كان بين شغل و حجر على ما توجبه سياسة الملك، و بين حبس فى السجن، لأنه مكث فيه سبع سنين لما محن به من امرأة العزيز، فلما تمكن من التدبير تلطف فى ذلك لئلا يكون من أخوته حال تكره فى إيصال خبره الى أبيه لشدة ما ينالهم من التهجين فى أمره إذا وقف على خبره.

و انما جاز ان يستخرج الصواع من رحل أخيه مع إيجاب التهمة فى ذلك عند الناس، و غمّ أبيه و أخيه خاصة و سائر اخوته عامة لوجوه:

أحدها- انه كان ذلك بمواطأة أخيه على ذلك بما يسر فى باطنه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۸۵

و منها انه ليس لاحد اتهامه بالسرقة مع إمكان جعله فى رحله بما لا صنع له فيه.

و منها اغمام أبيه بالأمر اليسير ليزيل عنه الغم العظيم، و تأتيه البشرى بسلامتهما على أجمل حال يتمنى لهما، و ذلك يحسن و لا يقبح.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۷] ..... ص : ۱۸۵

يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ (۸۷)

آية بلا خلاف.

هذا إخبار عما قال يعقوب لبنيه بعد ان قال ما تقدم ذكره «يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا» و التحسس طلب الشيء بالحاسة فاما طلبه بالدعاء الى فعله، فلا يسمى تحسساً، و التحسس و التجسس بالحاء و الجيم بمعنى واحد.

«وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» اى لا تقطعوا رجاءكم منه. و الروح و الفرج نظائر، و هو رفع ترح بلذة، مأخوذ من الريح التى تأتى بما فيه اللذة.

و قوله «إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ» اخبار منه بأن الذى يائس من رحمة اللَّه الكافرون، و ذلك يدل على ان الفاسق الملّى لا ييأس منه، بخلاف ما يقوله اهل الوعيد، و قد أجاب عن ذلك اهل الوعيد بجوابين:

أحدهما- ان ذلك على وجه التغليب، فيدخل فيه الفاسق فى الجملة.

و الثانى- أنه لا ييأس فى حال التكليف إلا الكافر الذى لا يعرف اللَّه تعالى، فاما من يعرف اللَّه فانه لا ييأس منه، لأنه يسوّف التوبة.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۸] ..... ص : ۱۸۵

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (۸۸)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۸۶

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى ان اخوة يوسف لما قال لهم يعقوب «اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ» رجعوا الى يوسف و دخلوا عليه، و قالوا له «يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ» لأنهم كانوا يسمون الملك العزيز. و العزيز فى اللغة هو الواسع المقدور الذى لا يهتضم المنيع بسعة مقدوره «مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ» أى أصابنا الضر، و المس ملابسة ما يحس، و لما كان الضر بمنزلة الملامس لهم، و هو مما يحس، عبر عنه بأنه مسَّه.

و الأهل: خاصة الشيء الذى ينسب اليه، و منه قوله «إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي» «۱» و تسمى زوجة الرجل بأنها أهله و كذلك اهل البلد و اهل الدار، و هم خاصته الذين ينسبون اليه.

و قوله «وَ جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ» قيل فى معنى المزجاة ثلاثة اقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير: إنها ردية لا تؤخذ الّا بوكس.

و قال الحسن و مجاهد و ابراهيم و قتادة و ابن زيد: إنها قليلة. و قال الضحاك: هى كاسدة غير نافعة. و روى انه كان معهم متاع البادية من الصوف و الشعر و السمن و الحبال البالية و غير ذلك. و أصلها القلة قال الأعشى:

الواهب المائة الهجان و عبدها عوذاً يزجّى خلفها أطفالها «۲»

اى يسوقهم قليلًا قليلًا، و قال النابغة:

و هبت الريح من تلقاء ذى أرل تزجى مع الليل من صرّادها صرما «۳»

يعنى تسوق، و تدفع، و قال آخر:

---

(۱) سورة هود آية ۴۵

(۲) ديوانه ۱۵۲ (دار بيروت) و تفسير الطبرى ۱۳: ۲۹

(۳) ديوانه ۱۰۲ و اللسان (صرم). و مجمع البيان ۳: ۲۵۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۸۷

و حاجة غير مزجاة من الحاج «۱»

و قيل الأصل الدفع بالسوق فهى مدفعه لا تنفق.

و قوله «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» اى لا تنقصنا من كيلنا لنقصان بضاعتنا، و تصدق علينا. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال سعيد بن جبير: سألوا التفضل بترك النقصان من السعر، لان الصدقة ما كانت تحل لهم. و قال سفيان بن عيينة. إنهم سألوا الصدقة و هم أنبياء و كانت حلالا لهم، و كان مجاهد يكره ان يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق على، لان الصدقة ممن يبتغى الثواب. و الصدقة العطية للفقراء ابتغاء الأجر، و لهذا يطلق، فيقال: «إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» و «لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» «۲» من العباد، و المعنى انه يثيبهم على ذلك.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۸۹] ..... ص : ۱۸۷

قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ (۸۹)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به يوسف إخوته حين سألوه التصدق عليهم و إيفاء كيلهم، فرقّ لهم، و قال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف و أخيه؟! على وجه التوبيخ لهم و التذكير لهم بما فعلوه من إلقائه فى الجب بعد ان كانوا عزموا على قتله ثم بيعهم إياه عبداً للتاجر الذى حمله الى مصر، و فعلوا بأخيه ما عرضوه به للغم بأن أفردوه عن أخيه لأبيه و امه مع جفائهم له حتى كان لاذلالهم إياه لا يمكنه ان يكلم احداً منهم الّا كلام الذليل للعزيز، فعاملوه هذه المعاملة، و سلكوا فى أمره هذه الطريقة. و معنى قوله «إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ» انكم فعلتم

ذلک فی حال

(۱) اللسان (زجا) و مجاز القرآن ۱: ۳۱۷

(۲) سورة التوبة آیة ۱۲۱ و سورة هود آیة ۱۱۶ و سورة یوسف آیة ۹۰ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۸۸

کنتم فیها جاهلین جهالة الصبی لا جهالة المعاصی، و ذلک یقتضی انهم الآن علی خلافه، و لو لا ذلک لقال و أنتم جاهلون. و انما وبخوا بحال قد أقلعوا عنها و تابوا منها علی وجه التذکیر و لیتنبهوا علی حال من یخاطبهم و یعرفوه بها، لا ان تلک الحال ذکرت بطریق التقبیح لها. و قال السدی و ابن إسحاق إن یوسف لما قالوا له ما قالوا أدرکته الرقة، فدمعت عینه و باح لهم بما کان یکتمه من شأنه و شأنهم.

قوله تعالی:[سورة یوسف (۱۲): آیة ۹۰] ..... ص : ۱۸۸

قالُوا أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ قالَ أَنَا یُوسُفُ وَ هذا أَخِی قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَیْنا إِنَّهُ مَنْ یَتَّقِ وَ یَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ (۹۰)

آیة بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر و ابو جعفر «انک» بهمزة واحدة علی الخبر. الباقون بهمزتین، و حققهما ابن عامر، و أهل الکوفة، و روح، إلا ان الحلوانی عن هشام فصل بینهما بألف. الباقون یخففون الأولی و یلینون الثانیة. و فصل بینهما بألف نافع إلا ورشاً و ابو عمرو. قال ابو علی: الأجود الاستفهام لقوله «قالَ أَنَا یُوسُفُ» و هذا جواب الاستفهام، و من قرأ علی الخبر أراد الاستفهام لقوله «قالَ أَنَا یُوسُفُ» و هذا جواب الاستفهام، و من قرأ علی الخبر أراد الاستفهام، و حذف حرف الاستفهام کما حکی ابو الحسن فی قوله «وَ تِلْکَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَیَّ» «۱» و معناه ای تلک نعمة، و حذف حرف الاستفهام.

هذا حکایة ما قال اخوة یوسف له حین قال لهم «هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِیُوسُفَ وَ أَخِیهِ» فإنهم قالوا حینئذ له «أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ» علی وجه الاستفهام له، فإنهم تنبهوا و استیقظوا غیر انهم لم یقطعوا به، فاستفهموه.

(۱) سورة الشعراء آیة ۲۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۱۸۹

و قال الزجاج یجوز فی «أ إنک» اربعة أوجه فی العربیة:

تحقیق الهمزتین، و هو مذهب اهل الکوفة و اهل الشام.

الثانی- إدخال الألف بین الهمزتین (آ إنک) و هو مذهب هشام ابن عمار عن ابن عامر.

الثالث- تلیین الثانیة بان یجعل بین بین أینک، و هو مذهب أبی عمرو، و ابن کثیر و نافع.

الرابع- بهمزة واحدة علی الخبر.

فقال یوسف مجیباً لهم «أَنَا یُوسُفُ وَ هذا أَخِی» یعنی ابن یامین- من أبی و أمی «قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَیْنا» أی أنعم علینا بنعمة قطعتنا عن حال الشدة یقال: منّ اللَّه علیه یمن منّاً، و أصله القطع من قوله «لَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ» «۱» أی غیر مقطوع، و منه منّ علیه فی الصنیعة إذا ذکرها بما یجری مجری التعییر بها، لأنه قاطع عن شکرها. و المنون الموت، لأنه یقطع عن تصرف الأحیاء. ثم أخبر یوسف فقال إنه من یتق اللَّه باجتناب معاصیه، و فعل طاعاته و یصبر علی بلیته و یتجرع مرارة المنع، لما یشتهی من الأمر «فَإِنَّ اللَّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ» ای لا یذهب بثوابهم. و الاضاعة هو الإهلاک و هو إذهاب الشیء بحیث لا یدری الطالب له این هو. و الأجر ما یستحق

على العمل الصالح من الثواب، و منه الاجارة. و تقول:

آجره اللَّه يآجره أجراً، و الإحسان فعل حسن يستحق به الحمد.

و حكى ابن كثير انه قرأ «من يتقى» بالياء فى الوصل. و الوجه فيه ان يجعل (من) بمعنى (الذى) فيكون (ينقى) فى موضع رفع، و يكون قوله «و يصبر» حذف الحركة استخفافاً، او جمله على الموضع، كما قال «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ» «۲» و لا يجوز ان يكون مثل قول الشاعر:

---

(۱) سورة حم السجدة آية ۸ و سورة الانشقاق آية ۲۵ و سورة التين آية ۶.

(۲) سورة المنافقون آية ۱۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۹۰

ألم يأتيك، و الأنباء تنمى «۱»

لان ذلك يجوز فى الشعر، و الأجود قول من قرأ بحذف الياء.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۱] ..... ص : ۱۹۰

قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ (۹۱)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية عما قال إخوة يوسف حين سمعوا اعتراف يوسف بأنه يوسف، و ان أخاهم الذى احتبسه أخوه، و ان اللَّه منّ عليهم بذلك، فقالوا له عند ذلك «تاللَّه» على وجه القسم «لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا» اى فضلك اللَّه علينا. و الإيثار إرادة التفضيل، لاحد الشيئين على الآخر و مثله الاختيار، و يقال: آثرت له، و آثرت عليه ضده. و أصل الإيثار الأثر الجميل، فيما يؤثر على غيره بمنزلة ما له أثر جميل و الآثار الاخبار، لأنها إخبار عن أثر ما تقدم فى أمر الدين و الدنيا.

و قوله «وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ» اعتراف منهم بأنهم كانوا خاطئين. و قال قوم: إنهم كانوا صبياناً وقت ما فعلوا بأخيهم ما فعلوا و سموا أنفسهم «خاطئين» اى ابتداء فعلهم كان و هم صبيان. ثم بلغوا مقيمين على كتمان الأمر عن أبيهم موهمين له ما كانوا اخبروه به من شأنهم، فالايهام معصية لا تبلغ تلك المنزلة. و الخطيئة ازالة الشىء عن جهته الى ما لا يصلح فيه، يقال خطئ يخطأ فهو خاطئ مثل أثم إثماً فهو آثم. و (خطئ) إذا تعمد الخطأ و (أخطأ) إذا لم يتعمد الخطأ كمن رمى شيئاً فأصاب غير ما أراد.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۲] ..... ص : ۱۹۰

قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (۹۲)

آية بلا خلاف.

---

(۱) قائلة قيس بن زهير العبسى. اللسان (اتى) و عجزه:

بما لاقت لبون بنى زياد

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۹۱

آية بلا خلاف.

هذا اخبار من اللَّه تعالى عما قال يوسف لأخوته حين اعترفوا بأن اللَّه فضله عليهم، و انهم خطئوا فيما فعلوه، بأن قال «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» و معناه لا بأس عليكم بما سلف له منكم، و التثريب تعليق الضرر بصاحبه من اجل جرم كان منه. و قال سفيان: معنى لا تثريب لا

تعيير. و قيل: معناه لا تخليط بعائده مكروه. و قيل: معناه لا تثريب مكروه بتوبيخ، و لا غيره.

و قوله «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» معناه يستر اللّه عليكم خطيئاتكم و لا يعاقبكم عليها، و هو ارحم الراحمين، فالرحمة النعمة على المحتاج، و من الرحمة ما هو واجب و فيها ما ليس بواجب، فالواجبة ما لا يجوز الا حلال بها، و ان كان سببها تفضلًا، كالثواب الذى سببه التكليف، و هو تفضل.

و قيل: فى معنى قوله «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» قولان:

أحدهما- انه دعا لهم بالمغفرة، و يكون الوقف عند قوله «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» ثم ابتدأ، فقال «يَغْفِرُ اللَّهُ» و قد وقف بعضهم عند قوله «عليكم» و الأول أجود.

الثانى- لما كان ظلمهم له معلقاً باحلاله أباهم منه حسن هذا القول، لان اللّه هو الآخذ له بحقه إلا ان يصفح.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۳] ..... ص : ۱۹۱

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَ أْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (۹۳)

آية بلا خلاف.

هذا اخبار من اللّه تعالى بأن يوسف أعطى اخوته قميصه. و قال: احملوه إلى أبى يعقوب و اطرحوه على وجهه، فإنه يرجع بصيراً، و يزول عنه العمى التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۹۲

و ذلك معجز دال على نبوته، لأنه- على قول المفسرين كالحسن و السدى و غيرهما- كان قد عمى، و لو لا ان اللّه أعلمه انه يرجع اليه بصره لما أرسله اليه، و انما حمل اليه القميص، لان اللّه تعالى كان جعله علامة له إذا شمه شم منه رائحة يوسف، و بشارة له قبل لقائه.

و قوله «وَ أْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ»، معناه احملوا أهاليكم أجمع الى عندى و جيئونى بهم.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۴] ..... ص : ۱۹۲

وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ (۹۴)

آية بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية انه حين انصرفت العير من عند يوسف. قال:

لهم أبوهم يعقوب انى لأجد ريح يوسف اى إنى أحس برائحته. و قال ابن عباس جاءت الريح برائحة يوسف من ثمانى ليال. و قال الحسن من مسيرة شهر. و قيل إنه كان بينهم ثمانين فرسخاً، لأن يعقوب كان بوادى كنعان من ارض فلسطين.

و قيل إنه كان بأرض الجزيرة، و يوسف بمصر.

و الفصل القطع بحاجز بين الشيئين. و نقيضه الوصل، و مثله الفرق. و العير قافلة الحمير، و ان كان فيها الجمال، و كل جماعة خرجت من بلد الى بلد، فهم قافلة.

و قوله «لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ» قال ابن عباس: معناه لو لا ان تسفهون. و قال الحسن و مجاهد: لو لا ان تهرمون. و قال ابن إسحاق: معناه تضعفون. و قال الضحاك معناه تكذبون.

و انما قال يعقوب هذا القول لمن حضره من أهله و قرابته دون ولده، لأنهم التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۹۳

كانوا غيّباً عنه لم يصلوا إليه. و التفنيد فى اللغة هو تضعيف الرأى يقال فنده تفنيداً إذا نسبه الى ضعف الرأى، قال الشاعر:

يا صاحبى دعا لومى و تفنيدى فليس ما فات من امر بمردود «۱»

و فنده الدهر اى أفسده، و قال ابن مقبل:

دع الدهر يفعل ما يشاء فانه إذا كلف الإنسان بالدهر افندا «۲»

و روى (إذا كلف الافناد بالناس فندا).

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۵] ..... ص : ۱۹۳

قالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ (۹۵)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به من خاطبه يعقوب من اهله «إِنِّی لَأَجِدُ رِیحَ یُوسُفَ» فإنهم قالوا له «تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ» و الضلال هو الذهاب عن جهة الصواب فيه، و انما قالوا لنبى اللَّه «إِنَّكَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ» لأنهم قالوا كلمة غليظة لم يجز أن يقولوها لنبى اللَّه، فحق الأمر فيها أنهم قالوها اشفاقاً عليه من شدة محبته ليوسف- فى قول قتادة- و قال الحسن كان عندهم ان يوسف مات، فكان فى لهوجه فى تذكره ذاهباً عن الصواب فى أمره، و القديم فى اللغة هو كل شيء متقدم الوجود، و فى عرف المتكلمين عبارة عن الموجود لم يزل، و انما جعلوا الضلال قديما على وجه المبالغة فى الصفة و مثله «کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ» «۳» و يقال بناء قديم، و لا يجوز قياساً على ذلك ان يقال: هذا جسم قديم، لما فيه من الإيهام.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۶] ..... ص : ۱۹۳

فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِیرُ أَلْقاهُ عَلی وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِیراً قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۹۶)

---

(۱) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳: ۳۴ و مجاز القرآن ۱: ۳۱۸

(۲) تفسير القرطبى ۹: ۲۶۱ و الطبرى ۱۳: ۳۴

(۳) سورة يس آية ۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۹۴

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى إنه لما جاء المبشر بيوسف الى يعقوب ألقى القميص على وجهه فرجع بصيراً. و البشير الذى يأتى بالبشارة العظيمة. و جاء على لفظ (فعيل) لما فيه من المبالغة يقال بشره تبشيراً، و معنى أبشرته: قلت له: استبشر، كقوله «وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِی كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» «۱» و قال الحسن، و مجاهد، و الضحاک:

كان البشير يهوذ بن يعقوب، و الإلقاء إيقاع الشيء على الشيء، و يكون بمعنى إيجاد الشيء.

و قوله «فَارْتَدَّ بَصِیراً» فالارتداد انقلاب الشيء الى حال، قد كان عليها، و هو و الرجوع بمعنى واحد. و البصير من كان على صفة يجب لأجلها ان يبصر المبصرات إذا وجدت، و (ان) بعد قوله «فلما» زائدة للتوكيد، كما قال «وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا» «۲» و لا موضع لها من الاعراب و هى تزاد مع (لما) و (حتى) على وجه الصلة تأكيداً، تقول: قد كان ذاك حتى كان كذا و كذا، و حتى ان كان كذا.

و قوله «إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» .. قيل فى معناه قولان:

أحدهما- إني اعلم من صحة رؤيا يوسف، و إن تأويلها سيكون على ما رأى «ما لا تَعْلَمُونَ» من تأويل الرؤيا.

و الثانی- «إِنِّی أَعْلَمُ» من بلوى الأنبياء بالشدائد و المحن التى يصيرون منها الى وقت الفرج «ما لا تَعْلَمُونَ». ذكره الجبائى.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۷] ..... ص : ۱۹۴

قالُوا يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ (۹۷)

آية بلا خلاف.

---

(۱) سورة حم السجدة آية ۳۰.

(۲) سورة العنكبوت آية ۳۳.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۹۵

فی الكلام حذف، لان تقديره إن اخوة يوسف وصلوا إلى أبيهم بعد ان جاء البشير و ألقوا قميصه على وجهه ورد اللَّه بصره عليه، فلما رأوه قالوا له «يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» أی سل اللَّه تعالى ان يستر علينا ذنوبنا، و لا يعاقبنا عليها، فانّا «كُنَّا خاطِئِينَ» فيما فعلناه بيوسف.

و متى قيل: كيف سألوه الاستغفار مع انهم كانوا تابوا و التوبة تسقط العقاب؟

قلنا أما على مذهبنا فلان التوبة لا تسقط العقاب وجوباً، و انما يسقطه اللَّه تعالى عندها تفضلا. و أما على مذهب مخالفنا، فإنهم سألوه ذلك، لأجل المظلمة المتعلقة بصفح المظلوم، و سؤال صاحبه ان لا يأخذ بظلمه، لا بد انه توبة خاصة منه و وجه آخر، و هو ان يبلغه منزلة بدعائه يصير بمنزلة عالية لمكان سؤاله.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۸] ..... ص : ۱۹۵

قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (۹۸)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به يعقوب حين قالوا له «اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» فانه قال فی جواب ذلك سوف استغفر لكم ربی، و المعنى إنی أفعل ذلك فی المستقبل، و لم يستغفر لهم فی الحال.

و

روی عن أبی جعفر (ع) انه قال: أخّرهم الى ليلة الجمعة.

و قال ابن مسعود و ابراهيم التيمی، و ابن جريج و عمرو بن قيس: انه اخرهم الى السحر، لأنه اقرب الى اجابة الدعاء. و قال الجبائی: وجه ذلك أنهم سألوه ان يستغفر لهم دائماً فی دعائه، فوعدهم بذلك فی المستقبل.

و قوله «إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» اخبار من يعقوب و اعتراف منه بأن اللَّه هو الذی يستر على عباده معاصيهم، و يعفو لهم عن عقابها رحمة منه بعباده و رأفة منه بخلقه.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۱۹۶

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۹۹] ..... ص : ۱۹۶

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ قالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (۹۹)

آية بلا خلاف.

فی الكلام حذف، لان تقديره ان يعقوب و بنيه و أهلهم رحلوا الى يوسف، فلما وصلوا اليه و دخلوا عليه. «آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ» يعنی أباه يعقوب و أمه، فثنى على لفظ الأب تغليبا للذكر على الأنثى، و لم يثن على لفظ الأم، كما غلب المفرد على المضاف فی قولهم: سنة

العمرين. و مثله قوله «وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ» «۱» يعنى أباه و امه.

قال الحسن و ابن إسحاق و الجبائى: كانت امه بحق، و قال السدى كانت امه ماتت و تزوج يعقوب أختها، و هى خلة يوسف، فأقامها مقام الأم، و الاول حقيقة و الثانى مجاز. و الإيواء ضم القريب بالمحبة لصاحبه كضم المأوى بجمع شمله، و انما قال لهم «ادْخُلُوا مِصْرَ» بعد دخولهم عليه، لامرين:

أحدهما- قال السدى: و فرقد السبخى: ان يوسف خرج يستقبل يعقوب و خرج معه أهل البلد، فلما رجع قال «ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ».

و قال آخرون أراد «ادْخُلُوا مِصْرَ» مقيمين «إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ» و المشيئة هى الارادة، و الأمن سكون النفس الى الامر. و الخوف انزعاج النفس من الأمر. و الامن التام الأمن من كل جهة، فاما الأمن من جهة دون جهة، فهو أمن ناقص.

و فى الناس من قال: ان قوله «إِنْ شاءَ اللَّهُ» متعلق بقوله «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ» ان شاء اللّه، لأنه كان قاطعاً على انهم يدخلون مصر آمين، و ليس يحتاج الى ذلك لأنه مطابق لقوله «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» «۲»

---

(۱) سورة النساء آية ۱۱

(۲) سورة الكهف آية ۲۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۹۷

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۰] ..... ص : ۱۹۷

وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ قالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَ جاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (۱۰۰)

آية بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى عن يوسف انه حين حضر عنده أبواه و أخوته، و رفع أبويه على العرش، و الرفع النقل الى جهة العلو. و مثله الاعلاء و الإصعاد، و ضده الوضع، و العرش السرير الرفيع و أصله الرفع من قوله «خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها» «۱» اى على ما ارتفع من أبنيتها، و عرّش الكرم إذا رفعه، و عمل عريشاً إذا عمل مجلساً رفيعاً. و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة: العرش السرير.

و قوله «وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً» معناه انحطوا على وجوههم و الخرّ الانحطاط على الوجه، و منه «خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ» «۲» و السجود فى الشرع خضوع بوضع الوجه على الأرض و أصله الذل، كما قال الشاعر:

ترى الأكم فيها سجداً للحوافر «۳»

و قيل فى وجه سجودهم قولان:

قال قوم: إن الهاء فى قوله «له» راجعة الى اللّه، فكأنه قال فخروا للّه سجداً شكراً على ما أنعم به عليهم من الاجتماع.

---

(۱) سورة البقرة آية ۲۵۹ و الكهف ۴۳ و الحج ۴۵

(۲) سورة الحج آية ۳۱

(۳) مر هذا البيت فى ۱: ۱۴۸، ۲۶۳، ۳۱۱ و ۴: ۲۳۳، ۳۸۳ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۹۸

الثانى انهم سجدوا الى جهة يوسف على وجه القربة الى اللّه، كما يسجد الى الكعبة على وجه القربة الى اللّه.

و قيل انه كانت تحية الملوك السجود، قال اعشى بنى ثعلبة:

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له و رفعنا العمارا «۱»

و قوله «يا أَبَتِ هـذا تَأْوِيلُ رُءْياىَ مِنْ قَبْلُ» حكايـة ما قال يوسف لأبيه بأن هـذا تفسير رؤياى من قبل و ما تؤول اليه، و هو ما ذكره فى أول السورة «إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً» يعنى أخوته «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» يعنى أبويه سجدوا له، كما رآه فى المنام.

و الرؤيا تصور ما يتوهم انه يرى لغمور النوم، و متى قيل إذا كانت رؤيا الأنبياء لا تكون الا صادقة، فهلا تسلى يعقوب بأن تأويل الرؤيا سيكون؟

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انه قيل: انه رآها و هو صبىّ فلذلك لم يثق بها.

و الآخر- ان طول الغيبة مع شدة المحنة يوجب الحزن كما يوجبه مع الثقة بالالتقاء فى الآخرة.

«وَ قَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ» بـأن لطف و سهل إلىَّ الخروج منه «وَ جاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ» اى اتى بكم من أرض فلسطين، لأن مسكن يعقوب و ولده فيما ذكر كان هناك. و البدو: البرية العظيمة مأخوذ من بدا يبدوا بدوّاً. و يقال: بدو، و حضر.

و قوله «مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِى وَ بَيْنَ إِخْوَتِى» و النزغ التحريش بين الاثنين، و هو مس بسوء يغضب، و منه قوله «وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» «۲» و قوله «إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِما يَشاءُ» معنا لطيف التدبير، و اللطف ما يدعو إلى

---

(۱) ديوانه ۸۳ (دار بيروت) و روايته (عمارا).

(۲) سورة الاعراف آية ۱۹۹ و حم السجدة آية ۳۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۱۹۹

فعل الواجب و يصرف عن القبيح. و قال الحسن: كان بين الرؤيا و تأويلها ثمانين سنة. و قال سلمان، و عبد اللَّه بن سداد: كانت أربعين سنة. و قال ابن إسحاق: ثمانى عشرة سنة.

و قوله «إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» معناه إنه تعالى عالم بأحوال الخلق، و ما يصلحهم و ما يفسدهم «حكيم» فى أفعاله لا يضع الشىء الا فى موضعه.

و قال بعضهم: غاب يوسف عن أبيه و له سبع عشرة سنة، و بقى بعد الاجتماع معهم فى الملك ثلاثاً و عشرين سنة، و مات، و له مائة و عشرون سنة.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۱] ..... ص : ۱۹۹

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ (۱۰۱)

آية بلا خلاف.

هـذا حكايـة مـا قال يوسف حين اجتمع مع أبويه و أخوته و أهل بيته، و انه قال يا «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ» و حـذف حرف النـداء للدلالـة عليه. و على وجه الاعتراف بـأنواع نعمـة اللَّه عليه، و ان من جملتها أنه أعطاه الملك و السياسة و التـدبير بين الخلق، و أنه مع ذلك علمه، و فهمه أنواع العلوم، و نصب له الدلالة على علوم كثيرة. و قد يقال: علمه تعليماً إذا بين له الدليل المفضى الى العلم.

و الاعلام هو إيجاب العلم بإيجاده و التعريض له. و المعنى فهمتنى تأويل الأحاديث التى تؤدى الى العلم بما احتاج إليه. و الأحاديث الاخبار عن حوادث الزمان.

و قوله «فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فالفطر الشق عن أمر باختراعه عند انشقاقه، ففطر السموات و الأرض: اختراعهما بما هو كائن كالشق عما يظهر فيه. و منه تفطر الشجر بالورق. و نصبه يحتمل أمرين: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۰

أحدهما- أن يكون صفة لقوله «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ» لأنه مضاف، كما يقال: يقول يا زيد ذى الجمة.

و الثانى- ان يكون على النداء بتقدير يا فاطر.

و قوله «أَنْتَ وَلِيِّي» أى ناصرى، و الولى النصير بما يتولى من المعاونة، فإذا وصف تعالى بانه ولىّ المؤمن، فلانه ينصره بما يتولى من معونته و حياطته. و إذا وصف المؤمن بأنه ولى اللَّه، فلان اللَّه ينصره بمعونته، فتجرى الصفة على هذا المعنى.

و قوله «تَوَفَّنِي مُسْلِماً» معناه اقبضنى إليك إذا امتنى و أنا مسلم اى الطف لى بما أموت معه على الإسلام «وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» من آبائى إسحاق و ابراهيم اى اجعلنى من جملتهم.

و (من) فى قوله «من الملك» و قوله «مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ» دخلتا للتبعيض لأنه لم يؤته اللَّه جميع الملك، و لا علمه جميع الأشياء، و يحتمل ان تكون دخلت لتبيين الصفة، كما قال «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «۱»

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۲] ..... ص : ۲۰۰

ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ (۱۰۲)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم انه قال له «ذلك» يعنى الذى أخبرناك به من أخبار ما يعظم شأنه، لأن الأنباء هى الاخبار بما له شأن. و منه قولهم:

لهذا نبأ اى شأن عظيم. و (الغيب) ذهاب الشىء عن الحس، و منه «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» «۲» اى عالم بما غاب عن الحواس، و بما حضرها «نُوحِيهِ إِلَيْكَ»

---

(۱) سورة الحج آية ۳۰

(۲) سورة الانعام آية ۷۳، و التوبة آية ۹۴، ۱۰۵ و الرعد ۱۰ و المؤمنون ۹۳ و الم السجدة ۶ و الزمر ۴۶ و الحشر ۲۲ و التغابن ۱۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۱

اى نلقيه. و الإيحاء إنهاء المعنى الى النفس، فقد أفهم اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم تلك المعانى بانزال الملك بها عليه.

و قوله «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ» اى لم تحضرهم حين عزموا على أمورهم. و إجماع الأمر هو اجتماع الرأى على الامر بالعزم عليه. و المكر: فتل الحيل عن الأمر، و اصل المكر من قولهم: ساق ممكورة اى مفتولة. و مثله الخديعة، و كان مكرهم بيوسف إلقاؤهم إياه فى غيابت الجب- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة- و قال الجبائى: كان مكرهم احتيالهم فى امر يوسف حين القوه فى الجب. و انما قال ذلك لنبيه، لأنه لم يكن ممن قرأ الكتب و لا خالط أهلها و إنما اعلمه اللَّه تعالى ذلك بوحى من جهته ليدل بذلك على نبوته، و انه صادق على اللَّه تعالى

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۳] ..... ص : ۲۰۱

وَ ما أَكْثَرُ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (۱۰۳)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم على وجه التسلية بقلة من آمن به بأن الناس كثيرون، و ان حرصت على ان يكونوا

مؤمنين فإنهم قليلون. و الأكثر القسم الآخر من الجملة، و نقيضه الأقل. و الناس جماعة الإنسان، و هو من ناس ينوس نوساً إذا تحرك يميناً و شمالًا، من نفسه لا بمحرك. و الحرص طلب الشيء فى اصابته، حرص عليه يحرص حرصاً، فهو حريص على الدنيا إذا اشتد طلبه لها و التقدير: و ما اكثر الناس بمؤمنين، و لو حرصت على هدايتهم.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۴] ..... ص : ۲۰۱

وَ ما تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (۱۰۴)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۲

هذا اخبار من اللَّه تعالى و خطاب لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم انك يا محمد لست تسألهم يعنى أمّته الذين بعث اليهم على ما يعرفهم به من اخبار الماضين اجراً، و لا جزاء فى مقابلته. و ليس ذلك إلا ذكر للعالمين. و السؤال قول القائل لمن هو فوقه (افعل) إذا كان سؤال طلب و دعاء، و ان كان سؤال استخبار، فهو طلب الاخبار بادلته، و الأجر جزاء العمل بالخير يقال: آجره اللَّه يآجره أجراً إذا جازاه بالخير، و يدعا به، يقال: آجرك اللَّه. و الذكر حضور المعنى للنفس، و هو ضد السهو. و قد يقال للقول الذى يحضر المعنى للنفس ذكر. و (العالم) جماعة الحيوان الكثيرة التى من شأنها ان تعلم، لأنه مأخوذ من العلم، و منه معنى التكثير، و فى عرف المتكلمين عبارة عن الفلك و ما حواه عن طريق التبع للحيوان الذى ينتفع به، و هو مجعول لأجله. و معنى الآية إنك لست تسألهم على ابلاغك إياهم ما اوحى اللَّه به اليك، و لا على ما تدعوهم اليه من الايمان اجراً، فيكون تركهم لذلك إشفاقاً من إعطاء الأجر، بل هم يزهدون فى الحق مع أمنهم من إعطاء الأجر، و ليس ما تؤديه اليهم من القرآن، و جميع ما ينزله اللَّه من الأحكام «إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ» اى طريق الى العلم بما أوجب اللَّه عليهم، فذكر الدليل طريق الى العلم بالمدلول عليه. و الفكر سبب مولد له، فالذكر سبب مؤد، و الفكر سبب مولد. و يحتمل ان يكون المراد ليس هذا القرآن الا شرفاً للعالمين لو قبلوه و عملوا بما فيه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۵] ..... ص : ۲۰۲

وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ (۱۰۵)

آية بلا خلاف.

معنى (كأين) كم. و الأصل فيها (أى) فدخلت عليها الكاف للتفخيم بالإبهام، و تقديره كالعدد، فهو أبهم من نفس العدد، لما فيه من التكثير و التفخيم، و غلبت على (كاين) (من) دون (كم) لان (كأين) أشد إبهاماً، فاحتاجت الى (من) لتدل على ان ما يذكر بعدها تفسير لها. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۳

اخبر اللَّه تعالى ان فى خلق السموات و الأرض آيات، و دلالات كثيرة تدل على ان لها صانعاً صنعها، و مدبراً دبرها، و على صفاته، و علمه، و حكمته، و أنه لا يشبه شيئاً، و لا يشبهه شيء، و هو ما فيها من تدبير الشمس و القمر و النجوم و الجماد و الحيوان، و ما بينهما من الأشجار و النبات، و غير ذلك من الأمور الظاهرة للحواس المدركة بالعيان. و قال الحسن: من الآيات إهلاك من أهلك من الأمم الماضية، يعرضون عن الاستدلال بها عليه و على ما يدلهم عليه من توحيده و حكمته، مع مشاهدتهم لها و مرورهم عليها.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۶] ..... ص : ۲۰۳

وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (۱۰۶)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى هذه الآية قولان:

أحدهما- قال الحسن: الآية فى اهل الكتاب، لان معهم إيماناً و شركاً.

و قال ابن عباس، و مجاهد و قتادة: المعنى «وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ» فى إقراره بأن اللَّه خلقه و خلق السموات و الأرض إِلا و هو مشرك بعبادة الأوثان، و هذا هو الأولى، لان التقدير ما يصدقون بعبادة اللَّه إِلا و هم يشركون الأوثان معه فى العبادة.

و قال الرمانى: الآية دالة على ان اليهودى معه إِيمان بموسى، و كفر بمحمد، لأنها دلت على انه قد جمع الكفر و الايمان، و انه لا ينافى ان يؤمنوا باللَّه من وجه و يكفروا به من وجه آخر، كما قال «أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ» «۱».

---

(۱) سورة البقرة آية ۸۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۴

و على مذهب من قال بالموافاة من المرجئة لا يصح ذلك، لان الإحباط عنده باطل، فمن آمن باللَّه لا بد ان يوافى به.

و الجواب على مذهبه ان يقال تأويل الآية انه لا يؤمن أكثرهم باللَّه و يصدق رسله فى الظاهر الا و هو مشرك فى باطنه، فتكون الآية فى المنافقين خاصة- يعنى هذه الآية- و قد ذكره البلخى ايضاً.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۷] ..... ص : ۲۰۴

أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۰۷)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب لهؤلاء الكفار الذين ذكرهم بأنهم لا يؤمنون إلا و هم مشركون، و توبيخ لهم و تعنيف، و ان كان متوجهاً الى غيرهم، فهم المعنون به، يقول:

أ فأمن هؤلاء الكفار أن تجيأهم غاشية من عذاب، و هو ما يتغشاهم من عذابه.

و الغاشية ما يتجلل الشيء بانبساطها عليه، يقال: غشيه يغشاه، فهو غاش، و هى غاشية أو: تجيأهم القيامة بغتة أى فجأة. و البغتة و الفجأة و الغفلة نظائر، و هى مجيء الشيء من غير تقدمة. قال يزيد بن مقسم الثقفى:

و لكنهم باتوا و لم أدر بغتة و أفظع شيء حين يفجؤك البغت «۱»

و الساعة مقدار من الزمان معروف، و سمى به القيامة لتعجيل أمرها، كتعجيل الساعة.

و قوله «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» معناه لا يعلمون بمجيئه، فلذلك كان بغتة. و الشعور إِدراك الشيء بما يلطف، كدقة الشعر يقال: شعر به يشعر شعوراً و أشعره بالأمر اشعاراً، و منه اشتقاق الشاعر لدقة فكره.

---

(۱) مر هذا البيت فى ۴: ۱۲۲، ۵۰۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۵

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۸] ..... ص : ۲۰۵

قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي وَ سُبْحانَ اللَّهِ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۱۰۸)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم أمره اللَّه تعالى ان يقول لهؤلاء الكفار «هذِهِ سَبِيلِي» يعنى دينه الذى دعا إليه من توحيد اللَّه و

عدله و توجيه العبادة اليه و العمل بشرعه «ادعو» الناس «الى» توحيد «اللّه» و الى طاعته، و اتباع سبيله على معرفة منى بذلك، و حجة معى اليه، و من تابعنى على ذلك، فهو يدعو الناس الى مثل ما أدعو اليه من التوحيد و خلع الأنداد و العمل بشرع الإسلام «وَ سُبْحانَ اللَّهِ» اى تنزيهاً للّه من ان يعبد معه إله غيره، و ان يضاف اليه ما لا يليق به و لست أنا من المشركين الذين يشركون مع اللّه فى عبادته سواه و السبيل هو الطريق، و هو يذكر و يؤنث قال الشاعر:

و لا تبعد فكل فتى أناس سيصبح سالكاً تلك السبيلا «۱»

و الدعاء طلب الفعل من الغير، و سمى الإسلام سبيلًا، لأنه طريق الى الثواب لمن عمل به. و (البصيرة) المعرفة التى يميز بها بين الحق و الباطل فى الدين و الدنيا، يقال: فلان على بصيرة من أمره اى كأنه يبصره بعينه.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۰۹] ..... ص : ۲۰۵

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۱۰۹)

آية واحدة بلا خلاف.

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۲۶۸، و مجاز القرآن ۱: ۳۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۶

قرأ ابو بكر «يوحى» بالياء و فتح الحاء. و قرأ حفص بالنون و كسر الحاء.

قال ابو على الفارسى: وجه القراءة بالنون قوله «إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ» «۱» و من قرأ بالياء، فلقوله «وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ» «۲» و قوله «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ» «۳» فأما فى «حم عسق كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ» «۴»، فلان الفعل مسند الى اسم اللّه تعالى، فارتفع الاسم بأنه فاعل يوحى، و لو قرئ يوحى اليك، و الى الذين و أسند الفعل الى الجار و المجرور، لكان جائزاً، و كان يكون قوله «اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» مبتدءاً و خبراً، و الاول احسن، لان قوله «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ان يكون صفة احسن من ان يكون خبر المبتدأ.

معنى الآية الاخبار من اللّه أنى ما أرسلت قبلك من الأنبياء و المرسلين الى عبادى إلا رجالًا يوحى اليهم بكتبى و احكامى، «مِنْ أَهْلِ الْقُرى أى لم أرسل عليهم ملكاً و لا جنيّاً، بل رجالًا أمثالك، لقول جهال قريش ان اللّه لو شاء ان يرسل إلينا أحداً، لأرسل إلينا ملكاً، فبين هاهنا انه لم يرسل فيما مضى الا رجالًا، مثل محمد، من البشر، «أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» معناه أ فليس قد ساروا فى الأرض و سمعوا اخبار من أرسله اللّه من الأنبياء المبعوثين الى خلقه مثل ابراهيم و موسى و عيسى، فيعرفوا بذلك كيف كان عاقبة من كذب هؤلاء الرسل من قبلهم، و ما نزل بهم من العذاب لكفرهم. ثم أخبر ان دار الاخرة خير للذين اتقوا و اجتنوا معاصيه خير لهم من الدنيا، أفلا يعقلون ان الامر على ما أخبرنا به، و ان ذلك خير من دار الدنيا التى فيها تنغيص و تكدير، و فنون الآلام.

و قال قتادة معنى «مِنْ أَهْلِ الْقُرى يريد به الأمصار دون البوادى، لأنهم اعلم و أحكم. و قال الحسن ما بعث اللّه نبياً من اهل البادية قط، و لا من الجن و لا من النساء.

و قوله «وَ لَدارُ الْآخِرَةِ» على الاضافة و فى موضع آخر و للدار الآخرة على الصفة. فمن اضافه قال تقديره و لدار الحال الآخرة، لان للناس حالين حال

---

(۱) سورة النساء آية ۱۶۲.

(۲) سورة هود آية ۳۶.

(۳) سورة الجن آية ۱.

(۴) سورة الشورى آية ۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۷

لدنيا و حال الآخرة. و مثله صلاة الاولى و الصلاة الاولى، فمن اضافه قدر صلاة الفريضة الاولى، و من لم يضف جعله صفة، و مثله ساعة الاولى، و الساعة لاولى، ذكره الزجاج. و قال الفراء قد يضاف الشيء الى نفسه إذا اختلف لفظهما مثل «حق اليقين». و مثل بارحة الاولى و البارحة الاولى و مسجد الجامع، و المسجد الجامع.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۱۰] ..... ص : ۲۰۷

حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ وَ لا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (۱۱۰)

آية بلا خلاف.

قرأ «كذبوا» خفيفة بضم الكاف أهل الكوفة. الباقون مشددة بضم الكاف. و قرأ عاصم و ابن عامر «فنجى من نشاء» بنون واحدة و تشديد الجيم و فتح الياء. الباقون بنونين على الاستقبال، و هى فى المصحف بنون واحدة.

من قرأ «كذبوا» خفيفة، فالمعنى إن الأمم ظنت ان الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر اللَّه إياهم و إهلاك أعدائهم، و مثله قراءة من قرأ، و ان كان شاذاً «كذبوا» يعنى ان قومهم ظنوا ان الرسل كذبت فيما أخبرت به، و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد و الضحاك. و من قرأ بالتشديد حمل الظن على العلم، و المعنى أيقن الرسل ان الأمم كذبوهم تكذيباً عمهم حتى لا يفلح احد منهم، و هو قول الحسن و قتادة و عائشة قال الشاعر:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرّد «۱»

معناه أيقنوا، فان قيل على الوجه الاول كيف يجوز ان يحمل الضمير على انه للمرسل اليهم و الذين تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم، قيل ان ذلك

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱: ۲۰۵، ۲: ۲۹۶، ۴: ۳۷۳ و قد روى (المشدد) بدل (المسرد).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۰۸

لا يمتنع لان ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم و قد قال الشاعر:

امنك البرق ارقبه فهاجا فبتّ أخاله دهماً خلاجا «۱»

اى بتّ إخال الرعد صوت دهم، فأضمر الرعد و لم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه. و ان قلت قد جرى لهم ذكر فى قوله «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا» فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبى الرسل كان جيداً، ذكره ابو على.

و من قرأ «فننجى» بنونين، فعلى انه حكاية حال، لان القصة كانت فيما مضى، فإنما حكى فعل الحال على ما كانت، كما قال «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» «۲» حكاية الحال الكائنة، و مثله «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ» «۳» فلو لم يكن على الحال لم يعمل اسم الفاعل، لأنه إذا مضى اختص، و صار معهوداً، فخرج بذلك من شبه الفعل. و اما النون الثانية من (ننجى) فهى مخفاة مع الجيم، و كذلك النون مع جميع حروف الفم، لا تكون الا مخفاة، قال ابو عثمان المازنى و تبيينها معها لحن. قال و للنون مع الحروف ثلاثة احوال: الإدغام، و الإخفاء، و البيان، فهى تدغم مع ما يقارنها كما تدغم سائر المتقارنة. و الإخفاء فيها مع حروف الفم التى لا تقارنها و البيان منها مع حروف الحلق، و حذف النون الثانية من الخط يشبه ان يكون لكراهة اجتماع المثلين فيه. و من ذهب الى ان الثانية مدغمة فى الجيم، فقد غلط، لأنها ليست بمثل للجيم، و لا مقارنة له. و وجه قراءة عاصم انه اتى به على لفظ الماضى، لان القصة ماضية. و ما رواه هبيرة

عن عاصم بنونين، و فتح الياء، فهو غلط من الراوى، كما قال ابن مجاهد، و روى نصر بن على عن أبيه عن أبى عمرو «فنجى» بنون واحدة ساكنة الياء خفيفة الجيم، فهذا غلط، لأنا قد بيّنا انّ النون، لا تدغم فى الجيم، لما بيناه.

---

(۱) قائله ابو ذؤيب الهذلى، ديوان الهذليين ۱: ۱۶۴، و اللسان (دهم) و امالى السيد المرتضى ۱: ۶۱۶.

(۲) سورة النحل آية ۱۲۴ [.....]

(۳) سورة الكهف آية ۱۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۲۰۹

اخبر اللّه تعالى ان الرسل لما يئسوا من فلاح القوم و علموا ان القوم لقوهم بالتكذيب و نسبوهم الى الكذب، لان التكذيب نسبة القائل الى الكذب، و ضده التصديق و الاستيئاس و اليأس انقطاع الطمع «جاءَهُمْ نَصْرُنا» اى أتاهم نصر اللّه باهلاك من كذبهم و لا يرد بأسنا فالبأس شدة الأمر على النفس يقال له بأس فى الحرب و البئيس الشجاع لشدة أمره. و منه البؤس الفقر و البائس الفقير «عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» يعنى المخطئين الذين اقترفوا السيئات.

قوله تعالى:[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۱۱] ..... ص : ۲۰۹

لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۱۱۱)

آية بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى ان فى قصص الأمم الماضين التى ذكرها دلالة لذوى العقول على تصديق الرسل و ان ما أخبرناك به لم يكن حديثاً كذباً. و الحديث الاخبار عن حوادث الزمان و تسميته بأنه حديث يدل على انه حادث، لان القديم لا يكون حديثاً، و الافتراء القطع بالمعنى على خلاف ما هو به و أصله القطع من قولهم قريت الأديم فرياً إذا قطعته، و وجه الاعتبار بتلك القصص ان الذى من قولهم قريت الأديم فرياً إذا قطعته، و وجه الاعتبار بتلك القصص ان الذى قدر على إعزاز يوسف بعد القائه فى الجب و اعلائه بعد حبسه فى السجن و تمليكه مصر بعد ان كان كبعض أهلها فى حكم العبيد و جمعه بينه و بين والديه و إخوته على ما أحبوا بعد مدة طويلة و شقة بعيدة لقادر ان يعز محمد صلّى اللّه عليه و سلم، و يعلى كلمته و ينصره على من عاداه.

و قوله «وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» معناه تصديق الكتب التى قبله من التوراة، و الإنجيل و غيرهما من كتب اللّه فى قول الحسن و قتادة. و انما قيل لما التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۲۱۰

قبله: بين يديه، لأنه قد وجد فكأنه حاضر له، و قيل بين يديه، لأنه قريب منه كقرب ما كان بين يدى الإنسان. و إنما قال «وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ» على وجه المبالغة من حيث كان فيه تفصيل كل شيء يحتاج اليه فى أمور الدين من الحلال و الحرام و الحجاج و الاعتبار و الوعظ و الازجار، أما جملة او تفصيلا و «هُدىً وَ رَحْمَةً» فالهداية الدلالة «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» اى يصدقون بها و ينتفعون بالنظر فيها و خص المؤمنين بالهداية و إن كانت هداية لغيرهم من حيث انهم انتفعوا هم بها دون غيرهم، و نصب تصديق على تقدير، و لكن كان تصديق الذى بإضمار كان على قول الزجاج.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۲۱۱

(۱۳)سورة الرعد ..... ص : ۲۱۱

اشارة

قال قتادة هى: مدنية إلا آية منها فإنها مكية و هى قوله «لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ».

و قال مجاهد: هى مكية و ليس فيها ناسخ و لا منسوخ.

و هى ثلاث و أربعون آية فى الكوفى و أربع فى المدنيين و خمس فى البصرى.

[سورة الرعد (١٣): آية ١] ..... ص : ٢١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
المر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ الَّذِی أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (١)

آية بلا خلاف.

لم يعد احد «المر» آية وعد الكوفيون «طه» و «حم» آية قالوا، لان (طه) مشاكلة لرؤوس الآى التى بعدها بالألف مع انه لا يشبه الاسم المفرد، كما أشبه «صاد» و «قاف» و «نون» لأنها بمنزلة (باب) و «نوح»، وعد «كهيعص» لأنه يشاكل رؤوس الآى بعده بالارداف. و قد بينا فى أول سورة البقرة أقوال المفسرين فى تأويل أوائل السور بالحروف «١». و ان أقواها ان يقال أنها اسماء السور و اجبنا عما اعترض عليه، فلا وجه لإعادته.

---

(١) فى ١: ٤٧- ٥١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ٢١٢

و روى عن ابن عباس ان معنى قوله «المر» انا اللَّه أرى. و قال غيره: معناه انا اللَّه أعلم. و روى انها حروف تدل على اسم الرب. و قوله «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ» و معناه هذه تلك آيات الكتاب التى تقدمت صفتها. و البشارة بها بما فيها من الهداية، كما تقول تلك الدلالة اى التى وصفها بأنه لا غنا لأحد عنها، فيقول: هذا تنبيهاً عليها، و تفخيماً لشأنها.

و قال الحسن و الجبائى: يعنى بالكتاب القرآن. و قال مجاهد و قتادة: يعنى به الإنجيل. و الاول أصح. و آيات الكتاب هى الكتاب، و لكن أضيف الى نفسه، لما اختلف لفظه كما قال «حق اليقين» «١» و غير ذلك مما قد مضى ذكره، و كما يقال مسجد الجامع، و المسجد الجامع، و الآيات الدلالات المعجبة المؤدية الى المعرفة باللَّه و انه لا يشبه الأشياء، و لا تشبهه، و الكتاب الصحيفة التى فيها الكتابة، و قد يكون مصدر كتب، تقول: كتب كتاباً و كتابة. «وَ الَّذِی أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ» يحتمل وجهين من الاعراب: الرفع و الجر، فالرفع على الابتداء و خبره الحق، و الجر على انه عطف على الكتاب، و هو غيره- على قول مجاهد- و يجوز ان تكون صفة- فى قول الحسن- كما قال الشاعر:

الى الملك القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبة فى المزدحم «٢»

«وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ» اى لا يصدق اكثر الناس بأنه كذلك، و يكفرون به. و الحق وضع الشىء فى موضعه على ما تقتضيه الحكمة و الانزال النقل من علوّ الى سفل أنزله إنزالًا، و نزّله تنزيلًا، و ضده الإصعاد.

قوله تعالى:[سورة الرعد (١٣): آية ٢] ..... ص : ٢١٢

اللَّهُ الَّذِی رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)

---

(١) سورة الواقعة آية ٩٥.

(۲) مر تخريجه فى ۲: ۹۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۱۳

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية بما يدل على وحدانيته و كونه على صفات لا يشاركه فيها احد من المخلوقين من كونه قادراً لنفسه، لأنه قال تعالى هو الذى رفع السموات بغير عمد ترونها. و قيل فيه قولان:

الاول- قال ابن عباس و مجاهد: يعنى ليس ترونها دعامة تدعمها، و لا فوقها علاقة تمسكها.

الثانى- قال قتادة و إياس بن معاوية: ان المعنى إنه رفع السموات بلا عمد و نحن نراها.

و قال الجبائى: تأويل ابن عباس و مجاهد خطأ لأنه لو كان لها عمد، لكانت اجساماً غلاظاً و رؤيت، و كانت تحتاج الى عمد آخر إِلا هو تعالى.

و هذا هو الصحيح. و الوجه فى قوله «بِغَيْرِ عَمَدٍ» انه لو كان لها عمد لرئيت.

و مثله قول الشاعر:

على لا حب لا يهتدى لمناره «۱»

و المعنى انه لا- منار له، لأنه لو كان له منار لاهتدى به، و قد بينا نظائر ذلك فيما مضى «۲». و (عمد) جمع عمود يقال: عمد، كما يقال: أديم و أدم. قال ابو عبيدة: و هذا الجمع قليل. و قد قرئ فى الشواذ (عمد) بضم العين و الميم، و هو القياس. و العمود السارية، و مثله الدعائم و السند و أصله منع الميل، فمنه التعميد و الاعتماد، قال النابغة:

و خيس الجنّ انى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفائح و العمد «۳»

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱: ۱۸۹، ۲۷۹، ۴۴۴، ۲: ۸۸، ۳۵۶، ۴۲۳، ۵۶۲، ۳: ۳۸۰.

(۲) راجع ما سبق ان أشرنا اليه فى التعليقة قبل هذه رقم ۱.

(۳) ديوانه (دار بيروت) ۳۳ و معنى (خيس) ذلل، و (تدمر) بلد بالشام.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۱۴

و قوله «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» معناه استولى بالاقتدار عليه و نفوذ السلطان.

و أصله استواء التدبير، كما ان اصل القيام الانتصاب ثم قال: قائم بالتدبير، فالمعنى مستو على العرش بالتدبير المستقيم من جهته بجميع الأمور. و (ثم) دخلت على معنى «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» بالتدبير للأجسام التى قد كونها، فهى تدل على حدوث التدبير.

و قال ابو على: هى لتسخير الشمس و القمر لكنه قدم فى صدر الكلام، كما قال «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ» «۱» و المعنى حتى يجاهد من نعلم من المجاهدين.

و قوله «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» فالتسخير و التذليل و التوطئة نظائر، و المسخر هو المهيأ، لأنه يجرى بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج اليه كتسخير النار للاسخان و الماء للجريان، و الفرس للركوب.

و قوله «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» فالتسخير و التذليل و التوطئة نظائر، و المسخر هو المهيأ، لأنه يجرى بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج اليه كتسخير النار للاسخان و الماء للجريان، و الفرس للركوب.

و قوله «كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى» أجراه على لفظ كل، و مثله كل منطلق اى أكلهم، و رفع كلا، لأنه مستأنف، و ذهب بمعنى الاثنين فى الشمس و القمر الى الجمع، كما قال «فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ» «۲» و إنما هما أخوان. و (الأجل) هو الوقت ضروب لحدوث أمر و انقطاعه، فأجل الدنيا الوقت المضروب، لانقضائها و اجل الآخرة، الوقت المضروب لحدوثها، و اجل الدين وقت حدوث أدائه، و اجل

العمر الوقت المضروب لانقضائه، و الأجل المسمى- هاهنا- قيل يوم القيامة.

و قوله «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» فالتدبير تصريف الأمور على ما يقتضيه مستقبل حاله فى عاقبته، فتدبير السموات و الأرض فيه دلالة على مدبر حكيم، قد جعل جميع ذلك لما يصلح فى عاقبته، و عاجلته. و دخلت الالف و اللام على (الشمس) و هى واحدة لا ثانى لها، لأن فى اسمها معنى الصفة، لأنه لو وجد مثلها لكان شمساً، و كذلك (القمر) لو خلق اللّه مثله لكان قمراً، و ليس كذلك زيد و عمرو.

---

(۱) سورة محمد آية ۳۱.

(۲) سورة النساء آية ۱۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۱۵

و قوله «يُفَصِّلُ الْآياتِ» اى يميز الدلالات و اختلاف مدلولاتها، من كونه قادراً عالماً حكيماً لا يشبه شيئاً، و لا يشبهه شىء «لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» معنا لكى توقنوا لقاء ثواب طاعات اللّه و لقاء عقاب معاصيه، فسمى لقاء ثوابه و عقابه لقاءه مجازاً.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۳] ..... ص : ۲۱۵

وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۳)

آية بلا خلاف.

ذكّر اللّه تعالى فى الآية الاولى بالسماء و الشمس و القمر، لان اكثر ما فى العالم متعلق بذلك و جار مجراه كالنبات و الحرث و النسل، ثم ذكر فى هذه الآية الأرض و تدبيره لها على ما فيه من المصلحة لينبه بذلك من ذهب عن الاستدلال به على حكمته تعالى، و توحيده، فقال «وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ» يعنى بسطها طولًا و عرضاً «وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ» يعنى جبالًا راسيات ثابتات، يقال: رسى هذا الوتد و أرسيته. و واحد (الرواسى) راسية «و أنهارا» اى و خلق فيها أنهاراً يجرى المياه فيها «وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» ثم ابتدأ فقال: و جعل فيها من جميع الثمرات زوجين أى ضربين. قال الحسن يعنى لونين من كل ما خلق من البنات. و الزوج يكون واحداً و يكون اثنين، و هاهنا واحد.

و قريش تقول: للأنثى زوج و للذكر زوج. قال اللّه تعالى «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» «۱» لآدم.

و معنى «يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ» اى يجلل الليل النهار و النهار بالليل.

و المعنى انه يذهب كل واحد منهما بصاحبه و مثله

---

(۱) سورة البقرة آية ۳۵ و سورة الاعراف آية ۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۱۶

«يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ» «۱» و المعنى ان أحدهما يُذهب الآخر. ثم أخبر تعالى ان فيما ذكره من الدلالات لآيات واضحات لمن فكر، و اعتبر بها، لان من لم يفكر فيها و لم يعتبر، كأنه لا آية له.

و قوله «زوجين اثنين» انما أكد ب (اثنين) و ان كان قوله «زوجين» أفاد العدد لامرين:

أحدهما- على وجه التأكيد و هو مستعمل كثيراً.

الثانى- ان الزوجين قد يقع على الذكر و الأنثى. و على غيرهما، فأراد ان يبين ان المراد به هاهنا لونين أو ضربين دون الذكورة و الانوثة، و ذلك فائدة لا يفيدها قوله «زوجين» فلا تكرار فيه بحال. و هو قول الحسن و الجبائى و غيرهما.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۴] ..... ص : ۲۱۶

وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ صِنْوانٌ وَ غَیْرُ صِنْوانٍ یُسْقی بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلی بَعْضٍ فِی الْأُکُلِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۴)

آیة بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر و أهل البصرة و حفص «وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ صِنْوانٌ وَ غَیْرُ صِنْوانٍ» بالرفع فیهن. الباقون بالخفض. و روی ابو شعیب القواس عن حفص ضم الصاد من صنوان فی الموضعین. الباقون بکسرها. و قرأ ابن عامر و عاصم و یعقوب «یسقی» بالیاء. الباقون بالتاء. و قرأ اهل الکوفة الا عاصما یفضل بالیاء.

الباقون بالنون.

---

(۱) سورة الزمر آیة ۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۱۷

قال ابو علی النحوی: من قرأ «و زرع» مرفوعاً جعله محمولًا علی قوله «فی الأرض» و یکون تقدیره و فی الأرض قطع متجاورات و جنات من أعناب و فی الأرض زرع و نخیل صنوان، فالجنة علی هذا تقع علی الأرض التی فیها النخیل دون غیرها. و یقوی ذلک قول زهیر:

کأن عینیّ غربی مقتّلة من النواضح تسقی جنة سحقا «۱»

السحق جمع سحوق یوصف بها النخیل إذا بسقت فکأنه سمی الأرض ذات النخل جنة، و لم یذکر ان فیها غیرها، فکما ان الجنة تکون من النخیل من غیر ان یکون منها شیء آخر، کذلک تکون من الکروم، و ان لم یکن فیها غیرها.

فاما من قرأ بالخفض فانه حمل الزرع و النخیل علی الأعناب، کأنه قال جنات من أعناب و من زرع، و من نخیل. و قد تسمی الأرض إذا کان فیها النخل و الکرم و الزرع جنة، قال اللَّه تعالی «جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَیْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنا بَیْنَهُما زَرْعاً» «۲» و یقوی ذلک قول الشاعر:

أقبل سیل جاء من أمر اللَّه یجرد جرد الجنة المغلة «۳»

فقوله (المغلة) فی وصف الجنة یدل علی ان الجنة یکون فیها الزرع، لان الغلة لا یقال إلا فیما یکال و یوزن، فلذلک قال الفقهاء: إذا قال: أوصیت له بغلة هذه القریة انه یکون علی ما فیها، من الحال من الثمرة و غیرها وقت التلفظ بالوصیة دون ما یحدث بعد.

و (الصنوان) فیما ذهب الیه ابو عبیدة صفة النخل قال: و المعنی ان یکون الأصل واحداً ثم یتشعب من الرؤوس فیصیر نخلًا و یحملن. و قال و قوله

---

(۱) دیوانه: ۱۴۰ (دار بیروت).

(۲) سورة الکهف آیة ۳۲

(۳) مجمع البیان ۳: ۲۷۵ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۱۸

«یُسْقی بِماءٍ واحِدٍ» لأنها تشرب من اصل واحد «وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلی بَعْضٍ فِی الْأُکُلِ» و هو الثمرة، و أجاز غیره ان یکون (الصنوان) من صفة الجنات:

قال ابو على فكأنه فى المعنى يراد به ما فى الجنات. و ان جرى على لفظ الجنات.

و على هذا يجوز ان ترفع و ان جررت النخل غير أنه لم يقرأ به. و من ضم الصاد من صنوان جعله مثل ذئب و ذؤبان، و ربما يعاقب فِعلان و فُعلان على بناء واحد نحو خشن و خشان. و أظن سيبويه حكى الضم فى صنوان و الكسر اكثر. و من قرأ «تسقى» بالتاء أراد تسقى هذه الأشياء «بماء واحد» و يقوى ذلك قوله «وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ» فحمله على التأنيث. و من قرأ بالياء فعلى تقدير ما ذكرناه. و من قرأ «يفضل» بالياء. رده الى اللَّه، و تقديره و يفضل اللَّه بعضها على بعض و من قرأ بالنون، فعلى الاخبار عن اللَّه عز و جل أنه قال «و نفضل» نحن «بَعْضَها عَلى بَعْضٍ».

اخبر اللَّه تعالى على وجه التنبيه لعباده على الاستدلال بآياته بان قال فى الأرض التى خلقتها قطع متجاورات. قال ابن عباس و مجاهد و الضحاك: معناه سبخة و غير سبخة. و قيل عامرة و غير عامرة. و المتجاورة المتقاربة بعضها من بعض.

و قوله «وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ» فالجنة البستان الذى يجنه الشجر و هى منفصلة من الروضة و الزهرة «من أعناب» جمع عنب و هو ثمر الكرم يقع على انواع كثيرة، و الزرع إلقاء الحب للنبات فى الأرض، و الغرس جعل الأصل من الشجر الثابت فى الأرض، و الصنوان المتلاصق و هى الفسيلة تكون فى اصل النخلة. و يقال:

هو ابن أخيه صنو أبيه اى لصنو أبيه فى ولادته، و يجوز فى جمع صنو اصناء كعدل و اعدال. و يقال: صنو بضم الصاد و إذا كثرت، فهو الصنى و الصنى، و قال البراء بن عازب و ابن عباس و مجاهد و قتادة: الصنوان النخلات التى أصلها واحد. و قال الحسن: الصنوان النخلتان أصلهما واحد «يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ» معناه ان ما ذكرناه يسقى بماء واحد «وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ» بان التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۱۹

يكون بعضه حلواً و بعضه حامضاً و بعضه مراً فى الاكل. و الاكل الطعام الذى يصلح للأكل، فدل بذلك على بطلان قول من يقول بالطبع، لأنه لو كان قولهم صحيحاً لما اختلفت طعوم هذه الأشياء مع ان التربة واحد و الماء واحد، و جميع أحوالها المعقولة متساوية، فلما تفاضلت مع ذلك دل على ان المدبر لها عالم حكيم ففعله بحسب المصلحة «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» اخبار منه تعالى ان فيما ذكرناه دلالات لقوم يعقلونها و يتدبرونها لان من لا عقل له لا ينتفع بالاستدلال بها، و انما ينتفع بذلك ذوو الألباب و العقول.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۵] ..... ص : ۲۱۹

وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذا كُنَّا تُراباً أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۵)

آية فى الكوفى. و فى المدنيين و البصرى آيتان تمام الاولى قوله «لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ».

قرأ ابن عامر و ابو جعفر «إذا» بهمزة واحدة على الخبر. الباقون بهمزتين على الاستفهام. و حقق الهمزتين اهل الكوفة و روح. و قرأ نافع و ابن كثير و ابو عمرو و رويس بتخفيف الاولى و تليين الثانية. و فصل بينهما بالف نافع الا ورشاً و ابو عمرو.

و اما «إنا» فقرأه بهمزة واحدة على الخبر نافع و الكسائى و يعقوب. الباقون بهمزتين على الاستفهام. و حقق الهمزتين ابن عامر و عاصم و حمزة و خلف الا ان هشاما يفصل بينهما بالف. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و ابو جعفر بتحقيق الاولى و تليين الثانية إلا ان أبا عمرو و أبا جعفر يفصلان بينهما بالف، و ابن كثير لا يفصل. و كذلك اختلافهم فى الموضعين فى (سبحان) و سورة المؤمنين و السجدة و لقمان. و الثانى من اللذين فى الصافات. و ما سوى ذلك من الاستفهامين التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۲۰

يذكر فى موضعه ان شاء اللَّه قال ابو على الفارسى من قرأ (أ إذا، أ إنا) بالاستفهام فيهما، فموضع (إذا) نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» لان هذا الكلام يدل على نبعث و نحشر، فكأنه قال أ نبعث إذا كنا تراباً. و من لم يدخل الاستفهام فى الجملة الثانية كان موضع (إذا) نصباً بما دل عليه قوله «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» فكأنه قال انبعث إذا كنا تراباً، و ما بعد (ان) لا يعمل فيما

قبله بمنزلة الاستفهام، فكما قدرت هذا الناصب فى (إذا) مع الاستفهام، لان الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله كذلك نقدره فى (إنا) لان ما بعدها ايضاً لا يعمل فيما قبلها. و قراءة ابن عباس «إِذا كُنَّا تُراباً» على الخبر (أ إنا) على الاستفهام ينبغى ان يكون على مضمر كما حمل ما تقدم على ذلك، لان بعد الاستفهام منقطع مما قبله. فاما ابو عمرو، فأنه يفصل بين الهمزتين بألف، كما يفصل فى «أ أنذرتهم» و كما يفصل بين النونات فى (اخشينان) و يأتى بعد ذلك بالهمزة بين بين، و ليست (يا) ياء محضة، كما ان الهمزة فى السائل ليست ياء محضة، و انما هى همزة بين بين، و ابن كثير ان اتى بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مد فليس ذلك على التخفيف القياسى، لأنه لو كان كذلك، لوجب ان يجعل الهمزة بين بين، كما فعل فى سم فى المتصل و فى إذ قال ابراهيم- فى المنفصل لذلك، و لكنه يبدل من الهمزة ابدالًا محضاً كما حكى سيبويه انه سمع من العرب من يقول (بئس) و قد جاء فى الشعر يومئذ على القلب.

مدح اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم تعجُّبه من الكفار فى عبادتهم ما لا يملك لهم نفعاً و لا ضرّاً. ثم اخبر ان هذا موضع العجب، و ذمهم بعجبهم من اعادتهم ثانية مع علمهم بالنشأة الاولى، و فيما بين اللّه تعالى من خلق السموات و الأرض، و ما بينهما من عجائب أفعاله التى تدل على انه قادر على الاعادة، كما دلت على الإنشاء، لان هذا مما ينبغى ان يتدبره العاقل، و قد قيل: (لا خير فيمن لا يتعجب من العجب و أرذل منه المتعجب من غير عجب) و العجب و التعجب واحد. و هو تغير النفس بما خفى سببه عن الكافر و خرج عن العادة، فهؤلاء الجهال توهموا انهم إذا صاروا تراباً لا يمكن ان يصيروا حيواناً. و الذى انشأهم أول مرة قادر ان يعيدهم ثانية.

ثم اخبر تعالى عنهم، فقال: هؤلاء هم الذين جحدوا نعم اللّه، و كفروا بآياته التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۲۱

و دلالاته، و هم الذين يحشرهم اللّه يوم القيامة، و الاغلال فى أعناقهم. و الغل طوق يقيد به اليد فى العنق، و أصله الغل فى الشىء إذا انتسب فيه. و غل:

إذا خان بانتسابه فى مال الحرام و الاعناق جمع عنق، و هو مغرز الرأس. و قيل ان المعنى فى ذلك انهم يؤاخذون بأعمالهم، و هى الاغلال، كما قال «إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ» «۱» فكأنهم بمنزلة من الغلّ فى عنقه لما لزمهم من الكفر به، فقال و «أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» اخبار منه تعالى انهم بعد الغل فى أعناقهم يجعلون فى النار مؤبدين فيها معذبين بأنواع العذاب.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۶] ..... ص : ۲۲۱

وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ (۶)

آية بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم بأن هؤلاء الكفار يطلبون منك ما يسوؤهم ان يعجل لهم، كما قالوا «فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «۲» قبل ان يسألوا الإحسان بالانتظار لهم، و قد حكم اللّه تعالى ان يمهلهم التوبة. ثم يأخذ من أقام على القبح بالعقوبة. و الاستعجال طلب التعجيل، و التعجيل تقديم الشىء قبل وقته الذى يقدر له. و السيئة خصلة تسوء النفس، ساءه يسوءه سوءاً، و هو ساء و هى سائة و سىء و سيئة قال الشاعر:

و لا سىء يردى إذا ما تلبسوا الى حاجة يوماً مخلسه بزلا

و الحسنة خصلة تسر النفس و قد يعبر بهما عن الطاعة، و المعصية.

---

(۱) سورة المؤمن (غافر) آية ۷۱.

(۲) سورة الانفال آية ۳۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۲۲

و قوله «خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ» أی مضت بانقضائها کمضی اهل الدار عنها، یقال: خلت الدیار بهلاک أهلها و خلوهم بخلو مکانهم منها، و المثلات العقوبات التی تزجر عن مثل ما وقعت لأجله واحدها مثلة مثل سمرة و صدقة، و فی الجمع سمرات و صدقات، و یقال مثلت به أمثل مثلًا بفتح المیم و سکون الثاء، و أمثلته من صاحبه إمثالًا إذا قصصته منه و تمیم تقول: مثلة علی وزن غرفة، ثم قال «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلی ظُلْمِهِمْ» علی وجه الاخبار عن نفسه بالرحمة بخلقه و التفضل علیهم بأنه یغفر للناس علی کونهم ظالمین و ذلک یدل علی بطلان قول من قال إن اصحاب الکبائر لا یجوز ان یعفو اللّه عنهم إلا بالتوبة، لأنه تعالی لم یشرط فی ذلک التوبة و من شرط فی الآیة التوبة او خصها بالصغائر کان تارکاً للظاهر.

و قوله «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَشَدِیدُ الْعِقابِ» اخبار منه تعالی بأنه کما یغفر تارة مع الظلم، کذلک قد یعاقب مع الإصرار عذاباً شدیداً فلا تغتروا بذلک و لا تعولوا علی مجرد العفو لأنه یجوز ان لا یعفو.

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۷] ..... ص : ۲۲۲

وَ یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ (۷)

آیة بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالی ان هؤلاء الکفار الذین تقدم ذکرهم یقولون هلا انزل علی محمد آیة یقترحونها مثل ما حکی اللّه عنهم من نحو تفجیر الأنهار بحیث سألوا سقی البلاد و نقل جبال مکة عن أماکنها لتتسع علی أهلها و إنزال کتاب من السماء الی الأرض یقرؤن فیه الأمور التی دعاهم الیها، فقال اللّه تعالی له لیس أمر الآیات الیک إنما أمرها الی اللّه ینزلها علی ما یعلمه من مصالح العباد «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» ای معلم لهم علی وجه التخویف لهم معاصی اللّه و عقابه، «وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» یهدیهم الی الحق. و للناس فی معناه خمسة اقوال: التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۲۳

أحدها- روی عن ابن عباس بخلاف فیه ان الهادی هو الداعی الی الحق.

و الثانی- قال مجاهد و قتادة و ابن زید: انه نبی کل أمة.

الثالث- فی روایة اخری عن ابن عباس و سعید بن جبیر و روایة عن مجاهد و الضحاک: ان الهادی هو اللّه.

الرابع- قال الحسن و قتادة فی روایة و أبو الضحی و عکرمة: انه محمد صلّی اللّه علیه و سلم، و هو اختیار الجبائی.

و الخامس- ما

روی عن أبی جعفر، و أبی عبد اللّه (ع) إن الهادی هو امام کل عصر، معصوم یؤمن علیه الغلط و تعمد الباطل.

و روی الطبری بإسناده عن عطاء عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال لما نزلت «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» وضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یده علی صدره، و قال انا المنذر «وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» و أومأ بیده الی منکب علی (ع)، فقال انت الهادی یا علی بک یهتدی المهتدون من بعدی.

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): الآیات ۸ الی ۹] ..... ص : ۲۲۳

اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ (۸) عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ الْکَبِیرُ الْمُتَعالِ (۹)

آیتان بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر «المتعالی» بیاء فی الوصل و الوقف الا المالکی و العطار عن الزبیبی و یعقوب، و روی المالکی و العطار عن الزبیبی بیاء فی الوقف دون الوصل.

الباقون بغير ياء فى الحالين. و روى عن أبى عمير- فى رواية شاذة- مثل ابن كثير، قال أبو على: اثبات الياء فى الحالين هو القياس، و ليس ما فيه الالف و اللام من هذا الباب كما لا الف فيه و لام نحو قاض و غاز. قال سيبويه إِذا لم يكن فى موضع تنوين يعنى اسم الفاعل فان الإثبات أجود فى الوقف نحو هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۲۴

القاضى، و هذا الغازى، لأنها ثابتة فى الوصل يريد ان الياء مع الالف و اللام تثبت و لا تحذف كما تحذف من اسم الفاعل إِذا لم يكن فيه الالف و اللام، نحو هذا قاض، فاعلم، فالياء مع غير الالف و اللام تحذف فى الوصل، فإذا حذفت فى الوصل كان القياس ان تحذف فى الوقف. و هى اللغة و الأقيس. فأما إِذا حذفت الالف و اللام، و لا يحذف اللام- فى اللغة التى هى اكثر عند سيبويه، فأما من حذف فى الوصل و الوقف فلأن سيبويه زعم ان من العرب من يحذف هذا فى الوقف شبهه بما ليس فيه الف و لام إذ كانت تذهب الياء فى الوصل فى التنوين لو لم يكن الف و لام. و اما حذفهم لها فى الوصل فلم يكن القياس، لأنه لم يضطر الى حذفه لشىء كما اضطر ما لا الف و لام فيه لالتقاء الساكنين، فكرهوا حركة الياء بالضم و الكسر لكن حذف، كما حذف فى الفواصل و ما أشبه الفواصل تشبيهاً بالقوافى.

اخبر اللَّه تعالى انه جل و عز «يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى من علقة او مضغة و من ذكر او أنثى و من زائد او ناقص و على جميع أحواله و صفاته، لأنه عالم لنفسه.

(و الحمل) بفتح الحاء ما كان فى البطن- و بكسرها- ما كان على الظهر. و قوله «وَ ما تَغِيضُ الْأَرْحامُ» و ما تزداد، و قيل فيه ثلاثة اقوال:

الأول ما ينقص من ستة أشهر و ما يزداد لان الولد يولد لستة أشهر فيعيش و يولد لسنتين فيعيش ذهب اليه الضحاك.

الثانى- قال الحسن ما ينقص بالسقط و ما يزداد بالتمام.

الثالث قال ابن زيد ما ينقص بغور النطفة و ظهور دم الحيض فينقص تلك الأيام، لأنه لا يعتد بها فى الحمل و ينقص حال الولد و ما يزداد من الأشهر، و فى حال الولد. و قال الفراء الغيض النقصان، تقولون: غاضت المياه اى نقصت، و فى الحديث (إذا كان الشتاء غيضاً و الولد غيضاً و غاضت الكرم غيضاً و فاضت اللئام فيضاً) و قال الزجاج الغيض النقصان.

و قوله «وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ» قيل فى معناه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۲۵

أحدهما- ان جميع ما يفعله اللَّه على مقدار ما تدعو اليه الحكمة من غير نقصان و لا زيادة، و قال قتادة: معناه كل شىء عنده بمقدار فى الرزق و الأجل.

و المقدار مثال يقدر به غيره. ثم اخبر تعالى أنه عالم بما غاب عن الحواس و بما ظهر لها فالغيب كون الشىء بحيث يخفى عن الحس، يقال غاب يغيب، فهو غائب. و الشهادة حصول الشىء بحيث يظهر للحس و منه الشاهد خلاف الغائب، و يقال شهد فى المصر إذا حضر فيه. و منه قوله «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» «۱» اى من حضر المصر فيه، و انما قال «عالم الغيب» مع ان اللَّه تعالى لا يغيب عنه شىء، لأنه أراد ما غاب عن احساس العباد. و قيل انه أراد انه يعلم المعدوم و الموجود، فالغيب هو المعدوم. و قال الحسن: الغيب السر، و الشهادة العلانية.

و قوله «الْكَبِيرُ الْمُتَعالِ» فالكبير هو السيد المقتدر. و معناه الأكبر بسعة مقدوره. و المتعالى المقتدر بما يستحيل ان يكون أعلى منه فى الاقتدار أو مساوياً له، فهو أقدر من كل قادر، و لهذا استحالت مساواته فى المقدور، لان من لا يساويه أحد فى المقدور فهو أعلى فى المقدور، كأنه قال: تعالى مقدوره الى ما يستحيل ان يكون على منه. و قال الحسن: المتعالى عما يقول المشركون فيه.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۱۰] ..... ص : ۲۲۵

سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ (۱۰)

آیة بلا خلاف.

معنی الآیـة ان اللَّه تعالی الـذی وصف نفسه بأنه الکبیر المتعالی علی غیره بسعـۀ قـدرته سواء علیه الأشیاء فی أنه یعلمها علی اختلاف حالاتها، و انه یعلم الإنسان

---

(۱) سورة البقرة آیة ۱۸۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۲۶

علی تصرف أحواله مما یسر فی نفسه ای یخفیه او یعلنه أو یستتر باللیـل او یسرب بالنهـار، کل ذلک سواء فی ظهوره له، فیجب ان یحـذر من هـذه صـفته، و یعلم انه یـأتی بالآیـات بحسب مـا یعلمه من مصلحۀ خلقه. و قـال الزجـاج: المعنی ان الظاهر فی الطرقات و المستخفی فی الظلمات و الجاهر بنطقه و المضـمر فی نفسه فی معلوم اللَّه «سواء» ای لیس ببعض ذلک اعلم من بعض. و قال الحسن: «سارِبٌ بِالنَّهارِ» ای مستتر فیه. و قال قطرب: یجوز ان یکون معنی «مُسْتَخْفٍ بِاللَّیْلِ» ای ظاهر باللیل «وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ» ای مستتر فیه. قال الزجاج: هـذا جائز فی اللغـۀ، یقال منه انسـرب الوحش إذا دخل فی کناسه. و قال ابو رجاء: السارب الذاهب علی وجهه، یقال انسرب فلان انسراباً. و قال ابن عباس و قتادة:

السـارب الظـاهر من خفی کـان فیه. و یقـال: فلان سارب فی مـذهبه ای ظاهر یقال: خلا سـربه ای طریقه، و یقال: فلان آمن فی سـربه بالفتح و الخفض معاً قال قیس بن الخطیم:

أنّی سربتِ و کنت غیر سروب و تقرُّب الأحلام غیر قریب «۱»

و قال قوم: السارب الذی یسلک فی سربه ای فی مذهبه، یقال منه:

سرب یسرب سروباً. و قال بعضهم السارب الجاری فی خروجه الی الأمر بسرعۀ، یقال انسرب الماء من خروز القربۀ، قال ذو الرمۀ:

ما بال عینک منها الماء منسکب کأنها من کلی مفریۀ سرب «۲»

فالاسـتخفاء طلب الاختفـاء، خفی یخفی نقیض ظهره یظهر ظهوراً. و اختفی اختفـاء و أخفـاه إخفـاء، و تخفی تخفیـاً. و الاسـرار إخفاء المعنی فی النفس، فأسـر القـول معنـاه أخفی فی نفسه، و الجهر رفع الصوت بـالقول، یقـال: لصوته جهـارة ای قوة فی رفعه إیـاه، و هو یجاهر بأمره ای یظهره و یعلنه. و السواء هو

---

(۱) اللسان (سرب).

(۲) مجمع البیان ۳: ۲۷۹ و اللسان (سرب) و الطبری ۱۳: ۶۶ و روایته. (تنسکـب) بدر (منسکـب).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۲۷

الاعتـدال فی الوزن. و (من) فی موضع الـذی، و هما مرتفعان و «سواء» رفع بالابتـداء، و هو یطلب اثنین. تقول: سواء زیـد و عمرو، ای هما مستویان.

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۱] ..... ص : ۲۲۷

لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ (۱۱)

آیة بلا خلاف.

اختلفوا فی الهاء فی قوله «له» الی من ترجع، فقال ابن زید: علی اسم النبی صلّی اللَّه علیه و سلم فی قوله «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» و قال غیره:

على اسم اللَّه فى قوله «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ». و قال قوم: على (من) فى قوله «مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ» فكأنه قال للإنسان معقبات. و هو الأقوى. و المعقبات فى هذا الموضع هم الملائكة، فقال الحسن و قتادة و مجاهد: ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار، و قال ابن عباس- فى رواية- انهم الامراء و الولاة لهم حرس و أعوان يحفظونهم. و قال الحسن: هم اربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر، و المعقبات المتناوبات التى يخلف كل واحد منها صاحبه، و يكون بدلًا منه. و أصل التعقيب كون شىء بعد آخر، فالمعقبات الكائنات على خلف بعضها لبعض بعد ذهابه، و المعقب الطالب دينه مرة بعد اخرى قال لبيد:

حتى تهجر فى الرواح و هاجه طلب المعقب حقه المظلوم «۱»

و منه العقاب لأنه يستحق عقيب المعصية. و العقاب لأنه يعقب بطلبه لصيده

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۲۷۹ و تفسير الطبرى ۱۳: ۷۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۲۸

مرة بعد مرة، و العقب لأنه يعقب به لشده على الشىء مرة بعد مرة، و هو جمع الجمع، لان واحده معقب مثل رجالة و رجالات. و فى قراءة أهل البيت «له معقبات من خلفه و رقيب بين يديه» قالوا لان المعقب لا يكون الا من خلفه.

و قوله «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» قيل فى معناه أقوال:

أحدها- قال الحسن و قتادة: المعنى بأمر اللَّه، كما تقول جئتك من دعائك اياى اى بدعائك، و فى قراءة اهل البيت «بأمر اللَّه».

و قال مجاهد و ابراهيم: يحفظونه من امر اللَّه من الجن و الهوام. و المعنى ذلك الحفظ من امر اللَّه.

و قال قوم: معناه عن أمر اللَّه، كما يقال أطعمه عن جوع و من جوع.

و قال الفراء: فيه تقديم و تأخير، كأنه قال له معقبات من بين يديه و من خلفه من أمر اللَّه يحفظونه، و انما قال يحفظونه على التذكير مع قوله «له معقبات» على التأنيث حملًا على المعنى، و فى تفسير اهل البيت إن معناه يحفظونه بأمر اللَّه.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ» معناه ان اللَّه لا يسلب قوماً نعمة حتى يعملوا بمعاصيه التى يستوجبون بها العقاب فانه حينئذ يعاقبهم و يغير نعمه عليهم.

و فى ذلك دلالة على فساد قول المجبرة: إن اللَّه يعذب الأطفال، لأنهم لم يغيروا ما بأنفسهم بمعصية كانت منهم. و التغيير تصيير الشىء على خلاف ما كان مما لو شوهد شوهد على خلاف ما كان.

و قوله «وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً» يعنى هلاكاً «فَلا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ» معناه لا يقدر أحد على دفعه و لا نصرته عليه بل هو تعالى الغالب لكل شىء القاهر لمن يريد قهره، و الوالى فاعل من ولى يلى فهو وال و وليّ مثل عالم و عليم، و اللَّه ولى المؤمن اى ناصره، و المعنى لا يتولاهم أحد الا اللَّه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۲۹

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): الآيات ۱۲ الى ۱۳] ..... ص : ۲۲۹

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ (۱۲) وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ وَ هُمْ يُجادِلُونَ فِي اللَّهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ (۱۳)

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى انه هو الذى يرى الخلق البرق اى يجعلهم على صفة الرؤية بإيجاد المرئى لهم و جعله إياهم على هذه الصفة التى يرون معها المرئيات من كونهم احياء و رفع الموانع و الآفات منهم يقال: أراه يريه إِراءة إِذا جعله رائياً مثل أقامه يقيمه إِقامة، و هو مشتق من

الرؤية. و البرق ما ينقدح من السحاب من اللمعان كعمود النار و جمعه بروق و فيه معنى السرعة، يقال: امض فى حاجتك كالبرق، و الخوف انزعاج النفس بتوهم وقوع الضرر، خاف من كذا يخاف خوفاً فهو خائف. و الشيء مخوف. و الطمع تقدير النفس لوقوع ما يتوهم من المحبوب. و مثله الرجاء و الأمل.

و قيل فى معنى قوله «خَوْفاً وَ طَمَعاً» قولان:

أحدهما- قال الحسن: خوفاً من الصواعق التى تكون مع البرق و طمعاً فى الغيث الذى يزيل الجدب و القحط.

و قال قتادة: خوفاً للمسافرين من أذاه و طمعاً للمقيم فى الرزق به، و هما منصوبان على أنه مفعول له.

و قوله «وَ يُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ» و الإنشاء فعل الشيء من غير سبب مولد، و لذلك قيل النشأة الاولى، و النشأة الثانية. و مثله الاختراع و الابتداع.

و السحاب هو الغيم، سمى به، لأنه ينسحب فى السماء. و إذا قيل سحابة جمعت التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۳۰

على سحائب، كقولك غمامة و غمائم و السحاب جمع سحابة، و الثقال جمع ثقيل مثل شريف و شراف و كريم و كرام. و الثقل الاعتماد الى جهة السفل، و المعنى إن السحاب ثقال بالماء، و هو قول مجاهد.

و قوله «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» فالتسبيح تنزيه اللَّه عز و جل عما لا يجوز عليه، و التنزيه له من كل صفة نقص تضاف اليه، و أصله البراءة من الشيء قال الشاعر:

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر «۱»

اى براءة منه. و (الرعد) اصطكاك اجرام السحاب بقدرة اللَّه تعالى و فيه أعظم العبرة و أوضح الدلالة، لأنه مع ثقله و هو له، و غلظ جرمه حتى يسمع مثل الرعد فى عظمه معلق بقدرته تعالى لا يسقط الى الأرض منه شيء ثم ينقشع كأنه لم يكن، و لا شيء منه، و قد ذكرنا اختلاف المفسرين فى الرعد فى سورة البقرة «۲». و الحمد الوصف بالجميل من الإحسان على وجه التعظيم.

و قيل فى معنى قوله «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» ثلاثة اقوال:

أحدها- يسبح بما فيه من الدلالة على تعظيم اللَّه و وجوب حمده، فكأنه هو المسبح للَّه عز و جل.

الثانى- انه يسبح بما فيه من الآية التى تدعو الى تسبيح اللَّه تعالى.

الثالث ان الرعد ملك يزجر السحاب بالصوت الذى يسمع، و هو تسبيح اللَّه بما يذكره من تعظيم اللَّه.

و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»، تقديره و يسبحه الملائكة من خيفته. و الفرق بين الخيفة و الخوف، ان الخيفة صفة للحال مثل قولك: هذه ركبة اى حال من

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱: ۱۳۴، ۳: ۸۱، ۵: ۲۴۱، ۳۹۵

(۲) فى ۱: ۹۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۳۱

الركوب الحسن، و كذلك هذه خيفة شديدة. و الخوف مصدره مطلق غير مضمن بالحال.

و قوله «وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ» و هى جمع صاعقة و هى نار لطيفة تسقط من السماء بحال هائلة من شدة الرعد و عظم الامر يقال: إنها قد تسقط على النخلة و كثير من الأشجار تحرقها، و على الحيوان فتقتله.

و قوله «فَيُصِيبُ بِها» يعنى بالصاعقة من يشاء من عباده. و قوله «وَ هُمْ يُجادِلُونَ فِى اللَّهِ» يعنى هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون اهل التوحيد، و يحاولون فتلهم عن مذهبهم بجدالهم. و الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج.

و قوله «وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ» فالشدة قوة العقدة و فى بدن فلان شدة اى قوة كقوة العقدة، و شدة العقاب قوته يغلظ على النفس، كقوة

العقدة، و المحال الأخذ بالعقاب، يقال ماحلت فلاناً أماحله مماحلة و محالًا، و محلت به أمحل محلًا إذا فتلته الى هلكه. و الميم أصلية فى المحل يقال محّلنى يا فلان اى قوّنى. و قال الجبائى: شديد الكيد للكفار، و سنى المحل سنى الهلاك بالقحط. و أصله الفتل الى الهلاك قال الأعشى:

فرع نبع يهتز فى غصن المج- - د غزير الندى شديد المحال «۱»

و قيل فيمن نزلت هذه الآية قولان:

أحدهما-

قال أنس بن مالك و عبد الرحمن صحار العبدى، و مجاهد: انها نزلت فى رجل من الطغاة جاء الى النبى صلّى اللّه عليه و سلم يجادله، فقال يا محمد ممّ ربك أمن لؤلؤ ام ياقوت أم من ذهب ام من فضة؟ فأرسل اللّه عليه صاعقة، فذهبت بقحفه.

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۱۶۶ و تفسير الطبرى ۱۳: ۷۵ المحال: العقوبة

و

قال ابن جريج: نزلت فى أربد، لما أراد هو و عامر بن الطفيل قتل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فجفت يده على قائم سيفه، فرجع خائباً، فأرسل اللّه (عز و جل) عليه فى طريقه صاعقة فأحرقته و ابتلى عامراً بغدة كغدة البعير قتلته حتى قال عند موته: غدة كغدة البعير و موت فى بيت سلولية.

و فى ذلك يقول لبيد ابن ربيعة فى أربد، و كان أخاه:

أخشى على أربد الحتوف و لا أرهب نوء السماك و الأسد

ففجعنى البرق و الصواعق بال - فارس يوم الكريهة النجد «۱»

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۱۴] ..... ص : ۲۳۲

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ (۱۴)

آية بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى بأن له (عز و جل) دعوة الحق. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد إنها شهادة ان لا إله على اخلاص التوحيد.

الثانى- قال الحسن: اللّه هو الحق، فمن دعاه دعا الحق. و قال قوم: كل دعوة هى حق جاز ان تضاف الى اللّه، قال ابو على دعوة الحق هى الدعوة التى يدعى اللّه بها على اخلاص التوحيد، و الدعوة طلب فعل الشىء، فالإنسان يدعو ربه ان يدخله فى رحمته و هو أهل المغفرة و الرحمة، و كل ما لابسه الإنسان، فقد دخل فيه. و المعنى للّه من خلقه الدعوة الحق. و قوله «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» قيل فى معناه قولان:

---

(۱) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳: ۷۱، ۷۴ و مجمع البيان ۳: ۲۸۳

أحدهما- قال الحسن: و الذين يدعون من الأوثان لحاجاتهم.

الثانى- الذين يدعون أرباباً. و قيل ان المعنى الذين يدعون غيره مقصرين عن دعائهم له، كما قال الشاعر:

أ توعدنى وراء بنى رياح كذبت لتقصرن يداك دونى «۱»

اى عنى. «لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ» فالاستجابة متابعة الداعى فيما دعا اليه بموافقة إرادته و الاستجابة، و الاجابة واحد إلا ان صيغة الاستجابة تفيد طلب الموافقة، قال الشاعر:

و داع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب «۲»

و قوله «إِلَّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ» معناه قال مجاهد: كباسط كفه الى الماء مشيراً اليه من غير تناول الإناء ليبلغ فاه ببسط كفه و دعائه له. و قال الحسن معناه كباسط كفيه الى الماء، فمات قبل ان يصل اليه. و العرب تضربه مثلًا لمن سعى فيما لا يدركه كالقابض على الماء قال الشاعر:

فأنى و إياكم و شوقاً إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله «۳»

و قال الآخر:

فأصبحت مما كان بينى و بينها من الود مثل القابض الماء باليد «۴»

«وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ» إخبار منه تعالى ان من كان كذلك لا يبلغ الماء فاه. ثم أخبر تعالى فقال «وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ» أى ليس دعاؤهم الأوثان من دون اللَّه إلا الإضلال عن الحق و عدولًا عن طريقه و أنه جار مجرى ما ذكره من باسط كفيه

---

(۱) تفسير الطبرى ۲: ۹۰، ۱۳: ۷۶

(۲) قد مر هذا البيت فى ۱: ۳۶، ۸۶ ۲: ۱۳۱، ۳: ۸۸ ۴: ۱۸۲، ۵: ۱۱۹ و هو فى اللسان و التاج (جوب) و امالى القالى ۲: ۱۱۵ و مجاز القرآن ۱: ۶۷، ۳۲۶.

(۳) قائلة ضابى بن الحارث البرجمى. تفسير الطبرى ۱۳: ۷۶ و مجمع البيان ۳: ۲۸۴.

(۴) مجاز القرآن ۱: ۳۲۷ و الطبرى ۱۳: ۷۶ و القرطبى ۹: ۳۰۱ و الشوكانى ۳: ۹۶ و مجمع البيان ۳: ۲۸۴. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۳۴

الى الماء، و هو بعيد منه من غير أن يتناوله و يدعوه الى فمه، فان ذلك لا يصل اليه أبداً.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۱۵] ..... ص : ۲۳۴

وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ (۱۵)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى ان جميع من فى السموات و الأرض يسجدون له إما طوعاً منهم او كرهاً. و قيل فى معنى ذلك ثلاثة اقوال:

أحدها- قال الحسن و قتادة و ابن زيد: ان المؤمن يسجد طوعاً، و الكافر يسجد كرهاً بالسيف، و يكون المعنى على هذا إن السجود واجب للَّه، فالمؤمن يفعله طوعاً و الكافر يؤخذ بالسجود كرهاً اى هذا الحكم فى وجوب السجود للَّه الثانى- ان المؤمن يسجد للَّه طوعاً، و الكافر فى حكم الساجد كرهاً بما فيه من الحاجة اليه، و الذلة التى تدعو الى الخضوع للَّه تعالى.

الثالث- قال ابو على: سجود الكره بالتذليل للتصريف من عافية الى مرض، و غنى الى فقر و حياة الى موت كتذليل الأكم للحوافر فى قول الشاعر:

ترى الاكم فيها سجداً للحوافر «۱»

و قال الزجاج: يجوز ان يكون المعنى إن فيمن سجد للَّه من يسهل ذلك عليه و فيهم من يشقّ عليه فيكرهه، كما قال «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً

وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً» «۲».

و قوله «وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ» أى و تسجد ظلالهم. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان سجود الظلال بما فيه من تغير الذلة التى تدعو إِلى صانع غير

(۱) قد مر هذا البيت فى ۱: ۲۶۳، ۴: ۲۳۳، ۶/ ۱۹۷، ۲۳۵.

(۲) سورة الأحقاف ۴۶ آية ۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۳۵

مصنوع له العزة و القدرة.

و الثانى- قيل سجود الظل لأنه يقصر بارتفاع الشمس و يطول بانحطاطها، و ذلك من آيات اللَّه الدالة عليه، و السجود هو وضع الوجه على الأرض على وجه الخضوع مذلّة لمن وضع له، و أصله التذليل من قول الشاعر:

بجمع تظل البلق فى حجراته ترى الا كم فيها سجداً للحوافر «۱»

و اصل السجود هو الميل و التطأطؤ يقال: سجد البعير و أسجده صاحبه إِذا طأطأه ليركبه شبه السجود فى الصلاة بذلك و على هذا يحمل سجود الظلال و سجود الكفار، و يراد بذلك حركاتهم و تصاريفهم، فان ذلك أجمع يدل على أن اللَّه الخالق لهم و المدبر لمعايشهم، و الطوع الانقياد للأمر الذى يدعا اليه من قبل النفس و هو نقيض الكره، و الكره الجر الى الأمر على إِباء النفس، و أصله الكراهة ضد الارادة، إِلا انه جعل نقيض الطوع. و الظلال جمع ظل و هو ستر الشخص ما بإزائه. و الظلّ الظَّليل هو ستر الشمس اللازم. و اما الفىء فهو الذى يرجع بعد ذهاب ضوئه، و منه الظلَّة، لأنها ساترة. و الظلّ و الظّلال مثل زق و زقاق. و الآصال جمع أصل، و الأصل جمع أصيل، و هو العشىّ، فكأنه قيل أصل الليل الذى ينشأ منه، لأنه مأخوذ من الأصيل، و هو ما بين العصر الى مغرب الشمس، قال ابو ذؤيب:

لعمرى لانت البيت أكرم أهله و اقعد فى افنائه بالاصائل «۲»

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۱۶] ..... ص : ۲۳۵

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَ النُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (۱۶)

(۱) قد مر فى ۱: ۲۶۳، ۴: ۲۳۳.

(۲) تفسير الطبرى ۱۳/ ۷۷ و روايته (و ابعد) بدل (و اقعد)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۳۶

آية فى الكوفى و آيتان فى البصرى و المدنيين تمام الاولى «و النور».

قرأ أهل الكوفة إِلا- «حفصاً أم هل يستوى» بالياء. الباقون بالتاء، من قرأ بالتاء فلانه مسند الى مؤنث لم يفصل بينه و بين فاعله بشىء كما قال «قالَتِ الْأَعْرابُ» «۱»، و «قالت اليهود» «۲» و «إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ» «۳» و قد جاء فى مثل ذلك التذكير، كقوله «وَ قالَ نِسْوَةٌ» «۴» و من قرأ بالياء، فلانه تأنيث غير حقيقى و الفعل مقدّم.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم، يأمره بأن يقول لهؤلاء الكفار «مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى من مدبرهما و

مصرّ فیهما علی ما فیهما من العجائب، فإنهم لا یمکنهم أن یدّعوا أنَّ مدبر السماوات و الأرض الأصنام التی یعبدونها، فإذا لم یمکنهم ذلک، فقل لهم رب السماوات و الأرض و ما بینهما من انواع الحیوان و النبات و الجماد «اللَّه» تعالی، فإذا أقروا بذلک فقل لهم علی وجه التبکیت لهم و التوبیخ لفعلهم:

أفاتّخذتم من دون اللَّه اولیاء توجهون عبادتکم الیهم؟! فالصورة صورة الاستفهام و المراد به التقریع و التوبیخ. ثم بین ان هؤلاء الذین اتخذتموهم أولیاء من الأصنام و الأوثان لا یملکون لأنفسهم نفعاً و لا ضراً، و من لا یملک لنفسه ذلک فانه بأن لا یملک لغیره اولی و أحری، و من کان کذلک کیف یستحق العبادة ثم قال لهم «هَلْ یَسْتَوِی الْأَعْمی وَ الْبَصِیرُ» ام هل یتساوی الأعمی عن طریق الحق و العادل عنه الی الضلال. و البصیر الذی اهتدی الی الحق، فإنهما لا یتساویان ابداً، کما لا

---

(۱) سورة الحجرات آیة ۱۴

(۲) سورة البقرة آیة ۱۱۳ و التوبة آیة ۳۰ و المائدة ۱۹، ۶۵

(۳) سورة الاعراف آیة ۱۶۴

(۴) سورة یوسف ۱۲ آیة ۳۰،

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۳۷

یتساوی الظلمات و النور. ثم قال هل جعلوا یعنی هؤلاء الکفار للَّه شرکاء فی العبادة خلقوا أفعالًا مثل خلق اللَّه، من خلق الأجسام و الألوان و الطعوم و الاراجیح، و الموت و الحیاة، و الشهوة و النفار، و غیر ذلک من الافعال التی مختص تعالی بالقدرة علیها فاشتبه ذلک علیهم، فظنوا انها تستحق العبادة، لان افعالها مثل أفعال اللَّه، فإذا لم یکن ذلک شبیهاً بل کان معلوماً لهم ان جمیع ذلک لیست من جهة الأصنام، فقل لهم اللَّه خالق کل شیء ای هو خالق جمیع ذلک یعنی ما تقدم من الأفعال التی یستحق بها العبادة.

و قوله «وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ» ای الخالق لذلک واحد لا ثانی له و هو الذی یقهر کل قادر سواه لا یقدر علی امتناعه منه.

و من تعلق من المجبرة بقوله «قُلِ اللَّهُ خالِقُ کُلِّ شَیْءٍ» علی ان أفعال العباد مخلوقة للَّه، فقد أبعد، لان المراد بذلک ما قدمناه من أنه تعالی خالق کل شیء یستحق بخلقه العبادة دون ما لا یستحق به ذلک. و لو کان المراد ما قالوه لکان فیه حجة للخلق علی اللَّه تعالی و بطل التوبیخ الذی تضمنته الآیة الی من وجه عبادته الی الأصنام، لأنه إذا کان الخالق لعبادتهم الأصنام هو اللَّه علی قول المجبرة فلا توبیخ یتوجه علی الکفار، و لا لوم یلحقهم بل لهم ان یقولوا: إنک خلقت فینا ذلک فما ذنبنا فیه و لم توبخنا علی فعل فعلته؟ فتبطل حینئذ فائدة الآیة. علی أنه تعالی إنما نفی ان یکون أحد یخلق مثل خلقه، و نحن لا نقول إن احداً یخلق مثل خلق اللَّه، لان خلق اللَّه اختراع مبتدع، و أفعال غیره مفعولة فی محل القدرة علیه مباشراً او متولداً فی غیره بسبب حال فی محل القدرة و لا یقدر أحدنا علی اختراع الأفعال فی غیره علی وجه من الوجوه، و لان أحدنا یفعل ما یجرّبه نفعاً او یدفع به ضرراً، و اللَّه تعالی لا یفعل لذلک فبان الفرق بین خلقنا و خلقه. و لان أحدنا یفعل بقدرة محدثة. یفعلها اللَّه فیه و اللَّه تعالی یفعل، لأنه قادر لنفسه. و ایضاً فان هاهنا اجناساً لا نقدر علیها، و هو تعالی قادر علی جمیع الأجناس، و نحن لا نقدر ان نفعل بقدرة واحدة فی وقت واحد فی محل واحد التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۳۸

من جنس واحد اکثر من جزء واحد، و اللَّه تعالی یقدر ان یفعل ما لا نهایة له فبان الفرق بیننا و بینه من هذه الوجوه.

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۱۷] ..... ص : ۲۳۸

أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِیَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّیْلُ زَبَداً رابِیاً وَ مِمَّا یُوقِدُونَ عَلَیْهِ فِی النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْیَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ کَذلِکَ یَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَیَذْهَبُ جُفاءً وَ أَمَّا ما یَنْفَعُ النَّاسَ فَیَمْکُثُ فِی الْأَرْضِ کَذلِکَ یَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ (۱۷)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «وَ مِمَّا يُوقِدُونَ» بالياء. الباقون بالتاء. قال أبو على: من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب، و هو قوله «قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ» و يجوز ان يكون خطاباً عاماً، يراد به الكافة، فكان المعنى «مما توقدون» عليه ايها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذى عليه السيل «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً» لا ينتفع به كما ينتفع بما يخلص بعد الزبد من الماء و الذهب و الفضة و الصفر. و من قرأ بالياء، فلان الغيبة قد تقدم فى قوله «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ» و يجوز ان يراد به جميع الناس و يقوى ذلك قوله «وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ» فكما ان الناس يعم المؤمن و الكافر كذلك الضمير فى «يوقدون» و قال «وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» كقوله «فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ» «۱» فهذا إيقاد على ما ليس فى النار، و ان كان يلحقه وهجها و لهبها. و أما قوله «بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ» «۲» فالمعنى على من فى قرب النار، و ليس يراد به متوغلها «وَ مَنْ حَوْلَها» «۳» و من لم يقرب منها قرب الآخرين

---

(۱) سورة القصص ۲۸ آية ۳۸

(۲، ۳) سورة النمل ۲۷ آية ۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۳۹

ألا ترى ان قوله «وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ» «۱» لم يقرب المنافقون الذين حولهم فيه قرب المخالطين لهم حيث يحضرونه و يشهدونه فى مشاهدهم.

قال الحسن يقول الذى «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها» الى قوله «ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ» الذهب و الفضة و المتاع و الصفر و الحديد «كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ» كما أوقد على الذهب و الفضة و الصفر و الحديد، فيخلص خالصه، «كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً، وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» قال فكذلك الحق بقى لأهله فانتفعوا به.

و قرأ الحسن «بقدرها» بتخفيف الدال و هما لغتان يقال أعطى قدر شبر و فى المصدر بالتخفيف لا غير تقول: قدرت اقدر قدراً، و فى المثل التخفيف، و التثقيل تقول: هم يختصمون فى القدر بالسكون و الحركة قال الشاعر:

الا يا لقوم للنوائب و القدر و للأمر يأتى المرء من حيث لا يدرى «۲»

أخبر اللَّه تعالى انه هو الذى ينزل من السماء ماء يعنى الأمطار و الغيوث، فتسيل هذه المياه أودية بقدرها من القلة و الكثرة. و السيل جرى الماء من الوادى على وجه الكثرة. يقال جاء السيل يغرق الدنيا، و سال بهم السيل إذا جحفهم بكثرته. و الوادى سفح الجبل العظيم المنخفض الذى يجتمع فيه ماء المطر، و منه اشتقاق الدية، لأنه جمع المال العظيم الذى يؤدى عن القتيل، و القدر إقران الشيء بغيره من غير زيادة و لا نقصان. و الوزن يزيد و ينقص، فإذا كان مساوياً، فهو القدر.

و قوله «فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً» فالاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له، و يقال علا صوته على فلان فاحتمله، و لم يغضبه، فقوله هذا يحتمل وجهين: معناه له قوة يحمل بها الوجهين، و الزبد و ضر الغليان، و هو خبث الغليان و منه زبد القدر، و زبد السيل، و زبد البعير. و الجفاء ممدود مثل الغثاء و أصله

---

(۱) سورة التوبة ۹ آية ۱۰۱

(۲) مجمع البيان ۳: ۲۸۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۴۰

الهمزة يقال جفا الوادى جفاء. قال الفراء: كل شيء ينضم بعضه الى بعض فأنه يجيء على (فعال) مثل الحطام و القماش و الغثاء و الجفاء، فإذا أردت المصدر، فهو مقصور.

و قوله «رابياً» معناه زائداً، يقال ربا يربو رباً فهو راب. و منه الربا المحرم.
و قوله «و مما توقدون عليه» اى و من ذلك توقدون عليه زبد مثله، و الإيقاد إلقاء الحطب فى النار أوقد ايقاداً و استوقدت النار و اتّقدت و توقّدت.
و قوله «ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ» معناه طلب حلية من الذهب و الفضة أو متاع يعنى الصفر و الحديد، و المتاع ما تمتعت به قال الشاعر:
تمتع يا مشعّث إن شيئاً سبقت به الممات هو المتاع «۱»
«زَبَدٌ مِثْلُهُ» يعنى من الذى يوقد عليه زبد مثل زبد السيل، و مثل الشيء ما سد مسده، و قام مقامه، فيما يرجع الى ذاته.
و قوله «كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ» اى يضرب المثل للحق و الباطل، و ضرب المثل تسييره فى البلاد حتى يتمثل به الناس.
و قوله «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً» اخبار منه تعالى ان الزبد الذى يعلو على الماء و النار يذهب باطلًا و هالكاً، قال أبو عبيدة قال أبو عمرو، و تقول العرب أجفأت القدر إذا غلت فانصب زبدها، و سكنت فلا يبقى منه شيء. و الجفاء ممدود مثل الغثاء، و أصله الهمز.
و قوله «وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ» من الماء الصافى، و الذهب، و الفضة، و الحديد، و الصفر «فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» اى يلبث و يثبت. و المكث الكون فى المكان على مرور الزمان مكث يمكث مكثاً و تمكث تمكثاً و المكث طول المقام.
و قوله «كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ» اى يضرب اللَّه مثل الحق و الباطل بالماء الذى ينزل من السماء، و بجواهر الأرض، فإن لهما جميعاً زبداً، هذا عند سيله

---

(۱) قائلة المشعث العامرى. مجاز القرآن ۱: ۳۲۸ و اللسان و التاج (متع) و معجم المرزبانى ۴۷۵ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳: ۸۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۴۱
و جريه، و هذا عند اذابته بالنار و هو وسخه و خبثه، فالحق ثابت كالماء الذى يبقى فى الأرض ينبت به الزرع و الشجر و كالجواهر التى فى ايدى الناس تصبر على النار، فلا تبطل فينتفعون بها. و الباطل كزبد هذين يذهب، لا منفعة فيه بعد ان يرى له حركة و اضطراب. و فى ذلك تنبيه لمن تقدم ذكره من المشركين الذين سألوا الآيات على سبيل التكذيب و العناد.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۱۸] ..... ص : ۲۴۱

لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنى وَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسابِ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (۱۸)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذين يجيبون دعاء اللَّه الى طريق التوحيد و العمل بشريعته و تصديق نبيه و يطلبون مرضاته فى فعل ما دعاهم اليه، لهم الحسنى، و هى المنفعة العظمى فى الحسن، و قال المفسرون: أراد بالحسنى الجنة و الخلود فى نعيمها. و ان الذين لم يجيبوا دعاءه و لم يقرّوا بنبيه و لم يعملوا بما دعاهم اليه «لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» ملكاً لهم و يضيفوا اليه مثله فى الكثرة لافتدوا بجميع ذلك أنفسهم من عذاب النار و طلبوا به الخلاص منه، لو قبل ذلك منهم.
و الافتداء جعل أحد الشيئين بدلًا من الآخر على وجه الاتقاء به، فهؤلاء لا يقيهم من عذاب اللَّه شيء- نعوذ باللَّه منه- ثم أخبر تعالى ان لهؤلاء سوء الحساب.
و قيل فى معناه قولان:
قال ابراهيم النخعى: ان سوء الحساب هو مؤاخذة العبد بذنبه لا يغفر له شيء منه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۴۲

و قال الجبائى: معناه و اخذه به على وجه التوبيخ و التقريع. و الحساب إحصاء ما على العبد و له، يقال: حاسبته حساباً و محاسبة، و حسبه يحسبه حسباً و حسباناً.
و قوله «وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ» فالمهاد الفراش الذى يوطّأ لصاحبه، و انما قيل لجهنم: مهاد أى هى موضع المهاد لهم.

قوله تعالى:[سورة الرعد (١٣): آية ١٩] ..... ص : ٢٤٢

أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ (١٩)

آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى ان من يؤمن باللَّه و يعلم ان ما أنزل اليك يا محمد من ربك الحق، لا يكون مثل من يشهد ذلك و عمى عنه، فاخرج الكلام مخرج الاستفهام و المراد به الإنكار، أى لا يكون هذان مستويين، و بين ان الفرق بينهما بمنزلة الفرق بين الأعمى و البصير.
و قوله «إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ» معناه إنما يتذكر فى ذلك و يفكر فيه و يستدل به ذوو العقول و المعرفة. و الألباب هى العقول، واحدها لب. و لبّ الشىء أجل ما فيه و أخلصه و أجوده، فلب الإنسان عقله لأنه أجل ما فيه، و لب النخلة قلبها، و لب الطلعة ثمرتها التى فيها، و انما شبه العلم بالبصر، و الجهل بالعمى، لان العلم يهتدى به الى طريق الرشد من الغى كما يهتدى بالبصر الى طريق النجاة من طريق الهلاك، و عكس ذلك حال الجهل و الغى. قال الرمانى:
وجه الاحتجاج بالآية انه إذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى، و حال العالم كحال البصير و أمكن هذا الأعمى ان يستفيد بصراً، فما الذى يبعده عن طلب العلم الذى يخرجه عن حال الأعمى بالجهل؟!. و هذا إلزام طلب العلم، لأنه خروج عن حال الأعمى بالجهل الى البصير بالعلم. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ٢٤٣
و قوله «إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ» معناه إنما ينتفع بالذكر من كان له لب، كقولك: إنما يترك السرف و البغى من له عقل و علم بالعواقب، و ان كان كثير ممن له عقل لا يترك ذلك و لا يفكر فى العواقب.

قوله تعالى:[سورة الرعد (١٣): آية ٢٠] ..... ص : ٢٤٣

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ (٢٠)

آية بلا خلاف.
موضع «الذين» رفع لأنه صفة لاولى الألباب، فكأنه قال إنما يتذكر أولوا الألباب الذين صفتهم أنهم يوفون بعهد اللَّه و لا ينقضون مواثيقه. و الإيفاء جعل الشىء على المقدار من غير زيادة و لا نقصان، و العهد العقد المتقدم على الأمر بما يفعل، و النهى عما يجتنب يقال: عهد للَّه عهداً، و عاهده معاهدة. و تعهده تعهداً و تعاهده تعاهداً، و النقض حل العقد بفعل ما ينافيه، و النقيض معنى تنافى صحته صحة غيره. و النقض فى المعانى إيجاد ما لا- يمكن ان يصح مع غيره، كاعتقاد ان زيداً فى الدار و ليس هو فيها على وجه واحد. و الميثاق العهد الواقع على إحكام. توثق توثقاً و استوثق استيثاقاً، و واثقه مواثقة، و وثق به وثوقاً، و أوثقه ايثاقاً، و وثقه توثيقاً.
و العهد الذى جعله فى عقول العباد ما جعل فيها من اقتضاء صحة أمور الدين و فساد أمور أخر، كاقتضاء الفعل للفاعل، و أنه لا يصح الفعل الا ان يكون فاعله قادراً، و ان المحكم لا يصح الا من عالم، و ان الصانع لا بد ان يرجع الى صانع غير مصنوع، و الا أدى الى ما لا نهاية له، و ان للعالم مدبر لا يشبهه، و لا يحتاج الى مدبر لحاجته و ما أشبه ذلك. و قد يكون ايضاً على العهد الذى عاهد عليه النبى صلّى اللَّه عليه و سلم. و فى الآية دلالة على وجوب الوفاء بالعهود التى تنعقد بين الخلق سواء كان بين المسلمين او الكفار، من الهدنة و غيرها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ٢٤٤

قوله تعالى:[سورة الرعد (١٣): آية ٢١] ..... ص : ٢٤۴

وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ (٢١)

آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على الاولى، و هي من صفة الذين يوفون بعهد اللَّه و لا ينقضون ميثاقه، و انهم مع ذلك «يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» و الوصل ضد الفصل يقال وصله يصله وصلًا، و أوصله إيصالًا، و اتصل اتصالًا، و تواصلوا تواصلًا، و واصله مواصلة، و وصله توصيلًا. و الوصل ضم الثانى الى الاول من غير فاصلة.

و قيل: المعنى يصلون الرحم. و قال الحسن: المعنى يصلون محمد صلّى اللَّه عليه و سلم.

و قوله «وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» اى يخافون عقابه فيتركون معاصيه «وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ» و قد فسرناه. و الخوف و الخشية و الفزع نظائر، و هو انزعاج النفس مما لا تأمن معه من الضرر، و ضد الأمن الخوف. و السوء ورود ما يشق على النفس، ساءه يسوءه سوءاً، و أساء اليه إساءة. و الاساءة ضد الإحسان.

و قيل «سوء الحساب» مناقشة الحساب. و الحساب احصاء ما على العامل و له، و هو- هاهنا- إحصاء ما على المجازى و له.

قوله تعالى:[سورة الرعد (١٣): آية ٢٢] ..... ص : ٢٤۴

وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)

آية بلا خلاف.

هذه الآية ايضاً من تمام وصف الذين يوفون بعهد اللَّه و لا ينقضون ميثاقه و يصلون ما امر اللَّه بوصله، و يصبرون على ترك معاصى اللَّه، و القيام بما أوجبه عليهم، و الصبر على بلاء اللَّه و شدائده من الأمراض و الفقر و غير ذلك. و الصبر التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ٢۴۵

حبس النفس عما تنازع اليه مما لا يجوز من الفعل و هو تجرع مرارة تمنع النفس مما تحب من الامر.

و معنى قوله «ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ» اى يفعلون ذلك طلب عظمة ربهم.

و العرب تقول ذلك فى تعظيم الشيء يقولون: هذا وجه الرأى، و هذا نفس الرأى المعظم، فكذلك سبيل وجه ربهم اى نفسه المعظم بما لا شيء أعظم منه، و لا شيء يساويه فى العظم. و المعنى ابتغاء ثواب ربهم.

و قوله «وَ أَقامُوا الصَّلاةَ» يعنى أقاموها بحدودها. و قيل: معناه داوموا على فعلها و «أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً» اى ظاهراً و باطناً، ما يجب عليهم من الزكاة، و ما ندبوا اليه من الصدقات. و السر إخفاء المعنى فى النفس، و منه السرور، لأنه لذة تحصل فى النفس، و منه السرير، لأنه مجلس سرور.

و قوله «وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» معناه يدفعون بفعل الطاعة المعاصى، يقال: درأته ادرؤه درءاً إذا دفعته. و قال ابن زيد: الصبر على وجهين:

أحدهما- الصبر للَّه على ما أحب. و الآخر- الصبر على ما كره، كما قال «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» و قيل و يدرؤن سفه الجهال بما فيهم من الحلوم.

و قيل: انهم يدفعون ظلم الغير عن نفوسهم بالرفق و المواعظ الحسنة. ثم قال تعالى مخبرا ان هؤلاء الذين وصفهم بهذه الصفات «لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ» اى عاقبة الدار، و هى الجنة التى وعد اللَّه الصابرين بها.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): الآيات ۲۳ الى ۲۴] ..... ص : ۲۴۵

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ (۲۳) سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (۲۴)

آيتان فى الكوفى و البصرى. و آية فى الباقى تمام الاولى فى الكوفى و البصرى. «مِنْ كُلِّ بابٍ» التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۴۶

يقول اللَّه تعالى إن من وصفه بالصفات المذكورة «لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ» و هى «جنات عدن» قال الزجاج: (جنات) بدل على قوله «عقبى الدار» و الجنات البساتين التى يحفها الشجر واحدها جنة و أصله الستر من قوله «جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» «۱» و جنه إذا ستره. و (العدن) الاقامة الطويلة، عدن بالمكان إذا اقام به يعدن عدناً، و منه المعادن التى يخرج منها الذهب و الفضة و غيرهما.

و قوله «وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ» اى و يدخل هذه الجنات الذين عملوا الصالحات من آباء المؤمنين، و من أزواجهم و ذرياتهم. و الصلاح استقامة الحال الى ما يدعو إليه العقل او الشرع. و المصلح من يفعل الصلاح، و الصالح المستقيم الحال فى نفسه.

و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ» اى يدخلون من كل باب بالتحية و الكرامة، و فى ذلك تعظيم الذكر للملائكة. و فى الآية دلالة على ان ثواب المطيع للَّه سروره بما يراه فى غيره من أحبته، لأنهم يسرون بدخول الجنة مع من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم، و هم أولادهم. و ذلك يقتضى سرورهم بهذا الخبر. و قوله «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ» اى يقول هؤلاء الملائكة الداخلون عليهم «سلام عليكم». و السلام التحية بالكرامة على انتفاء كل امر يشوبه من مضرة.

و القول محذوف لدلالة الكلام عليه. و العقبى الانتهاء الذى يؤدى اليه الابتداء من خير او شر، فعقبى المؤمن الجنة فهى نعم الدار، و عقبى الكافر النار، و هى بئس الدار. و (الباء) فى قوله «بما صبرتم» يتعلق بمعنى «سلام عليكم» لأنه دل على السلامة لكم بما صبرتم، و يحتمل ان يتعلق بمحذوف، و تقديره هذه الكرامة لكم بما صبرتم.

و قيل فى معنى «بما صبرتم» قولان:

أحدهما- ان تكون (ما) بمعنى المصدر، فكأنه قال: بصبركم.

و الثانى- ان تكون بمعنى (الذى) كأنه قال بالذى صبرتم على فعل طاعاته و تجنب معاصيه.

---

(۱) سورة الانعام ۶ آية ۷۶ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۴۷

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۲۵] ..... ص : ۲۴۷

وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (۲۵)

آية بلا خلاف.

لما ذكر اللَّه تعالى الذين يوفون بعهده، و لا ينقضون ميثاقه، و وصفهم بالصفات التى يستحقون بها الجنة، و هى عقبى الدار، اخبر بعد ذلك عن حال من ينقض عهده من بعد إعطائه المواثيق، و يقطع ما امر اللَّه به ان يوصل، و هو ما بيّناه من صلة الرحم أو صلة النبى صلّى اللَّه عليه و سلم و يفسد مع ذلك فى الأرض، و معناه ان يعمل فيها بمعاصى اللَّه و الظلم لعباده، و اخراب بلاده، فهؤلاء لهم اللعنة، و هى الابعاد من رحمة اللَّه، و التبعيد من جنته، «وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» يعنى عذاب النار، و الخلود فيها. و قد بينا معنى النقض، و أنه

التفريق بين شيئين متآلفين، و مثله الهدم، و نقض العهد هو العمل بخلاف موجبه، و العهد عقد يتقدم به فى الامر و عهد اللَّه عقده، و هو لزوم العمل بالحق فى جميع ما أوجبه عليه، و الميثاق احكام العقد بأبلغ ما يكون مثله، و ميثاق العهد توثيقه بأوكد ما يكون من الأمر. و القطع نقيض الوصل، و قطع ما امر اللَّه به ان يوصل، فى كل عمل يجب تنميته، من صلة رحم او غيره من الفروض اللازمة، و الإفساد نقيض الإصلاح.

قوله تعالى:[سورة الرعد (١٣): آية ٢۶] ..... ص : ٢۴٧

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ مَتاعٌ (٢۶)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى انه «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ» و معناه يوسعه على من يشاء التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۴۸

من عباده، بحسب ما يعلم من مصلحته، و يضيّقه على آخرين إذا علم ان مصلحتهم فى ذلك.

و قوله «وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا» معناه و سروا- هؤلاء الذين بسط لهم فى الرزق- بالرزق فى الحياة الدنيا فنسوا فناءه و بقاء امر الآخرة. و يحتمل ان يكون أراد به أنهم فرحوا فرح البطر، كقوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» «١» و الفرح هو السرور، و هو لذة فى القلب بنيل المشتهى، و منه قوله «فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ». «٢»

ثم قال تعالى «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتاعٌ» و معناه ليست هذه الحياة الدنيا بالاضافة الى الحياة فى الآخرة «إلّا متاع» اى إلّا قليل ذاهب فى- قول مجاهد- و انما كان كذلك، لان هذه فانية و تلك دائمة باقية. و المتاع ما يقع من الانتفاع به فى العاجلة، و أصله التمتع، و هو التلذذ بالأمر العاجل، و لذلك وصفت الدنيا بأنها متاع. و القدر قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة و لا نقصان، و المقدار المثال الذى يعمل فيه غيره فى مساواته، و معنى و يقدر- هاهنا- يضيق. و قال ابن عباس: ان اللَّه تعالى خلق الخلق فجعل الغنا لبعضهم صلاحاً، و الفقر لبعضهم صلاحاً، فذلك الخيار للفريقين.

قوله تعالى:[سورة الرعد (١٣): آية ٢٧] ..... ص : ٢۴٨

وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ (٢٧)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى فى هذه الآية عن الكفار الذين وصفهم انهم يقولون «لَوْ لا أُنْزِلَ» على محمد «آية» يعنى علامة و معجزة. و المعنى هلا انزل عليه آية من ربه

---

(١) سورة القصص ٢٨ آية ٧۶

(٢) سورة آل عمران ٣ آية ١٧٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۴۹

يقترحونها، و يعلمون انها أنزلت من ربه، و ذلك لما لم يستدلوا، فيعلموا مدلول الآيات التى اتى بها لم يعتدوا بتلك الآيات، فقالوا هذا القول جهلًا منهم بها، فأمر اللَّه نبيه ان يقول لهم «إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ» بمعنى انه يحكم على من يشاء بالضلال إذا ضل عن طريق الحق، و يجوز ان يكون المراد «يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ» عن طريق الجنة بسوء أفعالهم و عظم معاصيهم، و لا يجوز ان يريد بذلك الإضلال عن الحق، لان ذلك سفه لا يفعله اللَّه تعالى.

و قوله «وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ» اى يحكم لمن رجع الى طاعة اللَّه و العمل بها بالجنة و يهديه اليها. و الهداية الدلالة التى تؤدى الى

طريق الرشد بدلًا من طريق الغى، و المراد بها- هاهنا- الحكم له بسلوك طريق الجنة رفعاً لقدره، و مدحاً لصاحبه. و الإضلال العدول بالمارّ عن طريق النجاة الى طريق الهلاك، و المراد- هاهنا- الحكم له بالعدول عن طريق الجنة و سلوك طريق النار، و الإنابة الرجوع الى الحق بالتوبة، يقال: ناب ينوب نوبة إذا رجع مرة بعد مرة.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۲۸] ..... ص : ۲۴۹

الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (۲۸)

آية بلا خلاف.

موضع «الذين» نصب، لأنه من صفة من أناب، و تقديره و يهدى اللَّه الذين أنابوا الى اللَّه «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» و الايمان- هاهنا- هو الاعتراف بتوحيد اللَّه على جميع صفاته، و الإقرار بنبوة نبيه، و قبول ما جاء به من عند اللَّه، و العمل بما أوجبه عليهم، و فى اللغة: الايمان هو التصديق.

و قوله «وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» أى تسكن قلوبهم و تأنس الى ذكر اللَّه الذى معه ايمان به، لما فى ذلك من ذكر نعمه التى لا تحصى و أياديه التى لا تجازى، مع عظيم سلطانه و بسط إحسانه. و الذكر حضور المعنى للنفس، و قد يسمى العلم ذكراً، و القول الذى فيه المعنى الحاضر للنفس يسمى ذكراً. و وصف اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۵۰

تعالى- هاهنا- المؤمن بأنه يطمئن قلبه الى ذكر اللَّه، و وصفه فى موضع آخر بأنه إذا ذكر اللَّه و جل قلبه»

، لان المراد بالأول انه يذكر ثوابه و انعامه، فيسكن اليه، و الثانى يذكر عقابه و انتقامه فيخافه و يجل قلبه.

و قوله «أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» إخبار منه تعالى ان بذكر اللَّه تسكن القلوب و تستأنس و تطمئن الى ما وعد اللَّه به من الثواب و النعيم، و من لم يكن مؤمناً عارفاً لا يسكن قلبه الى ذلك.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۲۹] ..... ص : ۲۵۰

الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ (۲۹)

آية بلا خلاف.

يحتمل قوله «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» ان يكون فى موضع نصب بأن يكون من صفة «الذين» فى الآية الاولى، و يحتمل ان يكون رفعاً بالابتداء، فكأنه أخبر ان الذين يؤمنون باللَّه و يعترفون بوحدانيته و يصدقون نبيّه، و يعملون بما أوجبه عليهم من الطاعات، و يجتنبون ما نهاهم عنه من المعاصى «طُوبى لَهُمْ» و قيل فى معناه عشرة أقوال:

أحدها- لهم بطيب العيش.

و ثانيها- قال ابن عباس: معناه فرح لهم تقرّبه أعينهم.

و ثالثها- قال قتادة: معناه الحسنى لهم.

و رابعها- قال عكرمة: نعم ما لهم.

و خامسها- قال الضحاك: غبطة لهم.

و سادسها- قال ابراهيم: كرامة لهم من اللَّه.

و سابعها- قال مجاهد: الجنة لهم.

---

(۱) فى سورة الانفال ۸ آية ۲ «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ».

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۵۱

و ثامنها- قال ابو هريرة: طوبى شجرة فى الجنة.

و تاسعها- قال الجبائى: تأنيث الأطيب من صفة الجنة، و المعنى إنها أطيب الأشياء لهم.

و عاشرها- قال الزجاج: المعنى العيش الأطيب لهم.

و هذه الأقوال متقاربة المعنى.

و قوله «وَ حُسْنُ مَآبٍ» فالمآب المرجع يقال: آب يؤب أوباً و مآباً إذا رجع، و سمى المثوى فى الآخرة مآباً، و منقلباً، لأن العباد يصيرون اليه، كما يصيرون الى ما كانوا انصرفوا عنه. و الحسن النفع الذى يتقبله العقل، و قد يجرى على ما تتقبله النفس، كما يجرى القبح الذى هو نقيضه على ما ينافره الطبع، و المعنى إن لهم طوبى و لهم حسن مآب، و «طوبى» فى موضع رفع «وَ حُسْنُ مَآبٍ» عطف عليه و يجوز ان يكون موضعه النصب، و ينصب «حسن مآب» على الاتباع كما يجوز الحمد للّه، و لم يقرأ به.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۳۰] ..... ص : ۲۵۱

كَذلِكَ أَرْسَلْناكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ مَتابِ (۳۰)

آية بلا خلاف.

قيل فى التشبيه فى قوله «كَذلِكَ أَرْسَلْناكَ» وجهان:

أحدهما- قال الحسن و الجبائى: إن المعنى إنا أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك.

و قال قوم: ان المعنى إن النعمة على من أرسلناك اليه، كالنعمة على من تقدم ذكره بالثواب فى «حسن مآب»، و المعنى إنا أرسلناك يا محمد «فِي أُمَّةٍ» قد مضت «مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ» و غرضى ان تتلو أى تقرأ عليهم ما «أَوْحَيْنا إِلَيْكَ» من الأمر و النهى و الوعد و الوعيد.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۵۲

و الإرسال تحميل الرسول الرسالة، فرسول اللّه قد حمله اللّه رسالة الى عباده، فيها أمره و نهيه و بيان ما يريده و ما يكرهه. و الأمة الجماعة الكثيرة من الحيوان التى ترجع الى معنى خاص لها دون غيره، فمن ذلك أمة موسى، و أمة عيسى، و أمة محمد صلّى اللّه عليه و سلم، و كذلك كل جنس من أجناس الحيوان أمة، لاختصاصها بمعنى جنسها، فعلى هذا العرب أمة، و الترك أمة، و الزنج أمة، و (الخلو) مضى الشيء بنقيضه على تجرد مما كان عليه، كأنه ينفيه دون أحواله التى كان عليها، فقد انفرد عنها. و (التلاوة) جعل الثانى يلى الأول بعده بلا فصل. و التلاوة و القراءة واحد.

و قوله «وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ» إنما قال «بالرحمن» دون (اللّه) لان اهل الجاهلية من قريش، قالوا اللّه نعرفه، و الرحمن لا نعرفه. و كذلك قالوا «وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا» «۱» و قال «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى «۲»، و هو قول الحسن، و قتادة.

ثم أمر اللّه تعالى نبيه ان يقول لهم «هو» يعنى الرحمن «ربى» أى خالقى و مدبرى «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» ليس لى إله و لا معبود سواه «عليه توكلت» اى وثقت به فى تدبيره و حسن اختياره. و التوكل التوثيق فى تدبير النفس بردّه الى اللّه «وَ إِلَيْهِ مَتابِ» أى الى اللّه الرحمن توبتى و هو الندم على ما سلف من الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة الى مثله فى القبح، و المتاب و التوبة مصدران، يقال: تاب يتوب توبة و متاباً.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۳۱] ..... ص : ۲۵۲

وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ (۳۱)

---

(۱) سورة الفرقان ۲۵ آية ۶۰

(۲) سورة الأسرى ۱۷ آية ۱۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۵۳

آية بلا خلاف.

هذه الآية تتضمن وصف القرآن بغاية ما يمكن من علو المنزلة و بلوغه أعلى طبقات الجلال، لأنه تعالى قال «لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ» من مواضعها و قلعت من أماكنها لعظم محله و جلالة قدره. و التسيير تصيير الشيء بحيث يسير، تقول سار يسير سيراً، و سيره غيره تسييراً. «أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ» لمثل ذلك.

و التقطيع تكثير القطع، قطعه قطعة، و قطّعه تقطيعاً. و القطع فصل المتصل.

«أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى لمثل ذلك حتى يعيشوا او يحيوا، تقول: كلمه كلاماً، و تكلم تكلماً، و الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من الحروف المعقولة إذا وقع ممن يصح منه او من قبيلة، لافادة. و (الموتى) جمع ميت مثل صريع و صرعى، و جريح و جرحى. و لم يجئ جواب (لو) لدلالة الكلام عليه، و تقديره: لكان هذا القرآن لعظم محله فى نفسه و جلالة قدره. و كان سبب ذلك أنهم سألوا النبى صلّى اللَّه عليه و سلم ان يسيّر عنهم جبال مكة لتتسع عليهم المواضع، فأنزل اللَّه تعالى الآية، و بين انه لو سيرت الجبال بكلام، لسيرت بهذا القرآن لعظم مرتبته و جلالة قدره. و قد يحذف جواب (لو) إذا كان فى الكلام دلالة عليه، قال امرؤ القيس:

فلو انها نفس تموت سوية و لكنها نفس تساقط أنفسا «۱»

و هو آخر القصيدة، و قال الآخر:

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك و لكن لم نجد لك مدفعا «۲»

و قال الفراء: يجوز ان يكون جوابه (لكفروا بالرحمن) لتقدم ما يقتضيه،

---

(۱) ديوانه (الطبعة الرابعة): ۱۱۷ و روايته (جميعه) بدل (سوية) و بعده اربع أبيات من القصيدة، و قد مر هذا البيت فى ۶: ۱۲۲

(۲) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۲: ۱۲، ۱۳: ۹۰، و قد مر فيما سف فى ۵: ۵۲۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۵۴

و قال البلخى. يجوز ان يكون معطوفاً على قوله «وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ ...

وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً» و يستغنى بذلك عن الجواب، كما تقول: هو يشتمنى و لو أحسنت اليه، و هو يؤذينى و لو أكرمته.

و قوله «بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً» معناه ان جميع ما ذكر- من تسيير الجبال و تقطيع الأرض و إحياء الموتى، و كل تدبير يجرى هذا المجرى- للَّه، لأنه لا يملكه و لا يقدر عليه سواه.

و قوله «أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و قتادة، و ابن زيد، و ابو عبيدة: معناه أ فلم يعلم، قال سحيم:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم ييأسوا انى ابن فارس زهدم «۱»

معناه ألم يعلموا.

الثاني- قال الفراء: معناه «أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا» ان ينقطع طمعهم من خلاف هذا، علما بصحته، كما قال لبيد:

حتى إذا يئس الرماة فأرسلوا عصفاً دواجن قافلًا اعصامها «۲»

معناه: حتى إذا يئسوا من كل شيء الا الذى ظهر اى يئسوا من خلاف ذلك لعلمهم بصحته، و العلم بالشيء يوجب اليأس من خلافه.

و قوله «لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً» معناه الم يعلموا ان اللَّه لو أراد ان يهدى خلقه كلهم الى جنته لهداهم، لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق. و يحتمل ان يكون المعنى لو أراد ان يلجئهم إلى الاهتداء لقدر على على ذلك، لكنه ينافى التكليف و يبطل الغرض منه.

---

(۱) الشاعر هو سحيم بن وثيل الرياحى. و البيت فى تفسير الطبرى ۱۳: ۹۰

(۲) تفسير الطبرى ۱۳: ۹۱ و اللسان (دجن)، (عصم) و روايته (غضفاً) بدل (عصفاً)، يقصد أرسلوا الكلاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۵۵

و قوله «وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ» فالقارعة هى الداهية المهلكة، و هى النازلة التى تزعج بالنعمة، تقول: قرعتهم تقرعهم قرعاً و هى قارعة، و منه المقرعة.

و قوله «أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: او تحل، اى تنزل- يا محمد- قريباً من دارهم.

و الحلول حصول الشيء فى الشيء، و حملوا قوله «تصيبهم قارعة» على نزول السرايا بهم او يحل النبى صلّى اللَّه عليه و سلم قريباً منهم.

و قال الحسن: المعنى او تحل القارعة قريباً من دارهم.

و قوله «حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ» قال قتادة معناه حتى يأتى وعده بفتح مكة.

و قال الحسن: معناه حتى يأتى يوم القيامة.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ» اخبار منه تعالى انه لا خلف لوعده بل لا بد ان يفعل ما وعد به او توعد عليه. و امر اللَّه ما يصح ان يأمر فيه و ينهى عنه و هو عام. و أصله الامر نقيض النهى، و الاصابة لحوق ما طلب بالارادة، أصاب الغرض يصيبه إِصابة و هو مصيب، و منه الصواب إدراك البغية المطلوبة بداعى الحكمة.

و

روى عن ابن عباس انه قرأ «أ فلم يتبين الذين آمنوا» من التبيين. و روى مثله عن على صلّى اللَّه عليه و سلم رواه الطبرى.

و قال الزجاج: معناه أ فلم يعلم الذين آمنوا ان هؤلاء لا يؤمنون مع قوله «لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً».

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۳۲] ..... ص : ۲۵۵

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ (۳۲)

آية بلا خلاف.

اللام فى قوله «و لقد» لام القسم، و معنى الكلام انه اقسم تعالى انه لقد التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۵۶

استهزئ برسل من قبلك يا محمد أرسلهم اللَّه. و الاستهزاء طلب الهزء و هو اظهار خلاف الإضمار للاستضعاف فيما يجرى من عبث الخطاب. و الرسل جمع رسول، و هو المحمّل للرسالة. و الرسالة كلام يؤخذ لتأديته الى صاحبه.

و قوله «فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» اى أخرت عقابهم و إهلاكهم و أمهلتهم، يقال: أملى يملى إملاء و منه قوله «إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً» «۱» و أصله طول المدة، و منه قليل لليل و النهار: الملوان لطولهما، قال ابن مقبل:

الا يا ديار الحى بالسَّبُعان أملَّ عليها بالبلى الملوان «۲»

و قوله «ثم اخذتهم» يعنى الذين استهزؤا برسل اللَّه و كفروا بآيات اللَّه، أهلكتهم و أنزلت عليهم عذابى «فَكَيْفَ كانَ عِقابِ» و هو العذاب على وجه الجزاء.

و معنى الآية تسلية النبى صلّى اللَّه عليه و سلم عما يلقاه من سفهاء قومه من الكفر و الاستهزاء عند دعائه إياهم إلى توحيده و الايمان به، بأنه قد نال مثل هذا الأنبياء قبلك فصبروا، فاصبر أنت ايضاً مثل ذلك، كما قال «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «۳»

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۳۳] ..... ص : ۲۵۶

أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِما لا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (۳۳)

---

(۱) سورة آل عمران آية ۱۷۸

(۲) الكتاب لسيبويه ۲: ۳۱۵ و تفسير الطبرى ۱۴: ۱۳۲ و سمط اللآلى ۵۳۳ و اللسان (سبع) و مجاز القرآن ۱: ۱۰۹، ۳۳۳. و قد روى (ألح) بدل (امل).

(۳) سورة ۴۶ الأحقاف آية ۳۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۲۵۷

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «و صدوا» بضم الصاد. الباقون بفتحها، قال ابو على:

قال ابو عمرو، عن أبى الحسن: صد و صددته مثل رجع و رجعته، قال الشاعر:

صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام «۱»

فهذا صدت فى نفسها، و قال الآخر:

صددت الكأس عنا ام عمرو

و اما قوله «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» «۲» فالمعنى يصدون المسلمين عن المسجد الحرام، فكان المفعول محذوفاً.

و قوله «رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً» «۳» يكون على يصدون عنك اى لا يبايعونك، كما يبايعك المسلمون، و يجوز ان يكونوا يصدون غيرهم عن الايمان، كما صدوهم عنه، و يثبطون عنه. و حجة من أسند الفعل الى الفاعل، قوله «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» «۴» و قوله «هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» «۵» فكما أسند الفعل الى الفاعل فى جميع هذه الآى كذلك أسند فى قوله «وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ» و قيل: إن قوماً جلسوا على الطريق، فصدوا الناس عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم ففيهم نزلت الآية.

و من بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصدِّ غواتهم و العتاة منهم فى كفرهم، و قد يكون على نحو ما يقال: صد فلان عن الخير و صد عنه، يعنى انه لم يفعل خيراً، و لا يراد: ان مانعاً منعه. فأما قوله

(۱) مجمع البيان ۳: ۲۹۴

(۲) سورة ۲۲ الحج آية ۲۵ [.....]

(۳) سورة ۴ النساء آية ۶۱

(۴) سورة ۴ النساء آية ۱۶۶ و سورة النحل ۱۶ آية ۸۸ و سورة محمد ۴۷ آية ۱، ۳۲، ۳۴

(۵) سورة ۴۸ الفتح آية ۲۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۵۸

«وَ كَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ» «۱» فالفتح الوجه، لأنه لم يصده عن الإيمان احد، و لم يمنعه منه، و الذى زين ذلك له الشيطان، كما قال «وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» «۲» معنى قوله «أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» من هو قائم بتدبيرها و جزائها على ما كسبت من خير او شر، كمن ليس بهذه الصفة، و حذف الخبر لدلالة الكلام عليه.

و قوله «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ» فى العبادة، فعبدوا الأصنام، و الأوثان.

و قوله «قل سموهم» اى سموهم بما يستحقون من الأسماء التى هى صفات. ثم انظروا هل تدل صفاتهم على أنه يجوز أن يعبدوا ام لا؟

و قوله «أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِما لا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ» معناه إلا ان يصفوهم بما لا يصح ان يعلم صحته، فيخرجوا بذلك الى التجاهل او يقتصروا على ظاهر القول من غير رجوع الى حقيقة، و هو قول مجاهد و قتادة. و قال ابو على:

معنى «بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ» الذى أنزله اللَّه على أنبيائه.

و قوله «بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ» اى زين ذلك لهم أنفسهم و غواتهم من شياطين الانس و الجن، و لا يجوز ان يكون المراد زين بالشهوة، لأن المكر ليس مما يشتهى «وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ» اى منعوا عن طريق الحق بالإغواء و المنع. و يجوز ان يكون المراد و اعرضوا عن طريق الجنة.

و قوله «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- من حكم اللَّه عليه بأنه ضال على وجه الذم، فإنه لا ينفعه هداية احد.

و الآخر- ان من يضله اللَّه عن طريق الجنة الى النار، فلا هادٍ يهديه اليها، و لا يجوز ان يكون المراد من يضله عن الايمان، لان ذلك سفه لا يفعله اللَّه تعالى.

---

(۱) سورة المؤمن: (غافر) ۴۰ آية ۳۷

(۲) سورة النمل ۲۷ آية ۲۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۵۹

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۳۴] ..... ص : ۲۵۹

لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ (۳۴)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية إخبار منه تعالى ان لهؤلاء الكفار الذين وصفهم «لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا»

و هو ما يفعل بهم من القتل و الاسترقاق و سبى الذرارى و الأموال.

و يجوز ان يريد ما يفعله اللَّه بكثير منهم من الآلام العظيمة على وجه العقوبة. ثم قال «وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ»

اى أشد مشقة، و المشقة: غلظ الامر على النفس بما يكاد يصدع القلب.

و قوله «وَ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ»
ای لیس لهم من عذاب اللَّه من یمنعهم منه. و الواقی المانع، و هو الفاعل للوقایة، و الوقایة الحجر بما یدفع الاذیة، وقاه یقیه وقایة، فهو واق، و وقَّاه توقیة.

قوله تعالی :[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۵] ..... ص : ۲۵۹

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُکُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها تِلْکَ عُقْبَی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ عُقْبَی الْکافِرِینَ النَّارُ (۳۵)
آیة بلا خلاف.
قیل فی معنی «مثل الجنة» اقوال:
قال سیبویه: فیما نقص علیکم مثل الجنة، فرفع (مثل) علی الابتداء. و حذف الخبر.
و قال بعضهم معناه شبه الجنة، و الخبر محذوف، و تقدیره مثل الجنة التی هی الأنهار، کما قال اللَّه تعالی «وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلی» «۱» معناه الصفة الأعلی.

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آیة ۶۰

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۶۰
و قال قوم: معناه صفة «الْجَنَّةِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ» صفة جنة تجری من تحتها الأنهار، و الجنة البستان الذی یجنه الشجر، و المراد- هاهنا- جنة الخلد التی أعدها اللَّه للمتقین جزاء لهم علی طاعاتهم و انتهائهم عن معاصیه، و المتقی هو الذی یتقی عقاب اللَّه بفعل الواجبات و ترک المقبحات.
و قوله «أُکُلُها دائِمٌ» قیل فی معناه قولان:
أحدهما- ان ثمارها لا تنقطع، کما تنقطع ثمار الدنیا فی غیر أزمنتها- فی قول الحسن.
الثانی- النعیم به لا ینقطع بموت، و لا بغیره من الآفات.
و قوله «و ظلها» ای و ظل الجنة دائم ایضاً لیس لها حر الشمس. ثم اخبر ان ذلک عاقبة الذین اتقوا معاصی اللَّه بفعل طاعاته. و أخبر أن عاقبة الکافرین- الجاحدین لتوحید اللَّه المنکرین لنعمه- النار، و الکون فیها علی وجه الدوام- نعوذ باللَّه منها-

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۶] ..... ص : ۲۶۰

وَ الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ مِنَ الْأَحْزابِ مَنْ یُنْکِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لا أُشْرِکَ بِهِ إِلَیْهِ أَدْعُوا وَ إِلَیْهِ مَآبِ (۳۶)
آیة بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالی فی هذه الآیة ان الذین آتیناهم الکتاب، و معناه أعطاهم، «یَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ» علی محمد صلّی اللَّه علیه و سلم و قال الحسن و قتادة و مجاهد: هم اصحاب النبی صلّی اللَّه علیه و سلم الذین آمنوا به و صدقوه. و الأحزاب هم الیهود و النصاری و المجوس.
و قال الجبائی: یجوز ان یعنی بالفرح به الیهود و النصاری، لأن ما أتی به مصدق لما معهم، و أما انکار بعضهم، فهو انکار بعض معانیه و ما یدل علی صدقه أو یخالف أحکامهم. و (الأحزاب) جمع حزب، و هم الجماعة التی تقوم بالنائبة، یقال تحزب القوم تحزباً و حزبهم الأمر یحزبهم إذا نالهم بمکروهه. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۶۱

و قوله «قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لا أُشْرِکَ بِهِ» فی عبادته احداً، أدعو الی اللَّه، و الإقرار بتوحیده و صفاته و توجیه العبادة الیه وحده، «وَ إِلَیْهِ مَآبِ» ای مرجعی و مصیری، من قولهم: آب یؤب أوباً و مآباً، و المعنی یرجع الی حیث لا یملک الضرر و النفع إلا اللَّه تعالی.

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۷] ..... ص : ۲۶۱

وَ کَذلِکَ أَنْزَلْناهُ حُکْماً عَرَبِیًّا وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا واقٍ (۳۷)

آیة قیل فی وجه التشبیه فی قوله «و کذلک» قولان:

أحدهما- انه شبه انزاله حکماً عربیاً بما أنزل إلی من تقدم من الأنبیاء.

الثانی- انه شبه انزاله حکماً عربیاً بإنزاله کتاباً، تبیاناً فی انه منعم بجمیع ذلک علی العباد. و (الحکم) فصل الأمر علی الحق، و إذا قیل: حکم بالباطل، فهو مثل قولهم: حجة داحضة. و (العربی) هو الجاری علی مذاهب العرب فی کلامها فالقرآن عربی [علی هذا المعنی، لان المعانی فیه علی ما تدعو الیه الحکمة] «۱» و الألفاظ علی مذاهب العرب فی الکلام. [و قیل: انما سماه حکماً عربیاً لأنه أتی به نبی عربی «۲».

و قوله «وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ» خطاب للنبی صلّی اللَّه علیه و سلم، و المراد به الأمة، یقول له لئن وافقت و طلبت أهواء الذین کفروا بعد ان جاء العلم، لان ما أتیناک من الدلالات و المعجزات للعلم. و الاتباع طلب اللحاق بالأول کیف تصرف. اتبعه اتباعاً و تبعه یتبعه، فهو تابع و ذلک متبوع. و الهوی- مقصور- هوی النفس.

و الهواء- ممدود- هواء الجوف، و الهوی میل الطباع الی الشیء بالشهوة.

و (العلم) ما اقتضی سکون النفس.

---

(۱) ما بین القوسین من المخطوطة و هو ساقط من المطبوعة.

(۲) ما بین القوسین ساقط من المطبوعة ایضاً.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۶۲

و قوله «ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا واقٍ» معناه متی ما ابتعت أهواء هؤلاء الکفار، لم یکن لک من اللَّه ولیّ و لا ناصر یعینک علیه، و یمنعک من عذابه «وَ لا واقٍ» و لا من یقیک منه، یقال: وقاه وقایة و اتقاه، و توقاه توقیاً، و الواقی الفاعل للحجر عن الأذی.

قوله تعالی:[سورة الرعد (۱۳): آیة ۳۸] ..... ص : ۲۶۲

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّیَّةً وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ (۳۸)

آیة بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالی انه أرسل قبل إرسال نبیه محمد صلّی اللَّه علیه و سلم رسلًا الی خلقه، و جعل لهم ازواجاً و ذریة، یعنی اولاداً، لأنهم کانوا أنکروا تزویج النبی بالنساء، فبین اللَّه تعالی ان الأنبیاء قبله کان لهم أزواج و ذریة، و قد آمنوا بهم. ثم قال: و انه لم یکن لرسول یرسله اللَّه ان یجیء بآیة و دلالة، إلا بعد ان یأذن اللَّه فی ذلک و یلطف له فیه.

و قوله «لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ» معناه لکل أجل قدره، کتاب أثبت فیه، فلا تکون آیة الا بأجل قد قضاه اللَّه تعالی فی کتاب علی ما توجبه صحة تدبیر العباد.

و قیل: فیه تقدیم و تأخیر و تقدیره لکل کتاب أجل، کما قال «وَ جاءَتْ سَکْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» «۱»، و المعنی و جاءت سکرة الحق

بالموت، و هى قراءة أهل البيت، و به قرأ ابو بكر من الصحابة. و الذرية الجماعة المفترقة فى الولادة عن أب واحد فى الجملة، و يحتمل ان يكون من الذر. و أن يكون من ذرأ اللَّه الخلق اى أظهرهم.

---

(۱) سورة ۵۰ (ق) آية ۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۶۳

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۳۹] ..... ص : ۲۶۳

يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (۳۹)

آية بلا خلاف.

وجه اتصال هذه الآية بما تقدم هو أنه لما قال «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ» اقتضى ان يدخل فيه اعمال العباد، فبين ان اللَّه يمحو ما يشاء، و يثبت، لئلا يتوهم ان المعصية مثبتة بعد التوبة، كما هى قبل التوبة. و قيل: ان مما يمحى و يثبت الناسخ و المنسوخ. و قيل يمحو ما يشاء، و يثبت، مما يثبته الملكان، لأنه لا يثبت الا الطاعات و المعاصى دون المباحات. و قيل معناه يمحو ما يشاء من معاصى من يريد التفضل عليه- بإسقاط عقابه، و يثبت معاصى من يزيد عقابه. و الحسنة يثبتها اللَّه قبل فعلها، بمعنى أنهم سيعملونها، فإذا عملوها أثبتها بأنهم عملوها، فلذلك أثبت فى الحالين، و الوجه فى إثباته ما يكون فيه من المصلحة و الاعتبار لمن يفكر فيه بأن ما يحدث، على كثرته و عظمه، قد أحصاه اللَّه و كتبه، و ذلك لا سبيل اليه الا من جهة علام الغيوب الذى يعلم ما يكون قبل أن يكون، و اعتبار المشاهدة له من الملائكة إذا قابل ما يكون بما هو مكتوب، مع أنه أهول فى الصدور، و أعظم فى النفوس مما يتصور معه، حتى كان المفكر فيه مشاهد له. و (المحو) إذهاب أثر الكتابة محاه يمحوه محواً و إمحاء أيضاً، و أمَّحا إمّحاء و امتحا امتحاء. و الإثبات الاخبار بوجود الشيء، و نقيضه النفى، و هو الاخبار بعدم الشيء.

و قال ابن عباس و مجاهد: إنه تعالى لا يمحو الشقاء و السعادة، و هذا مطابق لقول اصحاب الوعيد.

و قال عمر بن الخطاب، و ابن مسعود: هما يمحيان مثل سائر الأشياء، و هذا مطابق لقول المرجئة من وجه.

و قوله «وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» معناه أصل الكتاب، لأنه يكتب أولًا: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۶۴

سيكون كذا و كذا، لكل ما يكون، فإذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل أنه سيكون. و قيل: أصل الكتاب، لان الكتب التى أنزلت على الانباء منه نسخت و قرأ ابن كثير و أبو عمرو، و عاصم و «يثبت» خفيفة. الباقون مشدَّدة.

قال أبو على: المعنى يمحو اللَّه ما يشاء و يثبته، فاستغنى بتعدية الاول من الفعلين عن تعدية الثانى، كما قال «وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ» «۱» و زعم سيبويه أن من العرب من يعمل الاول من الفعلين، و لا يعمل الثانى فى شيء، كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً، قال الشاعر:

بأى كتاب ام بأية سنة ترى حبهم عاراً علىّ و تحسب «۲»

فلم يعمل الثانى. و قالوا «أم الكتاب» هو الذكر المذكور فى قوله «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» «۳» قال فحجة من شدّد قوله «وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً» «۴» و قرأ «و يثبت»، لان تثبيت مطاوع ثبت و حجة من قال بالتخفيف ما روى عن عائشة: أنه كان إذا صلى صلاة أثبتها، قال: و ثابت مطاوع ثبت، كما أن يثبت مطاوع ثبت.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۴۰] ..... ص : ۲۶۴

وَ إِنْ ما نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسابُ (۴۰)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبى صلّى اللّه عليه و سلم يقول اللّه تعالى له إنا ان أريناك بعض الذى نعد الكفار من العقوبة على كفرهم، و نصر المؤمنين حتى يظفروا بهم، فيقتلوهم و يستذلّوا باقيهم إن لم يؤمنوا، فنبقيك الى أن ترى ذلك، أو نميتك قبل أن ترى ذلك.

و قيل: ان نفعله بهم، لأنه ليس ذلك مما لا بدّ ان تراه لا محالة، فلا تنتظر كونه على ذلك بأن يكون فى أيامك. و انما عليك أن تبلغهم ما أرسلناك به اليهم، و تقوم

---

(۱) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۳۵

(۲) مر هذا البيت فى ۳/ ۷۵

(۳) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۱۰۵

(۴) سورة ۴ النساء آية ۶۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۶۵

فى ذلك بما أمرك اللّه به، و علينا نحن حسابهم، و مجازاتهم و الانتقام منهم، إما عاجلا أو آجلًا، و ذلك كائن لا محالة على ما قلناه.

و كسرت الالف من قوله «وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ» لأنه من التخيير، و التقدير، و إما نرينَّك نقمتنا و أنت حى، و إما نتوفَّينَّك.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۴۱] ..... ص : ۲۶۵

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ (۴۱)

آية بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لهؤلاء الكفار على وجه التنبيه لهم على الاعتبار بأفعال اللّه، أو ما يرون أنّا ننقص الأرض من أطرافها؟ و قيل فى معناه أربعة أقوال:

قال ابن عباس و الحسن و الضحاك: ما فتح على المسلمين من أرض المشركين.

و قال مجاهد، و قتادة: و ننقصها بموت أهلها. و فى رواية أخرى عن ابن عباس و مجاهد: بموت العلماء. و فى رواية أخرى عنهما: بخرابها. ثمّ أخبر أن اللّه تعالى يحكم و يفصل الأمر و لا احد يعقّب حكمه، و لا يقدر على ذلك، و أنه سريع المجازاة على أفعال العباد، على الطاعات بالثواب، و على المعاصى بالعقاب.

و النقص أخذ الشىء من الجملة، و فى فلان نقص أى نقص منزلة عن منزلة عظيمة فى المقدور أو المعلوم، و الثانى للأمور. و الطرف منتهى الشىء، و هو موضع من الشىء ليس و راءه ما هو منه. و أطراف الأرض نواحيها. و التعقيب ردّ الشىء بعد فصله، و منه عقَّب العقاب على صيده إذ أردّ الكرور عليه بعد فصله عنه قال لبيد:

حتى تهجّر فى الرواح و هاجه طلب المعقّب حقه المظلوم «۱»

---

(۱) اللسان (عقب) و مجمع البيان ۳/ ۲۷۹، و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳/ ۷۲ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۶۶

و السرعة عمل الشىء فى قلة المدة، على ما تقتضيه الحكمة، و ضده الإبطاء، و السرعة محمودة و العجلة مذمومة.

قوله تعالى: [سورة الرعد (۱۳): آية ۴۲] ..... ص : ۲۶۶

وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (۴۲)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و نافع «الكافر» على لفظ الواحد. الباقون «الكفار» على لفظ الجمع. قال ابو على الفارسى فى قوله «وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ» هو المتعدّى الى مفعولين، بدلالة تعليق وقوع الاستفهام بعده، تقول: علمت لمن الغلام، فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غير الجار فى قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ» «۱» و موضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام- الذى هو الاستفهام- مسدّ المفعولين، لان من حيث حكمت فى نحو مررت بزيد، فان موضعه نصب، و لكن الباء الجارّة كانت متعلقة فى الأصل بفعل فصار مثل علمت بمن تمر فى أن الجارة تتعلق بالمرور، و الجملة التى هى منها فى موضع نصب، و قد علّق الفعل عنها.

و من قرأ على لفظ الفاعل، و أنه جعل الكافر اسماً شائعاً كإنسان فى قوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ» «۲» و زعموا أنه لا ألف فيه و هذا الحذف إنما يقع فى (فاعل) نحو خالد، و صالح و لا يكاد يحذف فى (فعال) فهذا حجتهم.

و زعموا أن فى بعض الحروف «و سيعلم الذين كفروا»، و قرأ ابن مسعود «و سيعلم الكافرون» فهذا يقوى الجمع.

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۱۳۶

(۲) سورة ۱۰۳ العصر آية ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۶۷

و من قرأ على لفظ الجمع، فلأن التهديد متوجّه الى جميع الكفار، و لا إشكال فيه.

اخبر اللَّه تعالى أن الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء الكفار، مكروا بالمؤمنين و احتالوا فى كفرهم. و المكر هو الفتل عن البغية بطريق الحيلة، تقول مكر يمكر فهو ماكر مكراً، و قال أبو على: المكر ضرر ينزل بصاحبه من حيث لا يشعر به.

ثم اخبر تعالى ان له المكر جميعاً، و معناه للَّه جزاء مكرهم، لأنهم لما مكروا بالمؤمنين بين اللَّه أن و بال مكرهم عليهم بمجازاة اللَّه لهم.

و قوله تعالى: «يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ» معناه أنه لا يخفى عليه ما يكسبه الإنسان من خير و شر و غير ذلك، لأنه عالم بجميع المعلومات «وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ» تهديد للكفار بأنهم سوف يعلمون لمن تكون عاقبة الجنة للمطيعين أو العاصين، فإن اللَّه تعالى وعد بذلك المؤمنين دون الكفار و الظالمين.

قوله تعالى:[سورة الرعد (۱۳): آية ۴۳] ..... ص : ۲۶۷

وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ (۴۳)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن الكفار انهم يقولون لك يا محمد انك لست مرسلًا من جهته تعالى، فقل لهم انت حسبى اللَّه «شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ، وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ». و قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- روى عن ابن عباس انه قال: هم اهل الكتاب الذين آمنوا من اليهود و النصارى.

و قال قتادة و مجاهد: منهم عبد اللَّه بن سلام، و سلمان الفارسى، و تميم الدارى.

و قال الحسن: الذى عنده علم الكتاب هو اللَّه تعالى، و به قال الزجاج. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۶۸

و

قال ابو جعفر و ابو عبد اللَّه (ع): هم ائمة آل محمد صلّى اللَّه عليه و سلم، لأنهم الذين عندهم علم الكتاب بجملته لا يشذ عنهم شيء

من ذلک دون من ذکروه.

و الکفایهٔ وجود الشیء علی قدر الحاجهٔ، فکأنه قیل: قد وجد من الشهادهٔ مقدار ما بنا الیه الحاجهٔ فی فصل ما بیننا و بین هؤلاء الکفار. و الباء فی قوله «باللَّه» زائدهٔ و التقدیر کفی اللَّه. و قال الرمانی: دخلت لتحقیق الاضافهٔ من وجهین: جههٔ الفاعل، و جههٔ حرف الاضافهٔ، لان الفعل لما جاز ان یضاف الی غیر فاعله، بمعنی انه أمر به ازیل هذا الاحتمال بهذا التأکید، و مثله قوله «لِما خَلَقْتُ بِیَدَیَّ» «۱».

و الشهادهٔ البینهٔ علی صحهٔ المعنی من طریق المشاهدهٔ. و الشهید و الشاهد واحد، إلا ان فی شهید مبالغهٔ. و وجه الاحتجاج ب «کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً» لأن المعنی کفی اللَّه شهیداً بما اظهر من الآیهٔ، و أبان من الدلالهٔ، لأنه تعالی لا یشهد بصحهٔ النبوهٔ إلا علی هذه الصفهٔ إذ قد لزمهم ان یعترفوا لها بالصحهٔ.

و روی عن ابن عباس و مجاهد انهما قرءا «و من عنده علم» بکسر المیم، و علم الکتاب علی ما لم یسم فاعله، و به قرأ سعید بن جبیر، و لما قیل له: هو عبد اللَّه بن سلامه، قال: کیف یجوز ذلک و السورهٔ مکیهٔ و هو اسلم بعد الهجرهٔ بمدهٔ.

---

(۱) سورهٔ ۳۸ ص آیهٔ ۷۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۶۹

(۱۴)سورهٔ ابراهیم ..... ص : ۲۶۹

اشارهٔ

قال قتادهٔ: هی مکیهٔ إلا آیتین: قوله «أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ» الی قوله «وَ بِئْسَ الْقَرارُ». و قال مجاهد هی مکیهٔ و لیس فیها ناسخ و لا منسوخ.

و هی اثنان و خمسون آیهٔ فی الکوفی، و أربع فی المدنیین. و آیهٔ فی البصری.

[سورهٔ إبراهیم (۱۴): الآیات ۱ الی ۲] ..... ص : ۲۶۹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلی صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ (۱) اللَّهِ الَّذِی لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ وَیْلٌ لِلْکافِرِینَ مِنْ عَذابٍ شَدِیدٍ (۲)

ثلاث آیات فی المدنیین آخر الاولی. قوله «الی النور» و آیتان عند الباقین.

قرأ ابن عامر و نافع «اللَّه الذی» بالرفع. الباقون بالخفض. قال ابو علی:

من قرأ بالجر جعله بدلًا من الحمید، و لم یکن صفهٔ، لان الاسم و ان کان فی الأصل مصدراً، و المصادر یوصف بها کما یوصف بأسماء الفاعلین، و کذلک کان هذا التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۷۰

الاسم فی الأصل (الأله) و معناه ذو العبادهٔ ای تجب العبادهٔ له، قال ابو زید:

یقال تألّه الرجل إذا نسک و أنشد لرؤبهٔ:

سبحن و استرجعن من تألُّهی «۱»

.فهذا فی أنه فی الأصل مصدر قد وصف به مثل السلام و العدل، الا ان هذا الاسم غلب حتی صار فی الغلبهٔ و کثرهٔ الاستعمال کالعلم، و قد یغلب ما فی أصله الصفهٔ فیصیر بمنزلهٔ العلم «۲» مثل قول الشاعر:

و التيم ألأم من يمشى و ألأمهم ذهل بن تيم بنو السود المدانيس «۳»

يجوز أن يكون جعل التيم جمع تيمىّ كيهودى و يهود. و على هذا قال تعالى و قالت اليهود، ألا ترى أن (يهود) قد جرى فى كلامهم اسماً للقبيلة، كما أن (مجوس) كذلك، فلو لا أن المراد بهما الجمع، لم يدخلهما الألف و اللام، كما لا يدخل المعارف فى نحو زيد و عمرو، إلا انه جمع بحذف الياءين اللتين للنسب، كما جمع شعير و شعيرة بحذف التاء، و مثله (رومى) و روم و (زنجى) و زنج.

و من رفع قطع عن الاول، و رفعه بالابتداء، و جعل (الذى) الخبر، او جعله صفة و أضمر الخبر. و قد بيّنا معانى الحروف المقطعة فى أوائل السور فى أول

---

(۱) مر هذا الرجز فى ۱: ۲۸

(۲) كان فى المطبوعة على الهامش هذه الحاشية (نابغة الجعدى فى الرمل بيته عليه صفيح من تراب و جندل و الأصل النابغة و لما غلب نزع منه الالف و اللام كما ينزع من اسماء الاعلام نحو زيد و عمرو و ربما استعمل فى هذا النحو الوجهان و اما قول الشاعر) انتهى.

و هو كما ترى بعيد عن المتن من حيث اللهجة و التركيب و ظاهر انه ليس من كلام الشيخ الطوسى- رحمه اللَّه- و لكن آخره يشبه المتصل بالمتن لذلك نقلناه فلعل المطلع عليه يستفيد منه.

(۳) قائله جرير. ديوانه (دار بيروت) ۲۵۲ و اللسان (تيم) و رواية الديوان:

و التيم. ألَأم من يمشى و ألَأمهم أولاد ذهل بنو السود المدانيس

و رواية اللسان:

و التيم ألَأم من يمشى و ألَأمه تيم بن ذهل بنو السود المدانيس

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۱

البقرة «۱»، و ذكرنا اختلاف المفسرين فيه، فلا فائدة فى إعادته.

و قوله «كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ» رفع على انه خبر الابتداء، و معناه هذا كتاب يعنى القرآن أنزله على نبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم «لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ» أى ليخرجهم من ظلمات الكفر و الضلالة الى نور الايمان و الهداية.

و الظلمة فى الأصل سواد الجو المانع من الرؤية تقول أظلم إظلاماً و ظلاماً و ظلمة. و الظلمة اذهاب الضياء بما يستره، و النور بياض شعاعىّ تصح معه الرؤية، و يمنع معه الظلام، و منه النار لما فيها من النور. و النور و الضياء واحد.

و قال قتادة «مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ» من الضلالة الى الهدى «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» اى بإطلاق اللَّه ذلك، و أمره به نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» أى يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق اللَّه المؤدى إلى معرفة اللَّه «العزيز» يعنى القادر على الأشياء الممتنع بقدرته من أن يضام، المحمود فى أفعاله التى أنعم بها على عباده، الذى له التصرف فى جميع ما فى السماوات و الأرض، على وجه ليس لأحد الاعتراض عليه.

ثم اخبر تعالى أن الويل للكافرين الذين يجحدون نعم اللَّه و لا يعترفون بوحدانيته.

و الإقرار بنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «مِنْ عَذابٍ شَدِيدٍ» و هو ما تتضاعف آلامه، و الشدة تجمع يصعب معه التفكك، شدّه يشدّه شدّاً و شدّة.

و فى الآية دلالة على ان اللَّه يريد الايمان من جميع المكلفين، لأنه ذكر أنه أنزل كتابه ليخرج الناس من ظلمات الكفر الى نور الايمان، لأن اللام لام الغرض، و لا يجوز أن يكون لام العاقبة، لأنها لو كانت كذلك، لكان الناس كلهم مؤمنين و المعلوم خلافه.

---

(۱) فى ۱: ۴۷- ۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۲

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): آية ۳] ..... ص : ۲۷۲

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً أُولئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (۳)

آية بلا خلاف.

«الذين» فى موضع جر، لأنه نعت للكافرين، و تقديره و ويل للكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة. و الاستحباب طلب محبة الشيء بالتعرض لها، و المحبة إرادة منافع المحبوب. و قد تكون المحبة ميل الطباع. و الحياة الدنيا هو المقام فى هذه الدنيا العاجلة على الكون فى الآخرة. ذمهم اللّه بذلك، لان الدنيا دار انتقال، و الآخرة دار مقام.

«وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» اى يعرضون بنفوسهم عن اتباع الطريق المؤدى الى معرفة اللّه، و يجوز ان يريد انهم يمنعون غيرهم من اتباع سبيل اللّه تعالى، يقال: صد عنه يصد صدّاً، غير متعد، و صده يصده صدّاً متعد. و السبيل الطريق و كلاهما يؤنث و يذكر، و هو على السبل اغلب و «يَبْغُونَها عِوَجاً» أى و يطلبون الطريق عوجاً اى عدولًا عن استقامته. و (العوج) خلاف الميل الى الاستقامة، و العوج- بكسر العين- فى الدين، و- بفتح العين- فى العود و البغية طلب المقاصد لموضع الحاجة، يقال: بغاه يبغيه بغية، و ابتغى ابتغاء، و دخلت (على) فى قوله «يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ» لان المعنى يؤثرونها عليها. و لو قيل من الاخرة، لجاز ان يكون بمعنى يستبدلونها من الاخرة.

و قيل: إنه يجرى مجرى قولهم: نزلت على بنى فلان، و نزلت فى بنى فلان، و ببنى فلان، كله بمعنى واحد.

و قوله «أُولئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ» إخبار منه تعالى ان هؤلاء الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الاخرة، و يصدون عن سبيل اللّه، فى عدول عن الحق، بعيدون عن الاستقامة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۳

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): آية ۴] ..... ص : ۲۷۳

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۴)

آية بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى انه لم يرسل فيما مضى من الازمان رسولًا الى قوم إلا بلغة قومه حتى إذا بين لهم، فهموا عنه، و لا يحتاجون الى من يترجم عنه.

و قوله «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ» يحتمل أمرين:

أحدهما- انه يحكم بضلال من يشاء إذا ضلوا هم عن طريق الحق.

الثانى- يضلهم عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب و «يَهْدِي مَنْ يَشاءُ» الى طريق الجنة «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» يعنى القادر الذى لا يقدر أحد على منعه «الحكيم» فى جميع أفعاله، ليس فيها ما له صفة السفه. و يحتمل ان يريد انه محكم لأفعاله التى تدل على علمه.

و رفع قوله «فيضل الله» لان التقدير على الاستئناف، لا العطف على ما مضى، و مثله قوله «لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ» «۱» و مثله «قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ» «۲» ثم قال بعد ذلك «وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ» «۳» لأنه إذا لم يجز ان يكون عطفاً على ما مضى فينتصب لفساد المعنى فلا بد من استئنافه و رفعه.

و قال الحسن: امتن اللّه على نبيه محمد صلّى اللّه عليه و سلم انه لم يبعث رسولًا إلا الى قومه، و بعثه خاصة الى جميع الخلق. و قال

مجاهد: بعث اللّه نبيه الى الأسود و الأحمر و لم يبعث نبياً قبله إلا الى قومه و اهل لغته.

---

(۱) سورة الحج آية ۵

(۲، ۳) سورة التوبة آية ۱۵- ۱۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۴

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): آية ۵] ..... ص : ۲۷۴

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (۵)

آية فى الكوفى و البصرى. و آيتان فى المدنيين.

آخر الاولى «الى النور».

أخبر اللّه تعالى انه أرسل موسى نبيه (ع) الى خلقه بآياته و دلالاته «أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ» اى أرسلناه بأن أخرج قومك من ظلمات الكفر و الضلالة الى نور الايمان و الهداية بالدعاء لهم الى فعل الايمان، و النهى عن الكفر و التنبيه على أدلته. «وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد و قتادة و سعيد بن جبير: ذكّرهم بنعم اللّه.

الثانى- ذكّرهم بنعم اللّه لعاد و ثمود و غيرهم من الأمم الضالة، قال عمر بن كلثوم:

و ايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا «۱»

و قيل: النعم و النقم من أعدائنا. و قال قوم: أراد خوفهم بهذا، كما يقال:

خذه بالشدة و اللين. ثم أخبر ان فى ذلك دلالات لكلّ من صبر على بلاء اللّه و شكره على نعمه. و التذكير التعريض للذكر الذى هو خلاف السهو، يقال:

ذكّره تذكيراً، و ذكره يذكره ذكراً، و تذكر تذكراً، و ذاكره مذاكرة.

و الصبار الكثير الصبر، و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه مما لا ينبغى.

---

(۱) هذا البيت من معلقته الشهيرة. المعلقات السبع (دار بيروت) ۱۲۳ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳: ۱۰۷ و مجمع البيان ۳: ۳۰۴ و قد مر فى ۱: ۳۶ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۵

و الشكور الكثير الشكر. و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و ضدّه الكفر. (و ان) فى قوله «أن اخرج» يحتمل ان تكون بمعنى (أى) على وجه التفسير، و يجوز ان تكون التى تتعلق بالافعال و المعنى قلنا له:

اخرج قومك. و قال سيبويه يقول العرب: كتبت اليه أن قم، و أمرته أن قم، و ان شئت كانت (أن) التى وُصلت بالأمر. و التأويل على الخبر. و المعنى كتبت اليه ان يقوم و أمرته أن يقوم إلّا انها وُصلت بلفظ الامر المخاطب، و المعنى معنى الخبر، كما تقول أنت الذى فعلت. و المعنى انت الذى فعل.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): آية ۶] ..... ص : ۲۷۵

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ

نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۶)

آية بلا خلاف.

التقدير و اذكر يا محمد «إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» فى الوقت الذى أنجاكم «مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ. يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ» جملة فى موضع الحال. و «يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» و قد فسرناه أجمع فى سورة البقرة «۱» فلا نطول بإعادته. و دخلت الواو- هاهنا- فى قوله «وَ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ» و فى البقرة بلا واو. و قال الفراء: معنى الواو أنه كان يمسهم من العذاب غير التذبيح، كأنه قال يعذبونكم بغير الذبح. و الذبح إذا أطلق كان تفسيراً لصفات العذاب.

---

(۱) انظر ۱: ۲۱۷- ۲۲۴ فى تفسير آية ۴۹ من سورة البقرة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۶

و قوله «وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» اى فى ذلكم نعم من ربكم عظيمة إذ أنجاكم منهم. و البلاء قد يكون نعماً، و عذاباً، يقال: فلان حسن البلاء عندك اى حسن الانعام عليك و يحتمل ان يكون بمعنى العذاب، و فى الصبر على ذلك العذاب امتحان من ربكم عظيم.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۷ الى ۸] ..... ص : ۲۷۶

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ (۷) وَ قالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (۸)

آيتان بلا خلاف.

و هذه الآية عطف على الاولى، و التقدير و اذكروا «إذ تأذن ربكم» اى أعلمكم و قد يستعمل (تفعَّل) بمعنى (أفعل) كقولهم أوعدته و توعّدته، و هو قول الحسن و الفراء، قال الحرث بن حلزة:

آذنتنا ببينها أسماء رُبَّ ثاوٍ يملُّ منه الثواءُ «۱»

و المعنى أعلم ربكم. و قوله «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» التقدير أعلمكم أنكم متى شكرتمونى على نعمى، و اعترفتم بها زدتكم نعمة الى نعمة «وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ» أى جحدتم نعمتى و كفرتموها «إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ» لمن كفر نعمتى.

ثم أخبر ان موسى قال لقومه «ان تكفروا» نعم اللَّه و تجحدونها «أنتم» و جميع «من فى الأرض» من الخلق فإنه لا يضر اللَّه. و إنما يضركم ذلك، بأن تستحقوا منه العذاب و العقاب «فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» اى غنى عن شكركم حميد فى أفعاله.

و الغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج، و الحميد الكبير لاستحقاق الحمد بعظم

---

(۱) من معلقته الشهيرة. المعلقات السبع (دار بيروت) ۱۵۵ و قد مر فى ۱: ۳۸۰ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۷

إنعامه، و هى صفة مبالغة فى الحمد، و قد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجوّر فى حكمه، أو يردّ على نبى من أنبيائه، أو كان بمنزلة واحد منها فى عظم الفاحشة، لان الله تعالى منعم بجميع ذلك من حيث أقام الادلة الواضحة على صحة جميع ذلك و غرضه بالنظر فى جميعها الثواب الجزيل، فلذلك كان منعماً بها إن شاء.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۹ الى ۱۰] ..... ص : ۲۷۷

أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ وَ قالُوا إِنَّا كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (۹) قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (۱۰)

آيتان فى الكوفى و ثلاث آيات فى المدنيين و البصرى تمام الأولى قوله «و ثمود».

قيل فيمن يتوجه الخطاب اليه فى قوله «أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا» قولان:

أحدهما- قال الجبائى: إنه متوجه الى أمة النبى صلّى اللّه عليه و سلم ذكروا بأخبار من تقدم و ما جرى من قصصهم.

و الثانى- قال قوم: إنه من قول موسى (ع) لأنه متصل به فى الآية المتقدمة يقول اللّه لهم «الم يأتكم» اى اما جاءكم اخبار من تقدمكم.

و النبأ الخبر عما يعظم التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۸

شأنه يقال: لهذا الامر نبؤ اى عظم شأن يقال انبأ ينبئ، و تنبّأت أتنبّئ، و نبأ اللّه محمداً اى جعله نبياً، و تنبأ مسيلمة اى ادعى النبوة، و ليس هو كذلك. و «قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ» كل ذلك مجرور بأنه بدل من الكاف و الميم فى قوله «قلبكم» و هو مجرور بالاضافة.

و قوله «لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ» اى لا يعلم تفاصيل أحوالهم و ما فعلوه، و فعل بهم من العقوبات، و لا عددهم «إلا اللّه» و لذلك قال النبى صلّى اللّه عليه و سلم (كذب النسابون)

و قوله «جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» اى أتتهم رسلهم بالدلالات الواضحات «فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ» و قيل فى معناه خمسة اقوال:

أحدها- قال عبد اللّه بن مسعود، و ابن زيد: انهم عضوا على أناملهم تغيظاً عليهم فى دعائهم الى اللّه، كما قال «عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ» «۱» و ثانيها- قال الحسن: جعلوا أيديهم فى أفواه الأنبياء تكذيباً لهم ورداً لما جاؤوا به.

الثالث- قال مجاهد ردوا نعمتهم بأفواههم.

الرابع- قال قوم: يحتمل ان يكونوا ردوا أيدى أنفسهم فى أفواه نفوسهم مومئن لهم اى اسكتوا عما تدعونا إليه، كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيته. روى ذلك عن ابن عباس ذكره و الفراء.

و خامسها- قال قوم: ردوا ما لو قبلوه، لكانت نعمة عليهم فى أفواههم اى بأفواههم و ألسنتهم، كما يقولون أدخلك اللّه بالجنة يريدون فى الجنة و هى لغة طى، قال الفراء: انشدنى بعضهم:

و ارغب فيها عن لقيط و رهطه و لكننى عن سنبس لست ارغب «۲»

---

(۱) سورة آل عمران آية ۱۱۹

(۲) مجمع البيان ۳: ۳۰۶ و امالى الشريف المرتضى ۱: ۳۶۶ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳: ۱۱۱ و لم يعرف قائله. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۷۹

فقال (ارغب فيها) يريد بها يعنى بنتاً له، يريد: ارغب بها عن لقيط، و لا ارغب بها عن قبيلته. و قوله «إِنَّا كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ» حكاية ايضاً عما قالوا للرسل فإنهم قالوا: إنا قد كفرنا بما أرسلتم به من الدعاء الى اللّه وحده و توجيه العبادة إليه، و العمل بشرائعه «وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ مُرِيبٍ» و الريب أخبث الشك المتهم، و هو الذى يأتى بما فيه التهمة، و لذلك وصفوا به الشك اى انه يوجب تهمة ما أتيتم به يقال: أراب يريب إرابة إذا أتى بما يوجب الريبة، فقالت لهم حينئذ رسلهم «أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ» مع قيام الأدلة على وحدانيته و صفاته، لأنه الذى خلق السموات و الأرض يدعوكم الى عبادته ليغفر لكم من ذنوبكم إذا أطعتموه.

و دخلت (من) هاهنا- فى قول أبى عبيدة- زائدة، و أنكر سيبويه زيادتها فى الواجب، و قال أبو على: دخلت للتبعيض و وضع البعض

موضع الجميع توسعاً.

و قال قوم: دخلت (من) لتكون المغفرة بدلا من الذنوب، فدخلت (من) لتضمن المغفرة معنى البدل من السيئة «وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» يعنى لا يؤاخذكم بعاجل العذاب، بل يؤخر الى الوقت الذى ضربه اللّه لكم ان يمسكم فيه، فقال لهم قومهم «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا» اى ليس أنتم الا خلق مثلنا تريدون ان تمنعونا عما كان يعبد اباؤنا من الأصنام و الأوثان، فأتونا بحجة واضحة على ما تدعونه و بطلان ما نحن عليه.

و فى الآية دلالة واضحة على انه تعالى أراد بخلقه الخير و الايمان، لا الشر و الكفر، و أنه إنما بعث الرسل الى الكفار رحمة و تفضلا، ليؤمنوا، لا ليكفروا، لان الرسل قالت: ندعوكم الى اللّه ليغفر لكم، فمن قال إن اللّه أرسل الرسل الى الكفار ليكفروا بهم و يكونوا سوءاً عليهم و وبالًا، و انما دعوهم ليزدادوا كفراً فقد ردّ ظاهر القرآن.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۱ الى ۱۲] ..... ص : ۲۷۹

قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۱) وَ ما لَنا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَ قَدْ هَدانا سُبُلَنا وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (۱۲)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۰

آيتان بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى فى هذه الآية ما أجابت به الرسل الكفار، فإنهم قالوا لهم ما «نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» و لسنا ملائكة، كما زعمتم «و لكن الله» من علينا فاصطفانا و بعثنا أنبياء و هو «يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» و لم يكن لنا ان نجيئكم «بسلطان» اى بحجة على صحة دعوانا إلا بأمر اللّه و إطلاقه لنا فى ذلك «و على الله» يجب ان يتوكل «المتوكلون» المؤمنون المصدقون به و بأنبيائه.

ثم اخبر انهم قالوا ايضاً «وَ ما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ» اى و لم لا نتوكل على الله «وَ قَدْ هَدانا» الى سبل الايمان و دلنا على معرفته و وفقنا لتوجيه العبادة اليه، و لا نشرك به شيئاً، و ضمن لنا على ذلك جزيل الثواب، «وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا» من تكذيبنا و شتمنا فى جنب طاعته و ابتغاء مرضاته و طلب ثوابه «و على الله» يجب ان يتوكل المتوكلون الواثقون بالله دون من كان كافراً، فان وليه الشيطان.

و «المنّ» أصله القطع يقال: حبل منين اى منقطع عن بلوغ المنية، و المنيّة لأنها تقطع عن امر الدنيا. «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «۱» اى غير مقطوع، و الأذى ضرر يجده صاحبه فى حاله يقال: آذاه يؤذيه أذى و تأذى به تأذياً، و اكثر ما يقال فى الضرر القليل، و يقال ايضاً آذاه أذى عظيماً، و المثل ما سد مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته. و الهدى الدلالة على طريق الحق من الباطل، و الرشد من الغنى،

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجد (فصلت) آية ۸ و سورة ۸۴ الانشقاق آية ۲۵ و سورة ۹۵ التين آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۱

هداه يهديه الى الدين هدى. و السلطان الحجة التى يتسلط بها على الطالب مذهب المخالف للحق. و قيل فى قوله «وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» قولان:

أحدهما- قال ابو على الجبائى: انهم سألوا آية مخصوصة غير ما أتتهم به الرسل، كما سأله قريش، فقالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ...» «۱»

و الثانى- ان ما اتيناكم به بإذن الله، لأنه مما لا يقدر عليه البشر، و نحن بشر.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۳ الى ۱۴] ..... ص : ۲۸۱

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا فَأَوْحى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (۱۳) وَ لَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذلِكَ لِمَنْ خافَ مَقامِي وَ خافَ وَعِيدِ (۱۴)

آيتان بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن الكفار انهم قالوا لرسلهم «انا لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا» و بلادنا إلا ان تدخلوا فى أدياننا، و مذاهبنا، فحينئذ اوحى اللَّه تعالى الى رسله إنا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين، و نسكنكم الأرض بعدهم ذلك جزاء «لِمَنْ خافَ مَقامِي» اى حيث يقيمه الله بين يديه، و أضافه الى نفسه، كما قال «وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» «۲» اى رزقى إياكم قال الفراء: و العرب تضيف افعالها الى أنفسها و الى ما وقعت عليه، يقولون سررت برؤيتك، و سررت برؤيتى إياك،

---

(۱) سورة الإسراء ۷۱ آية ۹۰

(۲) سورة ۵۶ الواقعة آية ۸۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۲

و ندمت على ضربك و ضربى إياك، و خاف وعيدى و عقابى، و انما قالوا «أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا» و هم لم يكونوا على ملتهم قط لامرين:

أحدهما- انهم توهموا- ذلك على غير حقيقة- انهم كانوا على ملتهم.

الثانى- انهم ظنوا بالنشوء انهم كانوا عليها دون الحقيقة.

و اللام فى قوله «و لنخرجنكم» لام القسم و التى فى قوله «او لتعودن» ايضاً مثل ذلك إلا ان فيه معنى الجزاء، لان التقدير لنخرجنكم من أرضنا إلا ان تعودوا أو حتى ان تعودوا، و هو مثل قول القائل: و الله لا أكلمك او تدعونى.

و المعنى إلا أن، او حتى تدعونى.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۵ الى ۱۶] ..... ص : ۲۸۲

وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (۱۵) مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ (۱۶)

آيتان بلا خلاف.

قوله «وَ اسْتَفْتَحُوا» معناه استنصروا و هو طلب الفتح بالنصر، و منه قوله «وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» «۱» اى يستنصرون و قال ابن عباس: هو استفتاح الرسل بالنصر على قومهم، و به قال مجاهد و قتادة. و قال الجبائى: هو سؤالهم ان يحكم الله بينهم و بين أممهم، لان الفتح الحكم، و منه قولهم: الفتاح الحاكم. و قال ابن زيد: هو استفتاح الكفار بالبلاء و الخيبة خلاف ما قدروه من المنفعة، يقال: خاب يخيب خيبة و خيب تخييباً، و ضده النجاح، و هو ادراك الطلبة. و الجبرية طلب علو المنزلة بما ليس وراءه غاية فى الوصف، فإذا وصف العبد بأنه جبّار كان ذمّاً، و إذا وصف الله به كان مدحاً، لان له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية فى الصفة. و العنيد: هو المعاند إلا ان فيه مبالغة، و العناد الامتناع من الحق مع العلم به، كبراً و بغياً، يقال: عند يعند

---

(۱) سورة البقرة آية ۸۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۳

عنوداً، و عانده معاندة و عناداً قال الشاعر:

إذا نزلت فاجعلانى وسطاً انى كبير لا أطيق العندا «۱»

و الوراء و الخلف واحد، و هو جهة مقابلة لجهة القدام، و قد يكون وراء بمعنى أمام، و قيل: إنه يحتمل ذلك- هاهنا- و ذكروا أنه يجوز فى الزمان على تقدير انه كان خلفهم، لأنه يأتى فيلحقهم قال الشاعر:

ا توعدنى وراء بنى رياح كذبت لتقصرن يداك دونى «۲»

و قال آخر:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب «۳»

و قوله «وَ يُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ» يعنى يسقى الجبار العنيد صديداً، و هو قيح يسيل من الجرح أخذ من انه يصد عنه تكرهاً له. و القيح دم مختلط بمدة.

و قوله «صديد» بيان للماء الذى يسقونه، فلذلك أعرب بإعرابه، قال الزجاج: و الوراء ما توارى عنك، و ليس من الاضداد. قال الشاعر:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة و ليس وراء الله للمرء مذهب «۴»

أى ليس بعد مذاهب اللّه للمرء مذهب.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۷ الى ۱۸] ..... ص : ۲۸۳

يَتَجَرَّعُهُ وَ لا يَكادُ يُسِيغُهُ وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ما هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ (۱۷) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (۱۸)

---

(۱) قد مر تخريجه فى ۶: ۱۴ من هذا الكتاب.

(۲) قائله جرير، ديوانه (دار بيروت) ۴۷۵، و (نشر الصاوى) ۵۷۷ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳: ۷۶، ۱۱۴ و مجاز القرآن ۱: ۳۲۶، ۳۳۷ و قد مر فى ۶: ۲۳۳

(۳) لم أجده

(۴) قائله النابغة، ديوانه (دار بيروت) ۱۷ من قصيدة يعتذر بها الى النعمان بن المنذر و يمدحه. و هو فى امالى الشريف المرتضى ۲: ۱۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۴

آيتان بلا خلاف.

قوله «يتجرعه» معناه يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة، يقال: تجرّع تجرعاً، و جرعه يجرعه جرعاً، و التجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار.

و قوله «وَ لا يَكادُ يُسِيغُهُ» أى لا يقاربه، و انما يضطر اليه. قال الفراء:

(لا يكاد) يستعمل فيما يقع و فيما لا يقع، فما يقع هو هذا، و ما لم يقع مثل قوله «لَمْ يَكَدْ يَراها» «۱» لان المعنى لم يرها. و الإساغة إجراء الشراب فى الحلق على تقبل النفس، و هذا يضطر اليه، فلذلك قال «وَ لا يَكادُ يُسِيغُهُ» و المعنى فلا يقارب ان يشربه تكرهاً، و هو يشربه، تقول: ساغ يسوغ الشيء و أسغته أنا. و

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم انه قال: (ما يتجرّعه يقرّب اليه فيتكرّهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه و وقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره)

كما قال «وَ سُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ» «۲» و قال «وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ» «۳».

و قوله «وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و الجبائى: من كل جهة، من عن يمينه و شماله و من فوقه و تحته و من قدامه و خلفه. و قال ابراهيم التيمى و ابن جريج: معناه «مِنْ كُلِّ مَكانٍ» من جسده حتى من أطراف شعره «وَ ما هُوَ بِمَيِّتٍ» اى انه مع

---

(۱) سورة النور آية ۴۰

(۲) سورة محمد: ۴۷ آية ۱۵

(۳) سورة الكهف: ۱۸ آية ۲۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۵

إتيان اسباب الموت و الشدائد التى يكون معها الموت «من كل جهة» من شدة الأهوال، و أنواع العذاب، و ليس هو بميت «وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- من أمامه.

و الثانى- و من بعد عذابه هذا «عذاب غليظ».

و قوله «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ» اى فيما يتلى عليكم «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ»، فيكون رفعاً بالابتداء و يجوز ان يكون (مثل) مقحماً و يبتدئ الذين كفروا.

و قوله «أعمالهم» رفع على البدل و هو بدل الاشتمال عليه فى المعنى، لان المثل للأعمال، و قد أضيف الى الذين كفروا، و مثله «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ» «۱» و المعنى ترى وجوههم مسودة. قال الفراء: لأنهم يجدون المعنى فى آخر الكلمة، فلا يبالون ما وقع على الاسم المبتدأ، و مثله قوله «لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ» «۲» فأعيدت اللام فى البيوت، لأنها التى يراد بالسقف. و قال المبرد: (أعمالهم) رفع بالابتداء و خبره (كرماد)، و الرماد الجسم المنسحق بالإحراق سحق الغبار. و يمكن ان يجعل (مثل) صفة بغير نار فى مقدور اللَّه.

و قوله «اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ» فالاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة، يقال: اشتد به الوجع من هذا، لأنه أسرع اليه على قوة ألم و العصف شدة الريح، «يوم عاصف» أى شديد الريح، و جعل العصف صفة اليوم، لأنه يقع فيه، كما يقال: ليل نائم، و يوم ماطر، أى يقع فيه النوم و المطر، و يجوز ان يكون المراد عاصف ريحه، و حذف الريح للدلالة عليه، و مثله حجر ضبّ خرب اى خرب حجره، و يقال: عصفت الرياح إذا اشتدت و عصفت تعصف عصوفاً.

شبه اللَّه تعالى أعمال الكفار فى انه لا- محصول لها، و لا انتفاع بها يوم القيامة، بالرماد الذى يشتد فيه الريح العاصف، فإنه لا بقاء لذلك الرماد، و لا لبث

---

(۱) سورة الزمر: (۳۹) آية ۶۰

(۲) سورة الزخرف: ۴۳ آية ۳۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۶

فكذلك أعمال الكافر لا يقدر منها على شيء، كما قال فى موضع آخر «وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً» «۱» و قوله «ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ» اى من وصفناه فهو الذى ضل عن الحق و الخير ضلالًا بعيداً.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۹ الى ۲۰] ..... ص : ۲۸۶

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (۱۹) وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (۲۰)

آيتان فى الكوفى و المدنى تمام الأولى «خلق جديد» و آية عند الباقين.

قرأ حمزة و الكسائى «خالق السماوات» على اسم الفاعل. الباقون «خلق» على (فعل) ماض. قال ابو على: من قرأ «خلق» فلان ذلك ماض فأخبر عنه بلفظ الماضى، و من قرأ «خالق» جعله مثل «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» «۲» بمعنى خالق.

و مثله قوله «فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً» «۳» لأنهما فُعلا.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم و يعنى به الأمة بدلالة قوله «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» ألم تعلم، لان الرؤية تكون بمعنى العلم، كما تكون بمعنى الإدراك بالبصر و هاهنا لا يمكن ان تكون بمعنى الرؤية بالبصر، لان ذلك لا يتعلق بأن اللَّه خلق السموات و الأرض، و إنما يعلم ذلك بدليل. و قوله «بالحق» و الحق هو وضع الشىء فى موضعه على ما تقتضيه الحكمة و إذا جرى المعنى على ما هو له من الأشياء فهو حق، و إذا اجرى على ما ليس هو له من الشىء فذلك باطل. و الخلق فعل الشىء على تقدير و ترتيب، و الخلق الفاعل على مقدار ما تدعو الحكم اليه لا يجوز عليه غير ذلك.

---

(۱) سورة الفرقان: ۲۵ آية ۲۳ [.....]

(۲) سورة فاطر: ۳۵ آية ۱

(۳) سورة الانعام: ۶ آية ۹۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۷

و قوله «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» خطاب للخلق و اعلام لهم أنه قادر ان شاء ان يميت الخلق و يهلكهم و يجىء بدلهم خلقاً آخر جديداً. و الاذهاب ابعاد الشىء عن الجهة التى كان عليها، و لهذا قيل للاهلاك إذهاب، لأنه ابعاد له عن حال الإيجاد. و الجديد المقطوع عنه العمل فى ابتداء أمره قبل حال خلوّ فيه، و أصله القطع يقال: جدّه يجده جدّاً إذا قطعه، و الجدّ أب الأب، لانقطاعه عن الولادة بالأب، و الجد ضد الهزل، و الجد الحظ.

«وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» اخبار منه تعالى ان إذهابكم و إهلاككم و الإتيان بخلق جديد ليس بممتنع على اللَّه على وجه من الوجوه.

و الممتنع بقدرته: عزيز، و الممتنع بسعة مقدوره عزيز، و الممتنع بكبر نفسه عزيز.

و فى الآية دلالة على ان قدر على الإنشاء قدر على الافناء إذ كان مما لا يتغير حكم القادر، و لا شىء مما يحتاج اليه فى الفعل، لان من قدر على البناء، فهو على الهدم أقدر، فمن كان قادراً على اختراع السماء و الأرض و ما بينهما فهو قادر على إذهاب الخلق و إهلاكهم.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): آية ۲۱] ..... ص : ۲۸۷

وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقالَ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قالُوا لَوْ هَدانَا اللَّهُ لَهَدَيْناكُمْ سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ (۲۱)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى ان الخلق يبرزون يوم القيامة للّه اى يظهرون من قبورهم و البروز خروج الشىء عما كان ملتبساً به الى حيث يقع عليه الحشر فى نفسه، يقال: برز للقتال إذا ظهر له.

«فَقالَ الضُّعَفاءُ» اى يقول الناقص القوة، لان الضعفاء جمع ضعيف، التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۸

و الضعف نقصان القوة، يقال: ضعف يضعف ضعفاً، و أضعفه اللَّه إضعافاً، و الضعف ذهاب مضاعفة القوة «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» اى للذين

طلبوا التكبر.

و الاستكبار و التكبر و التجبر واحد، و هو رفع النفس فوق مقدارها فى الوصف.

و المعنى يقول التابعون للمتبوعين من ساداتهم و كبرائهم «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً» اى طلبنا اللحاق بكم، و اعتمدنا عليكم، و هو جمع تابع، كقولهم: غائب و غيّب.

قال الزجاج: و يجوز ان يكون مصدراً وصف به «فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» اى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا ما لا نقدر على دفعه عن أنفسنا، يقال: أغنى عنى إذا دفع عنى، و أغنانى بمعنى نفى الحاجة عنى بما فيه كفاية. فأجابهم المستكبرون بأنه «لَوْ هَدانَا اللَّهُ» الى طريق الخلاص من العقاب و الوصول الى النعيم و الجنة «لهديناكم» اليه «سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا» أى الجزع و الصبر سيان مثلان، ليس لنا من محيص أى مهرب من عذاب اللّه تعالى يقال: حاص يحيص حيصاً و حيوصاً و حيصاناً، و حاد يحيد حيداً و محيداً، و الحيد الزوال عن المكروه. و الجزع انزعاج النفس بورود ما يغم، و نقيضه الصبر قال الشاعر:

فان تصبرا فالصبر خير مغبة و ان تجزعا فالأمر ما تريان «۱»

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): آية ۲۲] ..... ص : ۲۸۸

وَ قالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ ما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۲۲)

آية بلا خلاف.

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱: ۲۰۲، ۴، ۵۴۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۸۹

قرأ حمزة وحده «بمصرخيّ» بكسر الياء. الباقون بفتحها.

قال ابو على: قال الفراء- فى كتابه فى التصريف: قرأ به الأعمش، و يحيى ابن وثاب، قال و زعم القاسم بن معن أنه صواب، و كان ثقة بصيراً، و زعم قطرب أنه لغة فى بنى يربوع، يزيدون على ياء الاضافة ياء و انشد:

ماض إذا ما همّ بالمضىّ قال لها هل لك يا مامىّ

و انشد ذلك الفراء، و قال الزجاج: هذا الشعر لا يلتفت اليه، و لا هو مما يعرف قائله، قال الرمانى: الكسر لا يجوز عند اكثر النحويين، و اجازه الفراء على ضعف، قال ابو على: وجه جوازه من القياس أن الياء ليست تخلو: أن تكون فى موضع نصب او جر، فالياء فى النصب و الجر كالهاء فى (هما) و كالكاف فى أكرمتك و هذا لك، فكما ان (الهاء) قد لحقتها الزيادة فى هداكه و ضربه، و لحق الكاف الزيادة فى قولهم أعطيتكه او اعطيتكاه فيما حكاه سيبويه، و هما أختا الياء كذلك ألحقوا الياء الزيادة، فقالوا: فيّ، ثم حذفت الياء الزيادة على الياء، كما حذفت الزيادة من (الهاء) فى قول من قال: له أرقان. قال ابو الحسن هى لغة، فكما حذفت الزيادة من الكاف، فقال فى (اعطيتكيه، أعطيتكه) كذلك حذفت الياء اللاحقة الياء، كما حذفت من أختيها، و أقرت الكسرة التى كانت تلى الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة، و كما لحقت الكاف و الهاء الزيادة، كذلك لحقت الياء الزيادة، فلحاق الياء الزيادة نحو ما أنشد من قول الشاعر:

رميته فأصميت و ما أخطأت الرمية

فإذا كانت هذه الكسرة فى الياء على هذه اللغة. و إن كان غيرها أفشى منها.

و عضده من القياس ما ذكرنا لم يجز لقائل ان يقول: إن قراءة القراء بذلك لحن يجوز، لاستقامة ذلك سماعاً و قياساً.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الشيطان يوم القيامة يقول لأوليائه الذين اتبعوه: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۹۰

«إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ» من الثواب و العقاب «و وعدتكم» انا بالخلاص من العقاب بارتكاب المعاصى، و قد خالفت وعدى «وَ ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ» اى لم يكن لى عليكم حجة، و لا- برهان اكثر من ان دعوتكم الى الضلال و أغويتكم، فأجبتمونى و اتبعتمونى «فَلا تَلُومُونِي» فى ذلك «وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ» بارتكاب المعاصى و خلافكم اللَّه و ترككم ما أمركم به «ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ ما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ» يقال: استصرخنى فأصرخته، اى استغاثنى فأغثته، فالاصراخ الاغاثة. و المعنى ما انا بمغيثكم و ما أنتم بمغيثىّ «إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ» حكاية عن قول الشيطان لأوليائه انه يقول لهم «انى كفرت» بشرككم باللَّه و متابعتكم لى قبل هذا اليوم. ثم اخبر تعالى «إن الظالمين» الكافرين «لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» مؤلم شديد الألم، و يصح ان يلوم الإنسان نفسه على الاساءة، كما يصح حمدها على الإحسان قال الشاعر:

صحبتك إذ عينى عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسى ألومها «۱»

قال الجبائى: و فى الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على الإضرار بالإنسان اكثر من إغوائه و دعائه الى المعاصى، فأما بغير ذلك فلا يقدر عليه، لأنه اخبر بذلك، و يجب ان يكون صادقاً، لأن الآخرة لا يقع فيها من احد قبيح لكونهم ملجئين الى تركه.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۲۳ الى ۲۵] ..... ص : ۲۹۰

وَ أُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ (۲۳) أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ (۲۴) تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۲۵)

---

(۱) قائله الحارث بن خالد المخزومى. اللسان (غشا)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۹۱

ثلاث آيات فى الكوفى و البصرى تمام الثانية «فى السماء» و آيتان فى الباقى اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذين يؤمنون به، و يصدقون بوحدانيته، و يعترفون بنبوّة أنبيائه و يعملون بما دعاهم اليه من الطاعات و الاعمال الصالحات يدخلهم اللَّه يوم القيامة جنات من صفتها انه تجرى من تحتها الأنهار، لان الجنة البستان الذى يجنه الشجر، فالأنهار تجرى من تحت الأشجار، و قيل انهار الجنة فى أخاديد فى الأرض «خالدين فيها» اى مؤبدين فيها دائمين، و نصبه على الحال من حيث انها تدوم لهم «بإذن ربهم» أى بأمر ربهم و إطلاقه، يخلدون فيها، و يكون تحية بعضهم لبعض فى الجنة «سلام». و التحية التلقى بالكرامة فى المخاطبة، كقولك أحياك اللَّه حياة طيبة، سلام عليك، و ما أشبه ذلك تبشيراً لهم بدوام السلامة.

ثم قال لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ» انما ضرب المثل بالكلمة الطيبة للدعاء اليها فى كل باب يحتاج الى العمل عليه، و فى كل باب من أبواب العلم. و معنى «فَرْعُها فِي السَّماءِ» مبالغة له فى الرفعة، فالأصل سافل، و الفرع عال، إلا أنه من الأصل يوصل الى الفرع. و الأصل فى باب العلم مشبه بأصل الشجرة التى تؤدى الى الثمرة التى هى فرع ذلك الأصل، و يشبه بأصل الدرجة التى يترقى منها الى على مرتبة.

و

روى انس بن مالك عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم أن هذه الشجرة الطيبة هى النخلة.

و قال ابن عباس: هى شجرة فى الجنة.

و قوله «تُؤْتِی أُکُلَها» ای تخرج هذه الشجرهٔ الطیبهٔ- و هی النخلهٔ- ما یؤکل منها فی کل حین. و قال ابن عباس- فی روایهٔ- یعنی ستهٔ أشهر الی صرام النخل، و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد الله (ع)

، و به قال سعید بن جبیر، و الحسن.

و قال مجاهد و ابن زید: کل سنهٔ. و قال سعید بن المسیب: الحین شهران. و فی روایهٔ اخری عن ابن عباس: غدوهٔ و عشیهٔ، و قال قوم: من أکل النخلهٔ: الطلع التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۹۲

و الرطب و البسر و التمر، فهو دائم لا ینقطع علی هذه الصفهٔ، و أهل اللغهٔ یذهبون الی ان الحین هو الوقت، قال النابغهٔ:

یبادرها الراقون من سوء سمها تطلقه حیناً و حیناً تراجع «۱»

کذا رواه الاصمعی و (مثلا) منصوب ب (ضرب) و التقدیر ضرب الله کلمهٔ طیبهٔ مثلًا «بإذن ربها» ای یخرج هذا الأکل فی کل حین بأمر الله و خلقه إیاه «وَ یَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ» اخبار منه تعالی انه یضرب المثل للکلمهٔ الطیبهٔ بالشجرهٔ الطیبهٔ فی البادیهٔ و العاقبهٔ، لکی یتذکروا و یتفکروا فیه و یعتبروا به، فیؤدیهم ذلک الی دخول الجنهٔ و حصول الثواب.

و فائدهٔ الآیهٔ ان الله ضرب للایمان مثلًا و للکفر مثلًا، فجعل مثل المؤمن الشجرهٔ الطیبهٔ التی لا ینقطع نفعها و ثمرها، و هی النخلهٔ ینتفع بها فی کل وقت، لا ینقطع نفعها البتهٔ، لأنه ینتفع بطلعها، و بسرها، و رطبها، و تمرها، و سعفها، و لیفها، و خوصها، و جذعها. و مثل الکافر بالشجرهٔ الخبیثهٔ و هی الحنظلهٔ.

و قیل الأکشوث لا انتفاع به، و لا قرار له و لا أصل، فکذلک الکفر لا نفع فیه و لا ثبات.

قوله تعالی:[سورهٔ إبراهیم (۱۴): الآیات ۲۶ الی ۲۷] ..... ص : ۲۹۲

وَ مَثَلُ کَلِمَهٍٔ خَبِیثَهٍٔ کَشَجَرَهٍٔ خَبِیثَهٍٔ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ (۲۶) یُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِی الْحَیاهِٔ الدُّنْیا وَ فِی الْآخِرَهِٔ وَ یُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِینَ وَ یَفْعَلُ اللَّهُ ما یَشاءُ (۲۷)

آیتان بلا خلاف.

لما ضرب الله المثل للکلمهٔ الطیبهٔ بالشجرهٔ الطیبهٔ التی ذکرها و أکلها، ضرب

---

(۱) دیوانه (دار بیروت) ۸۰ و روایته:

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً و طوراً تراجع

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۲۹۳

المثل للکلمهٔ الخبیثهٔ بالشجرهٔ الخبیثهٔ التی تجتث ای تقلع، یقال: اجتثه اجتثاثاً و جثه جثاً، و منه الجثهٔ، و الاجتثاث الاستئصال للشیء و اقتلاعه من أصله، و قال انس بن مالک و مجاهد: الشجرهٔ الممثل بها هی شجرهٔ الحنظل، قال أنس:

و هی السرمان. و قال ابن عباس: هی شجرهٔ لم تخلق بعد. و المثل قول سائر یشبه فیه حال الثانی بالأول، و التشبیه فی الأمثال، لما یحتاج الیه من البیان و هو علی وجهین: أحدهما- ما یظهر فیه اداهٔ التشبیه. و الآخر- ما لا یظهر فیه.

و الکلمهٔ الواحدهٔ من الکلام، و لذلک یقال للقصیدهٔ کلمهٔ، لأنها قصیدهٔ واحدهٔ من الکلام. و الکلمهٔ إنما تکون خبیثهٔ إذا خبث معناها. و هی کلمهٔ الکفر، و الطیبهٔ کلمهٔ الایمان، و الخبث فساد یؤدی الی فساد.

و قوله «یُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِی الْحَیاهِٔ الدُّنْیا» یعنی کلمهٔ الایمان «و فی الاخرهٔ» قال ابن عباس و البراء بن عازب: هی المسألهٔ فی القبر إذا أتاه الملک، فقال له من ربک و ما دینک و من نبیک؟ فیقول: ربی الله و دینی الإسلام و نبی محمد صلّی اللَّه علیه و سلم. و قال قوم: معنی «یُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِی الْحَیاهِٔ الدُّنْیا» یعنی الایمان یثبتهم الله بثوابه فی الجنهٔ و یمدحهم

فيها.

و قوله «وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظّالِمِينَ» يحتمل أمرين:

أحدهما- يحكم بضلال الظالمين.

الثانى- يضلهم عن طريق الجنة الى طريق النار «وَ يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ» من ذلك لا اعتراض عليه فى ذلك و لا فى غيره مما يريد فعله.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۲۸ الى ۳۰] ..... ص : ۲۹۳

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ (۲۸) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ (۲۹) وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّارِ (۳۰)

ثلاث آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۲۹۴

قيل فى من نزل فيه قوله «الذين بدلوا نعمة الله كفرا» قولان:

أحدهما-

قال امير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، و ابن عباس، و سعيد ابن جبير، و مجاهد، و الضحاك: انهم كفار قريش، فقال (ع): (أما بنو المغيرة فأبادهم اللَّه يوم بدر، و أما بنو أمية فقد أمهلوا إلى يوم ما)

و قال قتادة: هم القادة من كفار قريش. و روى عن عمر أنه قال: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة و بنو أمية. فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، و اما بنو المغيرة فقتلوهم يوم بدر.

أنعم اللَّه تعالى عليهم بالنبى صلّى اللَّه عليه و سلم، فكفروا به و دعوا قومهم الى الكفر به، فقال اللَّه تعالى لنبيه: أما تنظر الى هؤلاء الذين كفروا بنعم اللَّه و بدلوا مكان الشكر عليها كفراً «وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ» أى أنزلوا قومهم دار الهلاك بدعائهم إياهم الى الكفر بالنبى صلّى اللَّه عليه و سلم و إغوائهم إياهم و صدهم عن الايمان به.

و التبديل جعل الشىء مكان غيره، فهؤلاء القوم لما جعلوا الكفر بالنعمة مكان شكرها، كانوا قد بدلوا أقبح تبديل. و الإحلال وضع الشىء فى محل، اما مجاوره إن كان من قبيل الأجسام، او مداخله إن كان من قبيل الاعراض.

و البوار الهلاك، بار الشىء يبور بوراً إذا هلك و بطل. قال ابن الزبعرى.

يا رسول المليك ان لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور «۱»

و قوله «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها» فى موضع نصب بدلًا من قوله «دارَ الْبَوارِ» لأنه تفسير لهذه الدار «يصلونها» اى يصلون فيها و يشتون فيها.

ثم أخبر انها بئس القرار اى بئس المستقر و المأوى.

ثم قال: ان هؤلاء الذين بدلوا نعمة اللَّه كفراً و أحلوا قومهم دار البوار «جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً» زيادة على كفرهم و جحدهم نعم اللَّه. و الأنداد جمع ند، و هم الأمثال المناوءن، قال الشاعر:

---

(۱) قائله عبد اللَّه بن الزبعرى السهمى. تفسير الطبرى ۱۳: ۱۳۰، و مجاز القرآن ۱: ۳۴۰ و اللسان (بور)، و روايته (يا رسول الإله)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۲۹۵

نهدى رؤس المترفين الأنداد الى امير المؤمنين الممتاد «۱»

«لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ» اى لتكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذى هو الهلاك، و اللام لام العاقبة، و ليست بلام الغرض، لأنهم ما عبدوا الأوثان من دون اللَّه، و غرضهم ان يهلكوا، بل لما كان لأجل عبادتهم لها استحقوا الهلاك و العذاب عبر عن ذلك بهذه اللام، كما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۲» و إنما التقطوه ليكون لهم قرة عين، و لكن لما كان عاقبة ذلك انه كان عدوهم

فعبر عنه بهذه اللام.

و قرأ بضم الياء و كسر الضاد، و المعنى انهم فعلوا ذلك ليضلوا غيرهم عن سبيل الحق الذى هو الطريق الى ثواب اللَّه و النعيم فى جنته، فقال اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم قل لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم «تمتعوا» و انتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا، فصورته صورة الأمر و المراد به التهديد بدلالة قوله «فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ» و المعنى مرجعكم و مآلكم الى النار و الكون فيها عما قليل.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): آية ۳۱] ..... ص : ۲۹۵

قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ (۳۱)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه ان يقول لعباده المؤمنين المعترفين بتوحيد اللَّه و عدله يداومون على فعل الصلاة و يقيمونها بشرائطها و ينفقون مما رزقهم اللَّه سرّاً و علانية أى ظاهراً و باطناً، و موضع «يقيموا» جزم من ثلاثة أوجه:

---

(۱) قائله العجاج ديوانه ۴۰ و مجاز القرآن ۱: ۳۰۰ و تفسير الطبرى ۱۲: ۷۹ و مجمع البيان ۳: ۲۰۰ و قد مر فى ۴: ۶۳، ۶: ۸۲

(۲) سورة القصص آية ۸.

أحدها- انه جواب الأمر و هو «قل».

الثانى- هو جواب أمر محذوف، و تقديره قل لهم أقيموا يقيموا.

الثالث- بحذف لام الأمر لأن فى «قل» دلالة عليه، و المعنى ليقيموا، و على هذا يجوز ان تقول: قل له يضرب، و لا يجوز يضرب زيداً، لأنه عوض من المحذوف ذكره الزجاج.

«مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ» المعنى بادروا بافعال الخير من اقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و أفعال الخير «قبل ان» يأتيكم يوم القيامة الذى لا بيع فيه و لا شراء، و المراد- هاهنا- و لا فداء تفدون بها نفوسكم من عذاب اللَّه «و لا خلال» اى و لا مخالة، تقول: خاللت فلاناً مخالة و خلالا، قال امرؤ القيس:

صرفت الهوى عنهنّ من خيفة الردى و لست بمقلى الخلال و لا قالى «۱»

و المخالة اصفاء المودة، و قد يكون الخلال جمع خلّة مثل قلّة، و قلال.

و ظلة و ظلال.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۳۲ الى ۳۴] ..... ص : ۲۹۶

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ (۳۲) وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ (۳۳) وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (۳۴)

ثلاث آيات فى الكوفى و المدنيين و آيتان فيما عداها، آخر الاولى «الأنهار».

أخبر اللَّه تعالى انه (جل و عز) اخترع السموات و الأرض و انشأهما بلا معين

---

(۱) ديوانه: ۱۱۳ و تفسير الطبرى ۱۳: ۱۳۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۹۷

و لا- مشير «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً فأخرج بـذلك الماء الثمرات رزقاً لعباده، و سخر لهم المراكب فى البحر لتجرى بأمر اللَّه، لأنها تسير بالرياح و اللَّه تعالى المنشئ للرياح «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ» التى تجرى بالمياه التى ينزلها من السماء، و يجريها فى الأوديـة، و ينصبّ منها فى الأنهار «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ» معناه ذلل لكم الشمس و القمر و مهدهما لمنافعكم، و تدبير اللَّه لما سخره للعباد ظاهر لكل عاقل متأمل لا يمكنه الانصراف عنه إلا على وجه المعانـدة و المكابرة، و الـدؤوب مرور الشيء فى العمل على عادة جارية فيه دأب يـدأب دأباً و دؤوباً فهو دائب، و المعنى دائبين، لا يفتران، فى صلاح الخلق و النبات، و منافعهم «وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ» أى ذللهما لكم، و مهدهما لمنافعكم، لتسكنوا فى الليل، و تبتغوا فى النهار من فضله «وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ» معناه ان الإنسان قد يسأل اللَّه العافية فيعطى، و يسأله النجاة فيعطى، و يسأله الغنى فيعطى، و يسأله الملك فيعطى، و يسأله الولد فيعطى، و يسأله العز و تيسير الأمور و شرح الصدر فيعطى، فهذا فى الجملة حاصل فى الدعاء للَّه تعالى ما لم يكن فيه مفسدة فى الـدين عليه و على غيره، فأين يـذهب به مع هـذه النعم التى لا- تحصى كثرة، عن اللَّه الـذى هو فى كل حال يحتاج اليه، و هو مظاهر بالنعم عليه.

و دخلت (من) للتبعيض، لأنه لو كان و آتاكم كل ما سألتموه لاقتضى ان جميع ما يسأله العبد يعطيه اللَّه، و الامر بخلافه، لان (من) تنبئ عنه.

و قال قوم: ليس من شيء الا و قد سأله بعض الناس، و التقدير كل ما سألتموه قد أتى بعضكم.

و قوله «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها» معناه و ان ترموا عدها بقصدكم اليه لا تحصونها لكثرتها، و يروى عن طلق بن حبيب، أنه قال: ان حق اللَّه أثقل من ان تقوم به العباد، و ان نعم اللَّه اكثر من ان تحصيها العباد، و لكن، أصبحوا تائبين، و امسوا تائبين.

و قوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» اخبار منه تعالى أن الإنسان يعنى من تقدم وصفه بالكفر كثير الظلم لنفسه و لغيره، و كفور لنعم اللَّه غير مؤد لشكرها. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۹۸

و قرئ «من كلّ ما سألتموه» بالتنوين، قال الفراء: كأنهم ذهبوا الى أنا لم نسأله تعالى شمساً و لا قمراً و لا كثيراً من نعمه فكأنه قال: و آتاكم من كل ما لم سألتموه، و الاول أعجب إليّ، لان المعنى آتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قال و آتاكم من كل سؤلكم، كما تقول: و اللَّه لأعطينك سؤلك ما بلغته مسألتك و ان لم تسأل. قال المبرد: يريد ما يخطر ببالك، و من أضاف جعل (ما) فى موضع نصب، و هى بمعنى الذى. و من نون جعلها نافية.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۳۵ الى ۳۶] ..... ص : ۲۹۸

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ (۳۵) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۶)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم اذكر «وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ» يا «رَبِّ اجْعَلْ هـَذَا الْبَلَدَ» يعنى مكة و ما حولها من الحرم «آمنا» يعنى يـأمن النـاس فيه على نفوسـهم و أموالهم. (و الامن) سكون النفس الى زوال الضرر، و هو نقيض الخوف، و مثله الطمأنينة الى الامر.

و قوله «و اجنبنى» اى اصرفنى عنه، جنبته او جنبه، جنباً و جنبته الشر تجنيباً، و اجنبته اجتناباً، قال الشاعر:

و تنقض عهده شفقاً عليه و تجنبه قلائصنا الصعابا»

«و اجنبنی» ای و اصرفنی «وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ» ای جنبنا عبادة الأصنام بلطف من الطافك الذی نختار عنده الامتناع من عبادتها. و دعاء الأنبياء

(۱) تفسير الطبری ۱۳: ۱۱۳ و مجاز القران ۱: ۳۴۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۲۹۹

لا يكون الا مستجاباً، فعلی هذا يكون سؤاله ان يجنب نبيه عبادة الأصنام مخصوصاً بمن علم اللّه من حاله ان يكون مؤمناً، لا يعبد الا اللّه، و يكون اللّه تعالی اذن له فی الدعاء لهم، فيجيب اللّه تعالی ذلك لهم.

و قوله «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ» اخبار من ابراهيم ان هذه الأصنام ضل كثير من الناس بها حتی عبدوها فكأنها اضلتهم، كما يقول القائل:

فتنتنی فلانة ای فتنت بها، قال الشاعر:

هبونی امرءاً منكم أضل بغيره

يعنی ضل بعيره عنه، لان احداً لا يضل بغيره قاصداً الی إضلاله.

و قوله «فمن تبعنی» حكاية ما قال ابراهيم من ان من يتبعه فی عبادة اللّه وحده و ترك عبادة الأصنام، فانه منه و علی دينه. «وَ مَنْ عَصانِي» فی ذلك و عبد مع اللّه غيره، و عصاه فی أوامره «فإنك» يا اللّه «غفور رحيم» ای ستار علی عبادك معاصيهم رحيم بهم ای منعم عليهم فی جميع الأحوال. و قيل المعنی «فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» بهم ان تابوا و اقلعوا عماهم عليه من الكفر.

قوله تعالی:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۳۷ الی ۳۸] ..... ص : ۲۹۹

رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (۳۷) رَبَّنا إِنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِي وَ ما نُعْلِنُ وَ ما يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ (۳۸)

آيتان بلا خلاف.

هذا حكاية ما دعا به ابراهيم (ع)، فإنه قال يا رب «إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي» ای جعلت مأواهم و مقرهم الذی يقرون فيه و يسكنون اليه.

و السكنی اتخاذ التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰۰

مأوی لصاحبه يسكن اليه فی ليله، و متی يشاء من أوقاته، اسكن البلدة و الدار إذا جعله مأوی له، (و الذرية) جماعة الولد علی تنسئة من حين يظهر الی ان يكبر، و المراد بالذرية هاهنا: إسماعيل و امه هاجر حين اسكنه وادی مكة، و هو الأبطح، و لم يذكر مفعول أسكنت، لان (من) تفيد بعض القوم، كما يقال: قتلنا من بنی فلان، و أكلنا من الطعام، و شربنا من الماء، قال تعالی «أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» «۱» فموضع (من) نصب و الوادی سفح الجبل العظيم و من ذلك قيل للأنهار العظام اودية، لان حافاتها كالجبال لها، و منه الدّية، لأنها مال عظيم يتحمل فی امر عظيم من قتل النفس المحرمة.

«غَيْرِ ذِي زَرْعٍ» أی لا زرع فی هذا الوادی أی لا نبات فيه، و الزرع كل نبات ينغرس من غير ساق، و جمعه زروع «عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» معناه حرم فيه ما أحل فی غيره من البيوت، من الجماع، و الملابسة بشیء من الدم، و النجاسة، و انما أضاف البيت الی اللّه، لأنه مالكه من غير ان يملكه احد سواه، لأن ما عداه قد ملك غيره من العباد. و سماه بيتاً قبل ان يبنيه ابراهيم لأمرين:

أحدهما:- انه لما كان المعلوم انه يبنيه فسماه ما يكون بيتاً.

و الثانی- قيل أنه كان البيت قبل ذلك، و انما خربته طسم و اندوس. و قيل انه رفع عند الطوفان الی السماء.

و قوله «رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ» ای أسكنتهم هذا الوادی ليدوموا علی الصلاة و يقيموها بشرائطها.

«فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ» سؤال من ابراهیم (ع) ان یجعل اللَّه تعالی قلوب الخلق تحن الی ذلک الموضع، لیکون فی ذلک انس ذریته بمن یرد من الوفود و یدرّ أرزاقهم علی مرور الأوقات. «وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ» مسألة منه ان یرزق ذریته من انواع الثمار لکی یشکروه علی نعمه و فنون إحسانه.

---

(۱) سورة الاعراف- ۷- آیة ۵۰

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۰۱

«رَبَّنا إِنَّکَ تَعْلَمُ ما نُخْفِی وَ ما نُعْلِنُ» اعتراف من ابراهیم للَّه تعالی بانه «عز و جل» یعلم ما یخفی الخلق و ما یظهرونه، و انه لا یخفی علیه شیء من ذلک مما یکون فی الأرض، و مما یکون فی السماء مع عظمها و بعد ما بینهما، لأنه عالم لنفسه بجمیع المعلومات. و قال قوم: ان قوله «وَ ما یَخْفی عَلَی اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ» اخبار منه تعالی بذلک دون الحکایة.

قوله تعالی:[سورة إبراهیم (۱۴): الآیات ۳۹ الی ۴۱] ..... ص : ۳۰۱

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی وَهَبَ لِی عَلَی الْکِبَرِ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ الدُّعاءِ (۳۹) رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی رَبَّنا وَ تَقَبَّلْ دُعاءِ (۴۰) رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ (۴۱)

ثلاث آیات بلا خلاف.

هذا حکایة من اللَّه تعالی باعتراف ابراهیم (ع) بنعم اللَّه تعالی، و حمده إیاه علی إحسانه بما وهب له علی کبر سنه ولدین: إسماعیل و اسحق. و انه اخبر بأن ربه الذی خلقه یجیب الدعاء لمن یدعوه و ذلک یدل علی انه کان تقدم منه مسألة للَّه تعالی أن یهب له ولداً، فلذلک کان مجیباً له. و الحمد هو الوصف الجمیل علی وجه التعظیم لصاحبه و الإجلال له و فرق الرمانی بین الحمد و المدح بان المدح: هو الوصف للشیء بالخیر من جهته علی وجه التعظیم له، فعله او لم یفعله، و لکن کان سبباً یؤدی الیه، و لیس کذلک الحمد. و الذم: نقیض لهما، لأنه الوصف بالقبیح علی جهة التحقیر. و الهبة عطیة التملیک من غیر عقد مثامنة یقال: وهب له کذا یهبه هبة، فهو واهب. و الدعاء طلب الفعل بدلالة القول و ما دعا اللَّه (عز و جل) الیه فقد أمر به و رغب فیه، و ما دعا العبد به ربّه فالعبد راغب فیه، و لذلک لا یجوز ان یدعو الإنسان بلعنه و لا عقابه، و یجوز ان یدعو علی غیره به. و التقبل أخذ العمل علی طریقة إیجاب الحق به مقابلة علیه.

و قال سعید بن جبیر: بشر ابراهیم بالولد بعد مائة و سبعة عشرة سنة. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۰۲

و قوله «رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاةِ» سؤال من ابراهیم (ع) للَّه تعالی ان یجعله ممن یقیم شرائط الصلاة و یدوم علیها بلطف یفعله به یختار ذلک عنده، و سأله ان یفعل مثل ذلک بذریته، و أن یجعل منهم جماعة یقیمون الصلاة، و هم الذین اعلمه اللَّه ان یقوموا بها دون الکفار الذین لا یقیمون الصلاة «رَبَّنا وَ تَقَبَّلْ دُعاءِ» رغبة منه الیه تعالی ان یجیب دعاءه فیما سأله.

و قوله «رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ» نداء من ابراهیم للَّه تعالی ان یغفر له و لوالدیه و لجمیع المؤمنین، و هو ان یستر علیهم ما وقع منهم من المعاصی عند من أجاز الصغائر علیهم، و من لم یجز ذلک حمل ذلک علی أنه انقطاع منه الیه تعالی فیما یتعلق به، و سؤال علی الحقیقة فی غیره. و قد بینا ان أبوی ابراهیم لم یکونا کافرین «۱» و فی الآیة دلالة علی ذلک، لأنه سأل المغفرة لهما یوم القیامة، فلو کانا کافرین لما قال ذلک، لأنه قال تعالی «فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ» «۲» فدل ذلک علی ان أباه الذی کان کافراً جده لأمه او عمه علی الخلاف. قال البلخی: ان أمه کانت مؤمنة، لأنه سأل ان یغفر لأبیه و حکی أنه «کانَ مِنَ الضَّالِّینَ» «۳» و قال «إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ» «۴» و لم یقل لأبویه «یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ» أی یقوم فیه الحساب. و العامل فی یوم قوله (اغفر).

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۲ الى ۴۳] ..... ص : ۳۰۲

وَ لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ (۴۲) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ (۴۳)

آيتان بلا خلاف.

---

(۱) انظر ۴: ۱۸۹ من هذا الكتاب.

(۲) سورة التوبة آية ۱۱۵

(۳) سورة الشعراء آية ۸۶ [.....]

(۴) سورة الممتحنة آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰۳

قرأ الجماعة «انما يؤخرهم» بالياء. و روى عن أبى عمرو بالنون قال أبو على: وجه القراءة بالياء ان الغيبة للمفرد قد تقدم، فتكون بالياء على «فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ ... إنما يؤخرهم» و وجه القراءة بالنون أنه مثل الياء فى المعنى، و قد تقدم مثله كثيراً هذا خطاب للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم نهاه اللَّه تعالى، و المراد به الامة ان يظن ان اللَّه غافل عن أعمال الظالمين، و مهمل لأمورهم. و الغفلة و السهو واحد. ثم بين اللَّه تعالى أنه إنما لم يعاجلهم بالعقوبة و يؤخر عقابهم ليعذبهم فى اليوم الذى تشخص فيه الأبصار، و هو يوم القيامة. و شخوص البصر ان تبقى العين مفتوحة لا تنطبق لعظم ذلك اليوم «مهطعين» قال سعيد بن جبير و الحسن و قتادة: مسرعين، يقال: أهطع اهطاعاً إذا أسرع قال الشاعر:

بمهطع سرح كان زمامه فى رأس جذع من أراك مشذّب «۱»

و قال الآخر:

بمستهطع رسل كان جديله بقيدوم رعن من صوام ممنع «۲»

و قال ابن عباس: المهطع الدائم النظر لا تطرف عينه، و قال ابن دريد: المهطع: المطرق الذى لا- يرفع رأسه. و قوله «مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ» قال ابن عباس و مجاهد و الضحاك و قتادة و ابن زيد: معناه رافعى رؤسهم و اقناع الرأس رفعه، قال الشماخ:

يباكرن العضاه بمقنعات نواجذهنّ كالحدإ الرقيع «۳»

يعنى يباكرن العضاة بمقنعات اى برءوس مرفوعات اليها ليتناول منها، يصف

---

(۱) مجاز القران ۱: ۳۴۲ و تفسير الطبرى ۱۳: ۱۴۱

(۲) اللسان، و التاج (قدم) و الأساس (هطع) و مجاز القرآن ۱: ۳۴۳ و تفسير الطبرى ۱۳: ۱۴۲،

(۳) ديوانه ۵۶ و مجاز القرآن ۱: ۳۴۳ و الطبرى ۱۳: ۱۴۲ و اللسان و التاج (حدأ) و مجمع البيان ۳: ۳۲۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰۴

ابلًا له ترعى الشجر، و أن أسنانها مرتفعة كالفؤس، و قال الراجز:

انقض نحوى رأسه و اقنعا كأنما أبصر شيئاً اطمعا «۱»

و قوله «لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ» اى لا ترجع اليهم أعينهم و لا يطبقونها.

و قوله «وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ» معناه منخرقة لا تعى شيئاً للخوف و الفزع الذى دخلها، فهى كهواء الجو، فى الانخراق و بطلان الإمساك.

و قوله «يوم يـأتيهم» نصب على انه مفعول به و العامـل فيه أنـذرهم، كـأنه قال خوفهم عقاب اللَّه، و لا يكون على الظرف، لأنه لم يؤمر بالإنذار فى ذلك اليوم. و قيل فى قوله «وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ» ثلاثة اقوال.

أولها- قال ابن عباس و مرة و الحسن: منخرقة لا تعى شيئاً، و فارغة من كل شىء إلا من ذكر إجابة الداعى.

الثانى- قال سعيد بن جبير: يردد فى أجوافهم لا يستقر فى مكان.

الثـالث- قـال قتـادة: خرجت الى الحنـاجر لاـ تنفصل، و لا تعود، و كل ذلك تشبيه بهواء الجو، و الاول أعرف فى كلام العرب. و قال حسان بن ثابت:

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نخب هواء «۲»

و قال زهير:

كأن الرحل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء «۳»

و قيل ان الظليم لا فؤاد له و قال آخر:

و لأنك من أخدان كل يراعة هواء كسقب البان خوفا يكاسره «۴»

---

(۱) تفسير الشوكانى ۳: ۱۱۰ و تفسير الطبرى ۱۳: ۱۴۲ و مجاز القرآن ۱: ۳۴۴

(۲) ديوانه ۸ و اللسان و التاج (هوء، جوف) و الطبرى ۱۳: ۱۴۴ و مجمع البيان ۳: ۳۲۰ و قد مر فى ۱: ۴۱ من هذا الكتاب.

(۳) ديوانه (دار بيروت) ۹، و مجمع البيان ۳: ۳۲۰

(۴) هذا البيت منسوب الى صخر الغى. و نسب ايضاً الى كعب. التاج (هوا) و الطبرى ۱۳: ۱۴۴ و مجاز القرآن ۱: ۳۴۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰۵

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): آية ۴۴] ..... ص : ۳۰۵

وَ أَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنا أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ (۴۴)

آية بلا خلاف.

امر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يقول للناس على وجه التخويف لهم من عقابه، و يحذرهم يوم يجيئهم العذاب من اللَّه على معاصيهم فى دار الدنيا، و هو يوم القيامة، و يقول «الذين ظلموا» نفوسهم بارتكاب المعاصى و ترك الواجبات يا «رَبَّنا أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ» أى ردنا الى الدنيا و اجعل ذلك مدة قريبة تجب دعوتك فيها و نتبع رسلك فيما يدعوننا اليه، فيقول اللَّه تعالى «أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ» و حلفتم فى دار الدنيا «ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ». قال مجاهد: معناه إنهم اقسموا فى الدنيا أنه ليس لهم انتقال من الدنيا الى الآخرة. و قال الحسن: معناه «من زوال» الى العذاب.

و الأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمـد، و الأمد مدة من المدد، فإنما طلبوا أجلًا يستدركون فيه ما فات من الفساد بالصلاح، و فى المعلوم أنهم يبعدون من الفلاح.

و فى الآيـة دلالـة على ان أهل الآخرة غير مكلفين بخلاف ما يقول النجار و جماعـة من المجبرة، لأنهم لو كانوا مكلفين لما كان لقوله «أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ» معنى، لأنهم مكلفون، و كانوا يؤمنون و يتخلصون من العقاب.

و قوله «فيقول» رفع عطفاً على قوله «يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذابُ» و ليس بجواب الامر لأنه لو كان جواباً له لجاز فيه النصب و الرفع، فالنصب

مثل قول الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰۶

يا ناق سيرى عنقاً فسيحا الى سليمان فنستريحا «۱»

و الرفع على الاستئناف و ذكر الفراء ان العلاء بن سبابة كان لا ينصب فى جواب الأمر بالفاء قال: و العلاء هو الذى علم معاذاً و لهواً و أصحابه.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۵ الى ۴۶] ..... ص : ۳۰۶

وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ (۴۵) وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ (۴۶)

آيتان بلا خلاف.

قرأ الكسائى وحده

«لتزول» بفتح اللام الأولى، و ضمّ الثانية. و روى ذلك عن على (ع).

الباقون بكسر اللام الاولى و فتح الثانية.

قال أبو على: من كسر اللام الأولى و فتح الثانية جعل (إن) بمعنى (ما) و التقدير و ما كان مكرهم لنزول، و مثل ذلك قوله «إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» «۲». و معناه ما الكافرون، و معنى الآية «وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ» اى جزاء مكرهم، فحذف المضاف كما حذف من قوله «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا، وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ» «۳» اى جزاؤه، و المعنى قد عرف اللَّه مكرهم، فهو يجازيهم عليه و ما كان مكرهم لتزول منه الجبال. و (الجبال) كأنه أراد بها القرآن و أمر النبى صلّى اللَّه عليه و سلم و أعلامه و دلالاته أى ما كان ليزول منه ما هو مثل الجبال فى امتناعه ممّن أراد إزالته.

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۳: ۱۴۴ و مجمع البيان ۳: ۳۲۰. و اكثر كتب النحو يستشهدون به على إضمار (أن) بعد الفاء المسبوقة بطلب.

(۲) سورة الملك (تبارك) ۶۷ آية ۲۰

(۳) سورة الشورى ۴۲ آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰۷

و من قرأ بفتح اللام الأولى و ضمّ الثانية جعل (إن) هى المخففة من الثقيلة على تعظيم أمر مكرهم، و هو فى تعظيم مكرهم، كما قال فى موضع آخر «وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً» «۱» أى قد كان مكرهم من الكبر و العظم بحيث يكاد يزيل ما هو مثل الجبال فى الامتناع، على من أراد إزالته و مثله فى تعظيم الأمر قول الشاعر:

ألم تر صدعاً فى السماء مبينا على ابن لبينى الحارث بن هشام «۲»

و قال آخر:

بكى حارث الجولان من موت ربه و حوران منه خاشع متضائل «۳»

و قال أوس:

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم و القمر الواجب «۴»

فهذا كله على تعظيم الامر و تفخيمه و يدل على ان الجبال يعنى بها أمر النبى صلّى اللَّه عليه و سلم قوله بعد ذلك «فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ» اى بعد وعدك الظهور عليهم و الغلبة لهم فى قوله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» «۵» و فى قوله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ» «۶» و قد استعمل لفظ الجبال فى غير هذا فى تعظيم الشيء و تفخيمه قال ابن مقبل:

إذا مت عن ذكر القوافى فلن ترى لها شاعراً مثلى أطب و اشعرا

و اكثر بيتاً شاعراً ضربت به بطون جبال الشعر حتى تيسرا «۷»

---

(۱) سورة نوح ۷۱ آية ۲۲

(۲) مجمع البيان ۳: ۳۲۲

(۳) قائلة النابغة الذبيانى. ديوانه (دار بيروت) ۹۱ و اللسان (حرث) و روايته الـديوان (موحش) بدل (خاشع) و روايتهما معاً (فقد) بدل (موت). [.....]

(۴) ديوانه (دار بيروت) ۱۰ و روايته:

أَلم تكسف الشمس و البدر و ال - كواكب للجبل الواجب

(۵) سورة التوبة آية ۳۴ و سورة الفتح آية ۲۸ و سورة الصف آية ۹

(۶) سورة آل عمران آية ۱۲

(۷) مجمع البيان ۳: ۳۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰۸

يقول اللّه تعالى للكفار «أ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ» مما أنتم عليه من النعيم و أنتم «سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب المعاصى و كفران نعم اللّه، فأهلكهم اللّه «وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ» و المعنى ان مثلكم كمثلهم فى الإهلاك إذا أقمتم على ما أقاموا عليه، من الفساد و التتابع فى المعاصى «وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» يعنى الكفار الذين ظلموا أنفسهم مكروا بالنبى صلّى اللّه عليه و سلم و احتالوا له، و مكروا بالمؤمنين و خدعوهم «و عند الله» جزاء مكرهم، و لم يكن مكرهم ليبطل حجج القرآن و ما معك من دلائل النبوّة، فلا يبطل شىء منه، لأنه ثابت بالدليل و البرهان.

و على القراءة الأولى و لو كان مكرهم يزيل الجبال من عظمه و شدته، لما أزال أمر النبى صلّى اللّه عليه و سلم لأنه أثبت من الجبال.

و

روى عن على (ع) و جماعة انهم قرؤوا «وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ» من المقاربة.

قال سعيد بن جبير و غيره: ان قوله «وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» نزلت فى صاحب النسرين الذى أراد صعود السماء. و قال قوم: مكرهم كفرهم باللّه و شركهم فى عبادته.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۷ الى ۴۸] ..... ص : ۳۰۸

فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ (۴۷) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (۴۸)

آيتان بلا خلاف.

قرئ فى الشواذ «مخلف وعدَه رسلِه» و هى شاذة رديئة، لأنه لا يجوز ان يفصل بين المضاف و المضاف إليه، و انشد الفراء:

فزججتها بمزجة زج القلوص أبى مزاده «۱»

---

(۱) انظر ۴: ۳۰۹ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۰۹

و المعنى زج أبى مزادة القلوص، و الصحيح ما عليه القراء، و تقديره مخلف وعده رسله، كما تقول هذا معطى زيد درهماً، و المعنى مخلف رسله وعده.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ» اى لا تظنه مخلف ما وعدك به من الظفر بهم و الظهور عليهم، فانه لا يخلف ما وعد رسله به. ثم أخبر ان اللَّه تعالى قادر لا يغالب ينتقم ممن يكفر بنعمه و يكذب أنبيائه. و الانتقام هو العقاب.

«يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» العامل فى «يوم» الانتقام، و تقديره ذو انتقام يوم تبدل. و التبديل التغيير برفع الشيء الى بدل. و قيل ان تبديل الأرض بغيرها برفع الصورة التى كانت عليها الى صورة غيرها. و قال ابن عباس و مجاهد و أنس بن مالك و ابن مسعود: يبدل اللَّه هذه الأرض بأرض بيضاء كالفضة، لم يعمل عليها خطيئة. و الاول قول الحسن.

و قوله «و السموات» تقديره تبدل السموات غير السموات و حذف لدلالة الكلام عليه. و قيل تبديل الأرض بتسيير الجبال و تفجير بحارها و كونها مستوية «لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً» «۱» و تبديل السموات انتشار كواكبها، و انفطارها، و تكوير شمسها و خسوف قمرها.

و قوله «وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ» معناه يظهرون من قبورهم. و البروز الظهور و برز يبرز بروزاً، فهو بارز، و بارز قرنه مبارزة «لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ» و المعنى الواحد لا شبه له و لا نظير. و القهار المالك الذى لا يضام.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۹ الى ۵۰] ..... ص : ۳۰۹

وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ (۴۹) سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ وَ تَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (۵۰)

آيتان بلا خلاف.

---

(۱) سورة طه آية ۱۰۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱۰

يقول اللَّه لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم انك يا محمد ترى الذين أجرموا و فعلوا المعاصى، من الكفر و جحد النعم، يوم القيامة «مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ» اى قرنت أيديهم بالغل الى أعناقهم. و قال الجبائى: قرن بعضهم الى بعض، و الصفد الغل الذى يقرن به اليد الى العنق، و يجوز ان يكون السلسلة التى يقع بها التقرين، و أصل الصفد القيد، و هو الصفاد، و جمعه صفد، قال عمرو بن كلثوم:

فآبوا بالنهاب و بالسبايا و أبناء الملوك مصفدينا «۱»

اى مقيدين، و منه اصفدته اصفاداً، إذا أعطيته مالًا، قال الأعشى:

تضيفته يوماً فأكرم مجلسى و اصفدنى عند الزمانة قائدا «۲»

و قال الذبيانى:

هذا الثناء فان تسمع لقائله فما عرّضت أبيت اللعن بالصفد «۳»

اى ما تعطيه: و انما قيل لها: صفد، لأنها تقيد المودة و ترتبطها. و قال قتادة: الأصفاد القيود و الاغلال، و السرابيل القميص- فى قول ابن زيد- واحدها سربال، قال امرؤ القيس:

لعوب تنسينى إذا قمت سربالى «۴»

و (القطران) هو الذى تهنأ به الإبل- فى قول الحسن- و فيه لغات، قطران بفتح القاف و كسر الطاء، و بتسكين الطاء و كسر القاف. و يجوز فتحها، قال ابو النجم:

---

(۱) تفسير الشوكانى (الفتح القدير) ۳: ۱۱۳ و مجمع البيان ۳: ۲۲۳

(۲) ديوانه (دار بيروت) ۴۴ و روايته (فقرب مقعدى) بدل (فأكرم مجلسى). و هو فى مجمع البيان ۳: ۳۲۳ و مجاز القران ۱: ۳۴۵ و تفسير الطبرى ۱۳: ۱۵۲

(۳) ديوانه (دار بيروت) ۳۷ و روايته:

هذا الثناء فان تسمع به حسناً فلم أُعرض أبيت اللعن بالصفد

(۴) ديوانه (الطبعة الرابعة سنة ۱۹۵۹) ۱۶۰ و صدره:

و مثلك بيضاء العوارض طفلة

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱۱

جون كأن العرق المنتوحا ألبسه القطران و المسوحا «۱»

فكسر القاف و قال ايضاً:

كان قطراناً إذا تلاها ترمى به الريح الى مجراها «۲»

و إنما جعلت سرابيلهم من قطران، لان النار تسرع اليها، و قرئ «قطران» و روى ذلك عن ابن عباس، و القطر النحاس و منه قوله «آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً» «۳» و المعنى من قطر بالغ حره، و انتهى. و القراء على انه اسم واحد على وزن الظربان، و الظربان دابة منتنة فسّاءة، و هى من السباع «وَ تَغْشى وُجُوهَهُمُ» معناه تجللها.

قوله تعالى:[سورة إبراهيم (۱۴): الآيات ۵۱ الى ۵۲] ..... ص : ۳۱۱

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (۵۱) هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (۵۲)

آيتان بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى بأنه إنما فعل ما تقدم ذكره «لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ» الذى كسبت إن كسبت خيراً أتاها اللَّه بالنعيم الأبدى فى الجنة، و إن كفرت و جحدت و كسبت شراً عاقبها بنار جهنم مخلدة فيها «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» اى سريع المجازاة.

و قيل معنى «سريع الحساب» لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة آخرين.

و الكسب فعل ما يجلب به النفع للنفس او يدفع به الضرر عنها. و الكسب ليس بجنس الفعل، و اللَّه تعالى يقدر على مثله فى الجنس.

و قوله «هذا بلاغ» قال ابن زيد و غيره من المفسرين: هو إشارة الى القرآن،

(۱، ۲) مجمع البيان ۳: ۳۲۳ و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۳: ۱۵۳

(۳) سورة الكهف آية ۹۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱۲

ففيه بلاغ للناس، لان فيه البيان عن الانذار و التخويف، و فيه البيان عما يوجب الإخلاص بما ذكر من الإنعام الذى لا يقدر عليه الا اللَّه.

و فى الآية حجة على ثلاث فرق:

على المجبرة فى الارادة، لأنها تدل على أنه تعالى أراد من جميع المكلفين ان يعلموا «أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ» و هم يزعمون أنه أراد من النصارى ان يثلثوا، و من الزنادقة ان يقولوا بالتثنية.

الثانی- حجة علیهم فی ان المعصیة لم یردها، لأنه إذا أراد منهم ان یعلموا أنه إله واحد، لم یرد خلافه من التثلیث و التثنیة الذی هو الکفر.

الثالث- حجة علی اصحاب المعارف، لأنه بین أنه أراد من الخلق ان یتذکروا و یفکروا فی دلائل القرآن التی تدلهم علی أنه إله واحد. ثم أخبر تعالی انه انما یتذکر «أولو الألباب» ای ذوو العقول، لان من لا عقل له لا یمکنه الذکر و الاعتبار.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۱۳

(۱۵)سورة الحجر ..... ص : ۳۱۳

اشارة

مکیة فی قول قتادة و مجاهد. و هی تسع و تسعون آیة بلا خلاف

[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۱ الی ۲] ..... ص : ۳۱۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

الر تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ وَ قُرْآنٍ مُبِینٍ (۱) رُبَما یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کانُوا مُسْلِمِینَ (۲)

آیتان بلا خلاف.

قرأ أهل المدینة و عاصم «ربما» بالتخفیف. الباقون بالتشدید. و روی عن أبی عمرو: الوجهان. قال أبو علی أنشد أبو زید:

ماویّ یا ربتما غارة شعواء کاللذعة بالمیسم «۱»

قال الازهری: الماوی الرحمة، و أنشد ایضاً ابو زید:

یا صاحبا ربه إنسان حسن یسأل عنک الیوم او تسأل عن «۲»

---

(۱) مجمع البیان ۳: ۳۲۶ و اللسان (ربب)، (ما).

(۲) مجمع البیان ۳: ۲۲۷ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۱۴

و قال قطرب، و السکری: ربّما، و ربّما، و ربتما، و ربُّ، ربَّ: ست لغات.

قال سیبویه (رب) حرف و تلحقها (ما) علی وجهین:

أحدهما- ان تکون نکرة بمعنی شیء کقوله:

ربما تجزع النفوس من الأم - ر له فرجة کحلّ العقال «۱»

ف (ما) فی هذا البیت اسم، لما یقدر من عود الذکر الیه من الصفة. و المعنی:

رب شیء تکرهه النفوس، و إذا عاد الیه الهاء کان اسماً، و لم یجز أن یکون حرفاً. و الضرب الآخر ان تدخل (ما) کافة نحو الآیة، و نحو قول الشاعر:

ربما أوفیت فی علم یرفعن ثوبی شمالات «۲»

و النحویون یسمون (ما) هذه کافة یریدون: أنها بدخولها کفت الحرف عن العمل الذی کان هیأها لدخولها علی ما لم تکن تدخل علیه، ألا- تری ان (رب) انما تدخل علی الاسم المفرد، نحو رب رجل یقول ذلک، و ربه رجل یقول، و لا تدخل علی الفعل، فلما

دخلت (ما) عليها هيأتها للدخول على الفعل، كما قال «رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» فوقع الفعل بعدها- فى الآيهٔ- و هو على لفظ المضارع، و وقع فى قوله (ربما أوفيت فى علم) على لفظ الماضى، و هكذا ينبغى فى القياس لأنها تدل على أمر قد وقع و مضى، و إنما وقع- فى الآيهٔ- على لفظ المضارع، لأنه حكايهٔ لحال آتيهٔ كما ان قوله «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» «۳» حكايهٔ لحال آتيهٔ ايضاً، و من حكايهٔ الحال قول القائل:

جاريهٔ فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالايماض «۴»

و من زعم ان الآيهٔ على إضمار (كان) و تقديره ربما كان يود، فقد خرج عن قول سيبويه، لأنهم لا يضمرون على مذهبه (كان) فى قول القائل: عبد اللّه المقتول اى كن عبد اللّه المقتول. و اما إضمار (كان) بعد إن خيراً فخيراً، فإنما جاز ذلك،

---

(۱) قائله أمية بن أبى الصلت. اللسان «فرج» و روايته «تكره» بدل «تجزع».

(۲) قائله جذيمة الأبرش. اللسان «شمل». و شمالات: جمع شمال، و يقصد هنا ريح الشمال

(۳) سورهٔ النحل ۱۶ آيهٔ ۱۲۴

(۴) اللسان «رمض» «خصص» و مجمع البيان ۳: ۳۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱۵

لإقتضاء الحرف له، فصار اقتضاء الحرف له كذكره، فاما ما أنشده ابن حبيب، فيهان ابن مسكين:

لقد رزيت كعب بن عوف و ربما فتى لم يكن يرضى بشىء يضيمها «۱»

فان قوله (فتى) يحتمل ضروباً:

أحدها- ان يكون لما جرى ذكر (رزيت) استغنى بجرى ذكره عن إعادته، فكأنه قال: ربما رزيت فتى، فانتصب فتى برزيت المضمرة، كقوله «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ» «۲» فاستغنى بذكر آمنت المعلوم عن إظهاره بعد، و يجوز ان يكون انتصب ب (رزيت) هذه المذكورة، كأنه قال: لقد رزيت كعب بن عوف فتى و ربما لم يكن يرضى اى رزيت فتى لم يكن يضام، و يكون هذا الفصل و هو اجنبى بمنزله قوله:

ابو أمه حى أبوه يقاربه «۳»

و يجوز ان يكون رفعا بفعل مضمر كأنه قال ربما لم يرضى فتى كقوله:

و قلما وصال على طول الصدود يدوم «۴»

و يجوز ان تكون (ما) نكرهٔ بمنزلهٔ شىء و يكون فتى وصفاً لها، كأنه قال:

رب شىء فتى لم يكن كذا، فهذه الأوجه فيها ممكنهٔ، و يجوز فى الآيهٔ ان تكون (ما) بمنزلهٔ شىء و (ودّ) صفهٔ له، لان (ما) لعمومها تقع على كل شىء فيجوز ان يعنى بها الودّ كأنه رب ودّ يودّه الذين كفروا، و يكون يودّ فى هذا الوجه حكايهٔ حال لأنه لم يكن كقوله «فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً» «۵» و قوله «يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ» «۶»

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۳۲۷

(۲) سورهٔ يونس آيهٔ ۹۱

(۳) البيت مشهور يستشهدون به على التعقيد المعنوى فى كتب المعانى و البيان و تمامه:

و ما مثله فى الناس إلا مملكاً ابو أُمه حى أَبوه يقاربه

(۴) اللسان «طول» و تمام البيت:

صددت فأطولت الصدود و قلما و صال على طول الصدود يدوم

(۵) الم السجدة ۳۲ آية ۱۲

(۶) سورة الانعام ۶ آية ۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱۶

و اما من خفف، فلانه حرف مضاعف و الحروف المضاعفة قد تحذف، و ان لم يحذف غير المضاعف، فمن المضاعف الذى حذف (ان، و ان، و لكن) قد حذف كل واحد من الحروف، و ليس كل المضاعف يحذف، لانى لا أعلم الحذف فى (ثم)، قال الهذلى:

أ زهير إن يشب القذال فاننى رب هيضل لجب لففت بهيضل «۱»

و اما دخول التاء فى (ربتما) فان من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيث نحو (ثمَّ، و ثمّت، و لا، و لات) قال الشاعر:

ثمت لا يحزوننى غير ذالكم و لكن سيحزننى المليك فيعقبا «۲»

فلذلك الحق التاء فى قوله «ربتما» و قال المبرد: قال الكسائى: العرب لا تكاد توقع (رب) على أمر مستقبل، و هذا قليل فى كلامهم، و إنما المعنى عندهم ان يوقعوها على الماضى، كقولهم: ربما فعلت ذلك، و ربما جاءنى فلان.

و إنما جاز هذا، فى القرآن، على ما جاء فى التفسير، ان ذلك يكون يوم القيامة.

و إنما جاز هذا، لأن كل شيء من أمر اللَّه خاصة فإنه و إن لم يكن وقع بعد، فهو كالماضى الذى قد كان، لأن وعده آت لا محالة، و على هذا عامة القرآن، نحو قوله «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» «۳» و قوله «وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا» «۴» «وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ» «۵» و مع هذا يحسن ان يقال- فى الكلام- إذا رأيت الرجل يفعل ما يشاء، تخاف عليه، ربما يندم، و ربما يتمنى ان لا تكون فعلت، قال: و هذا كلام عربى حسن، و مثله قال الفراء و المبرد و غيرهم.

فان قيل لم قال «رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» و رب للتقليل؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انه شغلهم العذاب عن تمنى ذلك الا فى القليل.

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۳۲۸ و اللسان (هضل) نسبه الى أبى كبير

(۲) مجمع البيان ۳: ۳۲۸

(۳) سورة الزمر- ۳۹- آية ۶۸

(۴) سورة الزمر آية ۷۳ [.....]

(۵) سورة ق ۵۰ آية ۲۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱۷

و الثانى- انه أبلغ فى التهديد كما تقول: ربما ندمت على هذا، و أنت تعلم أنه يندم ندماً طويلًا، أى يكفيك قليل الندم، فكيف كثيره.

فان قيل: لم قال «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ قُرْآنٍ» و الكتاب هو القرآن؟

و لم أضاف الآيات الى الكتاب، و هى القرآن؟ و هل هذا إلا اضافة الشيء الى نفسه؟! قلنا: إنما وصفه بالكتاب و القرآن، لإختلاف اللفظين، و ما فيهما من الفائدتين و إن كانا لموصوف واحد، لأن وصفه بالكتاب يفيد انه مما يكتب و يدوّن، و القرآن يفيد أنه مما يؤلف و يجمع بعض حروفه الى بعض قال الشاعر:

الى الملك القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبة فى المزدحم «۱»

و قال مجاهد و قتادة: المراد بالكتاب: ما كان قبل القرآن من التوراة و الإنجيل، فعلى هذا سقط السؤال. فأما إضافة الشيء الى نفسه، فقد بينا الوجه فيما مضى فيه، و انه يجرى مجرى قولهم مسجد الجامع و صلاة الظهر و يوم الجمعة. و قوله تعالى «لحق اليقين» «۲» و

هو مستعمل مشهور و بينا الوجه فيه، و وصف القرآن بانه مبين لأنه يظهر المعنى للنفس، و البيان ظهور المعنى للنفس بما يميزه من غيره، لأن معنى إبانته منه فصله منه، فإذا ظهر النقيضان فى معنى الصفة فقد بانت و فهمت.

و (الود) التمنى يقال: وددته إذا تمنيته، و وددته إذا أحببته أود فيهما جميعاً ودّاً. و قال الحسن: إذا رأى المشركون المؤمنين دخلوا الجنة تمنوا أنهم كانوا مسلمين، و قال مجاهد: إذا رأى المشركون المسلمين يغفر لهم و يخرجون من النار يودون لو كانوا مسلمين.

---

(۱) مر هذا البيت فى ۲: ۹۸

(۲) سورة الحاقة ۶۹ آية ۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱۸

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۳ الى ۹] ..... ص : ۳۱۸

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۳) وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَ لَها كِتابٌ مَعْلُومٌ (۴) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ (۵) وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (۶) لَوْ ما تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۷)

ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ ما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ (۸) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۹)

سبع آيات.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم على وجه التهديد للكفار: اترك هؤلاء يأكلوا ما يشتهون، و يستمتعوا فى هذه الدنيا بما يريدون و يشغلهم الأمل «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» و بال ذلك فيما بعد يعنى يوم القيامة و وقت الجزاء على الاعمال.

ثم اخبر تعالى انه لم يهلك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة الا و كان لها كتاب معلوم يعنى أجل مكتوب قد علمه اللَّه تعالى لا بدّ ان يبلغونه لما سبق فى علمه، و يجوز إلا و لها بالواو و بغير الواو، لأنه جاء بعد التمام، و لو جاء بعد النقصان لم يجز، نحو رجلًا هو قائم، و لا يجوز و هو قائم، و كذلك فى الظرف فى خبر كان، و قال لم تكن أمة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك و لا تتأخر عن أجلها الذى قدر لها بل إذا استوفت أجلها أهلكها اللَّه.

ثم قال له: ان هؤلاء الكفار يقولون لك «يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ» يعنون القرآن نزل عليك على قولك، لأنهم لم يكونوا من المعترفين بذلك «إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» فى ادعائك أنه أنزل عليك الذكر بوحى اللَّه اليك، و لم تكن ممن يقرأ. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۱۹

و قوله «لَوْ ما تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ» معناه هلا تأتينا، و هو دعاء الى الفعل و تحضيض عليه، و مثله قوله «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» قال الشاعر:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بنى ضو طرى لو لا الكمى المقنعاً «۱»

و قد جاء (لو ما) فى معنى (لو لا) التى لها جواب قال ابن مقيل:

لو ما الحياء و لو ما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عورى «۲»

اى لو لا الحياء. و المعنى فى الآية هلا تأتينا بالملائكة إن كنت صادقاً فى انك نبى، و قال ابو عبيد عن ابن جريج: فيه تقديم و تأخير يعنى قوله «وَ لَوْ فَتَحْنا» هو جواب «لَوْ ما تَأْتِينا» و المعنى: فلو فعلنا ذلك بهم ايضاً لما آمنوا، و ما بينهما كلام مقدم و المراد به التأخير، قال المبرد: هذا الذى ذكره جائز لكن فيه بعد لأنه يلبس بأن يكون فتح عليهم من أنفسهم فعرج بهم. و اللَّه اعلم. و كلا الأمرين غير ممتنع الا ان العرب تمنع مما فيه لبس.

و قوله «ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ» قرأ حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم بالنون و نصب الملائكة. الباقون بالتاء و رفع الملائكة إلا أبا بكر عن عاصم فانه ضم التاء على ما لم يسم فاعله. فحجة من قرأ بالنون قوله «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ» «۳» و حجة من قرأ

«تنزل الملائكة» بفتح التاء قوله «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها» «۴». و حجة من قرأ على ما لم يسم فاعله قوله «ما تنزل الملائكة الا بالحق» و قوله تعالى «وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا» «۵».

و معنى قوله «ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ» يعنى بالحق الذى لا يلبس معه الباطل طرفه عين. و قال الحسن و مجاهد: معناه إلا بعذاب الاستئصال اى لم

(۱) مر تخريجه فى ۱: ۳۰۹، ۳۰۹، ۴۳۵.

(۲) شواهد الكشاف ۱۲۶ و مجاز القرآن ۱: ۳۴۶ و تفسير القرطبى ۱۰: ۴ و مجمع البيان ۳: ۳۳۰

(۳) سورة الانعام آية ۱۱۱

(۴) سورة القدر آية ۴

(۵) سورة الفرقان آية ۲۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۰

يؤمنوا بالآيات، كما كانت حال من قبلهم حين جاءتهم الآيات التى طلبوا، فلم يؤمنوا. و معنى «وَ ما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ» أنه إن نزل عليهم الملائكة و لم يؤمنوا لم ينظرهم اللَّه، بل كان يعاجلهم العقوبة. و قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ» يعنى القرآن فى- قول الحسن و الضحاك، و غيرهم- «وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» قال قتادة:

لحافظون من الزيادة و النقصان. و مثله قوله «لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ» «۱» و قال الحسن: لحافظون حتى نجزى به يوم القيامة اى لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبى صلّى اللَّه عليه و سلم.

و قال الفراء: الهاء فى قوله «وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» يجوز ان تكون كناية عن النبى، فكأنه قال: انا نحن نزلنا القرآن و انا لمحمد لحافظون. و قال الجبائى:

معناه و انا له لحافظون من ان تناله أيدى المشركين، فيسرعون الى إبطاله، و منع المؤمنين من الصلاة به.

و فى هذه الآية دلالة على حدوث القرآن، لان ما يكون منزلًا و محفوظاً لا يكون الا محدثاً، لان القديم لا يجوز عليه ذلك و لا يحتاج الى حفظه

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۱۰ الى ۱۳] ..... ص : ۳۲۰

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (۱۰) وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۱۱) كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (۱۲) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (۱۳)

أربع آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه (عز و جل) لنبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم تسلية له عن كفر قومه «لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ» قال ابن عباس و قتادة: شيع الأمم واحدهم شيعة لمتابعة بعضهم بعضاً فى الأحوال التى يجتمعون عليها فى الزمن الواحد من مملكة

(۱) سورة حم السجد ۴۱ (فصلت) آية ۴۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۱

أو عمارة أو بادية أو نحو ذلك من الأمور الجارية فى العادة، و المرسل محذوف لدلالة (أرسلنا) عليه.

و قوله «وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» اخبار منه تعالى أنه لم يبعث رسولًا فيما مضى الا و كانت أممهم تستهزئ بهم، و

استهزاؤهم بهم حملهم عليهم و استبعادهم ما دعوا اليه و استيحاشهم منه، و استكبارهم له، حتى توهموا أنه مما لا يكون، و لا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه آباءهم و أجدادهم و أسلافهم، فكان عندهم كأنه دعا الى خلاف المشاهدة و الى ما فيه جحد الضرورة و المكابرة.

و الهزؤ إظهار ما يقصد به العيب على إيهام المدح، و هو بمعنى اللعب و السخرية.

و قوله «كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- كذلك نسلك القرآن الذى هو الذكر باخطاره على البال ليؤمنوا به، فهم لا يؤمنون به، ماضين على سنة من تقدمهم، من تكذيب الرسل، كما سلكنا دعوة الرسل فى قلوب من سلف من الأمم. ذهب اليه البلخى و الجبائى.

و قال الحسن و قتادة: يسلك الاستهزاء بإخطاره على البال ليجتنبوه، و لو كان المراد أنه يسلك الشرك فى قلوبهم، لكان يقول: انهم لا يؤمنون بالشرك و لو كانوا كذلك، كانوا محمودين غير مذمومين، يقال: سلكه فيه يسلكه سلكاً و سلوكاً، و اسلكه اسلاكاً، قال عدى بن زيد:

و كنت لزاز خصمك لم اعرّد و قد سلوك فى يوم عصيب «۱»

و قال الآخر:

---

(۱) انظر ۶: ۳۸ تعليقة ۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۲

حتى إذا سلكوهم فى قتائدة شلا كما تطرد الجمّالة الشردا «۱»

و معنى قوله: «وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ» اى فى إهلاك من اقام على الكفر بالمعجزات بعد مجيء ما طلب من الآيات. و يحتمل ان يكون المراد و قد خلت سنة الأولين فى تكذيب رسلهم و الكفر بما جاؤوا به.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۱۴ الى ۱۵] ..... ص : ۳۲۲

وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (۱۴) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (۱۵)

آيتان.

قرأ ابن كثير وحده «سكرت» بالتخفيف. الباقون بالتشديد. قال أبو عبيدة: (سكرت) معناه غشيت. و المعنى فى الآية سكرت الأبصار، فلا ينفذ نورها، و لا تدرك الأشياء على حقيقتها، و كأن المعنى انقطاع الشيء عن سننه الجارى، فمن ذلك (سكره سكراً) إنما هو ردّه عن سننه، و قال: السكير فى الرأى قبل ان يعزم على شيء، فإذا عزم على امر ذهب السكير و هو ان ينقطع عما عليه من المضاء فى حال الصحو، فلا ينفذ رأيه على حدّ نفاذه فى صحوه، و وجه التثقيل ان الفعل مسند الى جماعة مثل قوله «مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ» «۲» و وجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند الى الجماعة قد يخفف، قال الشاعر:

ما زلت اغلق ابواباً و أفتحها «۳»

---

(۱) قائله عبد مناف بن ربع الهذلى ديوانه ۲/ ۴۲ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۷، ۱۸ و تفسير القرطبى ۱۲/ ۱۱۹ و مجاز القران ۱/ ۳۷، ۳۳۱ و مجمع البيان ۳/ ۳۳۰ و معجم البلدان (قتائدة) و اللسان و التاج (قتد) و قد مر فى ۱/ ۱۲۸، ۱۴۹ من هذا الكتاب.

(۲) سورة ص ۳۸ آية ۵۰

(۳) اللسان (غلق) نسبه الى الفرزدق و لم أجده فى ديوانه و روايته

ما زلت افتح أبواباً و أغلقها حتی أتیت أبا عمرو بن عمار

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۲۳

اخبر اللَّه تعالی نبیه صلّی اللَّه علیه و سلم ان هؤلاء الکفار لشدة عنادهم و غلظة کفرهم و تمردهم و عتوهم «لَوْ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ» فصاروا «فِیهِ یَعْرُجُونَ» و العروج الصعود فی الهواء تعلقاً به نحو السماء، عرج الملک یعرج عروجاً، فلو عرج هؤلاء عروج الملک، لقالوا هذا القول. و التسکیر إدخال اللطیف فی المسام، و منه السکر بالشراب، و السکر السد بالتراب «لَقالُوا إِنَّما سُکِّرَتْ أَبْصارُنا» بما ادخل فیها من اللطیف فی مسامها، حتی منعنا من رؤیة الأشیاء علی حقیقتها. و أصل السکر السد بما ادخل فی المسام. و قال مجاهد و الضحاک و ابن کثیر: معنی «سکرت» سدت قال المثنی بن جندل الطهوری:

جاء الشتاء و اجثألَّ القنبر و استخفت الأفعی و کانت تظهر

و طلعت شمس علیها مغفر و جعلت عین الحرور تسکر «۱»

ای تسد بشدة البرد، و قنبر و قنبر- بضم الباء و فتحها- لغتان، مثل جندب و جندب قال رؤبة:

قبل انصداع الفجر و التهجر و خوضهن اللیل حتی تسکر «۲»

ای یسد بظلمته، و حکی الفراء: ان من العرب من یقول: سکرت الریح إذا سکنت.

و قال ابن عباس و قتادة و الضحاک: المعنی «لَوْ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ» فظلَّت الملائکة تعرج الی السماء، و هم یرونها علی ما اقترحوه، «لَقالُوا: إِنَّما سُکِّرَتْ أَبْصارُنا» و قال الحسن: یظل هؤلاء المشرکون یعرجون فیه.

---

(۱) مجاز القران ۱/ ۳۴۸ و تفسیر الطبری ۱۴/ ۹ و اللسان و التاج (سکر، قبر) و تفسیر الطبری ۱۵/ ۸ و مجمع البیان ۳/ ۳۳۰ و الشوکانی (الفتح القدیر) ۳/ ۱۱۰۸ (اجثأل) اجتمع، و تقبض، و انقبض. و (القنبر) و (القنبار) جمعه قنابر، و تقول: العامة:

قنبرة. و هم جماعة یجتمعون لجر ما فی الشباک من الصید، و هی لغة عمانیة. و معنی (استخفت الأفعی) ای تخبأت الحیة الکبیرة. بعد ان کانت تظهر. و طلعت الشمس علیها غیوم. و (الحرور) الریح الحارة. [.....]

(۲) تفسیر الطبری ۱۴/ ۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۲۴

«بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ» أی یقولون: سحرنا، فنحن مسحورون، و السّحر حیلة خفیَّة، توهم معنی المعجزة من غیر حقیقة، و لهذا من عمل بالسّحر کان کافراً، لأنه یدّعی المعجزة للکذّابین، فلا یعرف نبوّة الصادقین.

و قال أبو عبیدة: سکّرت أبصار القوم إذا ادیر بهم، و غشیهم کالساتر فلم یبصروا.

و روی ابن خالویه عن الزّهری أنه قرأ «سَکِرت» بفتح السین و کسر الکاف، و التخفیف أی اختلطت و تغیّرت عقولهم.

قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۱۶ الی ۱۸] ..... ص : ۳۲۴

وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ زَیَّنَّاها لِلنَّاظِرِینَ (۱۶) وَ حَفِظْناها مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ رَجِیمٍ (۱۷) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِینٌ (۱۸)

ثلاث آیات بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالی أنه جعَل فی السّماء بروجاً. و الجعل قد یکون تصییر الشیء عن صفة لم یکن علیها. و قد یکون بالإیجاد لهُ. و اللَّه تعالی قادرٌ ان یجعل فی السّماء بروجاً من الوجهین، و البرْج: ظهُور منزل ممتنع بارتفاعه، فمن ذلک برج الحصْن، و برج من بروج السَّماء الإثنی عشر، و هی منازل الشمس و القمر.

و أصله الظهور، یقال تبرّجت المرأة إذا أظهرت زینتها. و قال الحسن و مجاهد و قتادة: المراد بالبرُوج النجوم. و قوله «وَ حَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَیْطانٍ رَجِیمٍ» یحتمل ان تكون الكنایة راجعة الی السّماء، و الی البرُوج. و حفظ الشیء جعله علی ما ینفی عنه الضّیاع، فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه و مراعاته، حتی لا ینسی، و منه حفظ المال بإحرازه بحیث لا یضیع بتخطّف الأیدی له، و حفظ السماء من كل شیطان بالمنع بما أعدّ له من الشّهاب. و الرَّجم بمعنی المرجوم، و الرجم الرمی بالشیء بالاعتماد من غیر آلة مهیأة للإصابة، فإن النفوس یرمی عنها و لا ترجم. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۲۵

و قوله «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» معنی (الا) (لكن) فكأنه قال: لكن من استرق السمع من الشیطان یتبعه شهاب مبین. قال الفرّاء: أی لا یخطئ، و قال المفسّرون: قوله «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» مثل قوله «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ» «۱» و معناه معناه، و الاستراق أخذ الشیء خفیّاً، و لیس طلبهم استراق السمع مع علمهم بالشهب خروج عن العادة فی صفة العقلاء، لأنهم قد یطمعون فی السلامة من بعض الجهات، و الشهاب عمود من نور یمدّ لشدة ضیائه كالنار و جمعه شهب. و قال ابن عباس: بالشهاب یخبل و یحرق، و لا یقتل. و قال الحسن:

یقتل قال ذو الرمّة:

كأنه كوكب فی إثر عفریةٍ مسوَّم فی سواد اللیل منقضبُ «۲»

و الاتباع إلحاق الثانی بالأول، أتبعه اتباعاً، و تبعه یتبعه إذا طلب اللحاق به، و كذلك اتّبعه اتباعاً بالتشدید «مبین» ای ظاهر مبین.

و قال الفراء: قوله «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» استثناء صحیح، لان اللَّه تعالی لم یحفظ السماء ممن یصعد الیها لیسترق السمع، و لكن إذا سمعه و ألقاه الی الكهنة اتبعه شهاب مبین، فأماّ استراقهم السمع، فقال المفسرون: إن فیهم من كان یصعد السماء فیسمع الوحی من الملائكة، فإذا نزل الی الأرض اغوی به شیاطینه او ألقاه الی الكهان، فیغوون به الخلق، فلما بعث اللَّه تعالی نبیه صلّی اللَّه علیه و سلم منعهم من ذلك، و كان قبل البعثة لم یمنعهم من ذلك تغلیظاً فی التكلیف. قال الزّجاج:

و الدلیل علی انه لم یكن ذلك قبل النبی ان أحداً من الشعراء لم یذكره قبل بعثة النبی صلّی اللَّه علیه و سلم مع كثرة ذكرهم الشهب بعد ذلك.

قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۱۹ الی ۲۱] ..... ص : ۳۲۵

وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِیَ وَ أَنْبَتْنا فِیها مِنْ كُلِّ شَیْءٍ مَوْزُونٍ (۱۹) وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِیها مَعایِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِینَ (۲۰) وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (۲۱)

---

(۱) سورة ۳۷ الصافات آیة ۱۰

(۲) مجمع البیان ۳/ ۳۳۰ و اللسان (قضب)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۲۶

ثلاث آیات بلا خلاف.

قوله «وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها» عطفاً علی قوله «وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِی السَّماءِ بُرُوجاً ... وَ الْأَرْضَ» و یجوز ان یكون و مددنا الأرض مددناها، كما قال «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «۱» و معنی «مددناها» بسطناها، و جعلنا لها طولا و عرضا «وَ أَلْقَیْنا فِیها» یعنی طرحنا فیها «رواسی» یعنی جبالًا ثابتة. و أصله الثبوت، و یقال: رست السفینة إذا ثبتت، و المراسی ما تثبّت به. و قیل جعلت الجبال أوتاداً للأرض.

و قیل جعلت أعلاماً یهتدی بها أهل الأرض.

و قوله «أَنْبَتْنا فِیها» یعنی أخرجنا النبات فی الأرض، و النبات ظهور النامی عن غیره، حالًا بعد حال، و الأغلب علیه ظهوره من الأرض، و

قد يكون من غيره، كنبات الشعر على البدن و الرأس.

«مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و الجبائى: من كل شىء مقدر معلوم.

و الثانى- قال الحسن و ابن زيد: من الأشياء التى توزن من الذهب و الفضة و النحاس و الحديد و غير ذلك. و الوزن وضع احد الشيئين بإزاء الآخر على ما يظهر به مساواته فى المقدار و زيادته، يقال وزنه يزنه وزناً فهو موزون، «وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ» جمع معيشة، و هى طلب اسباب الرزق مدة الحياة، فقد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرف و التكسب، و قد يطلب له فإن أتاه اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنى.

و قوله «وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ» (من) فى موضع نصب عطفا على (معايش)،

---

(۱) سورة يس آية ۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۷

و قال مجاهد: المراد به العبيد و الإماء و الدواب و الانعام، قال الفراء: العرب لا تكاد تجعل (من) الا فى الناس خاصة، قال: فان كان من الدواب و المماليك حسن حينئذ، قال و قد يجوز ان يجعل (من) فى موضع خفض نسقاً على الكاف و الميم فى (لكم) قال المبرّد: الظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بك و زيد إلا ان يضطر شاعر، على ما مضى ذكره فى سورة النساء، و انشد الفرّاء فى ذلك:

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا و ما بينها و الكعب غوط نفانف «۱»

فرد الكعب على (بينها) و قال آخر:

هلا سألت بذى الجماجم عنهم و أبا نعيم ذى اللواء المحرق «۲»

فرد أبا نعيم على الهاء فى عنهم. قال و يجوز ان يكون فى موضع رفع، لان الكلام قد تم، و يكون التقدير على قوله «لكم فيها» ... «وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ».

و قوله «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ» فخزائن اللَّه مقدوراته، لأنه تعالى يقدر ان يوجد ما شاء من جميع الأجناس، فكأنه قال: و ليس من شىء إلا و اللَّه تعالى قادر على ما كان من جنسه الى ما لا نهاية له.

و قوله «وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» اى لست انزل من ذلك الشىء «إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» اى ما يصلحهم و ينفعهم دون ما يفسدهم و يضرهم، حسب ما سبق فى علمى.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۲۲ الى ۲۵] ..... ص : ۳۲۷

وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ (۲۲) وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوارِثُونَ (۲۳) وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (۲۴) وَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۲۵)

---

(۱) مر هذا البيت فى ۳: ۹۸

(۲) تفسير الطبرى ۱۴: ۱۲ (الطبعة الاولى) و مجمع البيان ۳: ۳۳۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۸

أربع آيات.

قرأ حمزة وحده «الريح لواقح» الباقون «الرياح» على الجمع، قال ابو عبيدة لا اعرف لذلك وجهاً، إلا ان يريد أن الريح تأتى مختلفة من كل وجه، فكانت بمنزلة رياح و حكى الكسائى أرض اغفال، و أرض سباسب. قال المبرّد: يجوز ذلك على بعد، ان يجعل الريح جنساً، و ليس بجيد، لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض، بمعرفة كل واحدة، و ليست كذلك الأرض، لأنها بساط واحد.

و قال الفراء: هو مثل ثوب اخلاق و انشد:

جاء الشتاء و قميصى أخلاق شراذم يضحك منه التواق «۱»

و من قراء «الرياح لواقح» احتمل ذلك شيئين.

أحدهما- ان يجعل الريح هى التى تلقح بمرورها على التراب و الماء، فيكون فيها اللقاح، فيقال فيها ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح.

و الثانى- ان يصفها باللقح و ان كانت تلقح، كما قيل ليل نائم و سر كاتم.

يقول اللَّه تعالى انه بعث «الرياح لواقح» للسحاب و الأشجار تعداداً لنعمه على عباده و امتنانا عليهم، واحدها ريح، و تجمع ايضاً أرواحاً، لأنها من الواو، قال الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم «۲»

فاللواقح التى تلقح السحاب، حتى يحمل الماء أى تلقى اليه ما يحمل به الماء يقال: لقحت الناقة إذا حملت، و ألقحها الفحل إذا ألقى اليها الماء فحملته، فكذلك الرياح هى كالفحل للسحاب، (و لواقح) فى موضع ملاقح. و قيل فى

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴: ۱۳ و اللسان «خلق»، «توق».

(۲) مر هذا البيت فى ۲: ۳۷۲ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۹

علّة ذلك قولان: أحدهما، لأنه فى معنى ذات لقاح كقولهم: هم ناصب أى ذو نصب قال النابغة:

كلينى لهم يا اميمة ناصب و ليل أقاسيه بطيء الكواكب «۱»

اى منصب، و قال نهشل بن حرى النهشلى:

ليبك يزيد ضارع لخصومة و مختبط مما تطيح الطوائح «۲»

اى المطاوح، و قال قتادة و ابراهيم و الضحاك: معنى هذا القول: ان الرياح تلقح السحاب الماء. و قال ابن مسعود: إنها لاقحة يحملها الماء، ملقّحة بإلقائها إياه الى السحاب.

و قوله «فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فاسقيناكموه» اى جعلته سقياً، لأرضكم تشربه، يقال: سقيته، فيما يشربه، تسقيه و أسقيته فيما تشربه ارضه، و قد تجيء أسقيته بمعنى سقيته، كقوله تعالى «نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ» «۳»، و قال ذو الرمة:

وقفت على ربع لمية ناقتى فما زلت أبكى عنده و أخاطبه

و اسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمنى احجاره و ملاعبه «۴»

اى ادعو له بالسقيا. «وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ» اى لستم تقدرون ان ترزقوا احداً ذلك الماء، لو لا تفضل اللَّه عليكم. ثم اخبر تعالى انه هو الذى يحيى الخلق إذا شاء و كان ذلك صلاحاً لهم، و يميتهم إذا أراد و كان صلاحهم، و انه هو الذى يرث الخلق، لأنه إذا أفنى الخلق و لم يبق احد كانت الأشياء كلها راجعة اليه ينفرد بالتصرف فيها و كان هو الوارث لجميع الاملاك.

---

(۱) ديوانه «دار بيروت» ۹ و قد مر فى ۵: ۳۶۸، ۶: ۹۵.

(۲) مر هذا البيت فى ۴: ۳۱۰

(۳) سورة النحل آية ۶۶

(۴) ديوانه ۲۱۳ و تفسير الشوكانى «الفتح القدير» ۳: ۴۸ و تفسير الطبرى ۱۴: ۱۴ و المحاسن و الاضداد للجاحظ ۳۳۵ و مجمع البيان ۳: ۳۳۳، ۳۵۹ و اللسان و التاج (سقى) و قد مر الثانى فى ۴: ۱۲۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۳۰

و قوله «وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدهما- قال مجاهد و قتادة من مضى و من بقى.

و ثانيها- قال الشعبى: أول الخلق و آخره.

و ثالثها- قال الحسن: المتقدمين فى الخير و المبطئين.

و

قال الفرا: لما قال النبى صلّى اللَّه عليه و سلم إن اللَّه يصلى على الصف الاول، أراد بعض المسلمين ان يبيع داره النائية ليدنو الى المسجد، فيدرك الصف الاول. فأنزل اللَّه الآية، و أنه يجازى فقراء الناس على نياتهم.

ثم اخبر تعالى ان الذى خلقك يا محمد هو الذى يحشرهم بعد اماتتهم، و يبعثهم يوم القيامة، لأنه حكيم فى أفعاله عالم بما يستحقونه من الثواب و العقاب.

(و الحشر) جمع الحيوان الى مكان، يقال: هؤلاء الحشّار، لأنهم يجمعون الناس الى ديوان الخراج. و (الحكيم) العالم بما لا يجوز فعله، لقبحه، او سقوط الحمد عليه، مع انه لا يفعله، فعلى هذا يوصف تعالى فيما لم يزل بانه حكيم.

و الحكيم المحكم لأفعاله بمنع الخلل ان يدخل فى شيء منها، فعلى هذا لا يوصف تعالى فيما لم يزل بانه حكيم.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۲۶ الى ۲۷] ..... ص : ۳۳۰

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (۲۶) وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ (۲۷)

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى أنه خلق الإنسان، و المراد به آدم بلا خلاف.

و قيل فى معنى الصلصال قولان:

أحدهما- إنه الطين اليابس الذى يسمع له عند النقر صلصلة. ذهب اليه ابن عباس و الحسن و قتادة.

و الثانى- قال مجاهد: هو مثل الخزف الذى يصلصل. و قال مجاهد: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۳۱

الصلصال المنتن- فى رواية عنه- مشتق من صل اللحم و أصلّ إذا أنتن، و الاول أقوى، لقوله تعالى «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ» «۱» و ما يبس كالفخار فليس بمنتن، و قال الفراء: الصلصال طين الحرار إذا خلط بالرمل إذا جفّ كان صلصالًا، و إذا طبخ كان فخاراً، و الصلصلة القعقعة، و هى صوت شديد متردد فى الهواء كصوت الرعد، يقال لصوت الرعد صلصلة، و للثوب الجديد قعقعة، و اصل الصلصلة الصوت يقال: صلّ يصلّ و هو صليل إذا صوّت، قال الشاعر:

رجعت الى صدر كجرَّة حنتم إذا فرغت صفراً من الماء صلّت «۲»

و قيل: خلق آدم على صورة الإنسان من طين، ثم ترك حتى جف، فكانت الريح إذا مرت به سمع له صلصلة.

و قوله «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» فالحمأ جمع حمأة، و هو الطين المتغير الى السواد، يقال: حمئت البئر و أحمأتها أنا إذا بلغت الحمأة. و قيل فى معنى (المسنون) قولان:

أحدهما- المصبوب من قولهم: سننت الماء على الوجه و غيره إذا صببته، و عن ابن عباس: انه الرطب، فعلى هذا يكون رطباً مصبوباً ثم ييبس فيصير كالفخار.

الثانى- انه المتغير، من قولهم: سننت الحديدة على المسن إذا غيرتها بالتحديد، و الأصل الاستمرار فى جهة، من قولهم هو على سنن واحد.

و معنى قوله «وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ» المراد به إبليس، خلقه اللَّه قبل آدم- فى قول الحسن و قتادة- «مِنْ نارِ السَّمُومِ» اى من النار الحارة. و قال عبد اللَّه:

هذه السموم جزء من سبعين جزء من السموم التى خرج منها الجان، و هو مأخوذ من دخولها بلطفها فى مسام البدن و منه السم القاتل، يقال: سم يومنا يسم سموماً إذا هبت له ريح السموم.

---

(۱) سورة الرحمن آية ۱۴- ۱۵

(۲) قائله عمرو بن شأس. اللسان «حنتم» و مجمع البيان ۳: ۳۳۵ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۳۲

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۲۸ الى ۳۱] ..... ص : ۳۳۲

وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (۲۸) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (۲۹) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (۳۰) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (۳۱)

أربع آيات بلا خلاف.

لفظة (إذ) تدل على ما مضى من الزمان، و لا بدَّ لها من فعل متعلق به، و التقدير و اذكر يا محمد «إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً» اى أخلقه فيما بعد، قبل ان يخلقه، و المراد بالبشر آدم، و سمى بشراً لأنه ظاهر الجلد، لا يرى فيه شعر، و لا صوف كسائر الحيوان. ثم قال «مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» و قد فسرناه.

و قوله «فإذا سويته» معناه سويت صورته الانسانية، و التسوية جعل واحد من الشيئين على مقدار الآخر و قد يسوى بين الشيئين فى الحكم.

و قوله: «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» فالنفخ الاجراء للريح فى الشيء باعتماد، نفخ ينفخ نفخاً إذا اجرى الريح باعتماد، فلما أجرى اللَّه الروح على هذه الصفة فى البدن، كان قد نفخ الروح فيه، و أضاف روح آدم الى نفسه تكرمة له، و هى اضافة الملك، لما شرفه و كرمه، و الروح جسم رقيق روحانى فيها الحياة التى بها يجيء الحى، فإذا خرجت الروح من البدن، كان ميتاً فى الحكم، فإذا انتفت الحياة من الروح، فهو ميت فى الحقيقة.

و قوله «فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» أمر من اللَّه تعالى، الى الملائكة الى يسجدوا لآدم. و قيل فى وجه سجودهم له قولان:

أحدهما- انه سجود تحية و تكرمة لآدم، عبادة للَّه تعالى. و قيل: أنه على معنى السجود الى القبلة. و الاول عليه اكثر المفسرين. ثم استثنى من جملتهم التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۳۳

إبليس انه لم يسجد، «أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» لآدم. و إبليس مشتق من الإبلاس، و هو اليأس من روح اللَّه إلا انه شبه بالاعجمى من جهة انه لم يستعمل إلا على جهة العلَم، فلم يصرف. و قال قوم: إنه ليس بمشتق، لأنه أعجمى بدلالة انه لا ينصرف. و الاباء: الامتناع، و السجود خفض الجبهة بالوضع على بسط من الأرض او غيره، و أصله الانخفاض قال الشاعر:

ترى الا كم فيها سجّدا للحوافر «۱»

و اختلفوا فى هذا الاستثناء، فقال قوم: ان إبليس كان من الملائكة، فلذلك استثناه، و قال آخرون: إنما كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم، فلذلك استثناه من جملتهم، و قال آخرون: هو استثناء منقطع و معناه (لكن) و قد بينا الصحيح من ذلك فى سورة البقرة «۲».

و من قال: لم يكن من الملائكة قال: الملائكة خلقوا من نور، و إبليس خلق من نار، و الملائكة لا يعصون، و إبليس عصى بكفره باللّه. و الملائكة لا تأكل و لا تشرب و لا تنكح، و إبليس بخلاف ذلك، قال الحسن: إبليس أب الجن، كما ان آدم أب الإنس.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۳۲ الى ۳۳] ..... ص : ۳۳۳

قالَ يا إِبْلِيسُ ما لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (۳۲) قالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (۳۳)

آيتان بلا خلاف.

هذا خطاب من اللّه تعالى لإبليس يقول له: لم لا تكون مع الساجدين، تسجد كما سجدوا. و اختلفوا فى كيفية هذا الخطاب، فقال الجبائى: قال اللّه له

---

(۱) مر هذا الشعر فى: ۱۴۸، ۲۶۳، ۳۱۱، ۴: ۲۳۳، ۳۸۳، ۶: ...

(۲) انظر ۱: ۱۴۷ فى تفسير آية ۳۴ من سورة البقرة.

ذلك على لسان بعض رسله و هو الأليق، لأنه لا يصح ان يكلمه اللّه بلا واسطة فى زمان التكليف. و قال آخرون: كلمه، بالإنكار عليه و الاهانة له، كما قال «اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ» «۱». هذا ينبغى ان يكون حكاية عما يقوله له فى الآخرة، فقال إبليس مجيباً لهذا الكلام: ما كنت بالذى اسجد لبشر «خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» و قد فسرناه. و لم يعلم وجه الحكمة فى ذلك، لأن فى ذلك قلباً للشىء عن الحالة الحقيرة فى الضعة الى هذه الحالة الجليلة، و أى ذلك كان، فانه لا يقدر عليه غير اللّه، و انه لا ينتفع للعظم فى الصفة مع إمكان قلبه الى النقص فى الصفة، و كذلك لا يضر النقص فى الصفة، مع إمكان قلبه الى الأعظم، فلو نظر فى ذلك لزالت شبهته فى خلقه من نار و خلق آدم من طين، قال المبرّد: قوله «مالك ألا تكون» (لا) زائدة مؤكدة، و التقدير ما منعك ان تسجد، ف (أن) فى قول الخليل و أصحابه فى موضع نصب، لأنه إذا حذف حرف الجر و نصب ما بعده، و قال غيره: فى موضع خفض، لأن المعنى ما منعك من ان تكون، فحذف (من)

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۳۴ الى ۳۸] ..... ص : ۳۳۴

قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (۳۴) وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ (۳۵) قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۳۶) قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (۳۷) إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (۳۸)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا خطاب من اللّه تعالى لإبليس لما احتج لامتناعه من السجود لآدم بما ليس بحجة، بل هو حجة عليه، فاخرج منها.

قال الجبائى: أمره بالخروج من الجنة. و قال غيره أمره بالخروج من السماء.

---

(۱) سورة المؤمنون آية ۱۰۹

«فإنك رجيم» أی مرجوم بالذم و الشتم (فعيل) بمعنى مفعول. و قد يكون (فعيل) بمعنى فاعل مثل رحيم بمعنى راحم.

«وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ» اى عليك مع ذلك اللعنة، و هى الابعاد من رحمة اللَّه، و لذلك لا يجوز ان تلعن بهيمة، فأما لعن إبليس الى يوم الدين، فإن اللَّه قد لعنه، و المؤمنون لعنوه لعنة لازمة الى يوم الدين، و هو يوم القيامة. ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار. و قيل الدين- هاهنا- الجزاء، و مثله «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» اى يوم الجزاء. و يقال لفلان دين اى طاعة يستحق بها الجزاء، و فلان يدين للملوك أی يدخل فی عادتهم فی الجزاء، فقال حينئذ إبليس: يا رب «فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» اى أخر فى وقتى الى يوم يحشرون، يعنى القيامة، يحشرهم اللَّه للجزاء. و الانظار و الامهال واحد، فقال اللَّه تعالى له: انی أنظرتك و أخرتك و جعلتك من جملة «الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» فقال قوم: هو يوم القيامة، أنظره اللَّه فى رفع العذاب عنه الى يوم القيامة، و فى التبقية الى آخر أحوال التكليف «يَوْمِ يُبْعَثُونَ» يوم القيامة. و قد قيل: إن يوم الوقت المعلوم هو آخر أيام التكليف، و أنه سأل الانظار الى يوم القيامة، لأن لا يموت، إذ يوم القيامة لا يموت فيه احد، فلم يجبه اللَّه الى ذلك. و قيل له «إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» الذى هو آخر ايام التكليف. و قال البلخی: أراد بذلك الى يوم الوقت المعلوم، الذى قدر اللَّه أجله فيه، و هو معلوم، لأنه لا يجوز ان يقول تعالى لمكلف انى ابقيك الى يوم معين لان فى ذلك إغراء له بالقبيح.

و اختلفوا فی تجويز، إجابة دعاء الكافر، فقال الجبائی: لا يجوز، لان اجابة الدعاء ثواب، لما فيه من إجلال الداعى بإجابته الى ما سأل.

و قال ابن الأخشاد:

يجوز ذلك، لأن الاجابة كالنعمة فى احتمالها ان تكون ثواباً و غير ثواب، لأنه قد يحسن منا ان نجيب الكافر الى ما سأل استصلاحاً له و لغيره، فأما قولهم:

فلان مجاب الدعوة، فهذه صفة مبالغة لا تصح لمن كانت إجابته نادرة من الكفار.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۳۶

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۳۹ الى ۴۰] ..... ص : ۳۳۶

قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (۳۹) إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (۴۰)

آيتان بلا خلاف.

لما أجاب اللَّه تعالى إبليس الى الانظار الى يوم الوقت المعلوم، قال عند ذلك يا رب «بما أغويتنى» اى فيما خيبتنى من رحمتك، لان الغى الخيبة قال الشاعر.

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما «۱»

و قال قوم: معناه بما نسبتنى الى الغى ذمّاً لى، و حكمت علی بالغی. و قال البلخی: معناه فيما كلفتنی السجود لآدم الذی غويت عنده، فسمى ذلك غواية، كما قال «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ» «۲» لما ازدادوا عندها، على ان هذا حكاية قول إبليس، و يجوز ان يكون اعتقد ان اللَّه خلق فيه الغواية، فكفر بذلك، كما كفر بالامتناع من السجود و الباء فى قوله «فبما أغويتنى» قيل فى معناها قولان:

أحدهما- ان معناها القسم، كقولك باللَّه لا فعلن.

و الآخر- بخيبتى «لأغوينهم» كأنها سبب لاغوائهم، كقولك بمعصيته ليدخلنَّ النار، و بطاعته ليدخلن الجنة.

و الإغواء الدعاء الى الغى، و الإغواء خلاف الإرشاد، فهذا أصله، و قد يكون الإغواء بمعنى الحكم بالغى، على وجه الذم و التزيين جعل الشیء منقبلا فى النفس من جهة الطبع و العقل، بحق ام بباطل. و إغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه، و يرى ان الحظ بالدخول فيه. و «لأغوينهم» اى أدعوهم الى ضد الرشاد، ثم أستثنى من جملتهم عباد اللَّه المخلصين الذين أخلصوا عبادتهم للَّه و امتنعوا من اجابة الشيطان، فی ارتكاب المعاصی، لأنه ليس للشيطان عليهم

(۱) مر هذا البيت فى ۲: ۳۱۲، ۴: ۳۹۱، ۵: ۵۴۸

(۲) سورة التوبة آية ۱۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۳۷

سبيل، كما قال تعالى «إِنَّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ» يعنى عباد اللَّه الذين فعلوا ما أمرهم به و انتهوا عما نهاهم عنه.

و من كسر اللام فلقوله «وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ» «۱» و من فتحها أراد ان اللَّه أخلصهم بأن وفقهم لذلک، و لطف لهم فيه.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۴۱ الى ۴۴] ..... ص : ۳۳۷

قالَ هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (۴۱) إِنَّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ (۴۲) وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (۴۳) لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (۴۴)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ يعقوب «صراط عليٌّ» بتنوين على، و رفعه على أنه صفة ل (صراط) بمعنى رفيع، و به قرأ ابن سير بن و قتادة. الباقون بفتح الياء على الاضافة الى الياء. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- إن ذلک على وجه التهديد، كقولک لمن تتهدده و تتوعده: على طريقک، و الى مصيرک، كما قال «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ» «۲» و هو قول مجاهد و قتادة.

الثانى- إنه يراد به الدين المستقيم، و أن اللَّه يبينه و ينفى الشبهة عنه بهداية المستدل على طريق الدليل.

و قوله «إِنَّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ» اخبار منه تعالى ان عباده الذين

(۱) سورة النساء آية ۱۴۶

(۲) سورة الفجر آية ۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۳۸

يطيعونه و ينتهون الى أمره و يجتنبون معاصيه ليس للشيطان عليهم سلطان و لا قدرة اكثر من ان يغويهم، فإذا لم يقبلوا منه و لا يتبعونه، فلا يقدر لهم على ضر و لا نفع. و قال الجبائى: ذلک يدل على ان الجن لا يقدرون على الإضرار ببنى آدم، لأنه على عمومه. و قال غيره: الآية تدل على نفى السلطان بالإغواء، لأنهم إذا لم يقبلوا منه و لا يتبعونه، فكأنه لا سلطان له عليهم، و لا يمتنع ان يقدروا على غير ذلک من الإضرار.

ثم استثنى تعالى من جملة العباد من يتبع إبليس على إغوائه و ينقاد له و يقبل منه، لأنه إذا قبل منه، صار له عليه سلطان، بعدوله عن الهدى الى ما يدعوه اليه من اتباع الهوى، فيظفر به إبليس.

ثم اخبر تعالى ان جهنم موعد. جميع العصاة و الخارجين عن طاعته، و من يتبع إبليس على إغوائه. و (جهنم) لا تنصرف لأنها معرفة مؤنثة، و قد يقال للنار إذا عظمت و اشتدت: هذه جهنم، تشبيهاً بجهنم المعروفة، و هذا لم ينكر.

ثم اخبر عن صفة جهنم بأن «لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ» و

قال على (ع) و الحسن و قتادة و ابن جريج: أبوابها أطباق بعضها فوق بعض «لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ» من المستحقين للعقوبة على قدر استحقاقهم من العقاب، فى القلة و الكثرة بحسب كثرة معاصيهم و قلتها.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۴۵ الى ۴۸] ..... ص : ۳۳۸

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۴۵) ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ (۴۶) وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ (۴۷) لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ (۴۸)

أربع آيات بلا خلاف.

لما اخبر اللَّه تعالى عن الكفار ان مستقرهم جهنم، و وصف جهنم، اخبر- هاهنا- التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۳۳۹
ما للمتقين، فقال «ان للمتقين» الذين يتقون عقاب اللَّه باجتناب معاصيه و فعل طاعته «جنات» و هى البساتين التى تنبع فيها المياه، كما تفور من الفوارة، ثم يجرى فى مجاريه، و انما يشوقهم الى الثواب بالجنان، لأنها من اسباب لذات الدنيا المؤدية اليها، كما ان النار من اسباب الآلام لمن حصل فيها.

و الفرق بين الجنة و الروضة: ان الجنة لا بد ان يكون فيها شجر، لان أصلها من ان الشجر يجنها، و الروضة قد تكون بغير شجر، يقال: روضة خضرة و رياض مونقات.

و قوله «ادخلوها» اى يقال للمتقين «ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ» بسلامة و هى البراءة من كل آفة و مضرة، كما قال «وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً» «۱» اى براءة منكم، و معنى «آمنين» اى ساكنى النفس الى انتفاء الضرر. و الامانة الثقة بالسلامة من الخيانة.

و قوله «وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ» فالغل الحقد الذى ينعقد فى القلب، و منه الغل الذى يجعل فى العنق، و الغلول الخيانة التى تطوق عارها صاحبها، فبين تعالى ان الأحقاد التى فى صدور اهل الدنيا تزول بين اهل الجنة و يصبحون «إخوانا» متحابين «على سرر» و هى جمع سرير، و هو المجلس الرفيع موطأ للسرور، و يقال فى جمعه: اسرة ايضاً، و هو مأخوذ من السرور، لأنه مجلس سرور «متقابلين» اى كل واحد منهم مقابل لصاحبه و محاذ لأخيه، فانه بذلك يعظم سرورهم. و التقابل وضع كل واحد بإزاء الآخر على التشاكل و قال قوم:

ان نزع الغل يكون قبل دخول الجنة. و قال آخرون: يكون ذلك بعد دخولهم فيها.

و قوله «لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ» اخبار منه تعالى: ان هؤلاء المؤمنين الذين حصلوا فى الجنة «إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ» لا يمسهم فى الجنة نصب و هو التعب و الوهن الذى من العمل، للوهن الذى يلحق. ثم اخبر انهم مع ذلك

---

(۱) سورة ۲۵ الفرقان آية ۶۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۳۴۰
لا يخرجون من الجنة بل يبقون فيها مؤبدين. و (اخواناً) نصب على الحال. و قال قوم هو نصب على التمييز.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۴۹ الى ۵۰] ..... ص : ۳۴۰

نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (۴۹) وَ أَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ (۵۰)

آيتان بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يخبر عباد اللَّه الذين خلقهم لعبادته على وجه الترغيب لهم فى طاعته و التخويف عن معصيته، بانى انا الذى أعفو و استر على عبادى معاصيهم، و لا افضحهم بها يوم القيامة إذا تابوا منها، لرحمتى و إنعامى عليهم، و ان مع ذلك عذابى و عقوبتى «هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ» المؤلم الموجع، فلا تعوّلوا على محض غفرانى، و خافوا عقابى، و كونوا على حذر باجتناب معاصى و العمل بطاعتى.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۵۱ الى ۵۴] ..... ص : ۳۴۰

وَ نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ (۵۱) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (۵۲) قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (۵۳) قالَ أَ بَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (۵۴)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ نافع «تبشرون» بكسر النون مع التخفيف بمعنى تبشروننى و حذف النون استثقالًا، لاجتماع المثلين، و بقيت الكسرة الدالة على الياء المفعولة، و النون الثانية محذوفة، لان التكرير بها وقع، و لم تحذف الاولى لأنها علامة الرفع و مثله قول الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۱

تراه كالثغام يعلّ مسكاً بسوء الغاليات إذا قلينى «۱»

أراد قليننى، فحذف إحدى النونين. و قال اهل الكوفة: ادغم ثم حذف، و حجتهم «وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي» «۲» و قوله «أ تعداننى» «۳» فأظهر النونات، و أما حرف المشدد نحو «تأمرونى» «۴» و «أ تحاجونى» «۵» و ما أشبه ذلك. و شدد النون و كسرها ابن كثير. الباقون بفتح النون.

قال أبو على: من شدد النون أدغم النون الاولى التى هى علامة الرفع فى الثانية المتصلة بالياء التى للمضمر المنصوب للمتكلم، و فتحها، لأنه لم يعدّ الفعل الى مفعول به، كما عداه غيره. و حذف المفعول كثير. و لو لم يدغم، و بيّن، كان حسناً فى القياس مثل (يقتلوننى) فى جواز البيان و الإدغام. و من فتح النون جعلها علامة الرفع، و لم يعد الفعل فيجتمع نونان.

أمر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يخبر من تقدم ذكره «عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ» و الضيف هو المنضوى الى غيره لطلب القرى، و جمعه ضيوف و أضياف و ضيفان «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ» يتعلق ب (ضيف) و ضيف يقع على الواحد و الاثنين و الجمع، فلذلك قال «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ» فكنى بكناية الجمع. و سماهم ضيفاً، و هم ملائكة، لأنهم دخلوا بصورة البشر «فَقالُوا سَلاماً» نصبه على المصدر، و المعنى سلمت سلاماً على وجه الدعاء، و التحية. و مثله قوله «وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً» «۶» و المعنى سلمنا منكم سلاماً، و السلامة نقيض البلاء و الآفة المخوفة، و النجاة نقيض الهلاك.

و قوله «قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ» اخبار عما أجاب به ابراهيم ضيفانه بأنه خائف منهم، و الوجل الخوف، فأجابه الضيفان، و قالوا «لا توجل» أى لا تخف انا

---

(۱) قائله عمر بن معد يكرب. الكتاب لسيبويه ۲: ۶۷ و شرح المفضليات ۷۸ و الانصاف ۳۷۷ و مجاز القرآن ۱: ۳۵۲ و مجمع البيان ۳: ۳۳۹.

(۲) سورة ۷ الاعراف آية ۱۴۹

(۳) سورة ۴۶ الأحقاف آية ۱۷

(۴) سورة ۳۹ الزمر آية ۶۴

(۵) سورة الانعام آية ۸۰

(۶) سورة ۲۵ الفرقان آية ۶۳ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۲

جئناك «نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ». و التبشير الإخبار بما يسرّ، بما يظهر فى بشرة الوجه سروراً به يقال: بشرته أبشره بشارة و أبشر ابشاراً بمعنى استبشر، و بشرته تبشيراً، و انما وصفه بأنه «عليم» قبل كونه، لدلالة البشارة به على انه سيكون بهذه الصفة، لأنه إنما بشر بولد يرزقه اللَّه إياه و يكون عليماً، فقال لهم ابراهيم «أَ بَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ» اى كيف يكون لى ولد و قد صرت كبيراً، لان معنى «مَسَّنِيَ الْكِبَرُ» أى غيرنى الكبر عن حال الشباب التى يطمع معها فى الولد، الى حال الهرم. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه عجب من ذلک لکبره، فقاله على هذا الوجه.

و الآخر- انه استفهم فقال: أ أمر اللّه ان تبشروننى، فى قول الجبائى.

و معنى (على ان مسنى) أى بأن مسنى، كما قال «حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ» «۱» بمعنى بأن لا أقول.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۵۵ الى ۵۶] ..... ص : ۳۴۲

قالُوا بَشَّرْناکَ بِالْحَقِّ فَلا تَکُنْ مِنَ الْقانِطِينَ (۵۵) قالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ (۵۶)

آيتان بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو و الكسائى «يقنط» بكسر النون، حيث وقع. الباقون بفتحها، و كلهم قرأ «من بعد ما قنطوا» «۲» بفتح النون، قال ابو على: قنط يقنط و يقنط لغتان بدلالة إجماعهم على قوله «مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا» بفتح النون و قد حکى: يقنط بضم النون، و هى شاذة، و هذا يدل على ان ماضيه على (فعَل) لأنه ليس فى الكلام (فعِل يفعُل). و قد حکى عن الأعمش أنه قرأ «من بعد ما قنطوا» بكسر النون، و هى شاذة لا يقرأ بها.

و فى هذه الآية حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم، حين عجب ان يكون له

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۰۴

(۲) سورة ۴۲ الشورى آية ۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۳

ولد لکبر سنه و علو عمره، إنا بشرناک بذلک على وجه الحق و الصحيح، و أخبرناک به على وجه الصدق، فلا تكن بعد ذلک من جملة القانطين، يعنى الآيسين فأجابهم ابراهيم عند ذلک بأن قال: و «من» الذى «يقنط» أى ييأس «من رحمة» اللّه و حسن إنعامه، إلا من كان عادلًا عن الحق ضالًا عن سبيل الهدى، و هذا يقوى قول من قال: إنه راجعهم فى ذلک على وجه الاستفهام دون الشک فى أقوالهم.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۵۷ الى ۶۰] ..... ص : ۳۴۳

قالَ فَما خَطْبُکُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (۵۷) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (۵۸) إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (۵۹) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ (۶۰)

أربع آيات بلا خلاف.

فقال ابراهيم (ع) بعد ذلک للملائكة «ما خطبكم» اى ما الأمر الجليل الذى بعثتم له، و الخطب الأمر الجليل، و مثله ما شأنک، و ما أمرک، و منه الخطبة، لأنها فى الأمر الجليل، فأجابته الملائكة بأنّا «أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ» و قوم الرجل: هم الذين يقيمون بنصرته، و النفر الذين ينفرون فى مهام الأمور. و قوم لوط هم الذين كان يجب عليهم القيام بنصرته و معونته على أمره. و قال قوم: إنه يقع على الرجال دون النساء. و المجرم المنقطع عن الحق الى الباطل، و هو القاطع لنفسه عن المحاسن الى المقابح، و المعنى «إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى» من وصفنا لنهلكهم، و ننزل بهم العقوبة. ثم استثنى من ذلک (آل لوط) و أخبر أنهم ينجونهم كلهم، يقال: نجيت فلاناً و أنجيته، فمن قرأ بالتشديد أراد التكثير.

ثم استثنى من جملة آل لوط امرأته، و بين انها هالكة مع الهالكين، (و قدرنا) اى كتبنا «إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ» و الغابر الباقى فى من يهلک. و الغابر الباقى فى مثل الغبرة، مما يوجب الهلكة. قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۴

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى و ما غبر «۱»

و آل الرجل أهله الذين يرجعون إلى ولايته، و لهذا يقال أهل البلد، و لا يقال آل البلد، و لكن آل الرجل اتباعه الذين يرجع أمرهم اليه بولايته و نصرته.

و قيل: إن امرأة لوط كانت فى جملة الباقين. ثم أهلكت فيما بعد «و قدرنا» بالتخفيف مثل (قدّرنا) بالتشديد، و كلهم قرأ- هاهنا- مشدداً إلا أبا بكر عن عاصم، فإنه خففها، و يكون ذلك من التقدير، كما قال «وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ» «۲». و قال ابو عبيدة: فى الآية معنى فقر، و كان ابو يوسف يتأوله فيها، لان اللَّه تعالى استثنى آل لوط من المجرمين، ثم استثنا استثناء رده على استثناء كان قبله، و كذلك كل استثناء فى الكلام إذا جاء بعد آخر عاد المعنى إلى أول الكلام، كقول الرجل: لفلان على عشرة إلا أربعة إلا درهم، فأنه يكون اقرار بسبعة، و كذلك لو قال: على خمسة إلا درهماً إلا ثلثاً، كان إقرار بأربعة و ثلث، و كذلك لو قال لأمرأته أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة كانت طالقاً إثنتين، قال: و اكثر ما يستثنى ما هو أقل من النصف، و لم يسمع اكثر من النصف الا بيت أنشده الكسائى:

أدوا التى نقصت سبعين من مائة ثم ابعثوا حكماً بالعدل حكّاما

فجعلها مائة إلا سبعين، و هو يريد ثلاثين، و ضعف المبرد الاحتجاج بهذا البيت، و لم يجز استثناء الأكثر من الجملة و لا نصفها، و إنما جاز استثناء ما دون النصف من الجملة حتى قال: لا يجوز ان يقال: له عندى عشرة إلا نصف و لا عشرة إلا واحد، قال: لان تسعة و نصف أولى بذلك، و كذلك لا يجوز: له الف إلا مائة، لأن تسعة مائة أولى بذلك، و إنما يجوز الف إلا خمسين و إلا سبعين و الا تسعين، قال: و على هذا النحو بنى هذا الباب. و الصحيح الأول، عند اكثر العلماء من المتكلمين و الفقهاء و اكثر النحويين.

---

(۱) قائله العجاج ديوانه ۱۵ و اللسان (ثبت)، و قد مر قسم من هذا الرجز فى ۴: ۵۸۸:

۵۸۹ تعليقة ۴

(۲) سورة الطلاق آية ۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۵

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۶۱ الى ۶۴] ..... ص : ۳۴۵

فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (۶۱) قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (۶۲) قالُوا بَلْ جِئْناكَ بِما كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (۶۳) وَ أَتَيْناكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (۶۴)

أربع آيات بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى ان الملائكة الذين بعثهم اللَّه لإهلاك قوم لوط، لما جاؤوا لوطاً و قومه، و كانوا فى صورة لا يعرفهم بها لوط، انكرهم، و قال لهم «إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ» اى لا تعرفون مع الاستيحاش منكم، لأنه لم يثبتهم فى ابتداء مجيئهم فلما اخبروه بأنهم رسل اللَّه جاؤوا بعذاب قومه و سؤاله الأمر، عرفهم حينئذ، و قالوا «بَلْ جِئْناكَ بِما كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ» اى بالعذاب الذى كانوا يشكّون فيه و يكذبون به، و قد يوصف الجاهل بالشك من جهة ما يعرض له فيه من حيث لا يرجع الى ثقة فيما هو عليه. و قالوا له ايضاً انا جئناك بالحق فيما أخبرناك به من عذاب قومك، و نحن صادقون فيه.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۶۵ الى ۶۶] ..... ص : ۳۴۵

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (۶۵) وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ

مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (۶۶)

آيتان بلا خلاف.

هذا حكاية ما قالت الملائكة للوط و أمرهم إياه بأن يسرى بأهله. و الإسراء سير الليل: سرى يسرى سرى و اسرى إسراء لغتان قال الشاعر:

سريت بهم حتى تكل مطيهم و حتى الجياد ما يقدن بأرسان «۱»

---

(۱) مر هذا البيت فى ۶: ۴۳ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۶

و قوله «بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ» معناه بقطعة تمضى منه، كأنه جمع قطعة. مثل تمرة و تمر و بسرة و بسر، و قيل: بقطع من الليل ببعض الليل. و قيل: بقية من الليل. و قيل: إذا بقى من الليل قطعة و مضى أكثره.

و قوله «وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ» اى اقتف آثارهم يعنى آثار الأهل. و الاتباع اقتفاء الأثر. و الاتباع فى المذهب، و الاقتداء مثله، و خلافه الابتداع. و الأدبار جمع دبر، و هو جهة الخلف. و القبل جهة القدّام، و يكنى بهما عن الفرج. و جمع القبل أقبال.

و معنى قوله «وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» اى لا يلتفت الى ما خلف، كما يقول القائل: امض لشأنك، و لا تعرج على شىء. و قيل: لئلا يرى هو ما ينزل بهم مما لا تطيقه نفسه «وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ» اى حيث تؤمرون بالمصير اليه.

و قوله «وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ» اى أخبرناه و أعلمناه «ذلِكَ الْأَمْرَ» اى ما ينزل بهم من العذاب.

و قوله «أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ» و الدابر الأصل. و قيل دابرهم آخرهم، و عقب الرجل دابره «مصبحين» نصب على الحال اى فى حال ما دخلوا فى وقت الصبح، و مثله قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ» «۱» نصب على الحال.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۶۷ الى ۷۱] ..... ص : ۳۴۶

وَ جاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (۶۷) قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (۶۸) وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ (۶۹) قالُوا أَ وَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ (۷۰) قالَ هؤُلاءِ بَناتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (۷۱)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا إخبار من اللَّه تعالى أنه حين بلغ أهل المدينة نزول من هو فى صورة

---

(۱) سورة الحجر آية ۷۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۷

الأضياف بلوط، جاؤوا إليه مستبشرين فرحين، يقال استبشر استبشاراً و أبشر إبشاراً، بمعنى واحد و ضده اكتأب اكتئاباً. و انما فرحوا طمعاً فى ان ينالوا الفجور منهم، فقال لهم لوط «إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ» فيهم، و الفضيحة ظهور السيئة التى يلزم العار بها عند من عملها، يقال: فضحه يفضحه فضيحة، و أفتضح افتضاحاً و تفاضحوا تفاضحاً. ثم قال لهم «اتقوا الله» باجتناب معاصيه، و فعل طاعته، «و لا تخزون» و الخزى الانقماع بالعيب الذى يستحيا يقال منه: خزى خزياً، و أخزاه اللَّه إخزاء و الاخزاء و الاذلال و الإهانة نظائر. و للضيف ذمام كانت العرب تراعيه، و تحافظ عليه، و تعيب من عنده ضيف و لم يقم بحقه، فلذلك قال لهم «إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي»، فقالوا له فى الجواب عن ذلك أو ليس نهيناك أن تستضيف أحداً من جملة الخلائق أو تنزله عندك، فقال لهم عند ذلك «هؤلاء» و أشار الى بناته. و قيل أنهن كن بناته لصلبه، و قيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالترويج و الاستغناء بهن عن الذكران. و قال الحسن،

و قتادة: أراد «هؤلاء بناتی» فتزوجوهن «إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ» كناية عن طلب الجماع. و قال الجبائی: ذلك للرؤساء الذين يكفون الاتباع، و قد كان يجوز فی تلك الشريعة تزويج المؤمنة بالكافر، و قد كان فی صدر شريعتنا جائزاً ايضاً، ثم حرّم. و هو قول الحسن. و قال الزجاج: أراد نساء أمته، فهم بناته فی الحكم، قال الجبائی:

و هذا القول كان من لوط لقومه قبل ان يعلم أنهم ملائكة لا يحتاج الى هذا القول لقومه.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۷۲ الى ۷۸] ..... ص : ۳۴۷

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (۷۲) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (۷۳) فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (۷۴)

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (۷۵) وَ إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (۷۶)

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (۷۷) وَ إِنْ كانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ (۷۸)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۸

سبع آيات بلا خلاف.

قال ابن عباس معنى (لعمرك) و حياتك. و قال غيره: هو مدة حياته و بقائه حياً بمعنى لعمرك و مدة بقاءك حيّاً. و العَمر و العُمر واحد، غير أنه لا يجوز فی القسم إلا بالفتح، قال ابو عبيدة: ارتفع لعمرك و هی يمين، و الأيمان تكون خفضاً إذا كانت الواو فی أوائلها، و لو كانت و عمرك لكانت خفضاً، و لذلك قولهم: لحق لقد فعلت ذلك، و إنما صارت هذه الأيمان رفعاً بدخول اللام فی أولها، لأنها أشبهت لام التأكيد، فأما قولهم: عمرك اللَّه أفعل كذا، فإنهم ينصبون (عمرك) و كذلك ينصبون (اللَّه لا فعلن). قال المبرد: لا أفتحها يميناً، بل هی دعاء و معناه اسأل اللَّه لعمرك. قال المبرد: و التقدير: لعمرك ما اقسم به، و مثله: عليّ عهد اللَّه لأفعلن، فعهد اللَّه رفع بالابتداء، و فيه معنى القسم، و كذلك (لاها اللَّه ذا). قال الخليل: (ذا) معناه ما أقسم عليه. و حكى عن الأخفش أنه قال: (ذا) ما اقسم به، لأنه قد ذكر اللَّه، و كلاهما حسن جميل.

و قوله «إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ» فالسكرة غمور السهو للنفس و هؤلاء فی سكرة الجهل «يعمهون» ای يتحيرون، و لا يبصرون طريق الرشد.

و قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ» فالأخذ فعل يصير به الشیء فی جهة الفاعل، فالصيحة كأنها أخذتهم بما صاروا فی قبضتها حتى هلكوا عن آخرهم.

و الصيحة صوت يخرج من الفم بشدة. و يقال: إن الملك صاح بهم صيحة أهلكتهم.

و يجوز ان يكون جاء صوت عظيم من فعل اللَّه كالصيحة. و الاشراق ضياء الشمس بالنهار شرقت الشمس تشرق شروقاً إذا طلعت، و أشرقت إشراقاً إذا أضاءت وصفت. و معنى (مشرقين) داخلين فی الاشراق.

و قوله «فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها» و الجعل حصول الشیء على وجه لم يكن بقادر عليه لو لا الجعل، و مثله التصيير، و المعنى: انه قلب القرية فجعل أسفلها أعلاها بيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۴۹

و أعلاها أسفلها «وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً» ای أرسلنا الحجارة، كما يرسل المطر «من سجيل» و قيل فی معناه قولان:

أحدهما- انها من طين و هو معرّب. و قيل هو من السجل، لأنه كان عليها أمثال الخواتيم بدلالة قوله «حِجارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ» «۱» و الثانی- انها حجارة معدة عند اللَّه تعالى للمجرمين، و أصله (سجين) فأبدلت النون لاماً.

فان قيل ما معنى امطار الحجارة عليهم مع انقلاب مدينتهم؟

قلنا فيه قولان:

أحدهما- أنه أمطرت الحجارة أولًا ثم انقلبت بهم المدينة.

الثانی- ان الحجارة أخذت قوماً منهم خرجوا من المدینة بحوائجهم قبل الفجر- فی قول الحسن- ثم اخبر تعالی ان فیما حکاه آیات و دلالات للمتوسمین.

قال مجاهد یعنی المتفرسین. و قال قتادة: یعنی المعتبرین. و قال ابن زید:

المتفکرین. و قال الضحاک: الناظرین. و قال ابو عبیدة: المتبصرین. و المتوسم الناظر فی السمة الدالة.

و قوله «إِنَّها لَبِسَبِیلٍ مُقِیمٍ» معناه إن الاعتبار بها ممکن لان الآیات التی یستدل بها مقیمة ثابتة بها و هی مدینة سدوم، و الهاء کنایة عن المدینة التی أهلکها اللَّه، و هی مؤنثة. ثم قال ان فیما قصّ من حکایة هذه المدینة «لَآیَةً لِلْمُؤْمِنِینَ» و دلالة لهم. و قیل فی وجه إضافة الآیة الی المؤمنین قولان:

أحدهما- انه یصلح ان یستدل بها.

و الآخر- انه یفعل الاستدلال بها. و تضاف الآیة الی الکافر بشرط واحد، و هو أنه یمکنه الاستدلال بها.

و قوله «وَ إِنْ کانَ أَصْحابُ الْأَیْکَةِ لَظالِمِینَ» فالأیکة الشجرة فی قول الحسن و الجمع الأیک کشجرة و شجر. و قیل: الأیکة الشجر الملتف قال امیة:

---

(۱) سورة الذاریات آیة ۳۳- ۳۴

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۵۰

کبکاء الحمام علی فروع الای - ک فی الطیر الجرائح

و قیل الایکة الغیضة و اصحاب الایکة هم أهل الشجر الذین أرسل الیهم شعیب (ع) و أرسل الی اهل مدین، فأهلکوا بالصیحة، و اصحاب الایکة فأهلکوا بالظلة التی احترقوا بنارها. فی قول قتادة، فأخبر اللَّه تعالی انه أهلک اصحاب الأیکة بظلمهم و عتوهم و کفرهم بآیات اللَّه و جحدهم نبوة نبیه. و قال ابن خالویه: الأیکة أسم القریة، و الایکة أسم البلد، کما ان مکة اسم البلد، و مکة اسم البیت. و لم یصرفوا الأیکة للتعریف و التأنیث، و یجوز ان یکونوا ترکوا صرفه، لأنه معدول عن الالف و اللام، کما ان شجر معدول عن الشجر، فلذلک لم یصرفوه.

قوله تعالی:[سورة الحجر (۱۵): الآیات ۷۹ الی ۸۴] ..... ص : ۳۵۰

فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وَ إِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِینٍ (۷۹) وَ لَقَدْ کَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِینَ (۸۰) وَ آتَیْناهُمْ آیاتِنا فَکانُوا عَنْها مُعْرِضِینَ (۸۱) وَ کانُوا یَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً آمِنِینَ (۸۲) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ مُصْبِحِینَ (۸۳)

فَما أَغْنی عَنْهُمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ (۸۴)

ست آیات بلا خلاف.

لما اخبر اللَّه تعالی عن اصحاب الایکة أنهم کذبوا رسل اللَّه، اخبر بأنه انتقم منهم بأن اهلکهم و دمر علیهم. و فرق الرمانی بین الانتقام و العقاب، فقال:

الانتقام نقیض الانعام، و العقاب نقیض الثواب، فالعقاب مضمن بأنه علی المعصیة، و الانتقام مطلق، و هو- هاهنا- علی المعاصی، لان الإطلاق یصلح فیه التقیید: بحذف الاضافة.

و قوله «وَ إِنَّهُما» یعنی قریتی قوم لوط، و اصحاب الایکة، لبطریق یؤم و یتبع و یهتدی به- فی قول ابن عباس و مجاهد و الضحاک و الحسن- و قال أبو علی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۵۱

الجبائی «لَبِإِمامٍ» و هو الکتاب السابق الذی هو اللوح المحفوظ، ثابت ذلک فیه ظاهر. و الامام- فی اللغة- هو المقدم الذی یتبعه من

بعده و إنما كانا بإمام مبين، لأنهما على معنى يجب ان يتبع، فيما يقتضيه و يدل عليه، و المبين الظاهر.

و قوله «وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ» اخبار منه تعالى ان اصحاب الحجر، و هى مدينة- فى قول ابن شهاب، و سموا أصحاب الحجر، لأنهم كانوا سكانه، كما تقول: اصحاب الصحراء. «كذبوا» ايضاً الرسل الذين بعثهم اللّه اليهم، و جحدوا نبوتهم: و قال قتادة: هم اصحاب الوادى، و هو من الحجر الذى هو الحظر.

و اخبر تعالى انه أتاهم اللّه الدلالات و المعجزات الدالة على توحيده و صدق أنبيائه، فكانوا يعرضون عنها و لا يستدلون بها، و كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ينقرون نقراً يأمنون فيها من الخراب. و قيل آمنين من سقوطها عليهم. و قيل كانوا آمنين من عذاب اللّه. و قيل: من الموت. و نصبه على الحال.

فأخبر تعالى ان هؤلاء «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ» اى جاءتهم الصيحة وقت دخولهم فى الصباح، و لم يغنهم «ما كانُوا يَكْسِبُونَ» من الملاذ القبيحة.

و الغنى وجود ما ينتفى به الضرر عنهم.

قوله تعالى:[سورة الحجر (١٥): الآيات ٨٥ الى ٨٦] ..... ص : ٣٥١

وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦)

آيتان بلا خلاف.

وجه اتصال هذه بما تقدم ذكره هو ان الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا، لان اللّه ما خلق «السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ» و على «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ» للجزاء التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۵۲

و أن جمع ما خلق يرجع الى عالم به و بتدبيره. و قيل: ما أهلكناهم إلا بالحق كما خلقنا السموات و الأرض بالحق، فأخبر تعالى انه لم يخلق السموات و الأرض إلا بالحق، و لوجه من وجوه الحكمة، و ان الساعة، و هى يوم القيامة لآتية جائية بلا شك. ثم امر نبيه صلّى اللّه عليه و سلم ان يصفح بمعنى يعفو عنهم عفواً جميلًا. و اختلفوا فى كونه منسوخاً:

فقال قتادة، و مجاهد، و الضحاك: إنه منسوخ بوجوب الجهاد و القتال، و كان الصفح قبل ذلك.

و قيل الحسن: هذا فيما بينه و بينهم، لا فى ما امر به من جنة جهادهم.

و قال الجبائى: أمره بأن يحلم عنهم فيما كانوا يسفهون عليه من شتمه، و سفاهتهم عليه، فلا يقابلهم بمثله ثم اخبر تعالى انه الخلاق لما ذكر من السموات و الأرض، عليم بما فيه من المصلحة لعباده و وجه الحكمة فيه.

قوله تعالى:[سورة الحجر (١٥): الآيات ٨٧ الى ٩١] ..... ص : ٣٥٢

وَ لَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)

خمس آيات.

هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم أنه آتاه أى أعطاه سبعاً من المثانى، فقال ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد: هى السبع الطوال سبع سور من أول القرآن.

قال قوم: المثانى التى بعد المائتين قبل المفصل. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۵۳

و فى رواية أخرى عن ابن عباس و ابن مسعود: أنها فاتحة الكتاب، و هو قول الحسن و عطاء.

و

روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم أنه قال: (السبع المثانى أم القرآن)

و هى سبع آيات بلا خلاف فى جملتها، و إنما سميت مثانى، فى قول الحسن، لأنها تثنى فى كل صلاة و قراءة.

و قيل: المثانى السبع الطوال لما يثنى فيها من الحكم المصرفة قال الراجز:

نشدتكم بمنزل الفرقان ام الكتاب السبع من مثانى

ثنتين من آى من القرآن و السبع سبع الطوّل الدوانى «۱»

و قد وصف اللَّه تعالى القرآن كله بذلك فى قوله «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ» «۲» فعلى هذا تكون (من) للتبعيض. و من قال: انها الحمد قال:

(من) بمعنى تبيين الصفة، كقوله «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «۳» و قوله «وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» تقديره و آتيناك القرآن العظيم سوى الحمد و قوله «لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ» خطاب للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم و المراد به الأمّة، نهاهم اللَّه تعالى ان يمدوا أعينهم الى ما متع هؤلاء الكفار به من نعيم الدنيا. و معنى أزواجاً منهم أمثالًا من النعم «وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» قال الجبائى: معناه لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك. و قال الحسن «لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» على ما يصيرون اليه من النار بكفرهم.

ثم أمر نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يخفض جناحه للمؤمنين و هو ان يلين لهم جانبه و يتواضع لهم و يحسن خلقه معهم، و أن يقول لهم «إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ» يعنى المخوف من عقاب اللَّه من ارتكب ما يستحق به العقوبة، و مبين لهم ما يجب عليهم العمل به.

---

(۱) مجاز القرآن ۱: ۷ و تفسير القرطبى ۱۰: ۵۴ و تفسير الطبرى ۱: ۳۶ و مجمع البيان ۳: ۳۴۵

(۲) سورة الزمر آية ۲۳

(۳) سورة الحج آية ۳۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۵۴

و قوله «كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ» قال ابن عباس و سعيد بن حبير، و الحسن:

هؤلاء هم أهل الكتاب اقتسموا القرآن، فآمنوا ببعضه و كفروا ببعضه، و قال قتادة: هم قوم من قريش عضوا كتاب اللَّه. و قال ابن زيد: هم قوم صالح «تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» و قال الحسن: أنزلنا عليك الكتاب، كما أنزلنا على المقتسمين من قبل، قوم اقتسموا طرق مكة ينفرون عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم و يقولون:

إنه ساحر، و بعضهم يقول هو كاهن، و بعضهم يقول انه مجنون، فأنزل اللَّه بهم عذابا اهلكهم به. و تقديره أنذركم بما أنزل بالمقتسمين. ذكره الفراء.

و قوله «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» أى جعلوه متفرقاً بالايمان ببعضه و الكفر ببعض، فعضوه على هذا السبيل الذى ذمهم اللَّه بها. و قيل جعلوه عضين، بأن قالوا سحر و كهانة- فى قول قتادة- و اصل عضين عضه منقوصة الواو، مثل عزة و عزين، قال الشاعر:

ذاك ديار يأزم المآزما و عضوات تقطع اللهازما «۱»

و قال آخر:

للماء من عضاتهن زمزمه

و قال رؤبة:

و ليس دين اللَّه بالمعضى «۲»

فالمعنى انهم عضوه أى فرقوه، كما تعضا الشاة و الجزور، و اصل عضه عضوه فنقصت الواو، و لذلك جمعت عضين بلا واو كما قالوا عزين جمع عزة و الأصل عزوة و مثله ثبه و ثبون، و أصله ثبوة و العضيهة الكذب، فلما نسبوا القرآن الى الكذب و انه ليس من قبل اللَّه

فقد عضهوا بذلک.

قوله تعالى:[سورة الحجر (۱۵): الآيات ۹۲ الى ۹۹] ..... ص : ۳۵۴

فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (۹۲) عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ (۹۳) فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (۹۴) إِنَّا كَفَيْناکَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (۹۵)
الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۹۶)
وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّکَ يَضِيقُ صَدْرُکَ بِما يَقُولُونَ (۹۷) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (۹۸) وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتَّى يَأْتِيَکَ الْيَقِينُ (۹۹)

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۳۴۴ و اللسان «عضه» و روايته:

هذا طريق يأزم المآزما و عضوات تقطع اللهازما

(۲) اللسان «عضا»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۵۵

ثمان آيات بلا خلاف.

أقسم اللّه تعالى بقوله «فو ربک» يا محمد، و فى ذلک تشريف للنبى صلّى اللّه عليه و سلم و تنبيه على عظم منزلته عند اللّه «لنسألنهم» يعنى هؤلاء الكفار «أجمعين» و انما يسألهم سؤال توبيخ و تقريع، فيقول لهم لم عضيتم القرآن، و ما حجتكم فيه و ما دليلكم عليه، فيظهر عند ذلک خزيهم و فضيحتهم عند تعذر جواب يصح منهم.

و قوله «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ» أمر من اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم ان يفرّق بما أمر به، و المعنى افرق بين الحق و الباطل بما تؤمر به، قال أبو ذؤيب:

و كأنّهنّ ربابة و كأنّه يسر يفيض على القداح و يصدع «۱»

و قال مجاهد: معناه فاجهر بما تؤمر، و انما قال بما تؤمر، و لم يقل بما تؤمر به، لأمرين: أحدهما- انه حذف (به) كما يقال آمرک و آمر بک، و أكفرک و أكفر بک قال الشاعر:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام «۲»

و كما قال الآخر:

أمرتک حازماً فعصيتنى و أصبحتَ مسلوب الإمارة نادما

---

(۱) ديونه ۸۱ و مجاز القران ۱: ۳۵۵ و تفسير الطبرى ۱۴: ۴۱ و اللسان «صدع» و مجمع البيان ۳: ۳۴۶

(۲) قطر الندى (باب المعرب و المبنى) و اللسان (حذم) [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۵۶

و قوله «أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» أمر بأن يعرض عن المشركين، و لا يخاصمهم الى ان يأمره بقتالهم.

و قوله «إِنَّا كَفَيْناکَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» المعنى كفيناک شرهم و استهزاءهم بأن أهلكناهم و كانوا خمسة نفر من قريش: الوليد بن المغيرة، و العاص بن وائل، و ابو زمعة و الأسود بن عبد يغوث، و الحرث بن عيطلة- فى قول سعيد بن جبر- و قيل الأسود بن المطلب، أهلكهم اللّه.

و قوله «الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» الذين فى موضع جر، لأنه بدل من المستهزئين، وصفهم بأنهم اتخذوا مع اللّه إلهاً آخر عبدوه، ثم قال «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» و بال ذلک يوم القيامة، و هذا غاية التهديد، ثم قال «وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّکَ» يا محمد «يَضِيقُ صَدْرُکَ» و يشق

عليك ما يقولون من التكذيب و الاستهزاء. ثم أمره ان يحمد ربه على نعمه و ان يكون من الساجدين الذين يسجدون للّه، و يوجهون عبادتهم اليه، و ان يعبد ربه الى الوقت الذى يأتيه اليقين، و معناه حتى يأتيه الموت- فى قول الحسن و مجاهد و قتادة- و سمى يقيناً، لأنه موقن به توسعاً و تجوزاً، لأنه مما يوقن به جميع العقلاء. و يحتمل أن يكون أراد. حتى يأتيه العلم الضرورى بالموت و الخروج من الدنيا الذى يزول معه التكليف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۵۷

(۱۶) سورة النحل ..... ص : ۳۵۷

اشارة

هى مكية إلا آية هى قوله «وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا» الآية.

و قال الشعبى: نزلت النحل كلها بمكة إلا قوله «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ» إلى آخرها. و قال قتادة: من أول السورة الى قوله «كن فيكون» مكى، و الباقى مدنى. و قال مجاهد: أولها مكى و آخرها مدنى، و هى مائة و ثمان و عشرون آية ليس فيها خلاف.

[سورة النحل (۱۶): آية ۱] ..... ص : ۳۵۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۱)

آية بلا خلاف.

قرأ نافع و عاصم و ابو عمرو «يشركون» بالياء. و قرأ ابن عامر و ابن كثير مثل ذلك. و قرأ حمزة و الكسائى بالتاء.

من قرأ بالتاء، فلقوله «فلا تستعجلوه» فرد الخطاب الثانى الى الأول.

و من قرأ بالياء قال لان اللّه أنزل القرآن على محمد صلّى اللّه عليه و سلم فقال محمد تنزيها للّه «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۵۸

و قرأ سعيد بن جبير «أتى أمر اللّه، فلا تستعجله» و روى عن عباس انه قال:

المشركون قالوا للنبى صلّى اللّه عليه و سلم ائتنا بعذاب اللّه ان كنت من الصادقين، فقال اللّه تعالى «أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ» و انما قال «أَتى أَمْرُ اللَّهِ» و لم يقل يأتى، لان اللّه تعالى قرّب الساعة، فجعلها كلمح البصر، فقال «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «۱» و قال «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» «۲» و كل ما هو آت قريب، فعبر بلفظ الماضى ليكون أبلغ فى الموعظة، و إن كان قوله «فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ» يدل على أنه فى معنى يأتى، و أمر اللّه يراد به العذاب- فى قول الحسن و ابن جريج و غيرهما- و قال الضحاك: معناه فرائضه و أحكامه. و قال الجبائى: أمره القيامة و الأول أصح، لأنهم استعجلوا عذابه دون غيره.

و التسبيح فى اللغة ينقسم أربعة أقسام:

أحدها- التنزيه مثل قوله «سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا» «۳» و قال الشاعر:

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر «۴»

و الثانى- معنى الاستثناء كقوله «لَوْ لا تُسَبِّحُونَ» «۵» اى هلا تستثنون.

و الثالث- الصلاة كقوله «فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» «۶».

و الرابع- النور، جاء فى الحديث (فلو لا سبحان وجهه) أى نوره و معنى «تعالى»: تعاظم بأعلى صفات المدح عن ان يكون له شريك

فی العبادة، و جمیع صفات النقص منتفیة عنه.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): آیة ۲] ..... ص : ۳۵۸

یُنَزِّلُ الْمَلائِکَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (۲)

---

(۱) سورة النحل آیة ۷۷

(۲) سورة القمر آیة ۱.

(۳) سورة الإسراء آیة ۱

(۴) مر هذا الشعر فی ۱: ۱۳۴، ۳: ۸۱ ۵: ۲۴۱، ۳۹۵

(۵) سورة القلم آیة ۲۸.

(۶) سورة الصافات آیة ۱۴۳

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۵۹

آیة بلا خلاف.

قرأ روح و الکسائی عن أبی بکر «تنزل الملائکة» بالتاء و فتحها، و فتح النون و الزای و رفع الملائکة. الباقون بالیاء و ضمها و فتح النون و تشدید الزای و کسرها، و نصب الملائکة، إلا أن ابن کثیر و أبا عمرو، و ورشاً یسکنون النون و یخففون الزای.

من قرأ بالیاء ففاعل (ینزّل) هو الضمیر العائد الی اسم اللَّه فی قوله «أَتی أَمْرُ اللَّهِ» و إسکان النون و تخفیف الزای و تشدیدها، فکلاهما جائز، قال تعالی:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ» «۱» و قال «وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ» «۲» فأما ما روی عن عاصم من القراءة بالتاء، فلأنه أنث الفعل بإسناده الی الملائکة کقوله «إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَةُ» «۳» و بنی الفعل للمفعول به و أسنده الیهم و الأول أبین.

اخبر اللَّه تعالی أنه ینزل الملائکة بالروح من أمره، و اختلفوا فی معنی الروح- هاهنا- فقال ابن عباس: أراد به الوحی، و قال الربیع بن انس: أراد به کلام اللَّه، و قال قوم: أراد حیاة النفوس، و الإرشاد لهم الی الدین، و قد فسر ذلک بقوله «ان أنذروا» و هو بدل من الروح، و موضعه الجر و تقدیره ب (أن أنذروا) لأن الموعظة و الانذار للکافر حیاة، لأنه تعالی شبه الکافر بالمیت، فقال «أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْناهُ» «۴» بالإسلام. و الروح تنقسم عشرة اقسام: فالروح الإرشاد و الحیاة، و الروح الرحمة

قرأ رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه و سلم «فَرَوْحٌ وَ رَیْحانٌ»

«۵» و الروح النبوة لقوله «یُلْقِی الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» «۶» و الروح عیسی روح اللَّه أی خلق من غیر بشر، و قال آخرون: من غیر فحل. و قیل انه سمی بذلک لکونه رحمة علی عباد اللَّه بما یدعوهم الی اللَّه، و الروح جبرائیل. و الروح النفخ، یقال: أحییت النار بروحی أی بنفخی، قال ذو الرمة یصف الموقد و الزندة:

---

(۱) سورة الحجر آیة ۹

(۲) سورة النحل آیة ۴۴

(۳) سورة ال عمران آیة ۴۲، ۴۵

(۴) سورة الانعام آیة ۱۲۲

(۵) سورة الواقعة آیة ۸۹

(۶) سورة المؤمن (غافر) آیة ۱۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۶۰

فلما بدت کفنتها و هی طفلة بطلساء لم تکمل ذراعاً و لا شبرا

فقلت له ارفعها الیک و أحیها بروحک و اقتته لها قیتة قدرا «۱»

و الروح الوحی قال اللَّه تعالی «وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» «۲» قیل انه جبرائیل، و قیل الوحی. و الروح ملک فی السماء من أعظم خلقه، فإذا کان یوم القیامة وقف صفاً، و الملک کلهم صفاً، و الروح روح الإنسان. و قال ابن عباس فی الإنسان روح و نفس، فالنفس هی التی تکون فیها التمییز و الکلام، و الروح هو الذی یکون به الغطیط و النفس، فإذا نام العبد خرجت نفسه و بقیت روحه، و إذا مات خرجت نفسه و روحه معاً. و قوله «عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» یعنی الأنبیاء یأمرهم أن یخبروا عباده أنه لا إله یستحق العبادة غیر اللَّه تعالی، و یأمرهم بأن یتقوا معاصیه و یفعلوا طاعاته.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۳ الی ۴] ..... ص : ۳۶۰

خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالی عَمَّا یُشْرِکُونَ (۳) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ (۴)

آیتان بلا خلاف.

قرأ حمزة و الکسائی «تشرکون» بالتاء فی الموضعین لقوله «فلا تستعجلوه» فردّ الخطاب الی الاول. و من قرأ بالیاء فلما تقدم ذکره. احتج اللَّه تعالی بالآیة و ما قبلها و ما بعدها علی خلقه و أعلمهم عظیم نعمه، و دلهم علی قدرته، إذ «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بما فیهما من العجائب و المنافع، و «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ» مهینة ضعیفة سیالة فرباها و دبرها حتی صار إنساناً یخاصم و یبین. و لو وضعنا

---

(۱) اللسان (حیا) ذکر البیت الثانی فقط (طلس) ذکر الشطر الثانی من البیت الاول.

(۲) سورة الشوری آیة ۵۲ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۶۱

النطفة بین أیدی الخلائق فاجتهدوا، و فکروا ما قدروا علی قلبها، و لا عرفوا کیف یتمکن و یتأتّی أن تقلب حالًا بعد حال حتی تصیر فیها روح، و عقل، و سمع، و بصر، و حتی تنطق و تعرب عن نفسها، و تحتج فتدفع عنها. و قیل فی معنی «خصیم مبین» قولان:

أحدهما- انه أخرج من النطفة ما هذه صفته، ففی ذلک أعظم العبرة.

و الثانی- لما خلقه و مکنه خاصم عن نفسه خصومة أبان فیها عن نفسه. و قیل انه یحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- تعریف قدرة اللَّه فی إخراجه من النطفة ما هذه سبیله.

الثانی- تعریف نعم اللَّه فی تبلیغ هذه المنزلة من خلق من نطفة.

الثالث- تعریف فاحش ما ارتکب الإنسان من تضییع حق اللَّه بالخصومة.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۵ الی ۷] ..... ص : ۳۶۱

وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَکُمْ فِیها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْکُلُونَ (۵) وَ لَکُمْ فِیها جَمالٌ حِینَ تُرِیحُونَ وَ حِینَ تَسْرَحُونَ (۶) وَ تَحْمِلُ أَثْقالَکُمْ إِلی بَلَدٍ لَمْ تَکُونُوا بالِغِیهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّکُمْ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ (۷)

ثلاث آیات بلا خلاف.

الأنعام جمع نعم، و هی الإبل، و البقر، و الغنم، سمیت بذلک لنعومة مشیها بخلاف ذات الحافر الذی یصلب مشیها. و نصب بفعل

مقدر يفسره ما بعده، و التقدير و خلق الأنعام خلقها، و إنما نصب لمكان الواو العاطفة على منصوب قبله. و قوله «خلقها لكم» تمام، لأن المعنى خلق الأنعام لكم أى لمنافعكم. ثم أخبر، فقال «فيها دفء» و الدفء ما استدفأت به. و قال الحسن يريد ما استدفئ به من أوبارها، و أصوافها، و أشعارها. و قال ابن عباس: هو اللباس التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶۲

من الأكيسة و غيرها، كأنه سمى بالمصدر و منه دفوء يومنا دفأ، و نظيره (الكنّ) قال الفراء: كتبت (دفء) بغير همز، لأن الهمزة إذا سكن ما قبلها حذفت من الكتاب، و لو كتبت فى الرفع بالواو، و فى النصب بالألف و فى الخفض بالياء كان صواباً. و قال قتادة «فِيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ» معناه منفعة هى بلغة، من الألبان و ركوب ظهرها «وَ مِنْها تَأْكُلُونَ وَ لَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ» و ذاك أعجب ما يكون إذا راحت عظاماً ضروعها طوالًا أسنمتها «وَ حِينَ تَسْرَحُونَ» إذا سرحت لرعيها. فالسروح خروج الماشية إلى المرعى بالغداة. و الاراحة رجوعها من المرعى عشياً: سرحت الماشية سرحاً و سروحاً و سرحها أهلها قال الشاعر:

كأن بقايا الأثر فوق متونة مدب الدبا فوق النقا و هو سارح «۱»

و قوله «وَ تَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ» يعنى هذه الانعام تحمل أثقالكم، و هو جمع ثقل، و هو المتاع الذى يثقل حمله، و جمعه أثقال «لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ» و البلوغ المصير إلى حد من الحدود، بلغ يبلغ بلوغاً و أبلغه إبلاغاً، و بلَّغه تبلغاً و تبلّغ تبلّغاً و تبالغ تبالغاً، و الشق المشقة، و فيه لغتان، فتح الشين و كسرها، فالكسر عليه القراء السبعة. و بالفتح قرأ أبو جعفر المدنى.

و الشق أيضاً أحد قسمى الشىء الذى فى احدى جهتيه، و قال قتادة: معناه بجهد الأنفس، و كسرت الشين من شق الأنفس مع أن المصدر بفتح الشين لأمرين:

أحدهما- قال قوم: هما لغتان فى المصدر، قال الشاعر:

رذى إبل يسعى و يحسبها له أخى نصب من شقها و دؤوب «۲»

بالكسر و الفتح، و قال العجاج:

أصبح مسحول يوازى شقا «۳»

لكسر و الفتح بمعنى يقاسى مشقة، و قال قوم: ان المعنى إلا بذهاب شق قوى النفس

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴/ ۵۱ (الطبعة الاولى) و روايته:

كأن بقايا الأتن فوق متونه مدب الذى فوق النقا و هو سارح

(۲) قائله النمر بن تولب. اللسان (شقق)

(۳) اللسان (شقق)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶۳

ذكره الفراء و الزجاج، و اختاره الطبرى. و قوله «إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ» أى رؤوف بكم رحيم، و من رحمته أنه خلق لكم الأنعام لتنتفعوا بها، على ما ذكره

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۸ الى ۹] ..... ص : ۳۶۳

وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ (۸) وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْها جائِرٌ وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ (۹)

آيتان بلا خلاف.

هذه الآية عطف على التى قبلها، فلذلك نصب «و الخيل» و تقديرها، و خلق الخيل، و هى الدواب التى تركب «و البغال» واحدها بغل «و الحمير» واحدها حمار «لتركبوها» و تتزينوا بها، و نصب (و زينة) بتقدير، و جعلها زينة «وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ» من أنواع الحيوان و

الجماد و النبات لمنافعكم، و يخلق من أنواع الثواب للمطيعين، و أنواع العقاب للعصاة ما لا تعلمون.

و حكى عن ابن عباس: أن الآية دالة على تحريم لحم الخيل، لأنها للركوب و الزينة و الانعام لما ذكر قبل، و هو قول الحكم و الأسود. و قالوا: لأنه تعالى ذكر فى آية الانعام «وَ مِنْها تَأْكُلُونَ» «۱» و لم يذكر ذلك فى آية الخيل بل ذكرها للركوب و الزينة. و ابراهيم لم يربه بأساً، و هو قول جميع الفقهاء. و قال جابر: كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

و قوله «وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» قال ابن عباس: معناه بيان قصد السبيل أى بيان الهدى من الضلال «وَ مِنْها جائِرٌ» أى عادل عن الحق فمن الطريق ما يهدى إلى الحق، و منها ما يضل عن الحق، ثم قال «وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و البلخى: لو شاء لهداكم بالإلجاء، لأنه قادر على ذلك.

الثانى- قال الجبائى: لو شاء لهداكم إلى الجنة.

---

(۱) سورة المؤمن (غافر) آية ۷۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶۴

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۰ الى ۱۱] ..... ص : ۳۶۴

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (۱۰) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۱۱)

آيتان بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عن عاصم إلا الأعشى و البرجمى «ننبت» بالنون. الباقون. بالياء من قرأ بالياء فلما تقدم من قوله «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ... يُنْبِتُ لَكُمْ» و هو أشكل بما تقدم، و النون لا- يمتنع ايضاً، يقال نبت البقل و أنبته اللّه، و قد روى أنبت البقل، و أنكر ذلك الأصمعى، و قال قصيدة زهير التى فيها (حتى إذا أنبت البقل) مبهمة قال أبو على فأمّا قوله «تنبت بالدهن» «۱» فيجوز أن تكون الباء زائدة، كقوله «وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ» «۲» قال «وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ» «۳» فعدى (ألقى) مرة بالباء و أخرى بغير باء، و إذا ثبت أن (أنبت) فى معنى (نبت) جاز ان تكون الباء للتعدى، كما لو كانت مع (نبت) كان كذلك، و يجوز ان تكون الهمزة فى (أنبت) للتعدى، كما لو كانت مع (نبت) كان كذلك، و يجوز ان تكون الهمزة فى (أنبت) للتعدى، و المفعول محذوف، و الباء للحال، كأنه قال تنبت ثمرة بالدهن، فحذف المفعول و (بالدهن) فى موضع حال، كأنه قال تنبت، و فيه دهن، و يجوز فى (تنبت بالدهن) ان تنبت ما فيه دهن.

اخبر اللّه تعالى انه الذى ينزل من السماء ماء يعنى غيثاً و مطراً لمنافع خلقه، من ذلك الماء شراب تشربونه، و من ذلك نبات الشجر، و الشجر ما ينبت من الأرض و قام على ساق و له ورق و جمعه أشجار، و منه المشاجرة لتداخل بعض الكلام فى بعض كتداخل ورق الشجر و قال الازهرى: ما نبت من الأرض شجر،

---

(۱) سورة المؤمنون آية ۲۰

(۲) سورة البقرة آية ۱۹۵

(۳) سورة النحل آية ۱۵ و سورة لقمان آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶۵

قام على ساق أو لم يقم ترعاه الإبل و الأنعام كلها.

و قوله «فيه تسيمون» اى ترعون، يقال: اسمت الإبل إذا رعيتها، و قد سامت تسوم، فهى سائمة إذا رعت. و اصل السوم الابعاد فى المرعى، و السوم فى البيع الارتفاع فى الثمن، و الانبات إخراج الزرع، و الإنسان يزرع، و اللَّه تعالى ينبت.

و قوله «يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ» اى ينبت بذلك المطر هذه الأشياء التى عددها لينتفعوا بها. ثم اخبر ان فى ذلك لدلالة و حجة واضحة لمن يفكر فيه، فيعرف اللَّه به، و إنما أضاف الدلالة اليهم، لأنهم الذين انتفعوا بها، و لأن من لم يفكر فيها فكأنها لم تنصب له.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۲ الى ۱۳] ..... ص : ۳۶۵

وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۱۲) وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (۱۳)

آيتان بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «و الشمس و القمر و النجوم مسخرات» بالرفع فيهن كلهن، وافقه حفص فى رفع «و النجوم مسخرات، الباقون بالنصب فيهن كلهن، امّا ابن عامر فإنما رفع ذلك، لأنه جعل الواو، واو حال، و ابتدأ، (و الشمس) رفع بالابتداء و (النجوم) نسق عليها، (و القمر) نسق عليها (و المسخرات) رفع خبرها، و من نصبها كلها جعلها منسوقة على قوله «وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ».

و اما حفص فإنما رفع (النجوم مسخرات) فقطعها مما قبلها، فعلى هذا حجة من نصب ان يقدر فعلا آخر ينصبه به، و تقديره و جعل النجوم مسخرات. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶۶

و وجه تسخير الشمس و القمر و الليل و النهار، ان الليل و النهار إنما يكون بطلوع الشمس و غروبها، فما بين غروب الشمس الى طلوع الفجر، و هو غياب ضوء الشمس، فهو ليل. و ما بين طلوع الفجر الى غروب الشمس، فهو نهار، فاللَّه تعالى سخر الشمس على هذا التقدير لا تختلف، لمنافع خلقه و مصالحهم و ليستدلوا بذلك على ان المسخر لذلك و المقدر له حكيم ثم بين ان فى ذلك التسخير لدلالات لقوم يعقلون عن اللَّه و يتبينون مواضع الاستدلال بادلته.

و قوله «وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ» معنى (ما) الذى و موضعه النصب و التقدير و خلق لكم (ما).

أخبر اللَّه تعالى ان الذى خلقه و أظهره من الأجسام المختلفة الألوان ان فى ذلك دلالة لقوم يذكرون و أصله يتذكرون، فأدغمت التاء فى الذال. و الذرء إظهار الشيء بإيجاده ذرأه يذرؤه ذرءاً، و فطره، و إنشاءه نظائر. و ملح ذرءانى ظاهر البياض و الاختلاف هو الامتناع من ان يسد احد الشيئين مسد الآخر و نقيضه الاتفاق. قال قتادة: قوله «وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ» معناه خلق لكم «مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ» من الدواب و الشجر و الثمار، نعماً ظاهرة فاشكروها للَّه، قال المؤرج: ذرأ بمعنى خلق بلغة قريش.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۴ الى ۱۶] ..... ص : ۳۶۶

وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱۴) وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهاراً وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵) وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (۱۶)

ثلاث آيات بلا خلاف.

و هذا تعداد لنوع آخر من نعمه، فقال «وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ» أى ذلله لكم التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶۷

و سهل لكم الطريق الى ركوبه و استخراج ما فيه من انواع المنافع فتصطادون منه أنواع السمك، فتأكلون لحمه طرياً، و لا يجوز ان تهمز طرياً، لأنه من الطراوة لا من الطراءة، و «تستخرجوا» من البحر حلية يعنى اللؤلؤ و المرجان الذى يخرج من البحار «تلبسونها» و تتزينون بها «و ترى الفلك» يعنى السفن «مواخر فيه» قال الحسن معناه مقبلة و مدبرة بريح واحدة، و قال قوم: معناه منقلة، و المواخر

جمع ماخرة، و المخر شق الماء من عن يمين و شمال، يقال: مخرت السفينة الماء تمخره مخراً، فهى ماخرة، و المخر ايضاً صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها.
و قوله «وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» اى و لتكتسبوا من فضل اللَّه و نعمه بركوب البحر، و لكى تشكروه على أياديه، و الواو دخلت ليعلم ان اللَّه خلق ذلك و أراد جميع ذلك و قصده. ثم أخبر انه القى فى الأرض رواسى، و هو جمع راسية و هى الجبل العالى الثابت «ان تميد بكم» اى لئلا تميد بكم الأرض. و قال الزجاج:
معناه كراهة ان تمتد، و لم يجز حذف (لا) و الميد الميل يميناً و شمالًا، و هو الاضطراب: ماد يميد ميداً، و هو مائد.
و قوله «وَ أَنْهاراً وَ سُبُلًا» تقديره و جعل لكم أنهاراً، لدلالة (القى) عليه، لأنه لا يجوز ان يكون عطفاً على (القى) و مثله قول الشاعر:
تسمع فى أجوافهن صرداً و فى اليدين جسأة و بددا «۱»
اى و ترى فى اليدين يبساً و تفرقاً، و مثله قولهم: (علفتها تبناً و ماء بارداً) و المعنى و سقيتها ماء، و مثله كثير، و (سبلا) عطف على (أنهاراً) لكى تهتدوا بها فى سلوككم، و انتقالكم فى أغراضكم.
و قوله «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» اى جعل لكم علامات. و قيل انها الجبال و نحوها. قال ابن عباس: يعنى الجبال يهتدى بها نهاراً، و النجم يهتدى به ليلًا، و هو اختيار الطبرى. و (العلامة) صورة يعلم بها المعنى، من خط او لفظ او إشارة او هيئة، و قد تكون وضعية، و قد تكون برهانية.

---

(۱) مر هذا الشعر فى ۵/ ۱۰۷، و روايته هناك (لغطاً) بدل (صرداً).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶۸

و قوله و «بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» فالنجم هو الكوكب، و يقال: نجم النبت إذا طلع تشبيهاً بطلوع النجم، و انما قال- هاهنا- و «بالنجم» فوحد، و قال فيما تقدم «و النجوم مسخرات» لان النجوم على ثلاثة أضرب: ضرب يهتدى بها مثل الفرقدين، و الجدى، لأنها لا تزول. و ضرب هى الشهب، و ضرب هى زينة السماء، كما قال «زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ» «۱» فقوله «و بالنجم» يجوز ان يريد به النجوم، فأخبر بالواحد عن الجميع، كما قال «أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ» «۲» و النجم فى قوله «النجم الثاقب» «۳» يريد الثريا فقط «وَ النَّجْمِ إِذا هَوى «۴» يعنى نزول القرآن إذا نزل به جبرائيل (ع) و قوله «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ» «۵» يريد كلما نجم من الأرض اى نبت، مما لا يقوم على ساق كالبطيخ و القرع و الضغابيس و هو القثاء الصغار، و يشبه الخسيس بالضغبوس أنشد ابن عرفة:
قد جربت عركى فى كل معترك غلب الأسود فما بال الضغابيس «۶»

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۷ الى ۱۸] ..... ص : ۳۶۸

أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۱۷) وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۸)
آيتان بلا خلاف.
فى هذه الآية ردّ على عباد الأصنام و الأوثان بأن يقال: أ فمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و غير ذلك من أنواع

---

(۱) سورة الصفات آية ۶

(۲) سورة النور آية ۳۱

(۳) سورة الطارق آية ۳

(۴) سورة النجم ۵۳ آية ۱

(۵) سورة الرحمن آية ۶

(۶) البيت لجرير ديوانه (دار بيروت) ۲۵۱ و اللسان (ضغبس) و قد روى (الرجال) بدل (الأسود). [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۶۹

العجائب، كمن لا- يخلق ذلك من الأصنام التى هى جمادات، فكيف توجه العبادة اليها، و يسوّى بينها، و بين خالق جميع ذلك «أفلا يتفكرون» فى ذلك و يعتبرون به، فان ذلك من الخطأ الفاحش. و جعل (من) فيما لا يعقل، لما اتصلت بذكر الخالق.

و يتعلق بهذه الآية المجبرة، فقالوا: أعلمنا اللّه تعالى ان احداً لا يخلق، لأنه خلاف الخالق، و انه لو كان خالق غيره لوجب ان يكون مثله، و نظيره.

و هذا باطل، لان الخلق فى حقيقة اللغة هو التقدير و الإتقان فى الصنعة و فعل الشىء لا على وجه السهو و المجازفة بدلالة قوله «وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً» «۱» و قوله «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» «۲» و قوله «احسن الخالقين» «۳» كما لا يجوز أنه أعظم الآلهة لما لم يستحق الإلهية غيره، و قال زهير:

و لأنت تفرى ما خلقت و بع - ض القوم يخلق ثم لا يفرى «۴»

و قال الحجاج: لا أعد إلا وفيت و لا أخلق إلا فريت «۵» و قال الشاعر:

و لا يئط بأيدى الخالقين و لا أيدى الخوالق الا جيد الأدم

فعلمنا بذلك جواز تسمية غيره بأنه خالق إلا انّا لا نطلق هذه الصفة إلا للّه تعالى، لان ذلك توهم، فإذا ثبت ذلك فالوجه فى الآية ما قدمنا ذكره من الرد على عباد الأصنام و الجمادات التى لا تقدر على ضرر و لا نفع و لا خلق شىء و لا

---

(۱) سورة العنكبوت آية ۱۷

(۲) سورة المائدة آية ۱۱۳

(۳) سورة المؤمنون آية ۱۴ و سورة الصافات آية ۱۲۵

(۴) ديوانه ۲۹ (دار بيروت) و اللسان (فرا)، (خلق).

(۵) و قد رواها ابن منظور فى لسان العرب (خلق) قال: قال الحجاج: (ما خلقت إلا فريت و لا وعدت إلا وفيت)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۰

استطاعة لها على فعل، و ان من سوّى بينها و بين من خلق ما تقدم ذكره من أنواع النعم و أشرك بينهما فى العبادة، كان جاهلًا بعيداً عن الصواب عادلًا عن طريق الهدى. و يقوى ذلك انه قال عقيب هذه الآية «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا- يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ» فعلمنا انه أراد بذلك ما قدمنا من إسقاط رأيهم و تسويتهم بين الجماد و الحى و الفاعل و من ليس بفاعل، و هذا واضح.

و قوله «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها» قال الحسن: لا تحصوها بأداء حقها و تعظيمها. و قال الجبائى: لا تحصوها مفصلة لكثرتها و إن صح منكم احصاؤها على وجه الجملة.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۹ الى ۲۱] ..... ص : ۳۷۰

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ (۱۹) وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (۲۰) أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَ ما يَشْعُرُونَ

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ يعقوب و حفص و يحيى و العليمى «و الذين يدعون» بالياء. الباقون بالتاء، قال أبو على: هذا كله على الخطاب، لان ما بعده خطاب كقوله بعد «أفلا تذكرون» و قوله «وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»، «وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ» فكل هذا خطاب.

فان قلت: ان فيه «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» فانه لا يكون خطاباً للنبى صلّى اللّه عليه و سلم و لا للمسلمين، قيل: التقدير فى ذلك قل لهم: و الذين تدعون من دون اللّه، فلا- يمتنع الخطاب على هذا الوجه، و لهذا قرأ عاصم بالياء لما كان عنده ذلك اخباراً عن المشركين، و لم يجز ان يكون فى الظاهر خطاباً للمسلمين.

يقول اللّه لعباده ان اللّه الذى يستحق العبادة هو الذى يعلم ما يظهرونه و ما التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۱

يستسرون به و يخفونه، و ان الذين يدعون من دون اللّه من الأصنام لا يخلقون شيئاً، فضلًا عن ان يخلقوا ما يستحق به العبادة، و هم مع ذلك مخلوقون مربوبون، و هم مع ذلك أموات غير احياء، و انما قال أموات غير احياء، لأنها فى حكم الأموات فى انها لا تعقل شيئاً. و قيل غير أحياء على وجه التأكيد بما صارت به، كالأموات، لأنه قد يقال للحىّ هو كالميت إذا كان بعيداً من ان يعلم. و (أموات) رفع بأنه خبر ابتداء، و التقدير هن أموات غير احياء، و يجوز ان يكون خبراً عن (الذين) و التقدير و الذين يدعون أموات.

و قوله «وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» اى هم لا يعلمون اى وقت يحشرهم اللّه للجزاء و الحساب، بل ذلك لا يعلمه الا اللّه تعالى، و معنى (أيان) متى و (متى) أوضح، لأنه اغلب فى الاستعمال فلذلك فسر به (أيان) و هو سؤال عن الزمان كما ان (اين) سؤال عن المكان و قال الفراء: معناه هى أموات فكيف يشعرون متى تبعث يعنى الأصنام. قال و يقال للكفار أيضاً و ما يشعرون أيان يبعثون، و (إيان) بكسر الهمزة لغة سليم قرأها أبو عبد الرحمن السلمى.

قوله تعالى :[سورة النحل (١٦): الآيات ٢٢ الى ٢٣] ..... ص : ٣٧١

إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لعباده ان «إلهكم» الذى يستحق العبادة «إله واحد» لأنه لا يقدر على ما يستحق به العبادة من أصول النعم سواه. ثم قال ان الذين لا يصدقون بالآخرة و بالبعث و النشور و الثواب و العقاب، تجحد قلوبهم و تنكر ما ذكرناه، و هم مع ذلك «يستكبرون» اى يمتنعون من قبول الحق ألفة من أهله.

و (الاستكبار) طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال تعالى «لا جرم» اى التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۲

حق و وجب انه يعلم ما يبطنونه و يخفونه فى نفوسهم، و ما يظهرونه، لا- يخفى عليه منه شىء، و «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ» يعنى لا يريد ثوابهم و لا منافعهم، و لا يفعل ذلك بهم لكونهم مستحقين للعقاب.

قوله تعالى:[سورة النحل (١٦): الآيات ٢٤ الى ٢٥] ..... ص : ٣٧٢

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ (٢٥)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى إذا قيل لهؤلاء الكفار على وجه الاستفهام: ما الذى أنزل ربكم على نبيه محمد صلّى اللّه عليه و سلم؟ أجابوا بأن

«قالوا: أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» يعنى أحاديث الأولين الكاذبة، فى قول ابن عباس و غيره، و أحدها أسطورة سمى بذلك، لأنهم كانوا يسطرونها فى الكتب.

و قوله «ليحملوا أوزارهم» أى أثقالهم من المعاصى، و الوزر الإثم، و الوزر الثقل، و منه الوزير، لأنه يحمل الأثقال عن الملك، يقال وازره على أمره أى عاونه بحمل الثقل معه، و اللام لام العاقبة، لأنهم لم يقصدوا بما فعلوه ليتحملوا أوزارهم.

و قوله «كاملة» معناه حمل المعاصى تامة على أقبح وجوهها من غير إخلال بشىء منها «وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ» معناه إنهم يتحملون مع أوزارهم من أوزار من أضلوه عن دين اللّه و أغووه عن اتباع الحق، بغير علم منهم بذلك بل كانوا جاهلين. و المعنى إن هؤلاء كانوا يصدون من أراد الايمان بالنبى (صلّى اللّه عليه و سلم) فعليهم آثامهم و آثام أبنائهم لاقتدائهم بهم.

و على هذا ما

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم انه قال: (أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع، التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۳

فله مثل أجورهم من غير ان ينقص من أجورهم شىء، و أيما داع دعا الى الضلالة فان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير ان ينقص من أوزارهم شىء).

و الوجه فى تحملهم أوزار غيرهم أحد شيئين:

أحدهما- انه أراد بذلك إغواءهم و اضلالهم، و هى أوزارهم فأضاف الوزر إلى المفعول به، كما قال «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ» «۱» و الثانى- ان يكون أراد اقتداء غيرهم بهم فيستحقون على معصيتهم زيادة عقاب، فجاز لذلك أن يضاف اليهم. ثم أخبر تعالى فقال «أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ» أى بئس الشىء الذى يتحملونه، لأنهم يحملون ما يؤدى الى العقاب، و معنى يزرون يحملون ثقل الآثام.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۲۶ الى ۲۷] ..... ص : ۳۷۳

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (۲۶) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُخْزِيهِمْ وَ يَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ (۲۷)

آيتان بلا خلاف.

قرأ نافع وحده «تشاقون» بكسر النون أراد تشاقوننى، فحذف النون تخفيفاً و حذف الياء اجتزاء بالكسرة، و قد ذكر فيما مضى علة ذلك فى قوله «فَبِمَ تُبَشِّرُونَ» «۲» و قرأ الباقون بفتح النون، لا يجعلونه مضافاً إلى الياء. و النون فى هذه القراءة علامة الرفع، و النون مع الياء المحذوفة فى موضع النصب.

---

(۱) سورة المائدة آية ۳۰

(۲) سورة الحجر آية ۵۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۴

و معنى «تشاقون» أى يعادون اللّه فيهم فيجعلونها شركاء له، و الشقاق الخلاف فى المعنى، و معنى «تشاقون» تكونون فى جانب، و المسلمون فى جانب، لا يكونون معهم يداً واحدة، و من ثم قيل لمن خرج عن طاعة الامام و عن جماعة المسلمين: شق العصا أى صار فى جانب عنهم، فلم يكن مجتمعاً فى كلمتهم.

يقول اللّه ان الذين من قبل هؤلاء الكفار «قد مكروا» و احتالوا على رسلهم و المكر الفتل و الحيلة الى جهة منكرة، يقال مكر به يمكر مكراً، فهو ماكر و مكار، ثم قال: فان اللّه تعالى أتى أمره و عقابه «بنيانهم» التى بنوها فهدمها «فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ» و قيل فى

معنى «من فوقهم» قولان:

أحدهما- انه قال ذلك تأكيداً، كقولك قلت انت.

الثانى- انهم كانوا تحته، و قد يقول القائل: تهدمت على المنازل، و ان لم يكن تحتها، و أيضاً فليعلم انهم لم يكونوا فوق السقوف.

و قال ابن عباس و زيد بن اسلم: الذين خر عليهم السقف من فوقهم نمرود ابن كنعان. و قال غيرهم: بخت نصر، و قال الزجاج و أبو بكر بن الانبارى: المعنى فأتى اللّه مكرهم من أصله اى عاد ضرر المكر عليهم و بهم. و ذكر الأساس مثلا كما ذكر السقف، مع انه لا سقف ثم و لا أساس، و هذا الذى ذكره يليق بكلام العرب و يشبهه و المعنى إنّ اللّه أتى بنيانهم من القواعد اى قلعه من أصله كقولهم:

أتى فلان من مأمنه اى أتاه الهلاك من جهة مأمنه و أتاهم العذاب من جهة اللّه «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» أى لا يعلمون انه من جهة اللّه نزل بهم العذاب. ثم قال انه تعالى مع ذلك يخزيهم يوم القيامة أى يذلهم بأنواع العذاب و يقول لهم أين شركائى الذين اتخذتموهم آلهة، فعبدتموهم يعنى الذين كنتم تشاقون فيهم اللّه تعالى و تخرجون عن طاعة اللّه.

ثم أخبر ان الذين أعطوا العلم و المعرفة باللّه تعالى و أوتوه يقولون لهم: ان الخزى يعنى الذل و الهوان «اليوم» و السوء الذى هو العذاب «على الكافرين» الجاحدين لنعمة المنكرين لتوحيده و صدق أنبيائه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۵

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۲۸ الى ۳۰] ..... ص : ۳۷۵

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۲۸) فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (۲۹) وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ (۳۰)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة «الذين يتوفاهم» بالياء. الباقون بالتاء، من قرأ بالتاء فلتأنيث لفظة الملائكة، و من قرأ بالياء، فلأن التأنيث غير حقيقى و قد مضى نظيره كثيراً.

يقول اللّه تعالى ان الخزى اليوم و السوء على الكافرين، الذين يتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم و «الذين» فى موضع الجر بأنه بدل من الكافرين و انما قال ذلك ليعلم به ان الوعيد يتناول من كان مات على كفره، لأنه ان تاب لم يتوجه الوعيد اليه، و معنى «تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ» أى تقبض أرواحهم بالموت ظالمى أنفسهم بما فعلوه من ارتكاب المعاصى التى استحقوا بها العقاب. و الظالم من فعل الظلم، و يصح ان يظلم الإنسان نفسه كما يظلم غيره.

و قوله «فَأَلْقَوُا السَّلَمَ» اى استسلموا للحق حين لا ينفعهم السلم، يعنى الانقياد و الإذعان.

و قوله «ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ» اى قالوا ما عملنا من سوء، فكذبهم اللّه، و قال «بلى» قد فعلتم و اللّه عالم بما كنتم تعملون فى الدنيا من المعاصى و غيرها.

و قيل فى معنى ذلك قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۶

أحدهما- ما كنا نعمل من سوء عند أنفسنا، لأنهم فى الآخرة ملجؤون الى ترك القبيح و الكذب، ذكره الجبائى. و قال الحسن و ابن الأخشاد: فى الآخرة مواطن يلجئون فى بعضها دون بعض، ثم بين انه تعالى يقول لهم «فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها» اى مؤبدين فيها «فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» قسم من اللّه تعالى انها بئس المأوى لمن تكبر على اللّه، و لم يعمل بطاعته، «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ» اى اى شىء «أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً» على معنى ما ذا، و المعنى انزل اللّه خيراً، و انما نصب (خيراً) هاهنا بعد قوله «قالوا» و

رفع «أساطير» فيما تقدم لأمرين.

أحدهما- انهم جحدوا التنزيل، فقالوا إنما هى أساطير الأولين و أقر المؤمنون بالتنزيل، فقالوا أنزل ربنا خيراً.

و الثانى- قال سيبويه ان يكون الرفع على تقدير ما الذى انزل ربكم فيكون ذا بمعنى الذى، و فى النصب يكون (ذا، و ما) بمنزلة اسم واحد.

و قوله «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى يحتمل ان يكون من كلام من قال خيراً، و يحتمل ان يكون اخباراً من اللّه تعالى، و هو الأقوى، لأنه ابلغ فى باب الدعاء الى الإحسان، فأجاز الحسن و الزجاج كلا الوجهين، و المعنى ان للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم فى الدنيا قبل الآخرة خيراً «وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ» يعنى الجنة التى يدخلها الذين اتقوا معاصى اللّه و فعلوا طاعاته.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۳۱ الى ۳۲] ..... ص : ۳۷۶

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ كَذلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (۳۱) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۳۲)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۷

يحتمل رفع جنات وجهين:

أحدهما- ان تكون خبر ابتداء محذوف و تقديره هى جنات يدخلونها، كأن قائلا لما قال اللّه «وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ» قال: ما هذه الدار؟ فقيل: هى جنات عدن.

و الثانى- ان يكون رفعاً بالابتداء و خبره «لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ» و قد قدم الخبر و التقدير جنات عدن «لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ». ثم وصف هذه الجنات بما فيها، فقال «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» لان الجنة هى البستان الذى فيه الأشجار، و الأنهار تجرى تحت الأشجار، و قيل لان انهار الجنة فى أخاديد. ثم اخبر ان لهؤلاء الذين دخلوا الجنة لهم فيها ما يشاءونه و يشتهونه. ثم قال مثل ذلك يجازى اللّه تعالى الذين يتقون معاصيه، و يعملون بطاعاته. ثم قال «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ» أى صالحين بأعمالهم الجميلة خلاف من تتوفاهم خبيثين بأعمالهم القبيحة. و أصل الطيبة حال المستلذ من الاطعمة، يقول الملائكة لهم سلام عليكم ادخلوا الجنة جزاء على أعمالكم فى الدنيا من الطاعات.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۳۳ الى ۳۴] ..... ص : ۳۷۷

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۳۳) فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۳۴)

آيتان بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «إلا أن يأتيهم» بالياء. الباقون بالتاء. و قد بينا وجهه، و معنى قوله «هل ينظرون» ينتظرون، يعنى هؤلاء الكفار إلا أن تأتيهم الملائكة، يعنى بالموت أو الهلاك، أو يأتى أمر ربك يعنى يوم القيامة، ذكره مجاهد و قتادة.

ثم أخبر تعالى ان الذين مضوا- فيما سلف من الكفار- فعلوا مثل فعل هؤلاء من التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۸

تكذيب الرسل، و جحد توحيده، و انكار رسله، فأهلكهم اللّه فما الذى يؤمّن هؤلاء أن يهلكهم.

ثم اخبر تعالى انه بإهلاكه إياهم لم يظلمهم، و لكن هم الذين ظلموا أنفسهم فيما مضى بالمعاصى التى استحقوا بها الهلاك.

ثم اخبر تعالى انه أصابهم يعنى الكفار جزاء سيئات أعمالهم، و هى القبائح، «و حاق بهم» اى حلّ بهم و بال «ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» أى يسخرون برسل اللّه و بأنبيائه.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۳۵] ..... ص : ۳۷۸

وَ قالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (۳۵)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن المشركين مع اللَّه إلهاً آخر و معبودا سواه أنهم قالوا «لَوْ شاءَ اللَّهُ» اى لو أراد اللَّه لم نكن نعبد شيئاً من دونه، من الأصنام و الأوثان، لا- «نَحْنُ وَ لا- آباؤُنا وَ لا- حَرَّمْنا» من قبل نفوسنا شيئا، بل أراد اللَّه ذلك منا، فلذلك فعلنا، كما يقول المجبرة الضلال، فكذبهم اللَّه و أنكر عليهم، و قال مثل ذلك فعل الذين من قبلهم، من الكفار الضلال كذبوا رسل اللَّه، و جحدوا أنبياءه ثم عذر أنبيائه، فقال «فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ» الظاهر اى ليس عليهم إلا ذلك. و فى ذلك إبطال مذهب المجبرة، لأن اللَّه أنكر عليهم قولهم إنه «لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» و مثل هذه الآية التى فى الانعام «۱» و قد بيناها مستوفاة.

---

(۱) آية ۱۴۸ من سورة الانعام فى ۴: ۳۳۳- ۳۳۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۷۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۳۶] ..... ص : ۳۷۹

وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (۳۶)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم بأنه قد أرسل فى كل امّة من الأمم السالفة رسولا بأن «اعبدوا الله» اى أمرهم أن يعبدوا الله وحده لا- شريك له، و ان يجتنبوا عبادة الطاغوت، و هو كل ما يعبد من دون اللَّه. و قيل: الطاغوت اسم الشيطان و يكون المعنى «اجتنبوا» إغواء الشيطان، و كل داع يدعو الى الفساد. ثم اخبر عن المبعوث اليهم بأن منهم من لطف اللَّه لهم بما علم انه يؤمن عنده، فآمن عنده، فسمى ذلك اللطف هداية، و لم يرد نصب الأدلة على الحق لأنه تعالى سوى فى ذلك بين المؤمن و الكافر، كما قال «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى «۱» و يحتمل أن يكون المراد فمنهم من هداه اللَّه الى الجنة بإيمانه.

و قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ» قيل فيه قولان:

أحدهما- لأنهم ضلوا عن طريق الحق و كفروا بالله، و هو قول الحسن.

الثانى- حقت عليهم الضلالة عن طريق الجنة بما ارتكبوه من الكفر. و الضلالة- هاهنا- المراد به العدول عن الجنة، و قد سمى اللَّه العقاب ضلالا، فقال «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ» «۲» اى عذاب. ثم قال لهم «فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» و تعرفوا اخبار من مضى و تبينوا كيف كان عاقبة الذين كذبوا بآيات اللَّه، و لم يصدقوا

---

(۱) سورة حم السجدة آية ۱۷

(۲) سورة القمر آية ۴۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۰

رسله، فان اللَّه اهلكهم و دمر عليهم، كقوم هود، و لوط، و ثمود، و غيرهم، فان ديارهم عليها آثار الهلاك و الدمار ظاهرة.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۳۷] ..... ص : ۳۸۰

إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۳۷)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «يهدى» بفتح الياء و كسر الدال. الباقون بضم الياء و فتح الدال، و لم يختلفوا فى ضم ياء يضل و كسر الضاد.

فمن فتح الياء و كسر الدال احتمل ذلك أمرين:

أحدهما- انه أراد ان اللَّه لا يهدى من يضله.

و الثانى- أن من أضله اللَّه لا يهتدى و من ضم الياء أراد من أضله اللَّه لا يقدر أحد ان يهديه، و قوّوا ذلك بقراءة أُبى «لا هادى لمن أضل اللَّه» و اسم اللَّه تعالى اسم (إن) و (يضل) الخبر.

و معنى إضلال اللَّه- هاهنا- يحتمل أمرين:

أحدهما- ان من حكم اللَّه بضلاله و سماه ضالًا، لا يقدر أحد ان يجعله هاديا و يحكم بذلك.

و الثانى- إن من أضله اللَّه (عز و جل) عن طريق الجنة لا احد يقدر على هدايته اليها، و لا يقدر هو ايضا على أن يهتدى اليها.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «ان تحرص» يا محمد على ان يؤمنوا و يهتدوا الى الجنة، فهم بسوء اختيارهم لا يرجعون عن كفرهم، و اللَّه تعالى قد حكم بكفرهم و ضلالهم و استحقاقهم للعقاب، فلا أحد يقدر على خلاف ذلك.

و (من) فى الوجهين فى موضع رفع، فمن ضم الياء رفعها لأنها لم يسّم فاعلها، التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۱

و من فتح الياء، فلأنها الفاعل. و المراد بالآية التسلية للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم فى دعائه لمن لا يفلح بالاجابة، لانهماكه فى الكفر، و ان ذلك ليس تقصيراً من جهتك بل انه ليس الى فلاح مثل هذا سبيل.

و قوله «وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ» معناه ليس لهم ناصر ينصرهم و يخلصهم من العقاب، و ذلك يبين انه ليس المراد بالآية الضلال عن الدين، و انما المراد ما قلناه من عدولهم عن الثواب الى العقاب.

و الحرص طلب الشيء بجد و اجتهاد، تقول: حرص يحرص حرصاً، و حرص يحرص بكسر الراء فى الماضى، و فتحها فى المستقبل، و الاول لغة أهل الحجاز.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۳۸ الى ۳۹] ..... ص : ۳۸۱

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۳۸) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبِينَ (۳۹)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى ثم ان هؤلاء الكفار حلفوا باللَّه على قدر طاقتهم و جهدهم انه لا يحشر اللَّه أحداً يوم القيامة، و لا يحييه بعد موته. ثم كذبهم تعالى فى ذلك، فقال:

«بلى» يحشرهم اللَّه و يبعثهم «وعدا» وعدهم به، و لا يخلف وعده.

و نصب «وعداً» على المصدر و التقدير وعد وعداً. و قال الفراء: تقديره بلى ليبعثهم وعداً حقّاً، و لو رفع على معنى ان ذلك وعد عليه حق كان صوابا و المعنى وعد وعداً عليه حقّاً ذلك الوعد ليس له خلف «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» صحة ذلك لكفرهم باللَّه و جحدهم أنبياءه.

و قوله «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» فى دار الدنيا، لأنه يخلق فيهم العلم التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۲

الضرورى يوم القيامة، الذى يزول معه التكليف و يزول خلافهم فيه، و يعلم ايضاً كل كافر انه كان كاذباً فى الدنيا فى قوله: إن اللَّه لا

يبعث أحدا بعد موته، هذا إن جعلنا قوله «ليبين» متعلقا ب (بلى) يبعثهم اللّه. و يحتمل ان يكون متعلقاً بقوله «وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا .... لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» و يهديهم الى طريق الحق و يثيبهم عليه

قوله تعالى:[سورة النحل (١۶): آية ۴٠] ..... ص : ٣٨٢

إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۴٠)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى و ابن عباس «فيكون» نصباً. الباقون رفعا. فمن نصب جعله عطفا على «أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و لا يجوز ان يكون نصبا على جواب الأمر لأن ما ينتصب لأجل جواب الأمر هو ما يكون فعلان، و يجب الثانى من اجل الاول، كقولك ائتنى فأكرمك فالاكرام يجب من اجل الإتيان، و ليس كذلك فى الآية، لأنه انما هو فعل واحد أمر، و اخبر انه يكون، و لذلك اجمع القراء على رفع الذى فى آل عمران فى قوله «إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «١» و قد أجار الزجاج النصب على ان يكون جواباً، و هو غلط. من رفع أراد أن يقول له كن، فانه يكون.

و قيل فى معنى الآية قولان:

أحدهما- انه بمنزلة قوله (كن) فى انه يكون منا من غير كلفة و لا معاناة.

و الثانى- ان قول «كن» علامة للملائكة تدلهم على انه سيحدث كذا و كذا عند سماعه.

---

(١) سورة ال عمران آية ۵٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ٣٨٣

قوله تعالى:[سورة النحل (١۶): الآيات ۴١ الى ۴٢] ..... ص : ٣٨٣

وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۴١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۴٢)

آيتان بلا خلاف.

موضع «الذين» رفع بالابتداء، و الخبر «لنبوئنهم» يقول اللّه تعالى ان الذين هاجروا من ديارهم فرارا بدينهم، و اتّباعا لنبيهم، من بعد ان ظلمهم قومهم و آذوهم و بخسوهم حقوقهم، فان اللّه تعالى يبوئهم فى الدنيا حسنة.

و التبوء الإحلال بالمكان للمقام، يقال تبوأ منزلا يتبوأ إذا اتخذه، و بوأه غيره تبويئاً إذا أحله غيره، و منه «بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ» «١» و قال ابن عباس و قتادة و الشعبى: تبوّأهم اللّه المدينة، و أحل لهم فيها غنيمة حسنة يأخذونها من اموال الكفار.

ثم اخبر ان ما اعدّه لهم من الأجر فى الآخرة و نعيم الجنة اكثر من ذلك بكثير لو كانوا يعلمون. ثم وصف الذين هاجروا، فقال الذين صبروا على جهاد أعدائه و احتملوا الأذى فى جنب اللّه و اسندوا أمرهم اليه تعالى و توكلوا عليه، فمن كان بهذه الصفة يستحق ما ذكرناه، و من كان بخلافه لم يستحق منه شيئاً.

و قيل: إن الآية نزلت فى عمار و صهيب و أمثالهم الذين كانوا يعذبون بمكة.

قوله تعالى:[سورة النحل (١۶): الآيات ۴٣ الى ۴۴] ..... ص : ٣٨٣

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۴٣) بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (۴۴)

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۹۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۴

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم يقول له إنا لم نرسل من قبلك إلا رجالا أمثالك من البشر «نوحى اليهم» أى يوحى اللَّه اليهم. و من قرأ بالنون، و هو حفص، أراد نوحى نحن، إخبار منه تعالى. ثم قال اللَّه لهم «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» صحة ما أخبرناكم به من أنّا أرسلنا رجالا قبلك و أوحينا اليهم. و قال ابن عباس و مجاهد: المعنى بأهل الذكر أهل الكتاب و منهم من قال: المراد من آمن من اهل الكتاب، و منهم من قال: امر مشركى العرب ان يسألوا اهل الكتاب عن ذلك فإنهم لا يتهمونهم. و قال ابن زيد: يريد اهل القرآن لان الذكر هو القرآن. و قال الرمانى و الازهرى و الزجاج: المعنى بذلك اهل العلم بأخبار من مضى من الأمم، سواء كانوا مؤمنين او كفاراً، و ما آتاهم من الرسل قال: و فى ذلك دلالة على انه يحسن ان يرد الخصم- إذا التبس عليه امر- الى أهل العلم بذلك الشيء ان كان من اهل العقول السليمة من آفة الشبه.

و الذكر ضد السهو و سمى العلم بذلك، لأنه منعقد بالعلم، و هو بمنزلة السبب المؤدى اليه فى ذكر الدليل، و إذا تعلق هذا التعلق حسن ان يقع موقعه و ينبئ عن معناه.

و

روى جابر عن أبى جعفر (ع) انه قال: (نحن اهل الذكر).

و قوله «بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ» العامل، لباء أحد أمرين:

أحدهما- قوله «أرسلنا» و التقدير ما أرسلنا قبلك إلا رجالًا بالبينات نوحى اليهم.

الثانى- ان يكون على حذف (أرسلنا بالبينات) كما قال الأعشى:

و ليس مجيراً إن أتى الحى خائف و لا قائل إلا هو المتعيَّبا «۱»

---

(۱) ديوان (دار بيروت) ۸ و تفسير الطبرى ۱۴: ۶۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۵

أى أعنى المتعيبا، و مثل الأول، قول الشاعر:

نبِّئتهم عذّبوا بالنار جارتهم و هل يعذّب إلّا اللَّه بالنار «۱»

و قوله «بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ» اى بالدلالات الواضحات و الكتب المنزلة. و الزّبر الكتب، واحدها زبور، يقال: زبرت الكتاب أزبره زبراً إذا كتبته. ثم قال «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ» يا محمد «الذكر» يعنى القرآن «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» فيه من الأحكام و الدلالة على توحيد اللَّه، لكى يتفكروا فى ذلك و يعتبروا، و انما قال «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا» مع انه أرسل قبله الملائكة، لأن المعنى و ما أرسلنا من قبلك الى الأمم الماضية إلا رجالًا بدلالة الآية، لأنها حجة عليهم فى انكار رسول اللَّه إلى الناس من الرجال.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۴۵ الى ۴۷] ..... ص : ۳۸۵

أَ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (۴۵) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ (۴۶) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۴۷)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم «أ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا» بالنبيّ و المؤمنين، و فعلوا السيئات و احتالوا الفعل القبيح، على وجه الإنكار عليهم، فاللفظ لفظ الاستفهام، و المراد به الإنكار «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ» من تحتهم عقوبة لهم على كفرهم او يجيئهم العذاب من جهة، لا يشعرون بها، على وجه الغفلة «أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ» و تصرفهم، بأن يهلكهم على سائر حالاتهم، حتى لا ينفلت منهم أحد،

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴: ۶۹ و مجمع البيان ۳: ۳۶۲ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۶

فما هم بفائتين. و المعنى إن ما يريد اللَّه بهم من الهلاك لا يمتنع عليه ما يريده منهم «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ» و قيل فى معنى «تخوف» قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد: على تنقّص بمعنى انه يؤخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم احد، لان تلك حال يخاف معها الفناء و يتخوف معها الهلاك، و قال الشاعر:

تخوَّف السيرُ منها تامِكاً قَرِداً كما تخوَّف عود النبعة السفَن «۱»

اى ينقص السير سنامها بعد تموكه، كما ينحت العود فيدق بعد غلظه.

و قال الآخر:

تخوف عدوهم ما لى و أهلى سلاسل فى الحلوق لها صليل «۲»

و الثانى- روى عن ابن عباس- فى رواية أخرى- ان معناه على تفزيع.

و قال الحسن: تهلك القرية فتخوف القرية الاخرى، و قال الفراء: تخوّفته، و تحوفته- بالخاء و الحاء- إذا انتقصته من حافّاته. و مثله «إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا» «۳» بالخاء و الحاء، سمعت العرب تقول سبحى صوفك، و هو شبيه بالندف، و السبخ مثل ذلك، قال المبرد: لا يقال تحوّفته، و إنما هو تحيّفته.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۴۸ الى ۵۰] ..... ص : ۳۸۶

أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ (۴۸) وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَ الْمَلائِكَةُ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (۴۹) يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ (۵۰)

---

(۱) قائله ابن مقبل، اللسان (خوف) و تفسير الطبرى ۱۴: ۷۰ و مجمع البيان ۳: ۳۶۳

(۲) تفسير الطبرى ۱۴: ۷۱ و مجمع البيان ۳: ۳۶۳

(۳) سورة المزمل آية ۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۷

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «او لم تروا» بالتاء، الباقون بالياء.

من قرأ بالتاء حمله على الجمع. و من قرأ بالياء، فعلى ما قبله، من قوله «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ... أَوْ يَأْخُذَهُمْ»، و كان النبى صلّى اللّه عليه و سلم و أصحابه رأوا ذلك و تيقنوه، فلذلك عدل عن الخطاب.

و قرأ ابو عمرو و يعقوب «تتفيؤا ظلاله» بالتاء. الباقون بالياء، فمن أنث فلتأنيث الظلال، لأنه جمع ظل، فكل جمع مخالف الآدميين، فهو

مؤنث تقول: هـذه الاقطـار و هـذه المساجـد. و من ذكّر، فلأن الظلال و إن كان جمعاً، فهو على لفظ الواحـد مثل (جـدار)، لان جمع التكسير يوافق الواحد.

يقول اللّه تعالى لهؤلاء الكفار الـذين جحدوا وحدانيته، و كذبوا نبيه، على وجه التنبيه لهم على توحيده «او لم يروا» هؤلاء الكفار «إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ» من جسم قائم، شجر او جبل او غيره، فصير ظلاله فيئاً اى تدور عليه الشمس ثم يرجع الى ما كان قبل زوال الشمس عنه. و قال ابن عباس (يتفيئو) يرجع من موضع الى موضع و يتميل، يقال منه: فاء الظل يفيء فيئاً إذا رجع، و تفيَّأ يتفيَّؤ تفيؤاً بمعنى واحد.

و قوله «عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ» معناه فى أول النهار و آخره- فى قول قتادة و الضحاك و ابن جريج- يتقلص الفيء عن الجبل من جهة اليمين و ينقص بالعشى من جهة الشمال. و إنما قال عن اليمين- على التوحيد- و الشمائل- على الجمع- لأحد أمرين:

أحدهما- انه أراد باليمين الأيمان، فهو متقابل فى المعنى، و يتصرف فى اللفظ على الإيجاز، كما قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۸

بفيّ الشامتين الصخر ان كان هدّنى زرية شبلى مخدر فى الضراغم «۱»

و المعنى بأفواه، و قال آخر:

الواردون و تيم فى ذرى سبإ قد عضّ أعناقهم جلد الجواميس «۲»

و قوله «سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ» معناه إنها خاضعة للّه ذليلة، بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها و مدبرها، بما لولاه لبطلت، و لم يكن لها قوام طرفة عين، فهى فى ذلك كالساجد، من العباد بفعله، الخاضع بذاته، كأنه من بسط الشمس عليه فى أول النهار. ثم قبضها عنه الى الجهة الأخرى. ثم قبضها ايضاً عنه، فتغيرت حاله. و التغيير يقتضى مغيراً غيَّره و مدبّراً دبّره. قال الحسن: اما ذلك فيسجد للّه، و اما انت فلا تسجد للّه؟! بئس و اللّه ما صنعت.

و (الداخر) الخاضع الصاغر، دخر يدخر دخراً و دخوراً، إذا ذل و خضع قال ذو الرمة:

فلم يبق إلا داخر فى مخيَّس و منجحر فى غير أرضك فى جحر «۳»

ثم أخبر تعالى انه يسجد له جميع «ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» و السجود هو الخضوع بالعبادة او الدعاء إلى العبادة، فكل شيء من مقدوراته تعالى يسجد بالدعاء إلى العبادة بما فيه من الآية، الذى يقتضى الحاجة اليه تعالى، و كل محقّ من العباد فهو يسجد بالعبادة.

و قوله «من دابة» معنى (من) هاهنا هى التى تبيّن، تبيين الصفة، كأنه قال و ما فى الأرض الذى هو دابة تدبّ على الأرض. و قوله «و الملائكة» اى و تسجد له الملائكة، و تخضع له بالعبادة، و «هم» يعنى الملائكة، غير مستكبرين،

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۳۶۳ و تفسير الطبرى ۱۴: ۷۳. و روايته:

بفى الشامتين ان كان هدنى ودية شبلى محدد فى الضراغم

(۲) قائله جرير: ديوانه (دار بيروت) ۲۵۲، و تفسير الطبرى ۱۴: ۷۳ و مجمع البيان ۳: ۳۶۳ و روايته الديوان:

تدعوك تيم و تيم فى قرى سبإ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

(۳) اللسان (خيس) نسبه الى الفرزدق خطأ

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۸۹

و لا طالبين بذلك التكبر بل مذعنين بالحق متذللين، غير آنفين، من الإذعان به.

«يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- يخافون عقاب ربهم من فوقهم، لأنه يأتى من فوق.

الثانی- انه لمّا وصف بأنه عالٍ و متعالٍ، على معنى قادر، لا قادر أقدر منه، فقيل صفته فی أعلى مراتب صفات القادرين، حسن ان يقال «من فوقهم» ليدل على ان هذا المعنى من الاقتدار الذی لا يساويه قادر، و قوله «وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» يعنی الملائكة يفعلون ما يأمرهم اللَّه به، و لا يعصونه، كما قال «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» «۱»

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۵۱ الى ۵۲] ..... ص : ۳۸۹

وَ قالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (۵۱) وَ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَهُ الدِّينُ واصِباً أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (۵۲)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى ناهياً لعباده «لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ» ای لا تعبدوا مع اللَّه غيره، فتشركوا بينهما فی العبادة.

ثم اخبر انه إله واحد لا اكثر منه، لان لفظة (إنما) تفيد ثبوت الإله الواحد، و نفی ما زاد عليه على ما بيَّناه فيما مضى.

و قوله «فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» معناه ارهبوا عقابی و سخطی فلا تتخذوا معی إلهاً آخر و معبوداً سواى.

و فی قوله «اثنين» بعد قوله «إلهين» قولان:

---

(۱) سورة التحريم آية ۶

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۳۹۰

أحدهما- أنه قال ذلک تأكيداً، كما قال «إله واحد» تأكيداً.

و الثانی- ان يكون المعنى لا تتخذوا إثنين إلهين، فقدّم و أخّر و كلاهما جائزان.

و قوله «وَ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه انه يجب علينا ان نتقی عقاب من يملک جميع ما فی السموات و الأرض، لأنه مالک الضرَّ و النفع.

و معنى قوله «وَ لَهُ الدِّينُ واصِباً» قال ابن عباس: يعنی دائماً ای طاعته واجبة على الدّوام، و به قال الحسن و مجاهد و الضَّحاک و قتادة و ابن زيد، و منه قوله «وَ لَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ» «۱» يقال منه: وصبَ الدين يصبُ وصُوباً، و وصباً، قال أبو الأسود الدؤلیّ:

لا أبتغی الحمدَ القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر أجمع واصباً «۲»

و قال حسَّان:

غيَّرته الريح تسفی به و هزيمٌ رعده واصب «۳»

و الوصب الألم الذی يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة، يقال: وصَب الرجل يوصَبُ وصباً، فهو وصب قال الشاعر:

لا يغمز الساق من اين و لا وَصب و لا يعضّ على شر سوفه الصفر «۴»

و قيل: المعنى و له الطاعة، و ان كان فيها الوصب، و هو الشدة و التعب.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۵۳ الى ۵۵] ..... ص : ۳۹۰

وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ (۵۳) ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (۵۴) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۵۵)

---

(۱) سورة الصافات آية ۹

(۲) تفسير الطبرى ۱۴: ۷۴ و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) ۳: ۱۶۰ و مجمع البيان ۳: ۳۶۵

(۳) ديوانه (دار بيروت) ۲۱ و تفسير الطبرى ۱۴: ۷۴

(۴) تفسير الطبرى ۱۴: ۷۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۹۱

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لخلقه إن جميع النعم التى تكون بكم و لكم، من صحة فى جسم وسعة فى رزق او ولد، فكل ذلك من عند اللَّه، و من جهته و بخلقه لها و بتمكينكم من الانتفاع بها. و الفاء فى قوله «فمن الله» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان تكون (ما) بمعنى الذى، و فيه شبه الجزاء، كما قال تعالى «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ» «۱» و يقول القائل: مالك هو لى و لا يجوز ان يقول مالك فهو لى، لأنه خبر ليس على طريق الجزاء.

و القول الثانى- على حذف الجزاء، و تقديره ما يكن بكم من نعمة فمن اللَّه.

و قوله «ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ» معناه متى ما لحقكم ضر و بلاء، و ألم، و سوء حال، تضرعون اليه تعالى بالدعاء، و هو قول مجاهد. و أصل ذلك من جؤار الثور، يقال: جأر الثور يجأر جؤاراً إذا رفع صوته، من جوع او غيره قال الأعشى:

و ما أيْبلىٌّ على هيكل بناه و صلَّب فيه و صارا

يراوح من صلوات الملى - ك طوراً سجوداً و طوراً جؤارا «۲»

و قال عدى بن زيد:

اننى و اللَّه فاقبل حلفتى بأبيل كلما صلّى جأر «۳»

و قوله «ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» اخبار منه تعالى انه إذا كشف ضرّ من يجأر اليه و يخضع له، و يرفع البلاء عنه، يصير- طائفة من الناس- يشركون بربهم فى العبادة جهلا منهم بربهم، و مقابلة للنعمة التى

---

(۱) سورة الجمعة آية ۸

(۲) ديوانه (دار بيروت) ۸۴ و اللسان (أبل) ذكر البيت الاول فقط

(۳) اللسان (ابل) و روايته (فاسمع حلفى). [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۹۲

هى كشف الضر بمعصية الشرك. و هذا غاية الجهل. و قوله «لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ» اى ليكفروا بآيات أنعمنا عليهم، و رزقنا إياهم، فمعنى اللام فى «ليكفروا» هو البيان عما هو بمنزلة العلة التى يقع لأجلها الفعل، لأنهم بمنزلة من أشركوا فى العبادة ليكفروا بما أوتوا من النعمة، كأنه لا غرض لهم فى شركهم إلا هذا، مع ان شركهم فى العبادة يوجب كفر النعمة بتضييع حقها، فالواجب فى هذا ترك الكفر الى الشكر للَّه تعالى.

و قوله «فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» تهديد منه تعالى، لان المعنى تمتعوا بما فيه معصية له تعالى، فسوف تعلمون عاقبة أمركم من العقاب الذى ينزل بكم، و حذف لدلالة الكلام عليه، و هو ابلغ.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۵۶ الى ۵۷] ..... ص : ۳۹۲

وَ يَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (۵۶) وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ (۵۷)

آيتان بلا خلاف.

یقول اللّه تعالی إن هؤلاء الکفار «یَجْعَلُونَ لِما لا یَعْلَمُونَ نَصِیباً» معناه إنهم یجعلون لما لا یعلمون انه یضر، و لا ینفع «نَصِیباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ» یتقربون الیه، کما یجب ان یتقربوا الی اللّه تعالی، و هو ما حکی اللّه عنهم فی سورة الانعام «مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ» و غیر ذلک «فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَکائِنا» «۱» فجعلوا نصیباً للّه و نصیباً للأصنام، و هو قول مجاهد و قتادة و ابن زید. ثم أقسم تعالی فقال «تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ» سؤال التوبیخ، لا سؤال الاستفهام «عَمَّا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فی دار الدنیا لتلزموا به الحجة و تعاقبوا بعد اعترافکم علی أنفسکم. و انما کان سؤال التوبیخ، لأنه لا جواب لصاحبه الا ما یظهر به فضیحته.

---

(۱) سورة الانعام آیة ۱۳۶

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۹۳

ثم اخبر تعالی عنهم بأنهم یجعلون للّه البنات، لأنهم کانوا یقولون الملائکة بنات الله، کما قال تعالی «وَ جَعَلُوا الْمَلائِکَةَ الَّذِینَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «۱» فقال تعالی تنزیهاً لنفسه عما قالوه «سبحانه» ای تنزیهاً له عن اتخاذ البنات.

و قوله «وَ لَهُمْ ما یَشْتَهُونَ» (ما) فی قوله «و لهم ما» یحتمل وجهین من الاعراب:

أحدهما- أن یکون فی موضع نصب، و المعنی و یجعلون لهم البنین الذین یشتهون.

و الثانی- ان یکون فی موضع رفع و التقدیر و لهم البنون، علی الاستئناف.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۵۸ الی ۶۰] ..... ص : ۳۹۳

وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثی ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ کَظِیمٌ (۵۸) یَتَواری مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ یُمْسِکُهُ عَلی هُونٍ أَمْ یَدُسُّهُ فِی التُّرابِ أَلا ساءَ ما یَحْکُمُونَ (۵۹) لِلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلی وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۶۰)

ثلاث آیات بلا خلاف.

یقول اللّه تعالی مخبراً عن هؤلاء الکفار الذین جعلوا للّه البنات و لأنفسهم البنین. انهم متی بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت «ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا» أی یتغیر لذلک وجهه و (ظل) یقال لما یعمل صدر النهار، یقال: ظل یفعل کذا و مثله أضحی، غیر انه کثر، فصار بمنزلة قولهم: أخذ یفعل، تقول: ظللت أظل ظلولا، ذکره الفراء.

و قوله «وَ هُوَ کَظِیمٌ» قال ابن عباس: معناه و هو حزین. و قال الضحاک:

---

(۱) سورة الزخرف آیة ۱۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۹۴

کئیب، و هو المغموم الذی یطبق فاه، و لا یتکلم للغم الذی به، مأخوذ من الکظامة و هو سد فم القربة.

و قوله «یَتَواری مِنَ الْقَوْمِ» أی یختبئ و یختفی من القوم «مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ» من الأنثی، تمیل نفسه بین أن «یُمْسِکُهُ عَلی هُونٍ» أی علی هو ان و مشقة، و منه قوله «عذاب الهون» «۱» و هی لغة قریش، قال الشاعر:

فلست بوقّاف علی هون «۲»

.و قال الحطیئة:

فلما خشیت الهون و العیر ممسک علی رغمه ما أثبت الخیل حافره «۳»

و بعض تمیم یجعلون الهون من الشیء اللین، قال سمعت من بعضهم إن کان لقلیل فهو هون المؤنة، فإذا قالوا أقبل یمشی علی هون، لم یقولوا إلا بفتح الهاء، و منه قوله «وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِینَ یَمْشُونَ عَلَی الْأَرْضِ هَوْناً» «۴» قال المبرد: الهون بضم الهاء لا أعرفه فی

الرفق، و انما هو بفتح الهاء، كما يقال: سر عليه هونا أى رفقاً «أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ» أى هو يميل بين إمساكه على مذلة او دفنه حيّاً فى التراب.

ثم أخبر تعالى فقال «أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» اى بئس الحكم الذى يحكمون، يجعلون لنفوسهم ما يشتهون، و يجعلون للّه ما يكرهونه!!.

ثم قال تعالى «لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» اى لا يصدقون بالبعث و النشور و الدار الآخرة «مَثَلُ السَّوْءِ. وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى» اى لهم بذلك وصف سوء، و للّه الوصف الأعلى، من اخلاص التوحيد، و لا ينافى هذا قوله «فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ» «۵» لأنه بمعنى الأمثال التى توجب الاشباه، فأما الأمثال التى يضربها اللّه للناس لما فيها من الحكمة من غير تشبيه له تعالى بخلقه، فحق و صواب، كما قال تعالى «وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ» «۶» قال الرمانى: و فى الآيات دلالة

---

(۱) سورة الانعام آية ۹۳ و سورة الأحقاف آية ۲۰

(۲) لم أجده فيما رجعت اليه

(۳) مجمع البيان ۳/ ۳۶۶

(۴) سورة الفرقان آية ۶۳

(۵) سورة النحل آية ۷۴

(۶) سورة العنكبوت آية ۴۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۹۵

على انه لا يجوز ان يضاف اليه تعالى الأدون بدلا من الأصلح، لان اختيار الأدون على الأصلح صفة نقص، و قد عابهم اللّه بإضافة ما لا يرضونه لنفوسهم الى ربهم، و هو قولهم: الملائكة بنات اللّه، فكما لا يرضى الإنسان لنفسه النقص الذى فيه، فهو ينفيه عنه، و عظماء الناس و اجلاؤهم يرفعون نفوسهم عن صفات الأدنى، دون العليا، فينبغى ان ينزه تعالى عن مثل ذلك.

و قوله «وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» معناه عالم بوضع الأشياء فى مواضعها، حكيم فى انه لا يضعها الا فى ما هو حكمة و صواب.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۶۱ الى ۶۳] ..... ص : ۳۹۵

وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (۶۱) وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَ أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (۶۲) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۶۳)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ نافع «مفرطون» بكسر الراء و التخفيف، من الافراط فى الشيء اى الإسراف، بمعنى انهم مسرفون. و قرأ ابو جعفر مثل ذلك بالكسر غير انه شدد الراء من التفريط فى الواجب. و قرأ الباقون بفتح الراء و التخفيف، و معناه انهم متروكون فى النار منسيون فيها- فى قول قتادة و مجاهد و سعيد بن جبير و الضحاك- و قال الحسن و قتادة- فى رواية اخرى- ان المعنى انهم مقدمون بالاعجال الى النار، و هو من قول العرب: أفرطنا فلان فى طلب الماء، فهو التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۹۶

مفرط إذا قدم لطلبه، و فرط فهو فارط إذا تقدم لطلبه، و جمعه فرّاط، قال القطامى:

و استعجلوا و كانوا من صحابتنا كما تعجّل فرّاطٌ لورّاد «۱»

و منه

قول النبى صلّى اللّه عليه و سلم (انا فرطكم على الحوض) اى متقدمكم و سابقكم حتى تردوه.

و منه يقال فى الصلاة على الصبى الميت: اللهم اجعله لنا و لأبويه فرطا.

و

روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم انه قال: (انا و النبيون فرّاط العاصين) اى المذنبين،

و التأويل الاول من قول العرب: ما أفرطت ورائى احداً اى ما خلفت و لا تركت. و المعنى يرجع الى التقدم اى ما تقدمت احداً ورائى. اخبر اللَّه تعالى انه لو كان ممن يؤاخذ الكفار و العصاة بذنوبهم، و يعاجلهم بعقوباتهم و استحقاق جناياتهم و ظلمهم «لما ترك» على وجه الأرض احداً ممن يستحق ذلك من الظالمين. و انما يؤخرهم تفضلًا منه ليراجعوا التوبة، او لما فى ذلك من المصلحة لباقى المكلفين و الاعتبار بهم، فلا تغتروا بالامهال، انكم مثلهم فى استحقاق العقاب على ظلمكم. و قيل فى وجه تعميمهم بالهلاك مع ان فيهم مؤمنين قولان:

أحدهما- ان الإهلاك و ان عمهم فهو عذاب الظالم دون المؤمن، لان المؤمن يعوض عليه.

الثانى- ان يكون ذلك خاصة. و التقدير ما ترك عليها من دابة من اهل الظلم. و قيل ان المعنى انه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء.

و قوله «وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» يعنى الأجل الذى قدره لموتهم و هلاكهم، فإذا جاء ذلك الأجل، لا يتقدمون عليه لحظة و لا يتأخرون.

و قوله «عليها» يعنى على الأرض لدلالة قوله «ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ» اى دابة عليها لأنها تدب على الأرض.

و قوله «يَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ» يعنى يضيفون الى اللَّه البنات مع كراهية

---

(۱) تفسير الشوكانى (الفتح القدير) ۳/ ۱۶۵ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۷۹ و اللسان (عجل)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۹۷

ذلك لنفوسهم «وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى فقول (ان) بدل من الكذب، و موضعه النصب. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن: فيما حكاه الزجاج: ان لهم الجزاء الحسنى.

الثانى- قال مجاهد: ان لهم البنين مع جعلهم للَّه البنات اللاتى يكرهونهنّ.

ثم قال تعالى «لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» و معناه حقّاً أن لهم النار، فى اقوال المفسرين. و قيل: معناه لا بد ان لهم النار، فجرم على هذا اسم، كأنه قال:

قطع ان لهم النار و قال بعضهم «جرم» فعل ماض و (لا) ردّ لكلام متقدم، فكأنه قيل: قطع الحق أن لهم النار. و قيل: وجب قطعاً ان لهم النار. و قيل:

كسب فعلهم أن لهم النار، و انهم مفرطون مقدمون و معجلون الى النار. و قال الخليل: «لا جرم» لا يكون الا جواباً، تقول: فعلوا كذا و كذا، فيقال:

لا جرم انهم سيندمون قال الشاعر:

و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا «۱»

اى بعثهم على ذلك و مثله «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي» «۲» اى لا يبعثكم عداوتى «على ان يصيبكم» و مثله «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا» «۳» ثم اقسم تعالى، فقال «لقد أرسلنا» يعنى رسلا إلى امم من قبلك يا محمد «فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» يعنى كفرهم و ضلالهم و تكذيب رسل اللَّه زينه الشيطان لهم.

و قوله «فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه ناصرهم فى الدنيا، لأنه يتولى إغواءهم و سبب هلاكهم «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» يوم القيامة.

الثانى- انه يوم القيامة وليّهم، لأنه لا يمكنه ان يتولى صرف المكروه عن

---

(۱) مر هذا البيت فى ۳/ ۴۲۳، ۵/ ۴۷۳، ۵۳۴

(۲) سورة هود آية ۸۹

(۳) سورة المائدة آية ۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۹۸

نفسه، فكيف يتولى صرفه عنهم.

ثم اخبر تعالى ان لهم عنده عذاباً أليماً موجعاً مؤلماً جزاء على كفرهم و معاصيهم.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۶۴ الى ۶۵] ..... ص : ۳۹۸

وَ ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۶۴) وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (۶۵)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم إنّا «ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ» يعنى القرآن «إلا» و أردنا منك ان تبين «لهم» و تكشف لهم «الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ» من دلالة التوحيد و العدل و صدق الرسل و ما أوجبت فيه من الحلال و الحرام «وَ هُدىً وَ رَحْمَةً» اى أنزلته هدى و دلالة على الحق لقوم يؤمنون. «وَ هُدىً وَ رَحْمَةً» نصب على انه مفعول له، و يجوز ان يكون رفعا على الابتداء، و انما اضافه الى المؤمنين خاصة لانتفاعهم بذلك، و ان كان دليلا و حجة للجميع، كما قال فى موضع آخر «هدى للمتقين» «۱» و قال «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «۲» و ان انذر من لم يخشاها.

ثم اخبر تعالى على وجه، مَنّ نعمه على خلقه، فقال «و اللَّه» المستحق للعبادة هو الذى «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فأحيا به» يعنى بذلك الماء «الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها» اى أحياها بالنبات بعد جدوبها و قحطها، ففى ذلك أعظم دلالة و اجل آية «لقوم يسمعون» ذلك و يكفرون فيه و يعتبرون به.

---

(۱) سورة البقرة آية ۲

(۲) سورة النازعات آية ۴۵ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۹۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۶۶ الى ۶۷] ..... ص : ۳۹۹

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ (۶۶) وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۶۷)

آيتان بلا خلاف.

قرأ نافع و ابن عامر و ابو بكر عن عاصم «نسقيكم» بفتح النون الباقون بضمها. و الفرق بين اسقينا و سقينا أنّ معنى أسقيناه جعلنا له شراباً دائماً من نهر أو لبن او غيرهما، و سقيناه شربة واحدة، ذكره الكسائى قال لبيد:

سقى قومى بنى مجد و أسقى نُميراً و القبائل من هلال «۱»

فعلى هذا هما لغتان، و الأظهر ما قال الكسائى. عند اهل اللغة. و قال قوم: سقيته ماء كقوله «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً» «۲» و أسقيته سألت اللَّه ان يسقيه و انشد لذى الرّمة:

وقفت على ربع لمية ناقتى فما زلت أبكى عنده و أخاطبه

و أسقيه حتى كاد مما أبثّه تكلمنى أحجاره و ملاعبه «۳»

و قيل ان ما كان من الأنهار و بطون الأودية، فبالضم. و قال ابو عبيدة: إذا سقاه مرة يقال سقيته، و إذا سقاه دائماً يقال أسقيته.

يقول اللَّه تعالى لخلقه المكلفين «إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ» يعنى الإبل و البقر و الغنم «لعبرة» و دلالة لأنا «نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ» و قيل فى تذكيره ثلاثة اقوال:

---

(۱) ديوانه ۱: ۱۲۸ و نوادر أبى زيد ۲۱۳ و مجاز القران ۱: ۳۵۰ و اللسان و التاج «سقى» و مجمع البيان ۳: ۳۷۰.

(۲) سورة الدهر آية ۲۱

(۳) ديوانه ۲۱۳ و نوادر أبى زيد ۲۱۳ و المحاسن و الاضداد للجاحظ ۳۳۵ و مجمع البيان ۳: ۳۳۳، ۳۵۹ و تفسير الطبرى ۱۴: ۱۴ و التاج و اللسان «سقى».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۰۰

أحدها- انه ردّ الى واحد. لان النعم و الانعام بمعنى، قال سيبويه: و الاسم الواحد يجىء على (أفعال) يقال هو الانعام. قال تعالى «فى بطونه» ذهب الى أنه اسم واحد بلفظ الجمع، كما أن الخيل اسم مؤنث، لا واحد له، و النعم اسم مذكر للجماعة، لا واحد له، و قال الراجز:

و طاب ألبان اللقاح فبرد «۱»

رده الى اللبن.

الثانى- انه حمل على المعنى، و التقدير بطون ما ذكرنا، كما قال الصلتان العبدى:

إن السماحة و المروءة ضمنا قبراً بمرو فى الطريق الواضح «۲»

كأنه قال شيئان ضمنا.

الثالث- لأنه فى موضع (اى) كأنه قال «نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ» اى من اى الانعام و كان فى بطونه اللبن، لأنه ليس كلها مما فيه لبناً.

و قوله «مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً» فالفرث الثفل الذى ينزل الى الكرش فبين انه تعالى يخرج ذلك اللبن الصافى، اللذيذ، المشهى من بين ذلك، و بين الدم الذى فى العرق النجس «سائِغاً لِلشَّارِبِينَ» أى مريئاً لهم لا- ينفرون منه، و لا- يشرقون بشربه، و ذلك من عجيب آيات اللَّه و لطف تدبيره و بديع حكمته، الذى لا يقدر عليه غيره، و لا يتأتى من احد سواه.

ثم قال «و من ثمرات» و هو جمع ثمرة، و هو ما يطعمه الشجر، ما فيه اللذة و الثمرة خاصة طعم الشجر مما فيه اللذة يقال: أثمرت الشجرة إثماراً إذا حملت كالنخلة و الكرمة و غيرهما من اصناف الشجر.

و قوله «تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً» قيل فى معنى السكر قولان:

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴: ۸۱ و اللسان (جبه)، (خرت) و قبله:

إذا رأيت انجماً من الأسد جبهته او الخرات و الكتد

بال سهيل فى الفضيخ ففسد و طاب ألبان اللقاح فبرد

(۲) تفسير الطبرى ۱۴: ۸۱ و مجمع البيان ۳: ۳۷۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۰۱

أحدهما- تتخذون منه ما حل طعمه من شراب او غيره، ذكره الشعبى و غيره.

و روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و أبى رزين و الحسن و مجاهد و قتادة: ان السكر ما حرم من الشراب، و الرزق الحسن ما أحل منه. و السكر فى اللغة على اربعة اقسام: أحدها ما أسكر، و الثانى ما طعم من الطعام كما قال الشاعر:

جعلت عيب الأكرمين سكرا «۱»

اى طعماً، الثالث السكون قال الشاعر:

و جعلت عين الحرور تسكر «۲»

و الرابع، المصدر من قولك سكر سكراً، و أصله انسداد المجارى بما يلقى فيها، و منها السكر. و قوله «منه» الكناية راجعة الى محذوف، قال قوم:

تقديره و من ثمرات النخيل و الأعناب ما تتخذون منه، فالهاء كناية عن (ما) المحذوفة و قال آخرون: تقديره و من ثمرات النخيل و الأعناب شيء تتخذون منه.

و قد استدل قوم بهذه الآية على تحليل النبيذ بأن قالوا: امتن اللَّه علينا به وعدّه من جملة نعمه علينا أن خولنا الثمار نتخذ منها السكر، و الرزق الحسن. و هو لا يمتنّ بما هو محرم. و هذا لا دلالة فيه لأمور:

أحدها- انه خلاف ما عليه المفسرون، لأن احداً منهم لم يقل ذلك، بل كلّ التابعين من المفسرين، قالوا: أراد ما حرم من الشراب، و قال الشعبى منهم: انه أراد ما حل طعمه من شراب و غيره.

و الثانى إنه لو أراد بذلك تحليل السكر، لما كان لقوله «وَ رِزْقاً حَسَناً» معنى، لأن ما أحله و اباحه، فهو ايضا رزق حسن، فلم فرق بينه و بين الرزق الحسن و الكل شيء واحد؟؟ و انما الوجه فيه انه خلق هذه الثمار لتنتفعوا بها

(۱- ۲) تفسير الشوكانى ۳: ۱۶۸ و تفسير الطبرى ۱۴: ۸۴ (و اللسان سكر)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۰۲

فاتخذتم أنتم منها ما هو محرم عليكم، و تركتم ما هو رزق حسن. و اما وجه المنّة فبالامرين معاً ثابتة، لأن ما اباحه و أحله فالمنّة به ظاهرة لتعجل الانتفاع به و ما حرمه اللَّه فوجه المنّة ايضا ظاهر به، لأنه إذا حرّم علينا، و أوجب الامتناع منه ضمن فى مقابلته الثواب الذى هو أعظم النعم، فهو نعمة على كل حال.

و الثالث- إذا كان مشتركاً بين المسكر و بين الطعم، وجب أن يتوقف فيه و لا يحمل على أحدهما إلا بدليل، و ما ذكرناه مجمع على أنه مراد، و ما ذكروه ليس عليه دليل، على انه كان يقتضى ان يكون ما أسكر منه يكون حلالًا، و ذلك خلاف الإجماع، لأنهم يقولون: القدر الذى لا يسكر هو المباح، و كان يلزم على ذلك أن يكون الخمر مباحاً، و ذلك لا يقوله احد، و كذلك كان يلزم ان يكون النقيع حلالًا، و ذلك خلاف الإجماع.

و قوله «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» معناه إن فيما ذكره دلالة ظاهرة للذين يعقلون عن اللَّه و يتفهمون و يفكرون فيه.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۶۸ الى ۶۹] ..... ص : ۴۰۲

وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ (۶۸) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۶۹)

آيتان بلا خلاف.

قرئ «يعرشون» بضم الراء و كسرها، و هما لغتان و معناه: و ما يبنونه من السقوف. و قال ابن زيد: يعنى الكروم، قال ابن عباس و مجاهد: يعنى «وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» ألهمها الهاماً، و قال الحسن: جعل ذلك فى غرائزها اى ما التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۰۳

يخفى مثله عن غيرها، و ذلك ايحاء فى اللغة. و قال ابو عبيد: (الوحى) على وجوه فى كلام العرب: منها وحى النبوة، و منها الإلهام، و منها الإشارة، و منها الكتاب، و منها الأسرار:

فالوحى فى النبوة ما يوحى اللّه إلى الأنبياء، كقوله «إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ» «۱» و الوحى بمعنى الإلهام، قوله «وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» و قوله «وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى «۲» و فى الأرض «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها» «۳» و وحى الاشارة كقوله «فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا» «۴» قال مجاهد: أشار اليهم، و قال الضحاك: كتب لهم.

و اصل الوحى عند العرب هو إلقاء الإنسان إلى صاحبه ثيابا للاستتار و الإخفاء.

و وحى الاسرار مثل قوله «يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً «۵»» فاما ما روى عن ابن عباس انه قال: لا وحى إلّا القرآن أراد ان القرآن هو الوحى الذى نزل به جبرائيل على محمد صلّى اللّه عليه و سلم، دون ان يكون أنكر ما قلناه.

و يقال: أوحى له و أوحى اليه قال العجاج:

أوحى لها القرار فاستقرت «۶» قال المبرد: ما روى عن ابن عباس إنما قاله لما سئل عما كان وضعه المختار و سماه الوحى، فقال ابن عباس: لا وحى إلا القرآن جواباً عما أحدثه المختار و ادعى تنزيله اليه.

و واحد «النحل» نحلة، و المعنى ان اللّه تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل و الادكار، و البيوت فى الجبال، و فى الشجر و غير ذلك «وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ» يعنى

---

(۱) سورة الشورى آية ۵۱

(۲) سورة القصص آية ۷

(۳) سورة الزلزال آية ۵

(۴) سورة مريم آية ۱۱

(۵) سورة الانعام آية ۱۱۲

(۶) مر هذا الرجز فى ۲: ۴۵۹، ۳: ۸۴، ۴: ۶۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۰۴

سقوف البيوت «ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا» معناه انه تعالى ألهمها ايضاً أن تأكل من الثمرات و سائر الأشجار التى تحويها، و الذلل جمع ذلول، و هى الطرق الموطأة للسلوك. و قيل: طرق لا يتوعّر عليها سلوكها عن مجاهد. و قال قتادة: معنى «ذللا» اى مطيعة، و يكون من صفة النحل.

و قال غيره: هو من صفات الطريق و معنى «ذللا» إنه قد ذللها لك و سهل عليك سلوكها و فى ذلك أعظم العبر و اظهر الدلالة على توحيده تعالى و أنه لا يقدر عليه سواه.

ثم قال «يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها» يعنى بطون النحل «شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ» من أصفر و أبيض و أحمر، مع أنها تأكل الحامض و المر فيحيله اللّه عسلًا حلواً لذيذاً «فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ» لما شفائها فيه، و اكثر المفسرين على ان (الهاء) راجعة إلى العسل، و هو الشراب الذى ذكره، و أن فيه شفاء من كثير من الأمراض، و فيه منافع جمة. و قال مجاهد (الهاء) راجعة إلى القرآن «فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ»، لما فيه من بيان

الحلال، و الحرام، و الفتيا، و الأحكام، و الأول أوثق.
ثم اخبر تعالى ان فيما ذكره آيات واضحات، و دلالات بينات، لمن يتفكر فيه و يهتدى بهديه، و انما قال «من بطونها» و هو خارج من فيها، لان العسل يخلقه اللَّه فى بطون النحل و يخرجه إلى فيه. ثم يخرجه من فيه، و لو قال: من فيها لظن أنها تلقيه من فيها، و ليس بخارج من البطن.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۰] ..... ص : ۴۰۴

وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (۷۰)
آية بلا خلاف.
هذه الآية فيها تعديد لنعم اللَّه تعالى على عباده، شيئاً بعد شيء، ليشكروه عليها، و بحسبها يقول اللَّه: إنى أنا الذى خلقتكم و أخرجتكم من العدم إلى الوجود التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۴۰۵
و أنعمت عليكم بضروب النعم، دينيّة و دنياوية، ثم الذى خلقكم يتوفاكم و يقبضكم أى يميتكم «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ» و هو أراده و أوضعه، يقال منه:
رذل الشيء يرذل رذالة، و أرذلته انا ارذالًا يريد به حال الذم. و قيل انه يصير كذلك فى خمس و سبعين سنة- فى قول على (ع).
و قوله «لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً» اخبار منه تعالى انه إنما يردّه إلى أرذل العمر، ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علم للكبر، فكأنه لا يعلم شيئاً، مما كان علم.
و فى ذلك أعظم دلالة و أبين اعتبار على قادر مصرف للخلق من حال إلى حال.
ثم أخبر «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بمصالح عباده، قادر على ما يشاء من تدبيرهم و تغيير أحوالهم.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۱] ..... ص : ۴۰۵

وَ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ أَ فَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (۷۱)
آية بلا خلاف.
قرأ أبو بكر عن عاصم «تجحدون» بالتاء على معنى: قل لهم يا محمد أمن أجل ما أنعم اللَّه عليكم، أشرتم و بطرتم و جحدتم. و قرأ الباقون بالياء.
وبخّهم اللَّه تعالى على جحودهم نعمه، فيقول اللَّه تعالى لخلقه، بأنه فضل بعضهم على بعض فى الرزق، لأنه خلق فيهم غنيّاً و فقيراً و قادراً و عاجزاً، و فضل بنى آدم على سائر الحيوان فى لذيذ المأكل، و المشرب، و جعل بعضهم مالكاً لبعض، و بعضهم رقّاً مملوكا.
و قوله «فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انهم لا يشركون عبيدهم فى أموالهم و أزواجهم حتى يكونوا فيه التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۴۰۶
سواء، لأنهم لا يرضون بذلك لأنفسهم، و هم يشركون عبيدى فى ملكى و سلطانى و يوجهون العبادة و القربات اليهم، مثل قربهم الى اللَّه تعالى. ذكره ابن عباس و قتادة و مجاهد.
الثانى- انهم سواء فى أنى رزقت الجميع، و أنه لا يمكن احد أن يرزق عبيده إلا برزقى إياه، أ فبهذه النعم التى عددتها و ذكرتها «يجحدون» هؤلاء الكفار.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۲] ..... ص : ۴۰۶

وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (۷۲)

آية بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى: إنى أنا الذى جعلت لكم ازواجاً «من أنفسكم» يعنى من البشر، و الذين يلدونهم ليكون ذلك آنس لهم و أليق بقلبهم، و خلقت من هؤلاء الأزواج بنين تسرون بهم و تتزينون بهم و «حفدة» اى و خلق لكم حفدة.

و قيل فى معناه اقوال:

قال مجاهد و طاوس: هم الخدم، و قال ابن عباس: هم الخدم و الأعوان، و انشد قول جميل:

حفد الولائد حولها و استمسكت بأكفِّهنَّ أزمّة الأجمال «۱»

و فى رواية اخرى عن ابن عباس: إنهم البنون و بنو البنين. و فى رواية اخرى أنهم بنو امرأة الرجل من غيره. و قال الحسن: من أعانك، فقد حفدك من

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴/ ۸۸، ۸۹ رواه مرتين مع اختلاف يسير، و مجمع البيان ۳/ ۳۸۳.

و لم أجده فى ديوان جميل بثينة، (دار بيروت) و هو فى اللسان (حفد) غير منسوب و روايته (حولهن و أسلمت) بدل (و حولها و استمسكت).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۰۷

البنين و بنى البنات و الأعوان و الأهل. و قال ابن مسعود، و ابو الضحى، و ابراهيم و سعيد بن جبير: هم الأختان، و هم ازواج البنات.

و أصل الحفد الاسراع فى العمل، و منه يسعى و يحفد، و مر البعير يحفد حفداناً إذا مر يسرع فى سيره، و حفد يحفد حفداً و حفداناً، قال الراعى:

كلفت مجهولها نوقاً يمانية إذا الحداة على أكسائها حفدوا «۱»

و الحفدة جمع حافد، مثل كامل و كملة. و قوله «وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ» اى جعل لكم أشياء تستطيبونها و أباحها لكم.

و انما دخلت (من) لأنه ليس كل ما يستطعمه الإنسان رزقاً له، و انما رزقه ما له التصرف فيه، و ليس لغيره منعه منه.

ثم قال «أفبالباطل» يعنى عبادة الأوثان و الأصنام، و ما حرم عليهم الشيطان من البحائر و السائبة و الوصيلة يصدقون، و بنعمة اللَّه التى عددها لهم «يكفرون» اى يجحدون ما أحله اللَّه، و ما حرم عليهم.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۷۳ الى ۷۴] ..... ص : ۴۰۷

وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لا يَسْتَطِيعُونَ (۷۳) فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۷۴)

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يجحدون نعم اللَّه، بأنهم يوجّهون عبادتهم من دون اللَّه إلى «ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً» أى لا يقدر عليه، يعنى بها الأصنام التى لا تقدر لهم على نعمة، و لا على ما يستحق به العبادة، و لا على

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴/ ۹۰ و مجمع البيان ۳/ ۳۷۳ و اللسان (كسأ) و روايته (الحداد) بدل (الحداة)، [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۰۸

رزق يرزقونهم من السموات و الأرض، و لا يستطيعون شيئاً مما ذكرنا. و يتركون عبادة من يقدر على جميع ذلك و يفعله بهم، و رزق السماء الغيث الذى يأتى من جهتها، و رزق الأرض النبات و الثمار التى تخرج منها و قوله «فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ» معناه لا تجعلوا للّه الأشباه و الأمثال فى العبادة فإنه لا شبه له و لا مثيل، و لا أحد يستحق معه العبادة، و ذلك فى اتخاذهم الأصنام آلهة، ذكره ابن عباس و قتادة.

و قوله «شيئا» نصب على أحد وجهين:

أحدهما- أن يكون بدلا من (رزقا) و المعنى ما لا يملك لهم رزقاً قليلا، و لا كثيراً.

و الثانى- أن يكون منصوباً ب «رزقا» كما قال «أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً» «۱» كأنه قال لا يملك لهم رزق شىء.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ» أى يعلم أنه لا تحق العبادة إلا له «وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» ذلك بل تجهلونه، و لكن يجب عليكم أن تنظروا لتعلموا صحة ما قلناه

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۵] ..... ص : ۴۰۸

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَ مَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۷۵)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى هذه الآية قولان:

أحدهما- أنه مثل ضرب للكافر الذى لا خير عنده، و المؤمن الذى يكتسب الخير، للدعاء إلى حال المؤمن، و الصرف عن حال الكافر، و هو قول ابن عباس و قتادة.

---

(۱) سورة البلد آية ۱۴- ۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۰۹

الثانى- قال مجاهد: إنه مثل ضربه لعبادتهم الأوثان التى لا تملك شيئاً، و العدول عن عبادة اللّه الذى يملك كل شىء، و المعنى أن الإثنين المتساويين فى الخلق إذا كان أحدهما قادراً على الإنفاق مالكاً، و الآخر عاجزاً لا يقدر على الإنفاق لا يستويان، فكيف يسوّى بين الحجارة التى لا تتحرك، و لا تعقل، و بين اللّه تعالى القادر على كل شىء، الرازق لجميع خلقه، فبين بذلك لهم أمر ضلالتهم و بعدهم عن الحق فى عبادة الأوثان. ثم قال «الحمد لله» أى الشكر له تعالى، على نعمه، لا يستحقه من لا نعمة له، «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» ذلك.

و فى هذه الآية دلالة على أن المملوك لا يملك شيئاً، لأن قوله «مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ» ليس المراد به نفى القدرة، لأنه قادر على التصرف، و إنما المراد أنه لا يملك التصرف فى الأموال، و ذلك عام فى جميع ما يملك و يتصرف فيه.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۷۶] ..... ص : ۴۰۹

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۷۶)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى ضرب هذا المثل قولان:

أحدهما- انه مثل ضربه اللّه فى من يؤمل الخير من جهته، و فى من لا- يؤمل، فيؤمل الخير كله من اللّه تعالى، لا من جهة الأوثان و العباد، فلا ينبغى أن يسوّى بينهما فى العبادة.

الثانى- انه مثل للكافر و المؤمن، و وجه التقابل فى ضرب المثل بهذين الرجلين أنه على تقدير: و من هو بخلاف صفته «يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» فى تدبير الأمور بالحق، و هذا زيادة فى ضرب المثل من اللّه تعالى، فإنه يقول: ان الرجلين إذا كان أحدهما أبكم لا يقدر على شىء، و هو الذى لا يسمع التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱۰

شيئاً و لا يبصر، و لا يعقل، و هو مع ذلك «كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ» أى وليّه «أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» مع كونه «عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» و المراد أنهما لا يستويان قط. و الأبكم الذى يولد أخرس لا يفهم و لا يفهم. و قيل: أنه ضرب المثل للوثن مع إنهما كهم على عبادته، و هو بهذه الصفة.

و قيل: الأبكم هو الذى لا يمكنه أن يتكلم. و الكَلّ الثقل: كلَّ عن الأمر يكل كلا إذا ثقل عليه، فلم ينبعث فيه، و كلت السكين كلولا إذا غلظت شفرتها، و كل لسانه إذا لم ينبعث فى القول لغلظه و ذهاب حده، فالأصل الغلظ الذى يمنع من النفوذ فى الأمر.

و قوله «وَ هُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى هو مع أمره بالعدل، على طريق من الحق فى دعائه إلى العدل فأمره به مستقيم لا يعوّج و لا يزول عنه.

قوله تعالى: [سورة النحل (۱۶): الآيات ۷۷ الى ۷۸] ..... ص : ۴۱۰

وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۷۷) وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۷۸)

آيتان بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى أن له غيب السموات و الأرض و معناه أنه المختص بعلم ذلك، و هو ما غاب عن جميع العالمين، مما يصح أن يكون معلوماً، فإنه تعالى يختص بالعلم به و قال الجبائى: و يحتمل أن يكون المعنى، و للّه ملك ما غاب مما فى السموات و الأرض. ثم قال «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ» أى مجيئها و هى يوم القيامة، فى السرعة و قرب المجىء «إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» من ذلك مبالغة فى ضرب المثل به فى السرعة، و أنه قادر عليه. و دخول «أو» فى قوله «أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» لأحد أمرين. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱۱

أحدهما- الإبانة عن أنه، على إحدى منزلتين إما كلمح بالبصر أو اقرب من ذلك.

و الثانى- انه قال ذلك لشكّ المخاطب، و إنما قرب أمرها، لأنه بمنزلة «كن فيكون» فمن هاهنا صح انها كلمح البصر او اقرب، ثم ذكر نعمه التى أنعم بها على خلقه، فقال «هو» تعالى «وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ» و أنعم عليكم بذلك و أنتم فى تلك الحال «لا- تَعْلَمُونَ شَيْئاً» و لا- تعرفونه، فتفضل عليكم بالحواس الصحيحة التى هى طريق العلم بالمدركات، و جعل لكم قلوباً تفقهون بها الأشياء، لأنها محل المعارف، لكى تشكروه على ذلك و تحمدوه على نعمه.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۷۹ الى ۸۱] ..... ص : ۴۱۱

أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۷۹) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوافِها وَ أَوْبارِها وَ أَشْعارِها أَثاثاً وَ مَتاعاً إِلى حِينٍ (۸۰) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ

كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (۸۱)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ نافع و ابن كثير و ابو عمر «و يوم ظعنكم» بتحريك العين. الباقون بتسكينها و هما لغتان، مثل نهر و نهر، و سمع و سمع. و قرأ ابن عامر و حمزة و خلف و يعقوب «ألم تروا» بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على وجه التذكير لما تقدم ذكره، و التنبيه لهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱۲

يقول اللَّه تعالى منبهاً لخلقه على وجه الاستدلال على وحدانيته «ألم يروا» يعنى هؤلاء الكفار الجاحدين لربوبيته «الى الطير» قد سخرها اللَّه «فِي جَوِّ السَّماءِ» وسط الهواء، حتى مكنها ان تتصرف فى جوّ السماء على حسب إرادتها، و يعلمون أن لها مسخّراً و مدبّراً، لا يشبه الأشياء، لان من المعلوم ان احداً من البشر لا يقدر على مثل ذلك، و لا يتأتى، منه ذلك، و أن من مكّن الطير من تلك الحال قد كان يجوز ان يمكنها منه ابتداء و اختراعاً، من غير اسباب ادّت الى أن صارت على تلك الأوصاف، لأنه قادر لا يعجزه شيء، و لا يتعذر عليه شيء، و أنه إنما خلق ذلك ليعتبروا به و ينظروا فيه، فيصلوا به الى الثواب الذى عرّضهم له، و لو كان فعل ذلك لمجرد الانعام به على العبد كان حسناً، لكن ضم الى ذلك التعريض للثواب على ما قلناه.

و انما قال «ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ» و هى تستمسك بالقدرة التى أعطاها اللَّه مبالغة فى الصفة بأن اللَّه يمكنّها بالهواء الذى تتصرف فيه، لأنه ظاهر انها بالهواء تستمسك عن السقوط، و أن الغرض من ذلك تسخير ما سخر لها. ثم قال «ان فى» خلق «ذلك»، على ما وصفه، لدلالات لقوم يصدقون بتوحيد اللَّه، و يصدقون أنبياءه و خص المؤمنين بذلك لامرين:

أحدهما- من حيث هم المنتفعون بها دون غيرهم.

الثانى- لأنهم يدلّون بها على مخالفى التوحيد، و هى دلالة من اللَّه للجميع، و الجو- بالفتح- ما بين السماء و الأرض، قال الانصارى:

ويل أمها فى هواء الجوّ طالبة و لا كهذا الذى فى الأرض مطلوب «۱»

ثم عدد فى الآية الأخرى نعمه، فقال: «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً» أى مواضع تسكنون فيها «وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها» اى يخف عليكم حملها «يوم ظعنكم» أى ارتحالكم من مكان

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۳۶۵ و خزانة الأدب ۲/ ۲۱۲ نسبة الى امرئ القيس بن حجر الكندى و هو موجود فى ديوانه ۶۹ و روايته (لا كالتى) و الطبرى ۱۴/ ۹۳ نسبة الى ابراهيم بن عمران الانصارى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱۳

الى مكان «وَ يَوْمَ إِقامَتِكُمْ» يعنى اليوم الذى تنزلون موضعاً تقيمون فيه، ثم قال «و جعل لكم من أصوافها» من أصواف الضأن و أوبار الإبل و اشعار المعز «أثاثا» يعنى متاع البيت الكثير، من قولهم شعر أثيث اى كثير، و أثَّ النبت يئث أثّاً إذ كثر و الْتفّ، و كذلك الشعر، و لا واحد للاثاث، كما لا واحد للمتاع، قال الشاعر:

اهاجتك الظعائن يوم بانوا بذى الرِّئْيِ الجميل من الأثاث «۱»

و قوله «إِلى حِينٍ» معناه. الى وقت يهلك فيه، ثم قال «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالًا» يعنى من الشجر و غيره، ما تسكنون فيه من أذى الحر و البرد «وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ» يعنى قمصاً من القطن و الكتان- فى قول قتادة- واحدها سربال، و يقال للدروع سرابيل، و هى التى تقى البأس، و قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال.

و قوله «تقيكم الحر» اى تمنعكم من الحرّ، و خص الحر بذلك مع ان وقايتها للبرد اكثر لامرين:

أحدهما- إن الذين خوطبوا بذلك أهل حرّ فى بلادهم فحاجتهم الى ما يقى الحر أشدّ فى قول عطاء.

الثانى- انه ترك ذلك لأنه معلوم، كما قال الشاعر:

و ما ادرى إذا يممت وجهاً أريد الخير أيهما يلينى «۲»

فكنى عن الشر، و لم يذكره، لأنه مدلول عليه ذكره الفراء.

و قوله «كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» اى كما أنعم عليكم بهذه النعم ينعم عليكم بجميع ما تحتاجون اليه، و هو إتمام نعمه فى الدنيا، و بين انه فعل ذلك لتسلموا

---

(۱) قائله محمد بن نمير الثقفى. تفسير القرطى ۱۰/ ۱۵۳ و مجاز القرآن ۱/ ۳۶۵ و الكامل للمبرد ۳۷۶ و اللسان و التاج (رأى) و روايته (اشاقتك).

(۲) قائلة المثقب العبدى. اللسان (أمم) و تفسير القرطبى ۱۰/ ۱۶۰ و قد مر فى ۲/ ۱۱۳، ۵/ ۵۲۹ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱۴

و تؤمنوا. و قرأ ابن عامر بفتح التاء، و المعنى لتسلموا بتلك الدروع من الجراحات.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۸۲ الى ۸۳] ..... ص : ۴۱۴

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (۸۲) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ (۸۳)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لنبيه محمد صلّى اللّه عليه و سلم على وجه التسلية له عما كان يلحقه عند تولى الكفار عن الحق الذى يلزمهم، و اعراضهم عن القبول منه «فأن تولى» هؤلاء الكفار، و أعرضوا عنك فانه لا يلزمك تقصير من اجل ذلك، لان الذى يلزمك «البلاغ المبين» يعنى الظاهر الذى يتمكنون معه من معرفته، و قد فعلته، و قد حذف جميع ذلك لدلالة الكلام عليه، ثم اخبر عنهم بأن قال هؤلاء الكفار «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ» عليهم، مما يجدون من خلق نفوسهم، و أقدارهم، و إكمال عقولهم و ما خلق اللّه من انواع المنافع، التى ينتفعون بها، ثم انهم مع ذلك ينكرون تلك النعم ان تكون من جهة اللّه و منسوبة اليه، و ينسبونها الى الأصنام ثم قال: «وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ» و انما قال أكثرهم مع ان جميعهم كفار لامرين:

أحدهما- لأن فيهم من لقّنوه الكفر، ممن لم يبلغ حدّ التكليف لصغره، و لم تقم الحجة عليه، أو هو من ناقص العقل مأووف «۱» فلا يحكم عليهم بالكفر.

الثانى- إن منهم من ينكر النعمة، فى حال لم يقم عليه حجة للشواغل فى قلبه التى تلهيه عن تأمل أمره، و الفكر فى حاله، فيكون فى حال حكم الساهى و الصبى، و إن كان مكلفاً بغير ذلك من الأمور، فلا يكون كافراً بالإنكار فى

---

(۱) معنى مأووف فيه آفة اى مرض فى عقله.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱۵

تلك الحال. و قال الجبائى: هو و إن كان لفظاً خاصاً، فهو عام فى المعنى. و قال الحسن: المعنى ان جميعهم الكافرون، و انما عزل البعض احتقاراً له أن يذكره.

و فى الآية الثانية- دلالة على فساد مذهب المجبرة: من أنه ليس للّه على الكافر نعمة، و قولهم: إن جميع ما فعله بهم نقمة و خذلان، حتى ارتكبوا المعصية، لان اللّه تعالى قد بين خلاف ذلك نصاً فى هذه الآية.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۸۴ الى ۸۵] ..... ص : ۴۱۵

وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (۸۴) وَ إِذا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (۸۵)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى إن اليوم الذى يبعث فيه «مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً» يشهد عليهم بكفرهم و ضلالهم و جميع معاصيهم هو يوم القيامة، و الشهيد فى كل أمة رسوله، و يجوز أن يكون قوم من المؤمنين المرضيين عند اللّه، و انما يقيم الشهادة عليهم مع أنه عالم بأحوالهم من حيث ان ذلك اهول فى النفس و أعظم فى تصور الحال، و أشد فى الفضيحة إذا قامت به الشهادة بحضرة الملأ التى يكون من اللّه التصديق لها مع جلالة الشهود عند اللّه بالحق.

و قوله «ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه لا يؤذن لهم فى الاعتذار، على أن الآخرة مواطن: فيها ما يمنعون و فيها ما لا يمنعون.

الثانى- انهم لم يؤذن لهم فى الاعتذار بما ينتفعون، و لا يعرضون للعتبى الذى هو الرضا. و قال الجبانى: المعنى ان اللّه يخلق فيهم العلم الضرورى بأنهم ان التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱۶

اعتذروا لم تقبل معذرتهم، و إن استعتبوا لم يعتبوا و لم يرد أنهم لا يؤمرون بالاعتذار، و لا يمكّنون منه، لأن الأمر و التكليف قد زالا عنهم.

ثم اخبر تعالى أن الظالمين إذا رأوا العذاب يوم القيامة و شاهدوه، فلا يخفف عنهم ذلك العذاب إذا حصلوا فيه «وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» اى لا يؤخرون الى وقت آخر، بل عذابهم دائم فى جميع الأوقات، و وقت التوبة و الندم قد فات

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۸۶ الى ۸۸] ..... ص : ۴۱۶

وَ إِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكاءَهُمْ قالُوا رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ (۸۶) وَ أَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۸۷) الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ بِما كانُوا يُفْسِدُونَ (۸۸)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى مخبراً عن حال المشركين و الكفار فى الآخرة و أنهم إذا رأوا شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون اللّه. و قيل انما سموا «شركاءهم» لأمرين:

أحدهما- لأنهم جعلوا لهم نصيباً فى أموالهم.

الثانى- لأنهم جعلوهم شركاء فى العبادة.

و معنى قوله «هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ» اعتراف منهم على أنفسهم بأنهم كانوا يشركون مع اللّه غيره فى العبادة.

و قوله «فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ألقى المعبودون القول «انكم لكاذبون» فى أنا نستحق العبادة. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۱۷

و الثانى- «انكم لكاذبون» فى قولكم إنا دعوناكم الى العبادة.

و قيل: انكم لكاذبون بقولكم إنا آلهة.

و إلقاء المعنى الى النفس إظهاره لها، حتى تدركه متميزاً من غيره، فهؤلاء ألقوا القول حتى فهموا عنهم انهم كاذبون.

و قوله «وَ أَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ» معناه استسلموا بالذل لحكم اللّه- فى قول قتادة- «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» اى يضل ما كانوا يأملونه و يقدرون من ان آلهتهم تشفع لهم. ثم أخبر تعالى ان الذين يكفرون باللّه و يجحدون وحدانيته، و يكذبون رسله، و يصدون

غیرهم عن اتباع الحق الذی هو سبیل اللَّه «زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ». قال ابن مسعود: أفاعی و عقارب النار لها أنیاب کالنخل الطوال جزاءً «بِما کانُوا یُفْسِدُونَ» فی الأرض.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): آیة ۸۹] ..... ص : ۴۱۷

وَ یَوْمَ نَبْعَثُ فِی کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً عَلَیْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِکَ شَهِیداً عَلی هؤُلاءِ وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ (۸۹)

آیة بلا خلاف.

یقول اللَّه تعالی إن الیوم الذی «نَبْعَثُ فِی کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً» ای من یشهد «عَلَیْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» ای من أمثالهم من البشر. و یجوز ان یکون ذلک نبیّهم الذی بعث الیهم، و یجوز ان یکونوا مؤمنین عارفین باللَّه و نبیه، و یشهدون علیهم بما فعلوه من المعاصی.

و فی ذلک دلالة علی ان کل عصر لا یخلو ممن یکون قوله حجة علی اهل عصره، عدل عند اللَّه، و هو قول الجبائی، و أکثر أهل العدل، و هو قولنا و إن خالفناهم فی من هو ذلک العدل و الحجة. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۱۸

«و جئنا بک» یا محمد «شهیدا» علی هؤلاء یعنی کفار قریش و غیرهم، من الذین کفروا بنبوته. ثم قال «وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ» یعنی القرآن «تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ» ای بیاناً لکل أمر مشکل. و التبیان و البیان واحد. و معنی العموم فی قوله «لکل شیء» المراد به من أمور الدین: إمّا بالنص علیه او الاحالة علی ما یوجب العلم من بیان النبی صلّی اللَّه علیه و سلم و الحجج القائمین مقامه، او اجماع الأمة او الاستدلال، لان هذه الوجوه أصول الدین و طریق موصلة الی معرفته.

و فی الآیة دلالة علی بطلان قول من قال: الکلام لا یدل علی شیء، لان کلام الحکیم یدل من وجهین:

أحدهما- أنه دلیل علی نفس المعنی الذی یحتاج الیه.

و الآخر- أنه دلیل علی صحة المعنی الذی یحتاج الی البرهان علیه. و لو لم یکن کذلک لخرج عن الحکمة و جری مجری اللغو الذی لا فائدة فیه.

و قوله «وَ هُدیً وَ رَحْمَةً وَ بُشْری یعنی القرآن دلالة و رحمة و بشارة للمسلمین بالجنة.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۹۰ الی ۹۱] ..... ص : ۴۱۸

إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِیتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ یَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ الْبَغْیِ یَعِظُکُمْ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ (۹۰) وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَیْمانَ بَعْدَ تَوْکِیدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَیْکُمْ کَفِیلاً إِنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ (۹۱)

آیتان یقول اللَّه تعالی مخبراً عن نفسه «إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» یعنی الانصاف بین الخلق، و فعل ما یجب علی المکلف و «الإحسان» الی الغیر، و معناه یأمرکم بالإحسان، فالأمر بالأول علی وجه الإیجاب، و بالإحسان علی وجه الندب. و فی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۱۹

ذلک دلالة علی ان الامر یکون أمراً بالندوب الیه دون الواجب، «وَ إِیتاءِ ذِی الْقُرْبی ای و أمرک بإعطاء ذی القربی، و یحتمل أمرین:

أحدهما- صلة الأرحام، فیکون ذلک عاماً فی جمیع الخلق.

و الثانی- ان یکون أمراً بصلة قرابة النبی صلّی اللَّه علیه و سلم و هم الذین أرادهم اللَّه بقوله «فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی «۱» علی ما بیناه فیما قبل و قوله «وَ یَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ الْبَغْیِ» انما جمع بین الأوصاف الثلاثة فی النهی عنها مع ان الکل منکر فاحش، لیبین بذلک تفصیل ما نهی عنه، لان الفحشاء قد یکون ما یفعله الإنسان فی نفسه مما لا یظهر أمره و یعظم قبحه.

و المنکر ما یظهر للناس مما یجب علیهم إنکاره، و البغی ما یتطاول به من الظلم لغیره، و لا یکون البغی إلا من الفاعل لغیره، و الظلم

قد يكون ظلم الفاعل لنفسه.

و روى عن أبى عيينة، أنه قال: العدل هو استواء السريرة و العلانية، و الإحسان ان تكون سريرته أحسن من علانيته، و الفحشاء و المنكر ان يكون علانيته أحسن من سريرته.

ثم بين تعالى أنه يعظ بما ذكره خلقه، لكى يذكروا و يتفكروا، و يرجعوا الى الحق.

ثم أمر تعالى خلقه بأن يفوا بعهده إذا عاهدوا عليه، و العهد الذى يجب الوفاء به: هو كل فعل حسن إذا عقد عليه، و عاهد اللّه ليفعلنه بالعزم عليه، فانه يصير واجباً عليه، و لا يجوز له خلافه، ثم يكون عظم النقض بحسب الضرر به، فأما إذا رأى غيره خيراً منه فليأت الذى هو خير و ليكفّر، عند الفقهاء.

و قال أصحابنا: إذا وجد خيراً منه فعل الخير، و لا كفارة عليه، و هذا يجوز فيما كان ينبغى ان يشرط، فأما إذا أطلقه و هو لا يأمن ان يكون غيره خير منه فقد أساء بإطلاق العقد عليه.

---

(۱) سورة الانفال آية ۴۱ و قد بين معناها فى ۵: ۱۴۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۰

ثم قال «وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها» نهى منه تعالى عن حنث الأيمان بعد عقدها و تأكيدها، يقال أكدته تأكيداً و وكدته توكيداً، و الأصل الواو.

و انما أبدلت الهمزة منها كما قالوا: وقيت فى أوقيت.

و فى الآية دلالة على ان اليمين على المعصية غير منعقدة، لأنها لو كانت منعقدة لما جاز نقضها، و أجمعوا على أنه يجب نقضها، و لا يجوز الوفاء بها، فعلم بذلك ان اليمين على المعصية غير منعقدة.

و النقض فى المعانى يمكن فى ما لا يجوز ان يصح مع خلافه، بل إن كان حقّاً فخلافه باطل، و إن كان باطلًا فخلافه حق، نحو إرادة الشيء و كراهته، و الأمر بالشيء و النهى عنه و التوبة من الشيء و العود فيه و ما أشبه ذلك.

و قوله «وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا» اى حسيباً فيما عاهدتموه عليه «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ» من نقض العهد و الوفاء به، و ذلك تهديد و وعيد بأن يجازى على ما يكون منكم على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب.

و قيل: إن الآية نزلت فى الذين بايعوا النبى صلّى اللّه عليه و سلم على الإسلام. و قال بعضهم نزلت فى الحلف الذى كان عليه أهل الشرك، فأمروا فى الإسلام بالوفاء به ذكره ابن زيد.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۹۲ الى ۹۳] ..... ص : ۴۲۰

وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَ لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۹۲) وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۹۳)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۱

هذا نهى من اللّه تعالى للمكلفين ان يكونوا «كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً» فواحد الانكاث نكث، و كل شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث: حبلًا كان او غزلًا، يقال منه: نكث فلان الحبل ينكثه نكثاً، و الحبل منتكث إذا انتقضت قواه. و (الدخل) ما أدخل فى الشيء على فساد، و المعنى تدخلون الايمان على فساد للغرور، و فى نيتكم الغدر بمن حلفتم له، لأنكم أكثر عدداً منهم أو، لان غيركم اكثر عدداً منكم و قيل الدخل الدغل و الخديعة، و إنما قيل الدخل، لأنه داخل القلب على ترك الوفاء و الظاهر على الوفاء. و

قيل (دخلًا) غلّا و غشّاً، و يقال: انا اعلم دخل فلان و دخله و دخلته و دخيلته، و المعنى لا تنقضوا الايمان لكثرتكم، و قلة من حلفتم له او لقلتكم و كثرتهم، فإذا وجدتم اكثر منهم نقضتم بل احفظوا عهدكم. و «دخلًا» منصوب بأنه مفعول له.

و قوله «أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبى مِنْ أُمَّةٍ» اى اكثر عدداً لطلب العز بهم مع الغدر بالأقل، و هو (أفعل) من الربا، قال الشاعر:

و اسمر خطىّ كأن كعوبه نوى العسيب قد اربا ذراعاً على عشر «۱»

و منه أربا فلان للزيادة التى يزيدها على غريمه فى رأس ماله (و اربى) فى موضع رفع. و أجاز الفراء ان تكون فى موضع نصب، و تكون هى عماداً.

و قال الزجاج: لا يجوز ذلك، لان العماد لا يكون بين نكرتين، لأن «امّة» نكرة، و يفارق قوله «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً» «۲» لأن الهاء فى تجدوه معرفة.

و قوله «إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ» معناه إنما يختبركم اللَّه بالأمر بالوفاء، فالهاء فى (به) عائدة على الأمر، و تحقيقه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بالعمل «وَ لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ» أى و يفصل لكم و يظهر لكم «ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» فى صحته يوم القيامة.

و التى نقضت غزلها من بعد إبرام قيل: إنها ريطة بنت عمرو بن كعب ابن سعيد بن تميم بن مرة، و كانت حمقاء، فضربه اللَّه مثلًا، فقال

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴: ۱۰۲ و مجمع البيان ۳: ۳۸۱

(۲) سورة المزمل آية ۲۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۲

«أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها» فتكونوا إن فعلتم ذلك كامرأة غزلت غزلًا، و قوت فوته و أبرمت، فلما استحكم نقضته، فجعلته أنكاثاً أى انقاضاً، و هو ما ينقض من اخلاق بيوت الشعر و الوبر ليغزل ثانية، و يعاد مع الجديد، و منه قيل: لم بايع طائعاً ثم خرج عليك ناكثاً؟ لأنه نقض ما وكّده على نفسه بالايمان و العهود كفعل الناكثة غزلها.

و معنى «أن تكون» لأن تكّون «أمة» أعزّ من أُمّة، و قوم أعلى من قوم، يريد لا تقطعوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء، فتجعلوها لهؤلاء. و قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم نقضوا حلف هؤلاء، و حالفوا أولئك الذين هم أعزّ، فنهاهم اللَّه عن ذلك.

و قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً» اخبار منه تعالى عن أن العباد إذا خالفوا أمره لم يعاجزوه، و لم يغالبوه تعالى عن ذلك، لأنه لو يشاء لأكرههم على أن يكونوا أمة واحدة، لكنه يشاء أن يجتمعوا على الايمان، على وجه يستحقون به الثواب. و مثله قوله «وَ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَ لكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ» «۱» كذلك قال سبحانه- هاهنا- و لكن ليمتحنكم و يختبركم لتستحقوا النعيم الذى أراده لكم، فيضل قوم، و يستحقوا الإضلال عن طريق الجنة، و الحكم عليهم بأنهم ضالون. و يهتدى آخرون، فيستحقوا الهدى يعنى الحكم لهم بالهداية، و إرشادهم إلى طريق الجنة. ثم قال «و لتسألن» يا معشر المكلفين «عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى الدنيا من الطاعات و المعاصى، فتجازون عليه بقدره.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۹۴ الى ۹۶] ..... ص : ۴۲۲

وَ لا تَتَّخِذُوا أَيْمانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها وَ تَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَكُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۹۴) وَ لا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا إِنَّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۹۵) ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۹۶)

---

(۱) سورة ۴۷ محمد آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۳

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، و عاصم «و لنجزين الذين صبروا» بالنون. الباقون بالياء.

من قرأ بالنون فحجته إجماعهم على قوله «وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» أنه بالنون. و من قرأ بالياء، فلقوله «وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ» و ليجزين اللَّه الذين صبروا.

نهى اللَّه عباده المكلفين ان يتخذوا ايمانهم دخلًا بينهم، و قد فسرنا معنى دخلًا، و بيّن تعالى انه متى خالفوا ذلك زلت أقدامهم بعد ثبوتها، و هو مثل ضربه اللَّه، و المعنى أنهم يضلّ بعد ان كان على الهدى. و قال قوم: الآية نزلت فى الذين بايعوا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم على الإسلام و النصرة، نهوا عن نقض عهده، و ترك نصرته.

و قوله: «وَ تَذُوقُوا السُّوءَ» يعنى العذاب، جزاء على معاصيكم و ما صددتم عن اتباع سبيل اللَّه، و لكم مع ذلك عذاب عظيم تعذبون به.

ثم نهاهم، فقال:

«وَ لا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا» أى لا تخالفوا عهد اللَّه بسبب شىء يسير تنالونه من حطام الدنيا، فيكون قد بعتم ما عند اللَّه بالشىء الحقير، و بيّن ان الذى عند اللَّه هو خير، و أشرف لكم إن كنتم تعلمون حقيقة ذلك و تحققونه، ثم قال: إن الذى عند اللَّه لا ينفد، هو باق، و الذى عندكم من نعيم الدنيا ينفد و يفنى، ثم أخبر بأنه يجزى الصابرين على بلائه و جهاد أعدائه أجرهم و ثوابهم «بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» و إنما قال بأحسن ما كانوا، لأن احسن أعمالهم هو الطاعة للَّه تعالى، و ما عداه من الحسن مباح ليس بطاعة، و لا يستحق عليه أجر التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۴

و لا حمد، و ذلك يدل على فساد قول من قال: لا يكون حسن احسن من حسن.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۹۷ الى ۱۰۰] ..... ص : ۴۲۴

مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۹۷) فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (۹۸) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۹۹) إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (۱۰۰)

أربع آيات.

هذا وعد من اللَّه تعالى بأن من عمل صالحاً من الطاعات سواء كان فاعله ذكراً او أنثى، و هو مع ذلك مؤمن بتوحيد اللَّه، مقرّ بصدق أنبيائه، فأن اللَّه يحييه حياة طيبة. و قال ابن عباس: الحياة الطيبة هو الرزق الحلال. و قال الحسن:

هى القناعة. و قال قتادة: حياة طيبة فى الجنة. و قال قوم: الأولى ان يكون المراد بها القناعة فى الدنيا، لأنه عقيب ما توعد غيرهم به من العقوبة فيها مع ان اكثر المؤمنين ليسوا بمتسعى الرزق فى الدنيا.

ثم أخبر انه يجزيهم زيادة على الحياة الطيبة «أجرهم» و ثوابهم «بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» و قد فسرّناه، و إنما قال: «و لنجزينهم» بلفظ الجمع، لأن (مَنْ) يقع على الواحد و الجميع، فردّ الكناية على المعنى، ثم خاطب نبيه، فقال: يا محمد «فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» و المراد به جميع المكلفين «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» و المعنى إذا أردت قراءة القرآن «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» كما قال: «إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا» «۱» و المعنى إذا أردتم القيام

---

(۱) سورة المائدة آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۵

اليها، لأن بعد القراءة لا يجب الاستعاذة إلا عند من لا يعتد بخلافه. و قال قوم:
هو على التقديم و التأخير، و هذا لا يجوز لأنه ضعيف، لأنه لا يجوز التقديم، و التأخير فى كل شيء، و لذلك حدود فى العربية لا تتجاوز. و إنما يجوز ذلك مع ارتفاع اللبس و الشبهة. و الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة- بلا خلاف- «مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ» أى استعذ باللّه من المبعّد من رحمة اللّه المرجوم، من سخطه.
ثم أخبر أنه «ليس» للشيطان سلطان و لا حجة «عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا» باللّه وحده و لم يشركوا به سواه. و فوضوا أمرهم اليه و توكلوا عليه. و إنما سلطانه و قدرته على الذين يتولونه و يقبلون منه، و على الذين يشركون فى عبادة اللّه سواه.
و قال الجبائى: فى الآية دلالة على ان الصرع ليس من قبل الشيطان، قال:
لأنه لو امكنه أن يصرعه، لكان له عليهم سلطان. و أجازه أبو الهذيل و ابن الأخشاد، و قالا: إنه يجرى مجرى قوله «كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ» «۱» و لأن اللّه تعالى قال: «إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» و إنما أراد سلطان الإغواء و الإضلال عن الحق.
و معنى قوله «وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» فيه قولان:
أحدهما- قال الربيع: من أن الذين يطيعونه فيما يدعو اليه من عبادة غير اللّه مشركون، فلما كان من أطاعه فيما يدعو اليه من عبادة غير الله مشركا، كان به مشركاً، و هو من الإيجاز الحسن.
و الثانى- قال الضحاك: الذين هم بالله مشركون.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۲] ..... ص : ۴۲۵

وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۱۰۱) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ (۱۰۲)

---

(۱) سورة البقرة آية ۲۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۶

آيتان بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى: مخبراً عن احوال الكفّار بأنّا متى «بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ» بأن رفعنا آية و نسخناها، و أتينا بأخرى بدلها، نعلم فى ذلك من مصلحة الخلق، و قد يكون تبديلها برفع حكمها مع ثبوت تلاوتها [و قد يكون برفع تلاوتها دون حكمها] «۱» و قد يكون برفعهما.
و التبديل- فى اللغة- رفع الشيء مع وضع غيره مكانه، تقول: بدله تبديلًا و أبدله إبدالًا، و استبدل به استبدالًا. ثم قال:
«وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ» مما فيه صلاح الخلق من غيره. و قوله: «قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ» معناه يقول هؤلاء الذين جحدوا نبوتك و كفروا بآيات اللّه: إنما أنت يا محمد مفترٍ كذاب فى ادعائك الرسالة من اللّه. ثم أخبر عنهم، فقال: «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» انك نبى، لتركهم النظر فى معجزاتك، و لشبه داخلة عليهم، و ان علمه بعضهم و كابر، و جحد ما يعلمه. ثم أمره بأن يقول لهم «نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ» يعنى القرآن نزله جبريل (ع) «لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا» و تثبيته لهم هو استدعاؤه لهم به و بالطافه و معونته الى الثبات على الإسلام و على تصديق محمد صلّى اللّه عليه و سلم. ثم بيّن أن القرآن هدى و دلالة و بشارة للمسلمين.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۱۰۳] ..... ص : ۴۲۶

وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (۱۰۳)

آية بلا خلاف.

(۱) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۷

قرأ حمزة و الكسائى «يلحدون» بفتح الياء و الحاء. و الباقون بضم الياء و كسر الحاء، و هما لغتان، يقال: ألحد يلحد إلحاداً، فهو ملحد، و لحد يلحد فهو ملحود، و قيل لِحد فى القبر و ألحد فى الدين، و الإلحاد الميل عن الصواب و يقال للذى يميل عن الحق ملحد، و منه اللحد فى جانب القبر.

و يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم إنا «نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ» يعنى الرسول «بشر» مثله. و قال ابن عباس الذى مالوا اليه بأنه يعلم محمداً صلّى اللَّه عليه و سلم و كان اعجمياً هو (بلعام) و كان قيناً بمكة رومياً نصرانياً. و قال الضحاك: أرادوا به (سلمان الفارسى). و قال قوم: أرادوا به إنساناً يقال له: عايش او يعيش، كان مولى لحويطب بن عبد العزى، أسلم و حسن إسلامه، فقال اللَّه تعالى ردا عليهم «لِسانُ الَّذِي» يميلون اليه أعجمى «و هذا» القرآن «لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» كما تقول العرب للقصيدة هذا لسان فلان، قال الشاعر:

لسان السوء تهديها إلينا و جنت و ما حسبتك ان تحينا «۱»

و الاعجمى الذى لا يفصح، و العجمى منسوب الى العجم، و الاعرابى البدوى و العربى منسوب إلى العرب «و مبين» معناه ظاهر بيّن لا يشكل.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۵] ..... ص : ۴۲۷

إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۰۴) إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ (۱۰۵)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى «إن الذين» لا يصدقون «بآيات الله» التى أظهرها، و المعجزات التى يصدق بها قولك يا محمد «لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ» إلى طريق الجنة «و لهم»

(۱) تفسير الشوكانى ۳: ۱۸۸ و مجمع البيان ۳: ۳۸۵ و تفسير الطبرى ۱۴: ۱۱۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۸

مع ذلك «عذاب أليم» فى النار. و يحتمل ان يكون المراد: لا يحكم اللَّه تعالى بهدايتهم، لأنهم كفار.

ثم اخبر إن الذى يتخرص الكذب، و يفترى على اللَّه، هو الذى لا يؤمن بآيات اللَّه، و يجحدها، و هم الكاذبون، و انما خص الذين لا يؤمنون باللَّه بالافتراء لأنه لا يردعهم عن الكذب ايمان بالجزاء، «وَ أُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ» على رسوله فيما ادعوا عليه. و قيل: المعنى فى ذلك تعظيم كذبهم، كما يقول القائل: هؤلاء هم الرجال.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۱۰۶] ..... ص : ۴۲۸

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۱۰۶)

آية بلا خلاف.

نزلت هـذه الآيـة فى عمـار بن ياسـر (رحمه اللّه) أكرهه المشـركون بمكـة بأنواع العـذاب، و قيل: إنهم غطوه فى بئر ماء على ان يلفظ بالكفر، و كان قلبه مطمئنا بالايمان، فجاز من ذلك، و

جاء الى النبى صـلّى اللّه عليه و سـلم جزعاً فقال له النبى صـلّى اللّه عليه و سـلم كيف كان قلبك؟ قال كان مطمئناً بالإيمان، فأنزل اللّه فيه الآيهٔ.

و اخبر ان الـذين يكفرون باللّه بعـد ان كانوا مصدقين به بأن يرتدوا عن الإسـلام «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ» ثم اسـتثنى من ذلك من كفر بلسـانه، و كـان مطمئن القلب بالايمان فى باطنه، فانه بخلافه. و «من كفر» رفع بما دل عليه خبر الثانى الـذى هو قوله «وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِـالْكُفْرِ صَدْراً» كـأنه قيـل فعليه غضب من الله، كمـا تقول من يأتنـا فمن يحسن نكرمه، فجواب الاول محـذوف كفى فيه الثانى، و قال الزجـاج «من كفر» رفع بـأنه بـدل من قوله «أُولئِـکَ هُمُ الْکـافِرُونَ» و قـال ابو على: هـذه معـاريض يحسن من الله مثلها، و لا يحسن من الخلق إلاـ عنـد التقيـة، قال: إلا ان على أهل العقول أن يعلموا ان الله لم يفعل ذلك الّا على ما يصـح و يجوز، و ليس التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۲۹

ذلـك للإنسـان الاـ فى حـال التقيـة، لأـنه لاـ دليـل يؤمّن من الخطأ عليه، فعلى هـذا يلزمه فى النبى ان يحسن منه من غير تقيـة، لكونه معصوماً لا يكـذب فى اخباره و لا خلاف بين أهل العدل أنه لا يجوز اظهار كلمة الكفر إلا مع التعريض بأن ينوى بقلبه ما يخرجه عن كونه كاذباً، فأمّا على وجه الاخبار، فلا يجوز أصلا لأنه قادر على التعريض الذى يخرج به عن كونه كاذباً.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۰۷ الى ۱۰۹] ..... ص : ۴۲۹

ذلِکَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۱۰۷) أُولئِکَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ وَ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ (۱۰۸) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ (۱۰۹)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قوله «ذلـک» اشارة إلى ما تقـدم ذكره من العـذاب العظيم. أخبر الله تعالى ان ذلك العـذاب العظيم إنما أعـدّه لهم، لأنهم آثروا الحياة الـدنيا، و التلذذ فيها، و الركون اليها على الآخرة، و المعنى انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلباً لها دون طلب الآخرة. و العمل يجب أن يكون طلبـاً للاخرة، أو للـدنيا و الآخرة. فأما أن يكون لمجرد الـدنيا دون الآخرة فلا يجوز، لأنه إذا طلب الـدنيا ترك الواجب من الطاعات لا محالـة، و كـذلك لا ينبغى أن يختار المباح على النافلة لان النافلة طاعة للّه. و المباح ليس بطاعة له. ثم أخبر تعالى «وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» و معناه أحد شيئين:

أحدهما- إنه لا يهديهم الى طريق الجنة و الثواب، لكفرهم.

الثانى- إنه لاـ يحكم بهـدايتهم لكونهم كفـاراً. و أمـا نصب الدلالـة، فقـد هـدى اللّه جميع المكلفين، كما قال «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى «۱» و قيل: إنهم لم يهتدوا بتلك الادلة، فكأنها لم تكن نصبت لهم، و نصبت

---

(۱) سورة حم السجدة (فصلت) آية ۱۷ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۳۰

للمؤمنين الـذين اهتـدوا بهـا، فلـذلك نفاها عنهم فكأنها لم تكن لهم، و يجوز ان يكون المراد انه لا يهـديهم بهـدى المؤمنين من فعل الألطاف و المدح بالاهتداء، لكونهم كفاراً. ثم اخبر ان أولئك الكفار هم «الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ وَ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ» و بينا معنى الطبع على القلوب و السمع و الأبصار فى سورة البقرة «۱» و ان ذلك سمة من اللّه جعلها للملائكة ليفرقوا بين الكافر و المؤمن، جزاء و عقوبة على كفرهم، و ان ذلك غير محيل بينهم و بين اختيار الايمان لو أرادوه، و انما وصفهم بعوم الغفلة مع

الخواطر التی تزعجهم لأمرین:

أحدهما- انهم بمنزلهٔ الغافلین ذمّاً لهم.

الثانی- لجهلهم عما یؤدی الیه حالهم، و ان کانت الخواطر الی النظر تزعجهم.

و قوله «لا جرم انهم» معناه حقّ لهم «أَنَّهُمْ فِی الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ» الذین خسروا صفقتهم لفوات الثواب و حصول العقاب و موضع (انهم) یحتمل أمرین من الاعراب:

أحدهما- النصب علی معنی: لا بد انهم ای لا بد من ذا، و یجوز علی جرم فعلهم أن لهم النار ای قطع بذا و تکون (لا) صلهٔ.

و الثانی- الرفع و المعنی وجب قطعاً أن لهم النار و (لا) صلهٔ أو ردٌّ لکلام من قال: ما ذا لهم؟ فقیل وجب لهم النار.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۱۱۰ الی ۱۱۱] ..... ص : ۴۳۰

ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِینَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۱۰) یَوْمَ تَأْتِی کُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها وَ تُوَفَّی کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ (۱۱۱)

---

(۱) فی ۱: ۶۳- ۶۷. و فی ۱: ۹۰ من هذا الکتاب.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۳۱

آیتان بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده «فَتنوا» جعل الفعل لهم. الباقون «فُتنوا» علی ما لم یسم فاعله، یقال: فتنت زیداً، و هی اللغهٔ الجیدهٔ، و حکی افتتنت.

و حجهٔ من قرأ علی ما لم یسم فاعله أن الآیهٔ نزلت فی المستضعفین المفتنین بمکهٔ: عمار و بلال، و صهیب، فإنهم حملوا علی الارتداد عن دینهم، فمنهم من اعطی ذلک تقیهٔ منهم: عمار، فانه اظهر ذلک تقیهٔ، ثم هاجر. و معنی قراءهٔ بن عامر:

انه فتن نفسه، و المعنی من بعد ما فتن بعضهم نفسه بإظهار ما أظهره بالتقیهٔ قال الرمانی: فی الآیهٔ دلالهٔ علی انهم فتنوا فی دینهم بمعصیهٔ کانت منهم، لقوله «إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ» لأن المغفرة الصفح عن الخطیئهٔ، و لو کانوا أعطوا التقیهٔ علی حقها لم تکن هناک خطیئهٔ. و هذا الذی ذکره لیس بصحیح، و لا فی الکلام دلالهٔ علیه، و ذلک ان اللَّه تعالی إنما قال «إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها» یعنی بعد الفتنهٔ التی فتنوا بها «لغفور رحیم» أی ساتر علیهم، لان ظاهر ما اظهروه یحتمل القبیح و الحسن، فلما کشف اللَّه عن باطن أمورهم، و اخبر انهم کانوا مطمئنین بالایمان کان فی ذلک ستر علیهم، و ازالهٔ الظاهر المحتمل إلی الآمر الجلی، و ذلک من نعم اللَّه علیهم.

یقول اللَّه تعالی: إن هؤلاء الذین هاجروا بعد ما فتنوا عن دینهم، و جاهدوا فی سبیله و صبروا علی الأذی فی جنب اللَّه، فان اللَّه اقسم انه ضمن لهم أن یفعل بهم الثواب، و ساتر علیهم، و رحیم بهم منعم علیهم.

و قوله «یَوْمَ تَأْتِی کُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها» (یوم) منصوب بأحد شیئین:

أحدهما- علی معنی إن ربک من بعدها لغفور رحیم (یوم).

الثانی- علی معنی و اذکر یوم، لان القرآن عظهٔ و تذکیر، و معنی تجادل عن نفسها تخاصم کلُّ نفس عن نفسها، و تحتج بما لیس فیه حجهٔ عند الحساب، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۳۲

کما قال تعالی حکایهٔ عنهم: «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما کُنَّا مُشْرِکِینَ» «۱» و قال الأتباع «رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ» «۲» فهم یجادلون الملک السائل لهم بین یدی اللَّه، و قیل: تحتج عن نفسها بما تقدّر به ازالهٔ العقاب عنها.

ثم اخبر الله ان کلّ نفس توّفی جزاء ما عملته علی الطاعهٔ الثواب و علی المعصیهٔ العقاب، و لا یظلم احد فی ذلک الیوم أحداً.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): آية ۱۱۲] ..... ص : ۴۳۲

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (۱۱۲)

آية بلا خلاف.

التقدير ضرب اللَّه مثلًا مثل قرية، و قيل فى القرية التى ضرب الله بها هذا المثل قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: إنها مكة، لأنها كانت بهذه الصفات التى ذكرها اللَّه. و قال آخرون: اى قرية كانت على هذه الصفة، فهذه صورتها.

و قوله «كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً» أى يأمن الناس فيها على نفوسهم و أموالهم لا يخافون الغارة و النهب، كما يخاف سائر العرب، و يطمئنون فيها، لا يحتاجون فيها ان ينتجعوا الى غيرها، كما يحتاج غيرهم اليه: و كان مع ذلك يجيؤها رزقها، اى رزق أهلها من كل موضع، لأنه كان يجلب اليها تفضلا منه تعالى «فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ» و المراد كفر أهلها، «بأنعم الله». و انما أضاف الكفر الى القرية مجازا، و لذلك أنث الفعل. و قيل فى واحد أنعم اللَّه ثلاثة اقوال:

---

(۱) سورة الانعام آية ۲۳

(۲) سورة الاعراف آية ۳۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۳۳

أحدها- يقال نعمة و أنعم كشدة و أُشدّ.

الثانى- فى جمع النعم كما قالوا أيام طعم و نعم و مثله ودّ و أودّ.

الثالث- نعماء كما جمعوا بأساء و ابؤس و ضراء و أضر، و قالوا أُشد جمع شُدّ قال الشاعر.

و عندى قروض الخير و الشر كله فبؤس لدى بؤسى و نعمى بأنعم

و قوله «فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ» انما سماه لباس الجوع، لأنه يظهر عليهم من الهزال و شحوب اللون و سوء الحال ما هو كاللباس. و قيل انهم شملهم الجوع و الخوف كما شمل اللباس البدن. و قيل ان القحط دام بهم سنين و بلغ بهم الى ان أكلوا القد و الطهن، و هو الوبر يخلط بالدم و القراد، ثم يؤكل، و انما يقال لصاحب الشدة: ذق، لأنه يجده وجدان الذائق فى تفقده له، و لأنه يتجدد عليه إدراكه كما يتجدد على الذائق، و هم مع ذلك خائفون وجلون من النبى صلّى اللَّه عليه و سلم و أصحابه يغيرون على قوافلهم و تجاراتهم «جزاء بِما كانُوا يَصْنَعُونَ» من الكفر و الشرك و تكذيب الرسل، و اجرى الخطاب من أول الآية الى هاهنا على التأنيث إضافة إلى القرية، ثم قال- هاهنا- «بِما كانُوا يَصْنَعُونَ» على المعنى أى بما كان أهلها يصنعون. و روى عن أبى عمرو انه قرأ «لباس الجوع و الخوف» بالنصب، كأنه ضمن فعل إرزاقهم الله لباس الجوع، قاذفاً فى قلوبهم الخوف، لأن اللَّه تعالى لم يبعث النبى بالقحط و الجوع و الخوف، فقد قذف فى قلوبهم الرعب من النبى و سراياه.

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۱۳ الى ۱۱۴] ..... ص : ۴۳۳

وَ لَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (۱۱۳) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (۱۱۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۳۴

آیتان بلا خلاف.

قوله «وَ لَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ» یعنی اهل مکة بعث اللَّه منهم رسولًا من صمیمهم، لا من غیرهم «فکذبوه» و جحدوا نبوته «فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَ هُمْ ظالِمُونَ» أی فی حال کفرهم ظالمین أخذهم العذاب، و عذابهم هو ما سلط اللَّه تعالی النبیّ و المؤمنین حتی قتلوهم یوم بدر و غیره من الأیام، و ما حل بهم من أنواع العذاب من جهته من الخوف و الجوع الذی تقدم ذکره. و من قال: المراد بالقریة غیر مکة قال: هو صفة تلک القریة التی بعث اللَّه رسولًا منهم، ثم خاطب المؤمنین، فقال «کلوا» فصیغته و إن کان صیغة الأمر، فالمراد به الإباحة، لأن الأکل غیر واجب إلّا عند الخوف من تلف النفس، و لا مندوب الیه إلا فی بعض الأحوال «مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ» أی ملککم التصرف فیه علی وجه لیس لاحد منعکم منه «حلالًا» إی جعله لکم «حَلالًا طَیِّباً وَ اشْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ» و اعترفوا بها «إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ» ای ان کنتم تعبدون اللَّه دون غیره و لیس المعنی ان کنتم تعبدون غیره، فلا تشکروه، بل المعنی انه لا یصح لأحد أن یشکره إلّا بأن یوجه العبادة الیه تعالی وحده.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): آیة ۱۱۵] ..... ص : ۴۳۴

إِنَّما حَرَّمَ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِیرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۱۵)

آیة بلا خلاف.

قد بینا تفسیر مثل هذه الآیة فی سورة البقرة «۱» و هو ان اللَّه حرم المیتة،

---

(۱) انظر ۲: ۸۳- ۸۶

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۳۵

و هو ما لم یذکّ ممّا فیه نفس سائلة. «وَ لَحْمَ الْخِنْزِیرِ» و بینا أن الخنزیر جمیعه حرام، و انما خص اللحم تغلیظاً، «وَ ما أُهِلَّ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ» و المعنی ما ذکر غیر اللَّه علی تذکیته، لأنهم کانوا یذبحونها للأصنام، ثم استثنی المضطر الی تناول ذلک خوف التلف، فأباح جمیع ذلک له، و استثنی من المضطرین البغاة، فلم یبحها لهم، و قد بینا الخلاف فیه، و ان قول مجاهد و ما ذهب الیه أصحابنا هو من خرج علی امام عادل. و قال قوم: معناه غیر باغ بذلک الشبع و التقوی به علی معصیة «و لا عاد» ای یتعدی فیه ما یجوز له و فی تفسیرنا: أن معنی و لا عاد ما ذهب الیه الحسن، و غیره ان الذی یخرج للاعتداء علی الناس من قطاع الطریق، فإنهم لا یرخّصون ان یأکلوا، ذلک علی وجه. ثم اخبر «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ» ای ستار علی عباده معاصیهم «رحیم» بهم بأن یغفرها لهم، بالتوبة تارة و تفضلا منه ابتداء تارة أخری، و المعنی إنه لا یعاقب من تناول ما حرّم علیه فی حال الضرورة.

و الإهلال رفع الصوت بالکلام، و منه الهلال لرفع الصوت بالتکبیر عند رؤیته و شبه به صوت الصبی عند الولادة و کل ما ذکر علیه اسم معبود غیر اللَّه لا یحل أکله.

قوله تعالی:[سورة النحل (۱۶): الآیات ۱۱۶ الی ۱۱۸] ..... ص : ۴۳۵

وَ لا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُکُمُ الْکَذِبَ هذا حَلالٌ وَ هذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ إِنَّ الَّذِینَ یَفْتَرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ لا یُفْلِحُونَ (۱۱۶) مَتاعٌ قَلِیلٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۱۱۷) وَ عَلَی الَّذِینَ هادُوا حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَیْکَ مِنْ قَبْلُ وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (۱۱۸)

ثلاث آیات.

(ما) فی قوله «لما تصف» مصدریة، و التقدیر: و لا تقولوا لوصف ألسنتکم الکذب التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۳۶

«هذا حَلالٌ وَ هذا حَرامٌ» و قال الزجاج: قرئ «الکَذُب» على أنه نعت الألسنة، يقال لسان كذوب و ألسنة كُذُب، و حكى أيضاً بكسر الباء ردّاً على (ما) و تقديره للذى تصفه ألسنتكم الكذب، و هذا إنما قيل لهم لما كانوا حرموه و أحلوه، فقالوا «ما فِي بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُکُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلى أَزْواجِنا» «١» و قد بيناه فيما تقدم. ثم أخبر عن هؤلاء الذين يقولون على اللَّه الكذب بأنهم «لا يفلحون» أى لا ينجون و لا يفوزون بثواب اللَّه.

و قوله تعالى «متاع قليل» معناه متاعهم هذا الذى فعلوه و تمتعوا به «متاع قليل» و يجوز فى العربية (متاعاً) أى يتمتعون بذلك متاعاً قليلًا «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى فى مقابلة ذلك يوم القيامة. و قوله «وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْکَ مِنْ قَبْلُ» يعنى ما ذكره فى سورة الانعام فى قوله «وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا ...» «٢» الآية، فى قول قتادة و الحسن و عكرمة. ثم أخبر تعالى أنه لم يظلمهم بذلك و لا يبخسهم حظهم «وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بكفرهم بنعمة اللَّه و جحودهم لأنبيائه، فاستحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم و عصيانهم.

قوله تعالى:[سورة النحل (١۶): آية ١١٩] ..... ص : ۴۳۶

ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩)

آية بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى إن الذى خلقك يا محمد «لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ» يعنى المعصية «بجهالة» أى بداعى الجهل، لأنه يدعو إلى القبيح، كما أن داعى العلم يدعو إلى.

---

(١) سورة الانعام آية ١٣٩، انظر ۴: ٣١٢- ٣١۶

(٢) سورة الانعام آية ١۴۶، انظر ۴: ٣٢٩- ٣٣٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۳۷

الخير، فقد يكون ذلك للجاهل بالشيء و قد يكون للغافل الذى يعمل عمل الجاهل بتغليب هواه على عقله.

و قوله «ثم تابوا» يعنى رجعوا عن تلك المعصية، و ندموا عليها، و عزموا على أن لا يعودوا إلى مثلها فى القبح «و أصلحوا» نياتهم و أفعالهم، فإن الذى خلقك من بعد فعلهم ما ذكرناه من التوبة «غفور» لهم ستّار عليهم «رحيم» بهم، منعم عليهم. و إنما شرط مع التوبة فعل الصلاح استدعاء إلى فعل الصلاح و لئلا يغترّوا بما سلف من التوبة حتى يقع الإهمال لما يكون من الاستقبال.

قوله تعالى:[سورة النحل (١۶): الآيات ١٢٠ الى ١٢۴] ..... ص : ۴۳۷

إِنَّ إِبْراهِيمَ کانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَکُ مِنَ الْمُشْرِکِينَ (١٢٠) شاکِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَباهُ وَ هَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَ آتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْکَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِينَ (١٢٣) إِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَيَحْکُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما کانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢۴)

خمس آيات بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن ابراهيم (ع) انه «كان أمة» و اختلفوا فى معناه، فقال ابن مسعود: معناه إنه معلم الخير قدوة «قانتا لله» مطيعاً. قال بعضهم: كان ذا أمّة «قانتاً للّه». و قال قتادة: معناه إنه امام هدى. و القانت الذى يدوم على العبادة لله، و قيل: جعل «أمة» لقيام الامة به. و الحنيف المستقيم على طريق الحق. و قوله «و لم يك» يعنى ابراهيم «من المشركين» الذين يعبدون مع اللَّه غيره، بل كان موحداً «شاکِراً لِأَنْعُمِهِ» اى بل كان شاكراً لنعمة التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۳۸

معترفاً بها «اجتباه» يعنى اختاره اللّه و اصطفاه «وَ هَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» اى حكم بأنه على صراط مستقيم اى لطف له حتى اهتدى الى طريق الحق.

و قوله «وَ آتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً» اى أعطيناه جزاء على هدايته فى هذه الدنيا حسنة، و هى: تنويه اللّه بذكره فى الدنيا بطاعته لربه، و مسارعته الى مرضاته، و إخلاصه لعبادته، حتى صار إماماً يقتدى به، و علماً يهتدى بسنته.

قال قتادة: حتى ليس من اهل دين إلا و هو يتولاه و يرضاه: و قال الحسن:

معنى «حسنة» يعنى نبوته. و قوله «وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» اخبار منه تعالى انه مع إيتائه الحسنة فى الدنيا هو فى الآخرة من جملة الصالحين. و انما لم يقل:

لفى على منازل الصالحين، مع اقتضاء حاله ذلك، لمدح من هو منهم، و الترغيب فى الصلاح ليكون صاحبه فى جنب ابراهيم، و ناهيك هذا الترغيب فى الصلاح، و هذا المدح لإبراهيم أن يشرف جملة هو منها، حتى يصير الاستدعاء اليها بأنه فيها.

و قوله «أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً» أى أمرناك ان اتّبع ملة ابراهيم حنيفا مستقيم الطريق، فى الدعاء الى توحيد اللّه، و خلع الأنداد، و العمل بسنته، «و ما كان» يعنى ابراهيم «من المشركين» بعبادة الله غيره.

و قوله «إِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ» اختلفوا فى معناه، قال الحسن: معناه انه جعله عليهم بأن لعنهم بالمسخ لاعتدائهم فيه. و اختلافهم فيه كان بأن قال بعضهم: هو أعظم الأيام حرمة، لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء كلها. و قال آخرون: بل الأحد أفضل، لأنه ابتدا أخلق الأشياء فيه. و قال مجاهد، و ابن زيد: عدلوا عمّا أمروا به من تعظيم الجمعة.

و وجه اتصال هذه الاية بما تقدم أنه لما أمر باتباع الحق، حذّر من الاختلاف فيه، بما ذكره من حال المختلفين فى السبت، بما ليس لهم ان يختلفوا فيه، فشدد عليهم فرضه، و ضيق عليهم أمره و قال قوم: معنى «اختلفوا فيه» اى خالفوا فيه، لأنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة، و دخل فيها السمك يوم السبت، فأخذوه يوم الأحد. ثم قال «و ان ربك» يا محمد «ليحكم بينهم» أى يفصل بينهم يوم القيامة فى الذى كانوا مختلفين فيه، و يبين لهم الصحيح من الفاسد

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۳۹

قوله تعالى:[سورة النحل (۱۶): الآيات ۱۲۵ الى ۱۲۸] ..... ص : ۴۳۹

ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۱۲۵) وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (۱۲۶) وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (۱۲۷) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (۱۲۸)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و إسماعيل عن نافع «ضيق» بكسر الضاد. الباقون بفتحها، فمن فتح أراد «ضيق» فخفف مثل سيد و سيد، و ميت و ميت و هين و هين.

و يجوز ان يكون أراد جمع ضيقة كما قال الشاعر:

كشف الضيقة عنا و فسح

و من كسر يجوز أن يجعله لغتين، و يجوز أن يكون الضَيق اسماً و الضِيق مصدراً و الاختيار ان يقال: الضِيق فى المكان و المنزل، و الضَيق فى غير ذلك، فان كان كذلك «فالاختيار وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ» لأنه تعالى لم يرد ضيق المعيشة، و لا ضيق المنزل. و أصل «ولاتك» و لا تكن، فاستثقلوا الضمة على الواو فنقلوها إلى الكاف، فالتقى ساكنان: الواو، و النون، فحذفوا الواو، لالتقاء الساكنين، و من حذف النون أيضاً، فلان النون ضارعت حروف المدّ و اللين، و كثر استعمال (كان يكون) فحذفوها كذلك ألا ترى أنك تقول:

لم یکونا. و الأصل یکونان فأسقطوا النون بالجزم و شبهوا لم یک فی حذف النون بلم یکونا.

أمر اللّه تعالی نبیه محمد صلّی اللّه علیه و سلم أن یدعو عباده المکلفین بالحکمهٔ، و هو أن التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۴۰ یدعوهم إلی أفعالهم الحسنهٔ التی لها مدخل فی استحقاق المدح و الثواب علیها، لأن القبائح یزجر عنها، و لا یدعو الیها، و المباح لا یدعو إلی فعله، لأنه عبث، و إنما یدعو إلی ما هو واجب أو ندب، لأنه یستحق بفعله المدح و الثواب، و الحکمهٔ هی المعرفهٔ بمراتب الافعال فی الحسن و القبح و الصلاح و الفساد. و قیل لها: حکمهٔ، لأنها بمنزلهٔ المانع من الفساد، و ما لا ینبغی أن یختار، و الأصل المنع کما قال جریر:

أبنی حنیفهٔ أحکموا سفهاءکم إنی أخاف علیکم أن أغضبا «۱»

أی امنعوهم من السفه، و الفرق بین الحکمهٔ و العقل: أن العاقل هو العاقد علی ما یمنع من الفساد، و الحکیم هو العارف بما یمنع من الفساد، و الحکمهٔ مشترکهٔ بین المعرفهٔ و بین العقل المستقیم، لان کل واحد منهما ممتنع من الفساد عارٍ منه.

و القدیم تعالی لم یزل حکیماً بمعنی لم یزل عالماً، و لا یجوز لم یزل حکیما فیما یستحق لأجل الفعل المستقیم، و کل حکمهٔ یکون بترکها مضیعاً لحق النعمهٔ یجب علی المکلف طلبها. معرفهٔ کانت أو فعلا. و الموعظهٔ الحسنهٔ. معناه الوعظ الحسن و هو الصرف عن القبیح علی وجه الترغیب فی ترکه و التزهید فی فعله. و فی ذلک تلیین القلوب بما یوجب الخشوع. و قیل: ان الحکمهٔ النبوهٔ. و الموعظهٔ القرآن «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ» فالجدال فتل الخصم عن مذهبه بطریق الحجاج «بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ» و فیه الرفق و الوقار و السکینهٔ مع نصرهٔ الحق بالحجهٔ. ثم أخبر «ان ربک» یا محمد «أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ» بأن عدل عنها و «أعلم» من غیره بمن اهتدی الیها و لیس علیک غیر الدعاء.

و قوله «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا» قیل: فی سبب نزول هذه الآیهٔ قولان:

أحدهما- ان المشرکین لما مثّلوا بقتلی أُحُد. قال المسلمون: متی أظهرنا اللّه علیهم لنمثلن بهم أعظم مما مثلوا بنا. ذکره الشعبی و قتادهٔ و عطاء.

---

(۱) مر هذا البیت فی ۱: ۱۴۲، ۲: ۱۸۸، ۴: ۴۹۶، ۵: ۵۱۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۴۱

الثانی- قال مجاهد و ابن سیرین و ابراهیم: انه فی کل ظالم بغصب او نحوه.

فإنما یجازی بمثل ما عمل.

و قیل: إن هذه الآیهٔ منسوخهٔ بآیهٔ القتال، لان هذا قبل ان یؤمروا بالجهاد ثم قال «وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ» ای إن ترکتم المجازاهٔ و القصاص و تجرعتم مرارته «لَهُوَ خَیْرٌ لِلصَّابِرِینَ» فی العاقبهٔ. ثم قال لنبیه صلّی اللّه علیه و سلم و المراد به أمته معه «و اصبر» یا محمد و لیس صبرک «إلا باللّه» ای إلا بتوفیق اللّه و إقداره و ترغیبه فیه «وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ» یعنی علی المشرکین، لإعراضهم عنک. و قیل المراد لا تحزن علی قتلی أُحُد لما أعطاهم اللّه من الخیر «وَ لا تَکُ فِی ضَیْقٍ مِمَّا یَمْکُرُونَ» ای لا یکن صدرک ضیقا مما یمکر به المشرک من الخدیعهٔ و غیرها، و ما فعلوا بقتلی أُحُد من المثلی «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِینَ اتَّقَوْا» معاصیه خوفاً من عقابه، بالنصر لهم و التأیید، و مع «الَّذِینَ هُمْ مُحْسِنُونَ» فی أفعالهم، غیر فاعلین للقبائح یقذف فی قلوب أعدائهم الرعب، خوفاً من رسول اللّه و سرایاه

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۴۳

(۱۷)سورهٔ الاسراء ..... ص : ۴۴۳

اشارهٔ

هی مكيهٔ فی قول مجاهد و قتادهٔ، و هی مائهٔ و احدی عشرهٔ آيهٔ فی الكوفی و مائهٔ و عشر آيات فی البصری و المدنی.

[سورهٔ الإسراء (۱۷): الآيات ۱ الی ۳] ..... ص : ۴۴۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

سُبْحانَ الَّذِی أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِی بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (۱) وَ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِی إِسْرائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِی وَكِيلًا (۲) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً (۳)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو وحده «ألّا يتخذوا» بالياء. الباقون بالتاء، و المعنى فيهما قريب، و التقدير، «وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِی إِسْرائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا» و قلنا لهم: لا تتخذوا، كما تقول: قلت لزيد قم، و قلت له ان يقوم. و قال تعالى «قُلْ لِلَّذِينَ التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۴۴

كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ»

«۱» بالتاء و الياء. و معنى «مِنْ دُونِی وَكِيلًا» أی كافياً و رباً، و نصب «ذرّيّهٔ» على النداء، و هو خطاب لجميع الخلق، لأن الخلق كله من نسل نوح من بنيه الثلاثهٔ: حام: و هو ابو السودان، و يافث: و هو أبو البيضان: الروم و الترك و الصقالبهٔ و غيرهم، و سام: و هو ابو العرب و الفرس. و تقديره يا ذرّيهٔ من حملنا، و وزن «ذريهٔ» فعليهٔ، من الذر، و يجوز ان يكون (فعولهٔ) من الذر و أصله (ذرويهٔ) فقلبت الواو ياء و أدغمت فی الياء، قال أبو علی النحوی:

و يجوز ان يكون نصبا على انه مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين كقوله «وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا» «۲» و قال «اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً» «۳» و على هذا يكون مفعولا ثانياً على القراءتين، و متى نصبته على النداء، فإنما يتأتى ذلك فی قراءهٔ من قرأ بالتاء، و الأسهل أن يكون على قراءهٔ من قرأ بالياء، لأن الياء للغيبهٔ، و النداء للخطاب، و (أن) فی قوله «ألا تتخذوا» يحتمل ثلاثهٔ أوجه:

أحدها أن تكون (أن) الناصبهٔ للفعل، و المعنى جعلناه هدى، كراههٔ أن تتخذوا، أو لان لا تتخذوا.

و الثانی- أن تكون (أن) بمعنى أی، لأنه بعد كلام تام و التقدير أی لا تتخذوا.

و الثالث- أن تكون (أن) زائدهٔ، و يضمر القول.

و الوكيل لفظه واحد، و المراد به الجمع، لأن معناه حينئذ (فعيلا) فيكون مفرد اللفظ و المراد به الجمع، نحو قوله «وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً» «۴». قال أبو عبيد: أهل المدينهٔ يقولون فی نصب (سبحان) أنه اسم فی موضع مصدر سبحت اللَّه تسبيحاً، و التسبيح هو المصدر، و سبحان اسم منه، كقولك كفّرت اليمين تكفيراً، أو كفراناً، و التكفير المصدر، و الكفران الاسم، قال أمية ابن أبی الصلت:

---

(۱) سورهٔ آل عمران آيهٔ ۱۲

(۲) سورهٔ ۴ النساء آيهٔ ۱۲۵

(۳) سورهٔ ۵۸ المجادلهٔ آيهٔ ۱۶

(۴) سورهٔ النساء آيهٔ ۶۹

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۴۵

سبحانه ثم سبحاناً يعود له و قبلنا سبح الجودی و الجمد «۱»

و قال بعضهم انه يجوز أن يكون نصباً على النداء، يريد: يا سبحان و معناه:

التنزيه للَّه و التبعيد له من كل ما لا يليق به، و التسبيح يكون بمعنى الصلاهٔ، كقوله «فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» «۲» أی من المصلين- ذكره اكثر المفسرين- و منه السبحهٔ و هی النافلهٔ. و روی أنه كان ابن عمر يصلی سبحته فی موضعه الذی يصلی فيه

المكتوبة و يكون بمعنى الاستثناء، كقوله «فلو لا تسبحون» أى فلو لا تستثنون، و هى لغة لبعض أهل اليمن، و لا وجه للكلام غيره، لأنه قال «إِنَّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ» الى قوله «وَ لا يَسْتَثْنُونَ» ثم «قالَ: أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ» «۳» فذكرهم تركهم الاستثناء. فأما سبحة النور التى دون اللّه، قال المبرد: لا يعرف إلا من الخبر الذى

روى (لو لا ذلك لا حرقت سبحات وجهه)

بمعنى نور وجهه أى الذى إذا رأى الرائى قال سبحان اللّه.

و قال سيبويه (سبحان) براءة اللّه من السوء و هذا اسم لهذا المعنى معرفة و قال الأعشى:

أقول لما جاءنى فخزه سبحان من علقمة الفاخر «۴»

اى براءة منه و لا ـ ينزه بلفظ سبحان غير اللّه، و انما ذكره الشاعر نادراً على الأصل و أجراه كالمثل فى قوله «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» «۵» معناه ليس شىء إلّا و فيه دلالة على تنزيه اللّه مما لا ـ يليق به، و قولهم: سبح تسبيحاً أى قال سبحان اللّه، و السبح فى التعظيم الجرى فيه. و الاسراء سير الليل، اسرى أسراء و سرى يسرى سرى لغتان، قال الشاعر:

و ليلة ذات دجى سريت و لم يلتنى عن سراها ليت «۶»

---

(۱) مر هذا البيت فى ۳: ۸۲، ۵: ۵۶۳

(۲) سورة ۳۷ الصافات آية ۱۴۳

(۳) سورة ۲۷ القلم آية ۱۷- ۲۹ [.....]

(۴) ديوانه (دار بيروت) ۹۴ و قد مر فى ۱: ۱۲۴، ۸۱، ۵: ۲۴۱، ۳۹۵

(۵) سورة ۱۷ الإسراء آية ۴۴

(۶) تفسير القرطبى ۱۰: ۲۰۵ و رايته (ندى) بدل (دجى) و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۵: ۳، و اللسان (ليت) و لم يعرف قائله. و المعنى: سرت فى ليلة ذات دجى، و لم يؤخرنى، و لا منعنى عن السير مانع.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۴۶

و قوله «ليلاً» معناه بعض الليل، على تقليل وقت الاسراء، و يقوى ذلك قراءة حذيفة، و عبد اللّه «من الليل» و روت أم هانى بنت أبى طالب: أن النبى صلّى اللّه عليه و سلم كان فى منزلها ليلة أسرى به. و قال الحسن و قتادة: كان فى نفس المسجد الحرام. و روى عن أم هانى أن الحرم كله مسجد. و المسجد الأقصى هو بيت المقدس، و هو مسجد سليمان بن داود- فى قول الحسن و غيره من المفسرين- و انما قيل له: الأقصى، لبعد المسافة بينه و بين المسجد الحرام. و

قال الحسن: صلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم المغرب فى المسجد الحرام. ثم أسرى به الى بيت المقدس فى ليلة ثم رجع، فصلى الصبح فى المسجد الحرام، فلما اخبر به المشركين كذبوا ذلك، و قالوا: يسير مسيرة شهر فى ليلة واحدة؟! و جعلوا يسألون عن بيت المقدس و ما رأى فى طريقه، فوصفه لهم شيئاً شيئاً بما يعرفونه ثم أخبرهم انه رأى فى طريقه قعباً مغطاً مملوءاً ماء فشرب الماء كله ثم غطاه كما كان، و وصف لهم صفة إبل كانت لهم فى طريق الشام تحمل المتاع، فقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق، فقعدوا فى ذلك اليوم يستقبلونها، فقال قائل منهم: هذه و اللّه الشمس قد أشرقت، و لم تأت و قال آخر هذا و اللّه العير يقدمها جمل أورق، كما ذكر محمد، فكان ذلك معجزة له باهرة، و دلالة واضحة لو لا العناد، و كان نفس الاسراء حجة له صلّى اللّه عليه و سلم لا انه يحتاج إلى دلالة كغيره، و لذلك قال تعالى «لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا»

فكان الاسراء من جملة الآيات التى تأكد بها يقينه و ازدادت به بصيرته، لأنه كان قد علم نبوته بما تقدم له من الآيات، فكان هذا على وجه التأكيد لذلك.

و عند أصحابنا و أكثر أصحاب التأويل، و ذكره الجبائى ايضاً: انه عرج به فى تلك الليلة الى السماء و أت حتى بلغ سدرة المنتهى فى السماء السابعة، و أراه اللَّه من آيات السموات و الأرض ما ازداد به معرفة و يقيناً، و كان ذلك فى يقظته دون منامه، و الذى يشهد به القرآن الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، و الباقى يعلم بالخبر.

و قوله «الَّذِی بارَکْنا حَوْلَهُ» يعنى بالثمار و مجارى الأنهار، و قيل «باركنا» التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۴۷

حوله بمن جعلنا حوله من الأنبياء و الصالحين، و لذلك جعله مقدساً. «لِنُرِیَهُ مِنْ آیاتِنا» من العجائب التى فيها اعتبار.

و روى أنه كان رأى الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً.

و قوله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ» اخبار منه تعالى أنه يجب أن يدرك المبصرات و المسموعات إذا وجدت، لأنه حى و لا يجوز عليه الآفات.

و قوله «وَ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ» يعنى التوراة «و جعلناه» يعنى التوراة التى أنزلها «هدى» و دلالة لبنى إسرائيل، و قلنا لهم «أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِی وَکِیلًا» أى ربّاً تتوكلون عليه و كافياً تسندون أموركم اليه. و قال مجاهد: معنى «وكيلا» شريكا، قال المبرد: هذا لا شاهد له فى اللغة. و قلنا يا «ذُرِّیَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» فى سفينته وقت الطوفان «إِنَّهُ کانَ عَبْداً شَکُوراً» يعنى نوحاً كان عبداً كان للَّه شاكراً له على نعمه.

و

روى انه إذا كان أراد أكل طعام أو شراب قال: بسم اللَّه، و إذا شبع قال الحمد للَّه،

و من قال: هو نصب على أنه مفعول، فانه قال تقديره لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلًا من دونى.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴ الى ۶] ..... ص : ۴۴۷

وَ قَضَیْنا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ فِی الْکِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِی الْأَرْضِ مَرَّتَیْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا کَبِیراً (۴) فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَیْکُمْ عِباداً لَنا أُولِی بَأْسٍ شَدِیدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّیارِ وَ کانَ وَعْداً مَفْعُولاً (۵) ثُمَّ رَدَدْنا لَکُمُ الْکَرَّةَ عَلَیْهِمْ وَ أَمْدَدْناکُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِینَ وَ جَعَلْناکُمْ أَکْثَرَ نَفِیراً (۶)

ثلاث آيات بلا خلاف.

القضاء على أربعة أقسام: بمعنى الخلق و الأحداث، كما قال «فَقَضاهُنَّ سَبْعَ التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۴۸

سَماواتٍ»

«۱» و بمعنى فصل الحكم كقوله «وَ اللَّهُ یَقْضِی بِالْحَقِّ» «۲» و بمعنى الأمر كقوله «وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ» «۳» و بمعنى الاخبار كقوله «وَ قَضَیْنا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ» اى أخبرناهم و أعلمناهم بما يكون من الامر المذكور، من انهم سيفسدون فى الأرض مرتين، و يعلون علواً كبيراً، اى عظيماً اى يتجبرون على عباد اللَّه.

قال ابن عباس و قتادة: المبعوث عليهم فى المرة الاولى جالوت الى ان قتله داود، و كان ملكهم طالوت.

و قال سعيد ابن المسيب: هو بخت نصر، و قال سعيد بن جبير: هو سنحاريب و قال الحسن: هم العمالقة، و كانوا كفاراً.

و الفساد الذى ذكره: هو قتلهم الناس ظلماً و تغلبهم على أموالهم قهراً و اخراب ديارهم بغيا.

و الآية تدل على ان قضاء اللَّه بالمعاصى هو اخباره انها تكون.

و قوله «فلما جاء وعد أولاهما» يعنى وقت فناء آجالهم و وقت عقوباتهم.

و الوعد هو الموعود به- هاهنا- و وضع المصدر موضع المفعول به.

و قوله «بَعَثْنا عَلَیْکُمْ عِباداً لَنا أُولِی بَأْسٍ شَدِیدٍ» قيل فى معنى (بعثنا) قولان:

أحدهما- قال الحسن: انا خلّينا بينهم و بينكم، خاذلين لكم، جزاء على كفركم، و معاصيكم، كما قال: «أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» «۴» الثانى- قال ابو على: امرناهم بقتالكم. و قوله «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ» اى تردّدوا و تخللوا بين الدور، يقال: جست أجوس جوساً و جوساناً، قال حسان:

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۱۲

(۲) سورة ۴۰ المؤمن (غافر) آية ۲۰

(۳) سورة ۱۷ الإسراء آية ۲۳

(۴) سورة ۱۹ مريم آية ۸۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۴۹

و منا الذى لاقى بسيف محمد فجاس به الاعداء عرض العساكر «۱»

معناه تخللهم قتلا بسيفه، و قيل: الجوس طلب الشىء باستقصاء. و قوله «وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا» أى كائناً لا محالة على ما أخبرنا به، ثم قال لهم «رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» يعنى الرجعة و النصرة عليهم «وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ» أى أعناكم و كثرناكم «وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً» اى اكثر انصاراً، و نصبه على التمييز، قال الزجاج: يجوز أن يكون (نفيراً) جمع نفير كعبيد و ضنين و معين. قال الفراء: زعموا أن رجلًا من همدان بعثه اللَّه على بخت نصر، فقتله و عاد الملك إلى بنى إسرائيل فعاشوا.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): آية ۷] ..... ص : ۴۴۹

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (۷)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى «لنسو وجوهكم» بالنون و فتح الواو، كما يقال: لن ندعو، فعلامة النصب فتحة الواو. و قرأ ابن عامر، و حمزة، و أبو بكر عن عاصم بالياء على واحد «ليسوى» الباقون بالياء و المد، و علامة النصب- هاهنا- حذف النون، و إنما مدوا، لتمكين الهمزة، لأن كل واو سكنت و انضم ما قبلها و ثبتت بعدها همزة، فلا بد من مدّ، فى كلمة كانت أو كلمتين، نحو «قالوا آمنا» «۲» و فى

---

(۱) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ۱۵: ۲۱ و تفسير الشوكانى ۳: ۲۰۲ و لم أجده فى ديوان حسان المطبوع فى بيروت (دار صادر، دار بيروت). و هو ايضاً فى تفسير القرطبى ۱۰: ۲۱۶.

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۰

كلمة واحدة نحو «تَبُوءَ بِإِثْمِي» «۱» «و تبوء بحمله» و فى قراءة أبى «ليسوءن وجوهكم» بنون خفيفة للتأكيد، كقوله «لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ» «۲».

قال أبو على الفارسى: لما قال «لتفسدن فى الأرض مرتين» و بيّن المرة الأولى قال «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» أى المرة الآخرة بعثناهم «لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ» فحذف (بعثناهم) لأنه تقدم ذكره، لأنه جواب (إذا)، و شرطها يقتضيه، فحذف للدلالة عليه فأما معنى «ليسوئا» فقال أبو زيد: يقال: سؤته سأة و ساءة و مساءة و مسائية و سوائية، و قال «وجوهكم» على أن الوجوه مفعولا ل «يسؤوا» و عدّى إلى الوجوه، لان الوجوه قد يراد بها ذوو الوجوه كقوله «هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» «۳» و قال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» «۴» و قال

«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ» «۵» و قال النابغة:

أقارع عوفاً لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغى من تجادع «۶»

فكأن الوجوه إنما خصت بذلك، لأنها تدل على ما كان من تغير الوجوه من الناس، من حزن أو مسرة، و بشارة و كآبة.

و حجة من قرأ بالياء و الجمع انه أشبه بما قبله و ما بعده، لان الذى جاء قبله «بعثا عليكم رجالا» و بعده «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» و هو بيت المقدس، و المبعوثون فى الحقيقة هم الذين يسؤونهم لقتلهم إياهم و أسرهم لهم، فهو وفق المعنى.

و من قرأ بالياء و التوحيد، ففاعل «ليسوءوا» أحد شيئين.

أحدهما- أن يكون اسم اللَّه، لأن الذى تقدم «بعثنا» «و رددنا لكم» و «أمددناكم».

و الآخر- ان يكون البعث و الوعد، و دل عليه «بعثنا» المتقدم كقوله «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ» «۷» اى البخل.

---

(۱) سورة ۵ المائدة آية ۳۰

(۲) سورة ۹۶ العلق آية ۱۵

(۳) سورة ۲۸ القصص آية ۸۸

(۴) سورة ۸۰ عبس آية ۴۰

(۵) سورة ۷۵ القيامة آية ۲۳ [.....]

(۶) ديوانه (دار بيروت) ۸۰ و اللسان (جدع)

(۷) سورة ۳ آل عمران آية ۱۸۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۱

و من قرأ بالنون كان المعنى كقول من قدر أن الفعل ما تقدم من اسم اللَّه و جاز ان تنسب المساءة الى اللَّه، و إن كانت من الذين جاسوا خلال الديار فى الحقيقة، لأنهم فعلوها بقدرة اللَّه و تمكينه، فجاز ان تنسب اليه، كما قال «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى» «۱» و يجوز ان يكون اللام فى قوله «ليسئوا» «و ليدخلوا» «و ليتبروا» لام العاقبة، لان اللَّه لا يريد منهم ذلك من حيث كان ذلك ظلماً و فساداً.

يقول اللَّه تعالى لخلقه من المكلفين «إِنْ أَحْسَنْتُمْ» اى فعلتم الافعال الحسنة من الإنعام الى الغير، و الافعال الجميلة التى هى طاعة «أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ»، لان ثواب ذلك، و اصل إليكم «وَ إِنْ أَسَأْتُمْ» إلى الغير و ظلمتموه «أسأتم» لأنفسكم لأن و بال ذلك و عقابه و اصل إليكم، و إنما قال «فلها» ليقابل قوله «أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» و المعنى ان اسأتم فإليها، كما يقال: احسن إلى نفسه ليقابل أساء الى نفسه، على ان حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض إذا تقاربت معانيها، قال تعالى «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها» «۲» و المعنى اوحى اليها.

و معنى انت فى منتهى الاساءة، و انت المختص بالاساءة، متقارب.

«فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» يعنى وعد المرة الآخرة «لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» يعنى المبعوثين عليكم «كَما دَخَلُوهُ» فى المرة الاولى يعنى غيرهم، لان هؤلاء بأعيانهم لم يدخلوها فى الدفعة الاولى «وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» فالتبار و الهلاك، و الدمار واحد، و كل ما انكسر من الزجاج و الحديد و الذهب تبر. و معنى «ما عَلَوْا تَتْبِيراً» ما غلبوا عليه، و جواب (إذا) محذوف و تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم. و قيل: بعثناهم ليسئوا.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۸ الى ۱۰] ..... ص : ۴۵۱

عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً (۸) إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (۹) وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۰)

---

(۱) سورة ۸ الانفال آية ۱۷

(۲) سورة ۹۹ الزلزال آية ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۲

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخاطباً لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم: بأن قل لبنى إسرائيل «عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ» إن أقمتم على طاعته و ترك معاصيه (و عسى) من اللَّه واجبة، و يجوز ان يكون بمعنى الإبهام على المخاطب. و قوله «و إن عدتم» يعنى فى معاصى اللَّه، و الكفر به و جحد أنبيائه «عدنا» فى عذابكم، و التسليط عليكم، كما فعلناه أول مرة، و قال ابن عباس و قتادة: عادوا فبعث اللَّه عليهم المسلمين يذلونهم بالجزية و المحاربة إلى يوم القيامة. قوله «وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً» قال ابن عباس و مجاهد و ابن زيد و قتادة: محبساً، و الحصير الحبس، و يقال للملك حصير، لأنه محجوب، قال لبيد:

و قماقم غلب الرقاب كأنهم جنّ لدى باب الحصير قيام «۱»

و قال الحسن: يعنى مهاداً، كما قال «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ» «۲» و الحصير البساط المرمول، يحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج، و يقال للجنبين:

الحصيران، لحصرهما ما أحاطا به من الجوف و ما فيه. و قيل لأن بعض أضلاعه حصر مع بعض، و يسمى البساط الصغير حصيراً، و حصير بمعنى محصور، كرضى بمعنى مرضى.

ثم أخبر تعالى أن هذا القرآن الذى أنزله على محمد صلّى اللَّه عليه و سلم «يهدى» اى يدل

---

(۱) ديوانه ۲/ ۳۹ و تفسير القرطبى ۱۰/ ۲۲۴ و مجاز القرآن ۱/ ۳۷۱ و تفسير الطبرى ۱۵/: ۳ و سمط اللآلى ۹۵۵ و روح المعانى ۱۵/ ۲۱ و الصحاح، و التاج، و اللسان (حصر)

(۲) سورة ۷ الاعراف آية ۴۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۳

«لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» قال الفراء: لشهادة أن لا إله إلا اللَّه. و يحتمل أن يكون المراد يهدى لجميع سبل الدين، التى هى أصوب من غيرها: من توحيد اللَّه، و عدله، و صدق أنبيائه، و العمل بشريعته، و فعل طاعاته، و تجنب معاصيه «وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ» يعنى القرآن يبشرهم «أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً» و ثواباً عظيماً، على طاعاتهم، و يبشرهم أيضاً ب «أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» و يجحدون البعث و النشور أعد اللَّه لهم «عذابا أليما» يعنى مؤلماً موجعاً، «و اعتدنا» أصله أعددنا فقلبت إحدى الدالين تاء، فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال، و تكون البشارة قد أوقعت على أن لهم الجنة، و أن لعدوهم النار، فلذلك نصب (أن) فى الموضعين. و يحتمل أن يكون نصب (أن) الثانية على حذف اللام، و التقدير، لأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً، و لو كسرت على الاستئناف جاز غير أنه لا يقرأ به احد.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۱ الى ۱۲] ..... ص : ۴۵۳

وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً (۱۱) وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً

لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً (۱۲)

آيتان بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله «وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ» قولان:

أحدهما- ما ذكره ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد انه يدعو على نفسه و ولده عند غضبه، فيقول: اللهم العنه و اغضب عليه و ما أشبهه، فيمنعه اللَّه، و لو أعطاه لشقّ عليه.

و الثانى- قال قوم: انه يطلب ما هو شرّ له لتعجيل الانتفاع به مثل دعائه بما هو خير له، و يقوى ذلك قوله «وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا» و معنى قوله «وَ كانَ التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۴

الْإِنْسانُ عَجُولًا»

قال مجاهد: لأنه يعجل بالدعاء بما لا يجوز. و قال ابن عباس:

على طبع آدم لما نفخ فيه الروح فلبغت إلى رجليه، قبل ان تجرى فيهما، رام النهوض.

و العجلة طلب الشيء قبل وقته الذى لا يجوز تقديمه عليه او ليس بأولى فيه و السرعة عمل الشيء فى أول وقته الذى هو أولى به.

ثم أخبر أنه تعالى جعل «اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ» يريد الشمس و القمر فى هذا الموضع- عند قوم- و قال الجبائى: هما الليل و النهار، و هو الظاهر، و هما دليلان على توحيد اللَّه، لأن احداً لا يقدر على الإتيان بالنهار، و لا على إذهابه و الإتيان بالليل، و انما يقدر عليه القادر لنفسه الذى لا يتعذر عليه شيء.

ثم اخبر انه جعل احدى الآيتين ممحوة و هى الليل اى لا تبصر فيها المرئيات كما لا يبصر ما يمحى من الكتاب، و هو من البلاغة العظيمة.

و قال ابن عباس: محو آية الليل السواد الذى فى القمر، و

روى عن على (ع) أنه اللطخة التى فى القمر.

و قوله «وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- مضيئة للابصار.

الثانى- جعلنا أهله بصراء فيه كما يقال: رجل مخبث أى أهله خبثاء و رجل مضعف أى أهله ضعفاء، فكذلك النهار مبصراً أى أصحابه بصراء. ثم بين الغرض بذلك، و انما جعله كذلك «لِتَبْتَغُوا فَضْلًا» أى تطلبوا فضلا من ربكم «وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ» فى مواقيتكم و معاملاتكم و معرفة سنينكم و غير ذلك، فيكثر بذلك انتفاعكم «وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا» أى ميزنا كل شيء تمييزاً ظاهراً بيناً لا يلتبس، و بيناه بياناً لا يخفى.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۳ الى ۱۵] ..... ص : ۴۵۴

وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً (۱۳) اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (۱۴) مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (۱۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۵

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر «و يخرج» بضم الياء، و فتح الراء، و قرأ يعقوب بالياء و فتحها و ضم الراء. الباقون بالنون، و ضمها، و كسر الراء. و اتفقوا على نصب «كتاباً» و قرأ ابن عامر و أبو جعفر «يلقاه» بضم الياء، و فتح اللام و تشديد القاف.

الباقون بفتح الياء و سكون اللام و فتح القاف و تخفيفها، و نصب كل انسان بفعل يفسره «ألزمناه» و تقديره ألزمنا كل انسان ألزمناه،

كما قال «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «۱» فيمن نصب. و معنى طائره قال ابن عباس، و مجاهد و قتادة: عمله من خير أو شر كالطائر الذى يجىء من ذات اليمين، فيتبرك به، و الطائر الذى يجىء من ذات الشمال فيتشاءم به، و طائره عمله. و الزام اللَّه طائره فى عنقه: الحكم عليه بما يستحقه من ثواب أو عقاب. و قيل: معناه ان يحكم بأن عمله كالطوق فى عنقه.

ثم اخبر تعالى أنه يخرج للإنسان المكلف يوم القيامة كتاباً فيه جميع أفعاله مثبتة ما يستحق عليه ثواب او عقاب.

و قوله «يلقاه» قرأه ابن عامر يضم الياء و فتح اللام، و تشديد القاف، بمعنى ان الملائكة يستقبلونهم. الباقون بفتح الياء و القاف، بمعنى أنهم يلقونه و يرونه.

فمن قرأ بالتخفيف، فمن لقيت الكتاب، فإذ ضاعفت قلت لقّانيه، و قد يتعدى بتضعيف العين الى مفعولين بعد ان كان متعدياً الى مفعول واحد، فإذا بنى للمفعول به نقص مفعول واحد من المفعولين، لأن أحدهما يقول مقام الفاعل،

---

(۱) سورة يس آية ۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۶

لاسناد الفعل اليه، فيبقى متعدياً الى مفعول واحد، و على هذا قوله «وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً» «۱» و فى البناء للفاعل «وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً» «۲» و حكى عن الحسن و مجاهد أنهما قرءا «و يخرج» بفتح الياء و ضم الراء، و المعنى يخرج طائره له «كتاباً» نصب على التمييز، و قيل فى (طائره) أنه عمله. و قيل: أنه حظه، و ما قدّمه من خير او شرّ قال المؤرج: الطائر العمل، بلغة الأنصار، و يكون المعنى على هذا و يخرج عمله له كتاباً أى ذا كتاب، و معناه أنه مثبت فى الكتاب الذى قال فيه «لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها» «۳» و قال «هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ» «۴» و انما قيل لعمله طائره- و طيره فى بعض القراءات- على تعارف العرب، يقولون: جرى طائره بكذا، و مثله قوله «قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ» «۵» و قوله «إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» «۶» و قال ابو زيد: ما مر من طائر أو ظبى أو غيره، كل ذلك عندهم طائر، قال ابو زيد: قولهم: سألت الطير، و قلت للطير، انما هو زجر، و قولهم زجرنى الظباء و الطير معناه وقع زجرى عليهما، على كذا و كذا، من خير أو شرّ، و منه قول الكميت:

و لا أنا ممن يزجر الطير همّه أصاح عزاب أو تعرّض ثعلب «۷»

و قال حسان:

ذرينى و علمى بالأمور و شيمتى فما طائرى فيها عليك بأخيلا «۸»

اى ليس رأيى بمشوم، و قال كثير:

أقول إذا ما الطير مرّت مخيلة لعلك يوماً فانتظر ان تنالها «۹»

معنى مخيلة مكروهة من الأخيل، و معنى «فى عنقه» لزوم ذلك له و تعلقه

---

(۱) سورة الفرقان آية ۷۵

(۲) سورة الدهر آية ۱۱

(۳) سورة الكهف آية ۵۰

(۴) سورة الحاقة آية ۱۹

(۵) سورة ۳۶ يس آية ۱۹

(۶) سورة الاعراف ۱۳۱

(۷) امالى الشريف المرتضى ۱: ۶۷ و مجمع البيان ۳: ۴۰۳ [.....]

(۸) ديوانه ۲۰۶ و اللسان (خيل) و مجمع البيان ۳: ۴۰۳

(۹) مجمع البيان ۳: ۴۰۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۷

به، و مثله قولهم: طوقتک کذا، و قلدتک کذا ای ألزمته إياک و مثله، قلده السلطان كذا، اى صارت الولاية فى لزومها له فى موضع القلادة، و إنما خصّ إلزام الطائر بالعنق، لأنه إضافة ما يزين من طوق، او ما يشين من عمل يضاف الى الاعناق، و لأن فى عرف الناس ان يقولوا: هذا فى رقبتک. و قد يضاف العمل الى اليد ايضاً كما قال «ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» «۱» و إن كان كسبه بفرجه و لسانه، و غير ذلک، و إنما يذم بذلک على وجه التقريع و التبكيت بما فعله من المعاصى، و يكون فى العلم بذلک لطف فى دار الدنيا، و ان كان اللَّه عالماً بتفصيل ما فعلوه.

و قوله «كَفى بِنَفْسِکَ الْيَوْمَ عَلَيْکَ حَسِيباً» اى حسبک نفسک اليوم حاكماً عليک فى عملک و ما تستحقه من ثواب على الطاعة و من عقاب على المعصية، لأنه أنصفک من جعلک حسيباً على نفسک بعملک. و قيل معنى «حسيباً» شاهداً و شهيداً.

و قوله «من اهتدى» يعنى فعل الخيرات و الطاعات و انتفع بهداية اللَّه إياه «فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» و أن ثواب ذلک و اصل اليه «وَ مَنْ ضَلَّ» اى جار عن الحق و عدل عن الصواب و ارتكب المعاصى «فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها» اى يجوز عليها لأن عقاب ذلک و وباله و اصل اليه، لأن اللَّه تعالى قال «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى اى لا يأخذ احداً بذنب غيره، و الوزر الإثم، و قيل معناه لا يجوز لأحد أن يعمل الإثم، لأن غيره عمله، و الأول أقوى.

و قوله «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» اخبار من اللَّه أنه لا يعاقب احداً على معاصيه، حتى يستظهر عليه بالحجج و إنفاذ الرسل ينبهونه على الحق، و يهدونه اليه و يرشدونه الى سلوكه، استظهاراً فى الحجة، لأنه إذا اجتمع داعى العقل و داعى السمع الى الحق، تأكد الامر و زال الريب فيما يلزم العبد، و ليس فى ذلک دلالة على انه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه ان يعاقب إذا ارتكب العبد

---

(۱) سورة آل عمران آية ۱۸۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۸

القبائح العقلية، اللهم إلّا أن يفرض أن فى بعثه الرسول لطفاً، فإنه لا يحسن من اللَّه تعالى مع ذلک أن يعاقب احداً إلّا بعد أن يعرّفه ما هو لطف له و مصلحة لتزاح علته. و قيل: معناه «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ» بعذاب الاستئصال و الإهلاک فى الدنيا «حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا».

و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: من ان اللَّه يعذب أطفال الكفار بكفر آبائهم، لأنه بين أنه لا يأخذ احداً بجرم غيره.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): آية ۱۶] ..... ص : ۴۵۸

وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِکَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً (۱۶)

آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب «آمرنا» بمد الهمزة. و عن الحسن «أمّرنا» بالتشديد، و روى عنه «أمِرنا» بكسر الميم خفيفة و هى ردية.

ذكر فى هذه الآية وجوه أربعة:

أحدها- ان مجرد الإهلاک لا يدل على أنه حسن أو قبيح، بل يمكن وقوعه على كل واحد من الأمرين، فإذا كان واقعاً على وجه الظلم، كان قبيحاً، و إذا كان واقعاً على وجه الاستحقاق أو على وجه الامتحان، كان حسناً، فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلقها على الوجه القبيح. و إذا علمنا أن القديم لا يفعل القبيح، علمنا أن إرادته الإهلاک على الوجه الحسن.

و قوله «أَمَرْنا مُتْرَفِيها»

المأمور به محذوف، و ليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق و ان وقع بعده الفسق، بل لا يمتنع أن يكون التقدير: و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرناهم بالطاعة، ففسقوا فيها فحق عليها القول، و جرى ذلك مجرى قولهم: أمرته فعصى و دعوته فأبى، و المراد أمرته بالطاعة و دعوته إلى الاجابة و القبول، فعصى. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۵۹

فإن قيل: أىّ معنى لتقدم الارادة؟ فإن كانت متعلقة بإهلاك يستحق بغير الفسق المذكور فى الآية، فلا معنى لقوله «وَ إِذا أَرَدْنا ... أَمَرْنا»

، لأن أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحق بما تقدم من الأفعال، و إن كانت الارادة متعلقة بالإهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور فى الآية، فهو الذى تأبونه، لأنه يقتضى أنه تعالى مريد لإهلاك من لم يستحق العقاب!!.

قلنا: لم تتعلق الارادة إلا بالإهلاك المستحق بما تقدم من الذنوب، و إنما حسن قوله «إِذا أَرَدْنا ... أَمَرْنا»

أن فى تكرار الأمر بالطاعة بالايمان إعذاراً للعصاة و إنذاراً لهم و إيجاباً للحجة عليهم، و يقوى ذلك قوله قبل هذه الآية «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» منبهاً بذلك أنه أراد إثبات الحجة و تكررها عليهم الثانى- أن يكون قوله «أَمَرْنا مُتْرَفِيها»

من صفة القرية وصلتها، و لا يكون جواباً لقوله «وَ إِذا أَرَدْنا»

و يكون تقدير الكلام: و إذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا «أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها»

و لا يكون ل (إذا) جواب ظاهر فى اللفظ، للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلالة عليه، و مثله قوله «حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ» إلى قوله «فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ» «۱» و لم يأت ل (إذا) جواب فى طول الكلام للاستغناء عنه، و قال الهذلى:

حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة شلًا كما يطرد الجمالة الشردا «۲»

فحذف جواب (إذا) و لم يأت به، لأن هذا البيت آخر القصيدة.

الثالث- أن يكون الكلام على التقديم و التأخير، و تقديره إذا أمرنا مترفى قرية بالطاعة، فعصوا، و استحقوا العقاب، أردنا إهلاكهم، و يشهد بهذا التأويل قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» «۳» فالطهارة انما

---

(۱) سورة ۳۹ الزمر آية ۷۳- ۷۴

(۲) تفسير روح المعانى ۱۵: ۳ و قد مر فى ۱: ۱۲۸، ۱۴۹

(۳) سورة ۵ المائدة آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۰

تجب قبل القيام الى الصلاة. و مثله قوله «وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ» «۱» و قيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال. و مثله قوله «ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ» «۲» و التقدير ما إنّ مفاتحه لتنوء بها العصبة أى يثقلون بها، و مثله قول الشاعر:

ذعرت القطا و نفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين «۳»

أراد مقام الذئب اللعين، و قد فصلوا بين المضاف و المضاف اليه قال الشاعر:

بين ذراعى و جبهة الأسد «۴»

أراد بين ذراعى الأسد و جبهته.

و الرابع- أن يكون ذكر الارادة فى الآية مجازاً و اتساعاً و تنبيهاً على المعلوم من حال القوم و عاقبة أمرهم، و أنهم متى أمروا فسقوا و خالفوا، و جرى ذلك مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كل وجه، و جاء الخسران من كل طريق، و إذا أراد

العليل ان يموت خلط فى مأكله، و معلوم أن احداً ممن ذكرناه لم يرد ذلك، لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران، و من حال ذاك الهلاك، حسن هذا الكلام، و كان أفصح و أبلغ، لما فيه من الاستعارة و المجاز الذى لا يكون الكلام بليغاً من دونهما. و يكون تلخيص الكلام: إذا أردنا إهلاك قرية كقوله «جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» «۵» أمرناهم بالطاعة، ففسقوا فيها، فحق عليها القول.

و انما خصّ المترفون بذكر الأمر، لأنهم الرؤوساء الذين من عداهم تبع لهم، كما أمر فرعون و من عداه تبع له من القبط. و من حمله على ان المراد به أكثرنا قال: لأن الأمر بالطاعة ليس بمقصور على المترفين، بل هو عام لجميعهم، فلذلك شدّد الميم أو مدّ الهمزة.

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۱۰۲

(۲) سورة ۲۸ القصص آية ۷۶

(۳) مر هذا البيت فى ۱: ۳۴۳، ۲: ۴۷

(۴) تفسير الطبرى ۱۵: ۳۴ (الطبعة الاولى)

(۵) سورة ۱۸ الكهف آية ۷۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۱

و انما قال «فَفَسَقُوا فِيها»

و لم يقل: فكفروا، لأن المراد فتمردوا فى كفرهم لأن الفسوق فى الكفر الخروج إلى أفحشه، فكأنه قال ففسقوا بالخروج عن الأمر الى الكفر.

و قال ابن عباس و سعيد بن جبير: المعنى أمرناهم بالطاعة، ففسقوا، و مثله أمرتك فعصيتنى.

و من قرأ «أمّرنا مترفيها» بتشديد الميم من التأمير بمعنى التسليط، و قد يكون بمعنى أكثرنا. و يجوز ان يكون المعنى أكثرنا عددهم أو مالهم، و قرئ (آمرنا) ممدوداً، و المعنى أكثرنا مترفيها، و إنما قيل فى الكثرة آمر القوم، لأنهم يحتاجون إلى أمير يأمرهم و ينهاهم، فقد آمروا لذلك، قال لبيد:

ان يغبطوا يهبطوا و ان آمروا يوماً يصيروا للهلاك و الفند «۱»

و روى و الكند و قال بعضهم أمرنا بمعنى أكثرنا، و قال ابو عمرو: و لا يكون من هذا المعنى (أمرنا) قال ابو عبيد: يدل على هذه اللغة قولهم: سكة مأبورة و مهرة مأمورة، أى كثيرة الولد. و من قال بالأول قال هذا لمكان الازدواج، كما قالوا الغدايا و العشايا، و الغداء لا يجمع على غدايا، و لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام مع قولهم: العشايا، و قال قوم: يقال أمر الشىء و أمّرته اى كثر و كثّرته لغتان، مثل رجع و رجعته. و المشهور الاول. و إنما تعدى اما بالتضعيف او الهمزة، و إذا كان مخففاً فهو من الأمر الذى هو خلاف النهى، على ما بيناه. و قال المبرد «أمرنا» خفيفة بمعنى أكثرنا، و روى الجرمى:

فعلت و أفعلت «۲»- عن أبى زيد- بمعنى واحد، قال و قرأته على الاصمعى.

«و دمرنا» معناه أهلكنا، و الدمار الهلاك.

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۵: ۶۱ و الشوكانى (الفتح القدير) ۳: ۲۰۷ و لكن الكذب و الفند الهلاك.

(۲) هذا ما فى المخطوطة، و كان فى المطبوعة (ثقلت و أثقلت).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۲

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۷ الى ۱۹] ..... ص : ۴۶۲

وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (۱۷) مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً (۱۸) وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (۱۹)

ثلاث آيات بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى بأنه أهلك من القرون من بعد نوح، أُمَماً كثيرة، لإن «كم» يفيد التكثير ضد (ربّ) الذى يفيد التقليل، (و القرن) قيل: مائة و عشرون سنة- فى قول عبد اللَّه ابن أبى أوفى- و قال محمد بن القاسم المازنى: هو مائة سنة، و قال قوم: هو أربعون سنة. و ادخلت الباء فى قوله «كفى بربك» للمدح: كما تقول: ناهيك به رجلًا، و جاد بثوبك ثوباً، و طاب بطعامك طعاماً و أكرم به رجلًا، و كل ذلك فى موضع رفع، كما قال الشاعر:

و يخبرنى عن غائب المرء هديه كفى الهدى عمّا غيّب المرؤ مخبرا «۱»

فرفع لما اسقط الباء. و المعنى: كفى ربك عالماً و حسيباً بذنوب عباده بصيراً بها، ثمّ قال «مَنْ كانَ يُرِيدُ» المنافع «العاجلة» فى الدنيا «عَجَّلْنا لَهُ فِيها» يعنى فى الدنيا القدر الذى نريده لمن نريد، لا على قدر ما يريدون، لأن ما يريدونه ربما كانت فيه مفسدة، لا يجوز إعطاؤهم إياه، ثم بين انه إذا أعطاهم ما طلبوه عاجلًا جعل لهم جهنم جزاء، على معاصيهم و كفرهم يصلونها مذمومين مدحورين، اى فى حال ذمنا إياهم، يقال: أمته، و ذمته، و ذممته بمعنى واحد

---

(۱) مجمع البيان ۳: ۴۰۷ و تفسير الطبرى ۱۵: ۴۲ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۳

فهو مذؤم و مذيم و مذموم، و يكون ذأمته اى طردته، فهو مذؤم. و «مدحورا» اى متباعداً من رحمة اللَّه دحرته أدحره دحراً اى باعدته.

ثم قال «وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ» اى خير الآخرة، ثواب الجنة «وَ سَعى لَها سَعْيَها» بأن فعل الطاعات و تجنب المعاصى، و هو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد اللَّه و مقر بأنبيائه، فإن أُولئك يكون «سعيهم مشكورا» اى تكون طاعاتهم مقبولة. و قال قتادة: شكر اللَّه حسناتهم، و تجاوز عن سيّئاتهم. و المعنى أحلهم محلا يشكر عليه فى حسن الجزاء كما قال: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» «۱».

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۲۰ الى ۲۲] ..... ص : ۴۶۳

كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (۲۰) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا (۲۱) لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولًا (۲۲)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قوله «كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ» نصب (كلًا) ب «نمد» (و هؤلاء) بدل منه و المعنى إنا نعطى البرَّ و الفاجر، و المؤمن و الكافر فى الدنيا. و اما الآخرة فللمتقين خاصة «وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً» اى لم يكن عطاء الله ممنوعاً، ثم قال لنبيه و المراد به أمّته معه «انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ» بأن جعلنا بعضهم أغنياء، و بعضهم فقراء، و بعضهم موالى، و بعضهم عبيداً، و بعضهم أصحاء و بعضهم مرضى، بحسب ما علمنا من مصالحهم. ثم قال «وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا» لأنهم معطون على مقدار طاعتهم، فمن كان كثير الطاعة

---

(۱) سورة البقرة آية ۲۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۴
حصلت له الدرجات العالية من الثواب. و إنما أراد يبين أن التفاضل فى الدنيا إذا كان يتنافس عليه، فالتفاضل فى الجنة اولى بأن يرغب فيه.

ثم قال لنبيه و المراد به امّته «لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» توجه إليه عبادتك و تستدعى الحوائج من قبله فإنك إن فعلت ذلك قعدت مذموماً مخذولًا، و إذا كان الخطاب عامّاً كان التقدير، فلا تجعل ايها الإنسان مع الله إلهاً آخر. و نصب «فتقعد» لأنه جواب النهى.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۲۳ الى ۲۴] ..... ص : ۴۶۴

وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً (۲۳) وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً (۲۴)

آيتان بلا خلاف.

قرا حمزة و الكسائى و خلف «يبلغان» بألف و كسر النون على التثنية.

الباقون يبلغن على الوحدة. و قرأ ابن كثير، و ابن عباس، و يعقوب «افَّ» بفتح الفاء من غير تنوين. و قرأ اهل المدينة و حفص بكسر الفاء مع التنوين. الباقون بكسر الفاء من غير تنوين. و مثله فى الأحقاف.

قال ابو على الفارسى قوله «أحدهما» مرتفع بالفعل، و قوله «او كلاهما» معطوف عليه، و الذِّكر الذى عاد من قوله «أحدهما» يغنى عن إثبات علامة الضمير فى (يبلغنّ)، فلا وجه لمن قال: إن الوجه إثبات الالف، لتقدم ذكر الوالدين.

و يجوز ان يكون رفع (أحدهما) على البدل من الضمير فى (يبلغان) و يجوز ان يرفعه بفعل مجدد على تقدير إما يبلغان عندك الكبر. يبلغ أحدهما او كلاهما، التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۵
و يكون رفعاً على السؤال و التفسير كقوله «وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» «۱» و من اثبت الألف، فعلى وجه التأكيد، و لو لم يذكر لم يخلّ بالكلام نحو قوله «أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ» «۲» فقوله «غير أحياء» توكيد، لأن قوله «أموات» دل عليه قال: و قول ابن كثير (أفَّ) يبنى الفاء على الفتح، لأنه و ان كان فى الأصل مصدراً من قولهم (أفه و تفه) يراد به نتناً و ذفراً، لقد سمى الفعل به فبنى، و هذا فى البناء على الفتح كقولهم (سرعان ذا إهالة) لما سار اسماً ل (سرع)، فكذلك (أفَّ) لما كان اسماً ل (كره)، و مثله ريداً، فى أنه سمى به الفعل، فبنى و لم يلحق التنوين إلا ان هذا للأمر و النهى، و أف فى الخبر. و قول نافع فى البناء على الكسر مع التنوين، مثل (أف) فى البناء على الفتح: إلا أنه بدخول التنوين دل على التنكير مثل إيه و مه و صه، و مثله قولهم صه، فبنوه على الكسر، و إن كان فى الأصل مصدراً، كما كان (أف) فى الأصل كذلك، و من كسر و لم ينون جعله معرفة، فلم ينون، كما أن من قال: صه و ضاف، فلم ينون أراد به المعرفة.

و موضع (أف) على اختلاف القراءات موضع الجمل، مثل (رويد) فى أن موضعه موضع الجمل و كذلك لو قلت: هذا فدا «۳» قال أبو الحسن. و قول من قال (أف) اكثر و أجود و لو جاء (أفّاً لك) أحتمل أمرين: أحدهما- أن يكون الذى صار اسماً للفعل لحقه التنوين لعلامة التنكير. و الآخر أن يكون نصباً معرباً، و كذلك الضمير، فإن لم يكن معه لك كان ضعيفاً، كما انك لا تقول ويل حتى تقرن به لك، فيكون فى موضع الخبر و (أف) كلمة يكنى بها عن الكلام القبيح و ما يتأفف به، لأن التف وسخ الظفر و (الاف) وسخ الاذن. و قيل التف كل ما رفعت بيدك من حقير من الأرض، و قيل معنى الأف الثوم، و قيل

---

(۱) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۳

(۲) سورة ۱۶ النحل آية ۲۱

(۳) فى المخطوطة (هذا قفا) و نسخة اخرى (هذا فداء لك) و قد تركنا ما فى المطبوع على حاله فلم نغير فيه شيء،

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۶

الشرّ، و قد جرى مجرى الأصوات، فزال عنه الاعراب مثل (صه) و معناه اسكت، و مه و معناه كفَّ و هيهات هيهات اى بعيد بعيد، فإذا نوّنت أردت النكرة أى سكوتا و قبحاً، و إذا لم تنون أردت المعرفة. و إنما جاز تحريك الفاء بالضم و الفتح و الكسر، لان حركتها ليست حركة إعراب، و انما هى حركة التقاء الساكنين فتفتح لخفة الفتحة، و تضم اتباعاً للضم قبله، و قيل تضم تشبيهاً بقبل و بعد و تكسر على أصل حركة التقاء الساكنين.

و فى (أف) سبع لغات: أف و افٍ و افًا و أفى مماله، و زاد ابن الانبارى بسكون الفاء. و روى عن الرضا عن أبيهٔ عن جعفر بن محمد (ع) انه قال (لو علم اللّه لفظاً أوجز فى ترك عقوق الوالدين من (أف) لاتى به). فان قيل هل أباح اللّه أن يقال لهما أف قبل أن يبلغا الكبر؟ قلنا: لا، لأن اللّه أوجب على الولد إطاعة الوالدين على كل حال، و حظر عليه أذاهما و إنما خصّ الكبر، لأن وقت كبر الوالدين مما يضطر فيه الوالدان إلى الخدمة إذا كانا محتاجين عند الكبر، و فى المثل يقال فلان أبر من النسر، لان النسر إذا كبر و لم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه، كما كان أبواه يزقانه، و مثله قوله «وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا» «۱» و الوجه فى قوله «و كهلا» مع ان الناس يكلمون كلهم حال الكهولة ان اللّه اخبر أن عيسى يكلم فى المهد أعجوبة و أخبر أنه يعيش حتى يكتهل و يتكلم بعد الكهولة، و نحوه قوله «وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» «۲» و انما خصّ ذلك اليوم بأن الأمر للّه، لأن فى الدنيا مع أنه يملك، قد ملك اقواماً جعلهم ملوكاً و خلفاء، و ذلك اليوم لا يملك سواه.

معنى قوله «وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» أمر، فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة و ابن زيد. فإن قيل: الامر لا يكون أمراً بألّا يكون الشيء، لأنه يقتضى إرادة المأمور به، و الإرادة لا تتعلق بألّا يكون الشيء، و إنما تتعلق بحدوث الشيء.

قلنا: المعنى انه كره ربكم عبادة غيره و أراد منكم عبادته على وجه الإخلاص

---

(۱) سورة ۳ ال عمران آية ۴۶

(۲) سورة ۸۲ الانفطار آية ۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۷

و سمى ذلك أمراً ب «أن لا تعبدوا إلا إياه» لأن معناهما واحد. و قوله «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» العامل فى الباء يحتمل شيئين: أحدهما- و قضى بالوالدين إحساناً. و الثانى- و أوصى، و حذف لدلالة الكلام عليه، و المعنى متقارب، و العرب تقول: أمر به خيراً و أوصى به خيراً، و قال الشاعر:

عجبت من دهماء إذ تشكونا و من أبى دهماء إذ يوصينا

خيراً بها كأننا جافونا «۱»

فأعمل «يوصينا» فى الخير، كما أعمل فى الإحسان. و قوله «إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما» معناه متى بلغ واحد منهما أو هما الكبر «فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ» أى لا تؤذهما بقليل و لا كثير «وَ لا تَنْهَرْهُما» أى لا تزجرهما بإغلاظ و صياح يقال: نهره ينهره نهراً، و انتهره انتهاراً إذا أغلظ له «وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً» أى شريفاً تكرمهما به. و توقّرهما «وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ» أى تواضع لهما و اخضع لهما.

و قرأ سعيد بن جبير «الذل» بكسر الذال. و الذل و الذلة مصدر الذليل، و الذل مصدر الذلول، مثل الدابة و الأرض تقول: جمل ذلول، و دابة ذلول «وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً» أى ادع لهما بالمغفرة و الرحمة كما ربّياك فى حال صغرك. و قال قوم الاستغفار لهما منسوخ إذا كانا مشركين بقوله «ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ» «۲». و قال البلخى: الآية تختص بالمسلمين.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٢٥ الى ٢٧] ..... ص : ۴۶۷

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (٢٥) وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢۶) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَ كانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٧)

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۵: ۴۴ (الطبعة الاولى)

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۱۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۸

ثلاث آيات.

يقول اللَّه تعالى مخاطباً للمكلفين من عباده إنه أعلم بهم، و معناه إن معلوماته أكثر من معلوماتكم، و قد يقال: أعلم بمعنى أثبت فيما به يعلم، فيجىء من هذا إن اللَّه تعالى أعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم به. و كذلك كل شىء يمكن ان يعلم على وجوه متغايرة، فاللَّه تعالى عالم به على تلك الوجوه و إن خفى على الواحد منا بعضها.

و معنى «بِما فِي نُفُوسِكُمْ» اى بما تضمرونه و تخفونه عن غيركم، فاللَّه أعلم به منكم، و فى ذلك غاية التهديد. ثم قال «إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ» اى تفعلون الأفعال الصالحة الحسنة الجميلة، فان اللَّه «كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً» معنى «الأوابين» التوابين و هم الذين يتوبون مرة بعد مرة- فى قول سعيد بن المسيب- كلما أذنب ذنباً بادر بالتوبة. و قال سعيد بن جبير، و مجاهد: الأواب هو الراجع عن ذنبه بالتوبة. و أصله الرجوع يقال: آب يؤوب أوباً إذا رجع من سفره، قال عبيد بن الأبرص.

و كل ذى غيبة يؤب و غائب الموت لا يؤب «۱»

ثم قال «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» و هو أمر من اللَّه لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يعطى ذوى القربى حقوقهم التى جعلها اللَّه لهم، فروى عن ابن عباس و الحسن: انهم قرابة الإنسان. و

قال على بن الحسين (ع): هم قرابة الرسول،

و هو الذى رواه ايضاً أصحابنا. و

روى انه لما نزلت هذه الآية استدعى النبى صلّى اللَّه عليه و سلم فاطمة (ع) و أعطاها فدكاً و سلمه اليها، و كان و كلاؤها فيها طول حياة النبى صلّى اللَّه عليه و سلم، فلما مضى النبى صلّى اللَّه عليه و سلم

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۲۶ و تفسير الطبرى ۱۵: ۴۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۶۹

أخذها ابو بكر، و دفعها عن النحلة. و القصة فى ذلك مشهورة، فلما لم يقبل بيّنتها، و لا قبل دعواها طالبت بالميراث، لأن من له الحق إذا منع منه من وجه جاز له ان يتوصل اليه بوجه آخر، فقال لها: سمعت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم يقول (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) فمنعها الميراث أيضاً

و كلامهما فى ذلك مشهور، لا نطول بذكره الكتاب.

و قوله «وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ» أى و اعطوا هؤلاء أيضاً حقوقهم التى جعلها اللَّه لهم من الزكوات و غير ذلك. ثم نهاهم عن التبذير بقوله «وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً» و التبذير التفريق بالإسراف. و قال عبد اللَّه: التبذير إنفاق المال فى غير حقه، و هو قول ابن عباس و قتادة. و قال مجاهد لو أنفق مدّاً فى باطل كان تبذيرا.

ثم قال «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ» و قيل فى معناه قولان.

أحدهما- إن الشيطان أخوهم باتباعهم آثاره و جريهم على سنته.

و الثانى- انهم يقرنون بالشيطان فى النار. ثم أخبر عن حال الشيطان بأنه كفور لنعم اللّه تعالى و جاحد لآلائه.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٢٨ الى ٣٠] ..... ص : ۴۶۹

وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً (٢٨) وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (٣٠)

ثلاث آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۰

يقول اللّه تعالى «وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ» و تقديره، و إن تعرض و (ما) زايدة.

و المعنى: و متى ما صرفت وجهك عنهم، يعنى عن الذين أمروا بإعطائهم حقوقهم ممن تقدم ذكره، لأنه قد يعرض عند عوز ما طلبوه، ليبتغى الفضل من اللّه، و السعة التى يمكنه معها البذل، و التقدير و إذا أتتك قرابتك أو سواهم من المحتاجين يسألونك فأعرضت عنهم، لأنه لا شيء عندك، فقل لهم قولا حسناً، اى عدهم عدة جميلة. و الاعراض صرف الوجه عن الشيء، و قد يكون عن قلى، و قد يكون للاشتغال بما هو الاولى، و قد يكون لاذلال الجاهل مع صرف الوجه عنه، كما قال «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ» «١» و قوله «ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها» و الابتغاء الطلب. و قوله «ترجوها» معناه تأملها، و الرجاء تعلق النفس بطلب الخير ممن يجوز منه، و من يقدر على كل خير و صرف كل شر، فهو أحق بأن يرجا، و لذلك قال أمير المؤمنين (ع) (ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه، و لا يخافن إلا ذنبه).

و قوله: «فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُوراً» المعنى إذا أعرضت ابتغاء رزق من ربك، فقل لهم قولا- لينا سهلا، مثل: رزقنا اللّه تعالى، و هو قول الحسن و مجاهد و ابراهيم و غيرهم. و قال ابن زيد: تعرض عنهم إذا خشيت أن ينفقوا بالعطية على معاصى اللّه، فيكون تبتغى رحمة من اللّه لهم بالتوبة، و أصل التيسير التسهيل، و اليسر خلاف العسر، و قد يكون التيسير بالتقليل، فيسهل عليه لقلته، و يكون بمنزلة المعونة على عمله.

ثم قال تعالى «وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ» أى لا تكن ممن لا يعطى شيئاً و لا يهب، فتكون بمنزلة من يده مغلولة إلى عنقه، لا- يقدر على الإعطاء و ذلك مبالغة فى النهى عن الشحّ و الإمساك «وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ» أى و لا تعط ايضاً جميع ما عندك، فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء و ذلك كناية عن الإسراف. و قوله «فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً» معناه إن أمسكت

---

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١٩٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۱

قعدت ملوماً عند العقلاء مذموماً، و إن اسرقت بقيت محسوراً، أى مغموماً متحسراً، و أصل الحسر الكشف من قولهم، حسر عن ذراعيه يحسر حسراً، إذا كشف عنهما. و الحسرة الغم لانحسار ما فات، و دابة حسير إذا كلت لشدة السير، لانحسار قوتها بالكلال. و كذلك قوله «يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ» «١» و المحسور المنقطع به لذهاب ما فى يده، و انحساره انقطاعه عنه، قال الهذلى:

إن العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور «٢»

ثم قال «إن ربك» يا محمد «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ» فيوسعه عليه على حسب ما يعلم له من المصلحة فيه «و يقدر» أى يضيق عليه لعلمه بما فيه من الصلاح، كما قال «وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ» «٣» و قوله «إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً» أى و هو عالم بأحوالهم، لا يخفى عليه ما يصلحهم، و ما يفسدهم، فيفعل معهم بحسب ذلك.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۳۱ الى ۳۳] ..... ص : ۴۷۱

وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً (۳۱) وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلاً (۳۲) وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً (۳۳)

ثلاث آيات.

---

(۱) سورة ۶۷ الملك (تبارك) آية ۴

(۲) الشاعر هو قيس بن خويلد الهذلى، الكامل ۱۰۹، ۴۱۰ و اللسان و التاج (حسن) (شطر) و مجاز القران ۱: ۳۷۵

(۳) سورة ۴۲ الشورى آية ۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۲

قرأ ابن كثير «خطاء» بكسر الخاء و بألف بعد الطاء ممدوداً. و قرأ ابو جعفر و ابن ذكوان- بفتح الخاء و الطاء- من غير ألف بعدها و بغير مد.

الباقون بكسر الخاء من غير مد، إلا ان الداجونى عن هشام روى وجهين:

أحدهما- مثل أبى عمرو، و الآخر- مثل أبى جعفر. و قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «فلا تسرف» بالتاء. الباقون بالياء. قال ابو على الفارسى: قول ابن كثير (خِطاء) يجوز ان يكون مصدر خاطأ، و ان لم يسمع (خاطأ) و لكن قد جاء ما يدل عليه، لأن أبا عبيدة انشد:

تخاطأت النبل أحشاه «۱»

و أنشدنا محمد بن السدى فى وصف كمأة:

و أشعث قد ناولته أحرس القرى أدرَّت عليه المدجنات الهواضب

تخاطأه القُنّاص حتى وجدته و خرطومه من منقع الماء راسب «۲»

فتخاطأت مما يدل على خاطأ، لأن (تفاعل) مطاوع (فاعل) كما ان (تفعّل) مطاوع فعّل، و قول ابن عامر (خطأ)، فان الخطأ ما لم يتعمد، و ما كان المأثم فيه موضوعاً عن فاعله، و قد قالوا: اخطأ فى معنى خطئ، كما ان خطئ فى معنى اخطأ، قال الشاعر:

عبادك يخطئون و أَنت ربٌّ كريم لا تليق بك الذُّموم «۳»

ففحوى الكلام أنهم خاطئون، و فى التنزيل «لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا» فالمؤاخذة من المخطئ موضوعة، فهذا يدل على ان اخطأ فى قوله:

يا لهف هند إذ خطئن كاهلًا «۴»

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۰: ۲۵۳ و اللسان «خطئ» و عجزه:

و اخر يوم فلم اعجل

[.....]

(۲) تفسير القرطبى ۱۰: ۲۵۳ و تفسير روح المعانى ۱۵: ۶۷

(۳) اللسان «خطا»

(۴) قائله امرؤ القيس: ديوانه «الطبعة الرابعة» ۱۷۵ و اللسان «خطأ». و هو مطلع رجز قاله عند ما أغار على بنى اسد لما نزلوا على بنى كنانة و بعده:

تاللّه لا يذهب شيخى باطلا حتى أبير مالكا و كاهلا

القاتلين الملك الحلاحلا

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۳

و فى قول آخر:

و الناس يلحون الأمير إذا هم خطئوا الصواب و لا يلام المرشد «۱»

اى أخطئوه، و كذلك قول ابن عامر (خطأ) فى معنى أخطأ، و جاء الخطأ فى معنى الخطاء، كما جاء خطئ فى معنى اخطأ. و قال ابو الحسن: هذا خطاء من رأيك، فيمكن أن يكون خطأ لغة فيه أيضاً. و من قرأ «خطأ» فلانه يقال خطئ يخطأ خطأ إذا تعمد الشىء حكاه الاصمعى، و الفاعل منه خاطئ، و قد جاء الوعيد فيه فى قوله «لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخاطِؤُنَ» «۲» و يجوز أن يكون الخِطأ لغة فى الخطأ مثل المثل و المثل، و الشبه و الشبهَ، و البدل و البدل، قال الفراء: لغتان مثل قتب و قتب، و بدل و بدل، و حكى ابن دريد عن أبى حاتم، قال تقول:

مكان مخطوؤ فيه من خطئت و مكان مخطأ فيه من اخطأ يخطئ، و مكان مخطوّ بغير همزة من تخطى الناس فيخطى، و من همزه تخطّيت الناس، فقد غلط و قال المبرد: خطّأه و خطاه بمعنى، عند أبى عبيدة و الفراء و الكسائى، إلّا ان (الخطأ) بكسر الخاء أكثر فى القرآن (و الخطأ) بالفتح أفشى فى كلام الناس و لم يسمع الكثير فى شىء من أشعارهم الا فى بيت قاله الشاعر:

الخِطأ فاحشة و البرّ فاضلة كعجوة غرست فى الأرض تؤتبر «۳»

قال ابو عبيد: و فيه لغتان، خطئت و أخطأت، فمن قال: خطئت قال خطأ الرجل يخطأ خطأ، و خطاء، يكون الخطأ بفتح الخاء هو المصدر، و بكسرها الاسم. و من قال اخطأت كان الخطأ بالفتح و الكسر، جميعاً اسمين و المصدر الإخطاء.

و قال أبو على: قوله «فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ» فاعل يسرف يجوز أن يكون أحد شيئين:

أحدهما- أن يكون القاتل الأول، فيكون التقدير فلا يسرف القاتل فى القتل

---

(۱) قائله عبيد ابن الأبرص. ديوانه «دار بيروت» ۵۸ و روايته (إذا غوى خطب) و قد مر فى ۲: ۳۸۷

(۲) سورة ۶۹ الحاقة آية ۳۷

(۳) تفسير الطبرى ۱۵: ۵۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۴

و جاز أن يضمر، و إن لم يجر له ذكر، لأن الحال تدل عليه، و يكون تقديره بالإسراف جارياً مجرى قوله فى أكل مال اليتيم «وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا» «۱» و إن لم يجز أن تأكل منه لا على الاقتصاد و لا على غيره، لقوله «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً» «۲» فحظر أكل مال اليتيم حظراً عامّاً و على كل حال، فكذلك لا يمتنع أن يقال للقاتل الأول لا تسرف فى القتل، لأنه يكون بقتله مسرفاً، و يؤكد ذلك قوله «يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» «۳» فالقاتل داخل فى هذا الخطاب- بلا خلاف- مع جميع مرتكبى الكبائر، و يكون الضمير على هذا فى قوله «إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً» على قوله «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً» [و تقديره، فلا يسرف القاتل الأول بقتله فى القتل، لأن من قتل مظلوماً كان منصوراً] «۴» بأن يقتص له وليّه أو السلطان إن لم يكن له ولىّ غيره، فيكون هذا ردعاً للقاتل عن القتل، كما أن قوله «وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ» «۵» كذلك، فالولى إذا اقتص، فإنما يقتص للمقتول، و منه انتقل إلى الولى بدلالة أن المقتول يبرئ من السبب المؤدى إلى القتل، و لم يكن للولى أن يقتص، و لو صالح الولى من العمد- على مال كان- للمقتول أن يؤديه منه ديناً عليه أن يقتص منه دون المقتول، و لا يمتنع أن يقال فى المقتول منصور، لأنه قد جاء قوله «وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا».

و الآخر- أن يكون فى يسرف ضمير الولى، و تقديره فلا يسرف الولى فى القتل، و إسرافه فيه أن يقتل غير من قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه، لان مشركى العرب كانوا يفعلون ذلك، و التقدير فلا يسرف فى القتل ان الولى كان منصوراً بقتل قاتل وليّه. و الاقتصاص منه.

و من قرا بالتاء احتمل ايضاً وجهين:

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۵

(۲) سورة النساء آية ۹

(۳) سورة ۳۹ الزمر آية ۵۳

(۴) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(۵) سورة البقرة آية ۱۷۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۵

أحدهما- ان يكون المستثنى القاتل ظلماً، فقيل له لا تسرف ايها الإنسان فقتل ظلماً من ليس لك قتله، إذ من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له.

و الآخر- ان يكون الخطاب للولى، و التقدير لا تسرف فى القتل ايها الولى فتتعدى قاتل وليّك الى من لم يقتله، لان المقتول ظلماً كان منصوراً، و كل واحد من المقتول ظلماً و من وليّ المقتول قد تقدم فى قوله «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً» الآية.

و قوله «و لا تقتلوا» يحتمل موضعه شيئين من الاعراب:

أحدهما- ان يكون نصباً ب «قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ... وَ لا تَقْتُلُوا» و يحتمل ان يكون جزماً على النهى، فيكون اللَّه تعالى نهى الخلق عن قتل أولادهم خشية الاملاق.

و (الاملاق) الفقر، و هو قول ابن عباس، و قتادة، و مجاهد، و انما نهاهم عن ذلك لأنهم كانوا يئدون البنات بدفنهم احياء فنهاهم اللَّه عن ذلك.

و قوله «نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ» إخبار منه تعالى انه الذى يرزق الأولاد و الآباء فلا ينبغى قتلهم خوف الفقر، و اخبر ان قتلهم فى الجاهلية «كانَ خِطْأً كَبِيراً» و هو الآن خطأ و إثم كبير، ثم قال «وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى و معناه لا تزنوا، و الزنا هو وطؤ المراة حراماً بلا عقد و لا شبهة عقد مختاراً، ثم اخبر ان الزنا فاحشة اى معصية كبيرة «و ساء سبيلا» اى بئس الطريق ذلك. و فى الناس من قال:

الزنا قبيح بالعقل لما فى ذلك من إبطال حق الولد على الوالد، و فساد الأنساب.

و قوله «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ» نهى من اللَّه تعالى عن قتل النفوس المحرم قتلها، و استثنى من ذلك من يجب عليه القتل إمّا لكفره، أو ردّته، او قتله قصاصاً، فان قتله كذلك حق، و ليس بظلم، و قد فسرنا تمام الآية.

و السلطان الذى جعله اللَّه للولى، قال ابن عباس، و الضحاك: هو القَود أو الدّية او العفو. و قال قتادة الهاء فى قوله «إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً» عائدة على الولى. و قال مجاهد عائدة على المقتول. و نصرة اللَّه له بذلك حكمه له بذلك. و قيل نصرة النبى و المؤمنين، ان يعينوه. و قيل الولى هم الوارث من الرجال من الأولاد الذكور و من الأقارب من كان من قبل الأب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۶

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۳۴ الى ۳۶] ..... ص : ۴۷۶

وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً (۳۴) وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَ زِنُوا

بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (۳۵) وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا (۳۶)

ثلاث آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر عن عاصم «بالقسطاس» بكسر القاف. الباقون بالضم، و هما لغتان. و قال الزجاج: القسطاس هو الميزان صغر او كبر. و قال الحسن: هو القبان. و قال مجاهد: هو العدل بالرومية و هو القرصطون. و قال قوم: هو الشاهين. و قرأ ابو بكر عن عاصم «بالقصطاس» بالصاد قلبت السين صاداً مثل (صراط، و سراط) لقرب مخرجهما.

فى الآية الاولى نهى من اللّه تعالى لجميع المكلفين ان يقربوا مال اليتيم إلّا بالتى هى احسن، و هو ان يحفظوا عليه و يثمروه او ينفقوا عليه بالمعروف على ما لا يشك انه أصلح له، فأمّا لغير ذلك، فلا يجوز لاحد التصرف فيه. و انما خصّ اليتيم بذلك و ان كان التصرف فى مال البالغ بغير اذنه لا يجوز ايضاً، لان اليتيم الى ذلك أحوج و الطمع فى مثله اكثر.

و قوله «حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ» قال قوم: حتى يبلغ ثمانية عشرة سنة. و قال آخرون:

حتى يبلغ الحلم. و قال آخرون- و هو الصحيح- حتى يبلغ كمال العقل و يؤنس منه الرشد.

و قوله «وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ» امر من اللّه تعالى بالوفاء بالعهود، و هو العقد الذى يقدم للتوثق من الامر، و متى عقد عاقد على ما لا يجوز، فعليه نقض ذلك العقد التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۷

الفاسد و التبرُّؤ منه. و انما يجب الوفاء بالعقد الذى يحسن. و قيل المعنى فى الآية أوفوا بالعهد فى الوصية بمال اليتيم و غيرها. و قيل كل ما امر اللّه به و نهى عنه، فهو من العهد، و قد يجب الشىء للنذر، و للعهد، و الوعد به، و ان لم يجب ابتداء، و انما يجب عند العقد.

و قوله «إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه كان مسؤلًا عنه للجزاء عليه، فحذف (عنه) لأنه مفهوم.

و الثانى- كأن العهد يسأل فيقال له: لم نقضت؟ كما تسأل الموؤدة بأى ذنب قتلت. ثم أمرهم ان يوفوهم الكيل إذا كالوهم، و لا يبخسوهم و لا ينقصوهم، و ان يوفوا، بالميزان المستقيم الذى لا غبن فيه، فإن ذلك خير و احسن تأويلا، اى احسن عاقبة، و هو ما يرجع اليه أمره. ثم نهى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم ان يقفو ما ليس له به علم، و هو متوجه الى جميع المكلفين، و معناه لا تقل: سمعت، و لم تسمع، و لا رأيت و لا علمت، و لم تر، و لم تعلم- فى قول قتادة- و اصل القفو اتباع الأثر، و منه القيافة، و كأنه يتبع قفا الأثر المتقدم قال الشاعر:

و مثل الدّمى سم العرانين ساكن بهنّ الحيا لا يشعن التقافيا «۱»

أى التقاذف. و قال أبو عبيد و المبرد: القفو العضيهة، «و لا تقف»- بضم القاف و سكون الفاء- من قاف يقوف، و يكون من المقلوب مثل جذب و جبذ.

«و مسؤولًا» نصب على أنه خبر كان.

و استدل بهذه الآية، على أنه لا يجوز العمل بالقياس و لا بخبر الواحد، لأنهما لا يوجبان العلم، و قد نهى اللّه تعالى أن يتبع الإنسان ما لا يعلمه. و قوله «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا» أى يسأل عما يفعل بهذه الجوارح من الاستماع لما لا يحل، و الإبصار لما لا يجوز. و الارادة لما يقبح. و إنما قال «كل أولئك» و لم يقل كل ذلك، لأن أولئك و هؤلاء للجمع القليل من المذكر و المؤنث فإذا أراد الكثير جاء بالتأنيث. فقال: هذه و تلك، قال الشاعر:

---

(۱) قائله النابغة الجعدى. شواهد الكشاف ۳۲۷ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۵۸ و مجاز القرآن ۱/ ۳۷۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۸

ذم المنازل بعد منزلة اللّوى و العيش بعد أولئك الأيام «۱»

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۳۷ الى ۳۹] ..... ص : ۴۷۸

وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً (۳۷) كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً (۳۸) ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً (۳۹)

ثلاث آيات.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع «سىء» منوناً غير مضاف. الباقون على الاضافة فمن قرأ على الاضافة قال: لأنه قد تقدم ذكر حسن و سيء في قوله «وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» فخصّ من ذلك السىء بأنه مكروه عند اللَّه، لأنه تعالى لا يكره الحسن، و قوّوا ذلك بقراءة أُبى «كان سيئاته» بالجمع مضافاً. و قال آخرون إنما أراد بذلك المنهى عنه فقط، و قالوا: ليس فيما نهى اللَّه تعالى عنه حسن بل جميعه مكروه، «و كل» و إن كان لفظه لفظ الواحد فمعناه معنى الجميع، فلذلك قال كان بلفظ الواحد. و مثله قوله «وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ» «۲» و قال «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً» «۳» و (مكروها) على هذه القراءة نصب على الحال من الضمير فى «عند ربك» أو يكون بدلًا من قوله «سيئه».

و فى ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة من أنّ اللَّه تعالى يريد المعاصى، لان هذه الآية صريحة بأن السىء من الافعال مكروه عند اللَّه.

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۰/ ۲۶۰ و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) ۳/ ۲۱۹ و روح المعانى ۱۵: ۷۴

(۲) سورة ۲۷ النمل آية ۸۷ [.....]

(۳) سورة ۱۹ مريم آية ۹۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۷۹

و قوله «وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً» نهى للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم و المراد به الأمّة أن يمشوا فى الأرض مرحين.

و قيل فى معنى المرح أربعة أقوال: أولها- انه البطر و الأشر. و الثانى- التبختر فى المشى و التكبر. الثالث- تجاوز الإنسان قدره مستخفاً بالواجب عليه و الرابع- شدة الفرح بالباطل.

و قوله «إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ» مثل ضربه اللَّه بأنك يا إنسان لن تخرق الأرض من تحت قدمك بكبرك «وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ» بتطاولك. و المعنى انك لن تبلغ بما تريد كثير مبلغ، كما لا يمكنك ان تبلغ هذا، فما وجه المكابرة على ما هذه سبيله مع زجر الحكمة عنه. و أصل الخرق القطع، خرّق الثوب تخريقا أى قطعة و رجل خرق أى يقطع الأمور التى لا ينبغى ان يقطعها. و الخرق الفلاة، لانقطاع أطرافها بتباعدها قال رؤبة:

و قائم الاعماق خاو المخترق مشتبه الاعلام لماع الخفق «۱»

أى خاو المنقطع، و المرح شدة الفرح، مرح يمرح مرحاً، فهو مرح. و قال قتادة: مرحاً خيلاء و كبراً. و قوله «ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ» أى ذلك الذى ذكرناه و قصصناه من جملة ما اوحى اليك يا محمد ربك من الحكمة أى الدلائل التى تؤدى إلى المعرفة بالحسن و القبيح، و الفرق بينهما، و الواجب مما لا يجب، و ذلك كله مبين فى القرآن، فهو الحكمة البالغة. ثم نهاه ان يتخذ مع اللَّه معبوداً آخر يشركه فى العبادة مع اللَّه، فإنك متى فعلت ذلك ألقيت فى «جهنم ملوما» أى مذموماً «مدحورا» مطروداً- فى قول ابن عباس.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴۰ الى ۴۲] ..... ص : ۴۷۹

أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً (۴۰) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ ما يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً (۴۱) قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (۴۲)

---

(۱) ديوانه ۱۰۸ و قد مر قسم من هذا الرجز فى ۱: ۲۹۶ و فى ۴: ۲۹۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۰

ثلاث آيات بلا خلاف.

الألف فى «أ فأصفاكم» ألف استفهام، و المراد بها الإنكار لأنه لا جواب لمن سئل إلا بما فيه أعظم الفضيحة، و فى ذلك تعليم سؤال المخالفين للحق، و هذا خطاب لمن جعل للَّه بنات، و قال الملائكة بنات اللَّه، فقال اللَّه تعالى لهم:

أ أخلص لكم البنين و اختار لكم صفوة الشيء دونه؟ و جعل البنات مشتركة بينكم و بينه، فاختصكم بالأرفع و جعل لنفسه الا دون؟!!

ثم أخبر أنهم يقولون فى ذلك «قولا عظيما» أى عظيم الوبال و الوزر.

و قوله «لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا» و قرأ حمزة و الكسائى فى جميع القرآن خفيفاً، من ذكر يذكر. و الباقون بالتشديد فى جميع القرآن بمعنى ليتذكروا، فأدغموا التاء فى الذال. و فى ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه أراد التصريف فى القرآن، ليذكر المشركون ما يردهم إلى الحق، و هذا مما علقت الارادة الفعل فيه بالمعنى من التذكر. و لولاها لم يتعلق. ثم اخبر انه و ان أراد منهم الإيمان و الهداية بتصريف القرآن لا يزدادون هم إلا نفورا عنه.

فان قيل كيف يجوز أن يفعل تعالى ما يزدادون عنده الكفر؟ و هل ذلك الا استفساد و منع اللطف؟! قلنا: ليس فى ذلك منع اللطف، بل فيه إظهار الدلائل، مما لا يصح التكليف إلّا معه و لو لم تظهر الدلائل، لازدادوا فسادا بأعظم من هذا الفساد، و فى إظهار الدلائل صلاح حاصل لمن نظر فيها و أحسن التدبر لها. و إنما جاز أن يزدادوا بما يؤنس من الدلائل نفوراً، باعتقادهم أنها حيل و شبه، فنفروا منها أشد النفور لهذا الاعتقاد الفاسد، و منعهم ذلك من التدبر لها و ادراك منزلتها فى عظم الفائدة، و جلالة المنزلة. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۱

ثم قال لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «قل» يا محمد لهؤلاء المشركين «لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ» أخرى كما يزعمون «لابتغوا» ما يقربهم اليه لعلوّه عليهم و عظمته عندهم- فى قول قتادة و الزجاج- و قال الحسن و الجبائى: لا تبغوا سبيلا إلى مغالبته و مضادّته، كما قال «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» «۱».

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴۳ الى ۴۵] ..... ص : ۴۸۱

سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً (۴۳) تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (۴۴) وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً (۴۵)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أهل العراق إلا أبا بكر «تسبح» بالتاء. و قرأ ابن كثير و حفص «عمّا يقولون» بالياء. و قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر «عما تقولون» بالتاء.

قال ابو على: فمن قرأ «عما يقولون» بالياء فالمعنى على ما يقول المشركون. و من قرأ بالتاء يحتمل شيئين:

أحدهما- أن يعطف على قوله «كما تقولون» كما عطف قوله «يحشرون» على «ستغلبون».

و الثانى- ان يكون نزه نفسه عن دعواهم، فقال «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَقُولُونَ». و قرأ عاصم و نافع و ابن عامر و ابن عباس: بالياء عطف

على ما تقدم. و قوله «عما يقولون»

---

(۱) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۲

على أنه نزه نفسه عن قولهم أو على معنى قل لهم سبحانه عما يقولون فأمّا قوله «يسبح» بالياء و التاء، فحسنان. و قد بينا فى غير موضع معناه، و يقوّى التأنيث قراءة عبد اللّه فسبحت له السموات.

لما اخبر اللّه تعالى أنه «لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ» سواه على ما يدعيه المشركون «لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا» و نزه نفسه عن ذلك، فقال «سبحانه» و يحتمل أن يكون أمر نبيه أن يقول «سبحانه» أى تنزيهاً له تعالى «عَمَّا يَقُولُونَ» أى عن قولهم، و يجوز ان يكون المراد عن الذى يقولونه من الأقوال الشنيعة فيه بأن معه آلهة «عُلُوًّا كَبِيراً» و إنما لم يقل تعاليا، لأنه وضع مصدراً مكان مصدر نحو «وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» «۱» و معنى «تعالى» اى صفاته فى أعلى المراتب، فانه لا مساوى له فيها، لأنه قادر، و لا أحد أقدر منه، و عالم لا أحد أعلم منه، و لا مساوى له فى ذلك.

ثم أخبر أنه «تُسَبِّحُ لَهُ» اى ينزهه عن ذلك «السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» يعنى فى السموات و الأرض من العقلاء، و تنزيه السموات و الأرض هو ما فيهما من الدلالة على توحيده و عدله، و أنه لا يشركه فى الإلهية سواه. و جرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ، و تسبيح العقلاء يحتمل ذلك: تسبيحهم باللفظ، غير أن ذلك يختص بالموحدين منهم دون المشركين.

و قوله «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» اى ليس شىء من الموجودات إلا يسبح بحمد اللّه، يعنى كل شىء يسبح بحمده، من جهة خلقته، او معنى صفته إذ كل موجود سوى القديم تعالى حادث، يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع، صنعه أو صنع من صنعه، فهو يدعو إلى تثبيت قديم غنى بنفسه عن كل شىء سواه، لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، و ما عداه الحادث يدل على تعظيمه بمعنى حدثه من معدوم لا يصح الا به، لدخوله فى مقدوره او مقدور

---

(۱) سورة ۷۳ المزمل آية ۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۳

مقدوره و مما سبحه من يسبح بحمده من جهته، معنى صفة فى قوله، فهو على العموم فى كل شىء.

و قال بعضهم: سل الأرض من شقّ أنهارك؟ و غرس أشجارك؟ و جنى ثمارك؟ فان لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً.

و قال الحسن: المعنى و إن من شىء من الأحياء إلا يسبح بحمده. و قال على ابن ابراهيم و غيره من اهل العلم: كل شىء على العموم يسبح بحمده حتى صرير الباب.

و قوله «وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» اى لستم تفقهون تسبيح هذه الأشياء، من حيث لم تنظروا فيها، فتعلموا كيفية دلالتها على توحيده.

و قوله «إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً» اى كان حليماً حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على كفركم، و أمهلكم إلى يوم القيامة، و ستره عليكم، لأنه ستّار على عباده، غفور لهم إذ تابوا و أنابوا اليه و قوله «وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» خطاب لنبيه محمد صلّى اللّه عليه و سلم انه متى قرأ القرآن «جَعَلْنا بَيْنَكَ» يا محمد «و بين» المشركين «حِجاباً مَسْتُوراً» اى كأن بينك و بينهم حجاباً من أن يدركوا ما فيه من الحكمة و ينتفعوا به.

و قيل: «مستوراً» عن أبصار الناس. و قيل «مستوراً»- هاهنا- بمعنى ساتراً عن إدراكه، كما يقال: مشؤوم عليهم أو ميمون فى موضع شائم و يأمن، لأنه من شؤمهم و يمنهم.

و الأول أظهر و قيل قوله «جعلنا بينك» و بينهم «حِجاباً مَسْتُوراً» نزل فى قوم كانوا يأذونه باللسان إذا تلا القرآن، فحال اللّه بينهم و بينه حتى لا يؤذوه.

و الأول- قول قتادة: و الثاني- قول ابو علی، و الزجاج. و قال الحسن: معناه إن منزلتهم فيما أعرضوا عنه منزلة من بينك و بينه حجاب.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴۶ الى ۴۸] ..... ص : ۴۸۳

وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (۴۶) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً (۴۷) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (۴۸)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۴

ثلاث آيات.

معنی قوله «وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» أی حكمنا بأنهم بهذه المنزلة ذمّاً لهم على الامتناع من تفهم الحق، و الاستماع اليه، لتأمل معانيه، مع الإعراض عنه عداوة له و نفوراً منه. و قال الجبائی: إنه تعالى منعهم من ذلك و حال بينهم و بينه في وقت مخصوص، لئلا يؤذوا النبی صلّى اللَّه عليه و سلم و إنما قال «و جعلنا» و لم يقل و جعلناهم «عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» لأنه ابلغ فی الذّم مع قيام الدليل من جهة التكليف أنه ليس على جهة المنع، و انما لم يجز المنع و الحيلولة بينهم و بين ان يفقهوه، لأن ذلك تكليف ما لا يطاق، و ذلك قبيح لا يجوز ان يفعله اللَّه تعالى، على انه لا يصح ان يريد تعالى ما يستحيل حدوثه، و إنما يصح ان يراد ما يصح ان يحدث او يتوهم ذلك منه، لأن استحالته صارفة عن ان يراد، و لا داع يصح أن يدعو إلى ارادته، و تجری استحالة ذلك مجری استحالة ان يريد كون الشیء موجوداً معدوماً فی حال واحده.

(و الأكنة) جمع كنان، و هو ما ستر. و قوله «وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً» أی و جعلنا فی آذانهم و قراً. (و الوقر)- بفتح الواو- الثقل فی الأذن، و بالكسر الحمل. و الأصل فيه الثقل إلا انه خولف بين البنائين للفرق.

و قوله «وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ» يعنی إذا ذكرته بالتوحيد و انه لا شريك له فی الإلهية «و لوا» عنك و لم يسمعوه «عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً» نافرين عنك. و قال بعضهم: إذا سمعوا بسم اللَّه الرحمن الرحيم ولّوا.

ثم اخبر تعالى عن نفسه انه «اعلم» من غيره «بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ» فی حال ما «يستمعون اليك» ای يصغون إلى سماع قراءتك و يعلم أی شیء غرضهم فيه التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۵

و قوله: «وَ إِذْ هُمْ نَجْوى معناه إذ يتناجون بأن يرفع كل واحد سره الى الآخر، و وصفوا بالمصدر، لأن نجوى مصدر، و نجواهم زعمهم انه مجنون، و انه ساحر و انه اتی بأساطير الأولين- فی قوله قتادة- و كان من جملتهم الوليد بن المغيرة.

و قوله «إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» قيل فی معناه قولان:

أحدهما- إنكم ليس تتبعون إلا رجلا قد سحر، فاختلط عليه أمره، يقولون ذلك للتنفير عنه، كما يقال: سحر فلان، فهو مسحور إذ اختلط عقله. و قيل «مسحوراً» أی مصروفاً عن الحق، يقال: ما سحرك عن كذا؟ أی ما صرفك.

الثاني- ان له سحراً أی رئة، لا يستغنی عن الطعام و الشراب، فهو مثلكم.

و العرب تقول للجبان: انتفخ سحره قال لبيد:

فان تسلينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر «۱»

و قال آخر:

و نسحر بالطعام و بالشراب «۲»

و قيل: إن «نفوراً» جمع نافر، كقاعد و قعود، و شاهد و شهود، و جالس و جلوس. و قيل: مسحور معناه مخدوع. و معنی الآية البيان عما يوجبه حال الجاحد للحق المعادی لأهله و ذمه بأن قلبه كأنه فی أكنَّة عن تفهمه، و كأن فی أذنيه و قراً عن استماعه فهو مولٍ على

دبره، نافر عنه بجهله يناجى بالانحراف عنه جهالًا مثله، قد تعبوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى أنه مسحور، لما لم يكن إلى مقاومة ما أتى به سبيل، و لا على كسره دليل.

---

(۱) ديوانه ۱/ ۸۰ و تفسير القرطبى ۱۰/ ۲۷۲ و مجاز القرآن ۱/ ۳۸۱ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۶۳ و اللسان (سحر) و روح المعانى ۱۵: ۹۰ و قد مر فى ۱: ۳۷۲

(۲) قائله امرؤ القيس. ديوانه (الطبعة الرابعة) ۶۳ القصيدة ۳ و هو مطلعها. و تفسير القرطبى ۱۰: ۲۷۳ و مجاز القرآن ۱: ۳۸۲ و اللسان (سحر) و تفسير الشوكانى ۳: ۲۲۳ و تفسير روح المعانى ۱۵: ۹۰ و غيرها، و قد مر فى ۱: ۳۷۲، ۵: ۲۶۸ من هذا الكتاب، و صده:

أرانا موضعين لأمر غيب

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۶

و قوله «انظر» أمر للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم بأن ينظر «كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ» أى كيف ضرب هؤلاء المشركون له المثل بالمسحور و غير ذلك، فجاروا بذلك عن طريق الحق، فلا يسهل عليهم و لا يخف الرجوع اليه و لا اتباع سبيل الدين، و يحتمل أن يكون المعنى إنهم لا يقدرون على تكذيبك، و إن ما ذكروه فيك من قولهم مسحور و كذاب صرفهم و لا يستطيعون على ذلك.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۴۹ الى ۵۱] ..... ص : ۴۸۶

وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (۴۹) قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (۵۰) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً (۵۱)

ثلاث آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين أنكروا البعث، و النشور، و الثواب و العقاب: أنهم يقولون «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً» أى إذا متنا و انتثرت لحومنا و بقينا «عِظاماً وَ رُفاتاً» قال مجاهد: الرفات التراب. و به قال الفراء و قال: لا واحد له من لفظه، و هو بمنزلة الدقاق، و الحطام، قال المبرد: كل شيء مدقوق مبالغ فى دقه حتى انسحق، فهو رفات، يقال: رفت رفتاً، فهو مرفوت إذا صيّر كالحطام.

و (إذا) فى موضع نصب بفعل يدل عليه «لمبعوثون» و تقديره أ نبعث «إِذا كُنَّا عِظاماً. وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً» و صورته صورة الاستفهام و إنما هم منكرون لذلك متعجبون منه و كل ما تحطم و ترضض يجيء أكثره على (فعال) مثل (حطام، و رضاض و دقاق و غبار و تراب) و الخلق الجديد: هو المجدد أى يبعثهم اللَّه أحياء بعد أن كانوا أمواتاً، أنكروا ذلك و تعجبوا منه، فقال اللَّه لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «قل» لهم «كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً» أى لو كنتم حجارة أو حديداً التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۷

بعد موتكم لأحياكم و حشركم و لم تفوتوا اللَّه، إلّا أنه خرج مخرج الأمر، لأنه أبلغ فى الإلزام، كأن أكثر ما يكون منهم مطلوب حتى يروا أنه هين حقير «أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» فقيل فى معناه ثلاثة أقوال:

قال مجاهد: السموات و الأرض و الجبال. و قال قتادة: أىُّ شيء استعظموه من الخلق. و قال ابن عباس. و سعيد بن جبير و الفراء: انه الموت. قال الفراء قالوا للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم أ رأيت لو كنا الموت من كان يميتنا؟ فأنزل اللَّه «أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» يعنى الموت نفسه اى ليبعث اللَّه عليكم من يميتكم ثم يحييكم.

«فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا» اخبار منه حكاية عن هؤلاء الكفار انهم يقولون من يعيدنا احياء؟ فقال اللَّه لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» اى الذى خلقكم ابتداء يقدر على إعادتكم، لأن ابتداء الشيء أصعب من إعادته، كما قال «وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» «۱» و قال لما قالوا «مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» «۲» و إنما قال لهم ذلك، لأنهم كانوا يقرون بالنشأة الأولى.

و قوله «فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ» معناه انهم إذا سمعوا لهذا حركوا رؤوسهم مستبعدين لذلك. و قال ابن عباس يحركون رؤوسهم مستهزئين، يقال:

انغضت رأسى انغضه انغاضاً، و نغض برأسه ينغض نغضاً إذا حركه و النغض تحريك الراس بارتفاع و انخفاض. و منه قيل للظليم نغض، لأنه يحرك رأسه فى مشيه بارتفاع و انخفاض قال العجاج:

أصك نغضاً لا ينى مستهدجا «۳»

و نغضت سنه إذا تحركت من أصلها قال الراجز:

و نغضت من هرم أسنانها «۴»

(۱) سورة ۳۰ الروم آية ۲۷

(۲) سورة ۳۶ يس آية ۷۹

(۳) تفسير الطبرى ۱۵: ۶۵ و تفسير الشوكانى ۳: ۲۲۶

(۴) تفسير الطبرى ۱۵/ ۶۵ و تفسير الشوكانى ۳: ۲۲۶ و تفسير القرطبى ۱۰: ۲۷۴ و مجاز القرآن ۱: ۳۸۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۸

و قال آخر:

لما رأتنى أنغضت لى الرأسا «۱»

«و يقولون» هؤلاء الكفار «متى هو» يعنون بعثهم و إعادتهم أحياء فقال اللَّه تعالى «قل» لهم يا محمد «عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً» و عسى من اللَّه واجبة، و كل ما هو آت قريب، و من كلام الحسن انه قال: كأنك بالدنيا لم تكن و كأنك بالآخرة لم تزل.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۵۲ الى ۵۴] ..... ص : ۴۸۸

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً (۵۲) وَ قُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً (۵۳) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَ ما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (۵۴)

ثلاث آيات بلا خلاف.

«يوم» يتعلق بقوله «قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ» بعثكم ايها المشركون «قَرِيباً يَوْمَ يَدْعُوكُمْ» و قيل فى معنى قوله «يوم يدعوكم» قولان:

أحدهما- انهم ينادون بالخروج إلى ارض المحشر بكلام تسمعه جميع العباد، و ذلك يكون بعد ان يحييهم اللَّه، لأنه لا يحسن ان ينادى المعدوم و لا الجماد.

الثانى- انهم يسمعون صيحة عظيمة، فتكون تلك داعية لهم إلى الاجتماع إلى ارض القيامة، و يجوز أن يكون ذلك عبارة عن البعث و يكون اجرى صرخة ثانية

(۱) مجاز القرآن ۱: ۳۸۲ و تفسير الطبرى ۱: ۶۵۵ و الشوكانى ۳: ۲۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۸۹

بسرعة فأجرى مجرى، دعى فأجاب فى الحال «فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- تستجيبون حامدين، كما يقول القائل: جاء فلان بغضبه اى جاء غضبان.

الثانى- تستجيبون على ما يقتضيه الحمد للَّه (عز و جل)، و قيل: معناه يستجيبون معترفين بأن الحمد للَّه على نعمه، لا ينكرونه، لأن

معارفهم هناك ضرورة قال الشاعر:

فإنى بحمد اللّه لا ثوب فاجر لبست و لا من غدرة أتقنع «۱»

و الاستجابة موافقة الداعى فيما دعا اليه بفعله من اجل دعائه، و هى و الإجابة واحدة إلا ان الاستجابة تقتضى طلب الموافقة بالإرادة بأوكد من الإجابة.

و قوله «وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انهم لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث.

الثانى- انه يراد بذلك تقريب الوقت، كما حكى عن الحسن انه قال: كأنك بالدنيا لم تكن، و بالآخرة لم تزل. و قال قتادة: المعنى احتقاراً من الدنيا حين عاينوا يوم القيامة. و قال الحسن ان «لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» فى الدنيا لطول لبثكم فى الآخرة.

و قوله «وَ قُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» قال الحسن: معناه «قل» يا محمد «لعبادى» يأمروا بما امر اللّه به، و ينهوا عما نهى عنه. و قال الحسن: معناه قل لعبادى يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال، مثل رحمك اللّه و يغفر اللّه لك. ثم أخبر تعالى فقال «إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ» اى يفسد بينهم و يلقى بينهم العداوة و البغضاء و قال «إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ» فى جميع الأوقات عدواً مبايناً «للإنسان» آدم و ذريته.

و قوله «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ» معناه التحذير لعباده من إضمار القبيح، و الترغيب

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۰: ۲۶۶ و تفسير الشوكانى ۳: ۲۲۶ و تفسير روح المعانى ۱۵: ۹۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۰

فى الجميل، لأنه عالم به يقدر أن يجازى على كل واحد منه بما هو حقه «إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ» بالتوبة «أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ» بالاقامة على المعصية.

و قوله «وَ ما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا» معناه إنا ما وكّلناك بمنعهم من الكفر بل أرسلناك داعياً لهم إلى الايمان و زاجراً عن الكفر، فإن أجابوك، و إلّا، فلا شيء عليك و اللائمة و العقوبة يحلان بهم.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۵۵ الى ۵۷] ..... ص : ۴۹۰

وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (۵۵) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لا تَحْوِيلًا (۵۶) أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً (۵۷)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لنبيه «إن ربك» يا محمد «أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ» و انما قال ذلك ليدل على أن تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض وقع موقع الحكمة، لأنه من عالم بباطن الأمور، و إذا ذكر ما هو معلوم فإنما يذكره ليدل به على غيره و الأنبياء و ان كانوا فى أعلى مراتب الفضل، لهم طبقات بعضهم أعلى من بعض، و إن كانت المرتبة الوسطى لا تلحق العليا و لا يلحق مرتبة النبى من ليس بنبىّ أبداً. و قوله «وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً» اى خصصناه بالذكر، و فيه لغتان فتح الزاى، و ضمها. و الفتح أفصح. ثم قال لنبيه «قل» لهم «ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ» يعنى الذين زعمتم انهم أرباب و آلهة من دون اللّه ادعوهم إذا نزل بكم ضرر، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك ام لا. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۱

و قال ابن عباس و الحسن «الذين من دونه» الملائكة و المسيح و عزير. و قال ابن مسعود: أراد به ما كانوا يعبدون من الجن: و قد أسلم

أولئك النفر من الجن لان جماعة من العرب كانوا يعبدون الجن، فأسلم الجن و بقى الكفار على عبادتهم.

و قال أبو على: رجع الى ذكر الأنبياء فى الآية الاولى. و التقدير إن الأنبياء يدعون الى اللّه يطلبون بذلك الزلفة لديه و يتوسلون به اليه و الى رضوانه و ثوابه، أيُّهم كان أفضل عند اللّه، و أشد تقرباً اليه بالأعمال. ثم قال «فلا يملكون» يعنى الذين تدعون من دون اللّه «كشف الضر» و البلاء «عنكم» و لا تحويله الى سواكم.

ثم قال «أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ...» الاية قوله «أولئك» رفع بالابتداء و «الذين» صفة لهم و «يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ» خبر الابتداء. و المعنى الجماعة الذين يدعون يبتغون الى ربهم «أيهم» رفع بالابتداء و «اقرب» خبره. و المعنى يطلبون الوسيلة ينظرون أيهم اقرب فيتوسلون به، ذكره الزجاج. و قال قوم: الوسيلة هى القربة و الزلفة. و قال الزجاج: الوسيلة و السؤال و السؤل و الطلبة واحد، و المعنى إن هؤلاء المشركين يدعون هؤلاء الذين اعتقدوا فيهم انهم ارباب و يبتغى المدعوون أرباباً الى ربِّهم القربة و الزلفة لأنهم اهل إيمان به. و المشركون باللّه يعبدونهم من دون اللّه، أيهم اقرب عند اللّه بصالح اعماله و اجتهاده فى عبادته، فهم يرجون بأفعالهم رحمته و يخافون عذابه بخلافهم إياه «إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً» اى متقى.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۵۸ الى ۶۰] ..... ص : ۴۹۱

وَ إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (۵۸) وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً (۵۹) وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً (۶۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۲

ثلاث آيات.

اخبر اللّه تعالى انه ليس «مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا» و اللّه تعالى مهلكها «قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ».

بكفر من فيها من معاصيهم جزاء على أفعالهم القبيحة «أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً» و المعنى ان يكون إما الإهلاك و الاستئصال أو العذاب، و المراد بذلك قرى الكفر و الضلال دون قرى الإيمان. و قيل إن ذلك يكون فى آخر الزمان، فيهلك اللّه كل قرية بعقوبة بعض من فيها، و يكون امتحاناً للمؤمنين الذين فيها.

و قيل: ان المعنى ما من قرية إلا و اللّه مهلكها إما بالموت لأهلها او عذاب يستأصلهم ثم اخبر أن ذلك كائن لا محالة، و لا يكون خلافه، لان ذلك مسطور فى الكتاب يعنى فى اللوح المحفوظ، و المسطور هو المكتوب يقال: سطر سطراً، قال العجاج:

و اعلم بأن ذا الجلال قد قدر فى الصحف الاولى التى كان سطر (۱)

ثم قال «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ» يعنى الآيات التى اقترحتها قريش من قولهم: حول لنا الصفا ذهباً و فجر لنا من الأرض ينبوعا، و غير ذلك، فأنزل اللّه الآية إنى إن حولته، فلم يؤمنوا لم امهلهم كسنتى فيمن قبلهم، و هو قول قتادة و ابن جريج. و المنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه فكأنه قد منع منه، و لا يجوز إطلاق هذه الصفة فى صفات اللّه و الحقيقة إنا لم نرسل بالآيات لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذّب من قبلهم، فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة.

و قال قوم: يجوز أن يكون قوله تعالى «إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» تكون (إلا) زايدة، و تقديره ما منعنا ان نرسل بالآيات «أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» أى لم يمنعنا ذلك من إرسالها بل أرسلناها مع تكذيب الأولين. و معنى «ان كذب»

---

(۱) ديوان ۱۹ و مجاز القرآن ۱: ۳۸۳ و تفسير الطبرى ۱۵: ۹۹ و اللسان و التاج (نتر)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۳

هو التکذیب، کما تقول: أرید ان تقوم بمعنی أرید قیامک. و یحتمل ان یکون «إلا» بمعنی (الواو) کما قال «لِئَلَّا یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّةٌ، إِلَّا الَّذِینَ ظَلَمُوا» «۱» معناه و الذین ظلموا منهم، فلا حجة لهم علیهم. و یکون المعنی و ما منعنا أن نرسل بالآیات و إن کذب بها الأولون أی لسنا نمتنع من إرسالها، و إن کذبوا بها و (أن) الاولی فی موضع نصب بوقوع «منعنا» علیها. و (أن) الثانیة رفع و المعنی، و ما منعنا إرسال الآیات إلا تکذیب الأولین من الأمم، و الفعل ل (أن) الثانیة.

و قوله «وَ آتَیْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً» معناه مبصرة تبصر الناس بما فیها من العبر، و الهدی من الضلالة و الشقاء من السعادة، و یجوز أن یکون المراد انها ذات إبصار، حکی الزجاج: مبصرة بمعنی مبینة، و بالکسر معناه تبین لهم، قال الفراء: مَبصرة مثل مَجبنة و مَنحلة، و کل (مَفعلة) وضعته موضع (فاعل) أغنت عن الجمع و التأنیث، تقول العرب: هذا عشب ملبنة، مسمنة. و الولد مجبنة منحلة. و ان کان من الیاء و الواو، فاظهرهما، تقول سراب مبولة، و کلام مهینة للرجال قال عنترة:

و الکفر مخبثة لنفس المنعم «۲»

و معنی مبصرة مضیئة، قال اللَّه تعالی «وَ النَّهارَ مُبْصِراً» «۳» ای مضیئاً.

و قوله «فظلموا بها» یعنی بالناقة [لأنهم نحروها و عصوا اللَّه فی ذلک، لأنه نهاهم عن ذلک، فخالفوا و نحروها. و قیل: ظلموا بها] «۴» معناه ظلموا بتکذیبهم إیاها بأنها معجزة باهرة.

و قوله «وَ ما نُرْسِلُ بِالْآیاتِ إِلَّا تَخْوِیفاً» ای لم نبعث الآیات و نظهرها إلا

---

(۱) سورة البقرة آیة ۱۵۰ [.....]

(۲) من معلقته المشهورة دیوانه (دار بیروت) ۲۸ و صدره:

نبئت عمراً غیر شاکر نعمتی

(۳) سورة ۱۰ یونس آیة ۶۷ و سورة ۲۷ النمل آیة ۸۶ و سورة ۴۰ المؤمن (غافر) آیة ۶۱

(۴) ما بین القوسین ساقط من المطبوعة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۴۹۴

لتخویف العباد من عقوبة اللَّه و معاصیه.

و قوله «وَ إِذْ قُلْنا لَکَ» ای اذکر الوقت الذی قلنا لک یا محمد «إِنَّ رَبَّکَ أَحاطَ بِالنَّاسِ» ای أحاط علماً بأحوالهم، و ما یفعلونه من طاعة او معصیة، و ما یستحقونه علی ذلک من الثواب و العقاب، و قادر علی فعل ذلک بهم، فهم فی قبضته، لا یقدرون علی الخروج من مشیئته.

و قوله «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» قیل فی معنی ذلک قولان:

أحدهما- انه أراد رؤیة عین، لیلة الاسراء الی البیت المقدس، فلما اخبر المشرکین بما رأی کذبوا به، ذکره ابن عباس، و سعید بن جبیر، و الحسن، و قتادة، و ابراهیم، و ابن جریج، و ابن زید، و الضحاک، و مجاهد.

الثانی- فی روایة اخری عن ابن عباس: انه رؤیا نوم، و هی رؤیا انه سیدخل مکة، فلما صده المشرکون فی الحدیبیة شک قوم و دخلت علیهم الشبهة، فقالوا یا رسول اللَّه: أو لیس قد أخبرتنا انا ندخل المسجد؟ فقال: قلت لکم انکم تدخلونها السنة؟!. فقالوا: لا، فقال سندخلنها إن شاء اللَّه، فکان ذلک فتنة و امتحاناً و

روی عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه (ع) ان ذلک رؤیا رآها فی منامه أن قروداً تصعد منبره و تنزل، فساءه ذلک و روی مثل ذلک سهل بن سعد الساعدی عن أبیه ان رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه و سلم رأی ذلک. و مثله عن سعد بن بشار، «۱» فأنزل اللَّه علیه جبرائیل و أخبره ما یکون من تغلب أمر بنی أمیة علی مقامه و صعودهم منبره.

و قوله «وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» قال ابن عباس و الحسن و أبو مالك و سعيد بن جبير و ابراهيم و مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد: إنها شجرة الزقوم التى ذكرها اللّه فى قوله «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ» «۲» و المعنى ملعون آكلها، و كانت فتنتهم بها قول أبى جهل و ذويه النار تأكل الشجرة و تحرقها، فكيف ينبت فيها الشجر. و عن أبى جعفر ان الشجرة الملعونة هم بنو امية،

---

(۱) فى المخطوطة (سعيد بن يسار)

(۲) سورة ۴۴ الدخان آية ۴۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۵

و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد به الكفار. و قوله «و نخوفهم» أى نرهبهم بما نقصّ عليهم من هلاك من مضى بها، فما يزدادون عند ذلك «إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً» أى عتوّاً عظيماً و تمادياً و غيّاً.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۶۱ الى ۶۳] ..... ص : ۴۹۵

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (۶۱) قالَ أَ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (۶۲) قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً (۶۳)

ثلاث آيات.

يقول اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم و اذكر «إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» و قد بينا أنّ امر اللّه تعالى بأن اسجدوا لآدم تعظيم لآدم و تفضيله عليهم و إن كانت القربى «۱» بذلك السجود الى اللّه تعالى، و فى الناس من قال: انه كان بمنزلة القبلة لهم و إن كان فيه تشريف له.

ثم اخبر تعالى ان الملائكة امتثلت امر اللّه فسجدت له «إلا إبليس» فقد قلنا ان اخبارنا تدل على ان إبليس كان من جملة الملائكة، و انما كفر بامتناعه من السجود، و من قال ان الملائكة معصومون فان إبليس لم يكن من جملة الملائكة و الاستثناء فى الآية استثناء منقطع و (إلا) بمعنى (لكن) و انما ضمه الى الملائكة من حيث جمعهم فى الأمر، و التكليف بالسجود، فلذلك استثناه من جملتهم.

ثم اخبر تعالى عن إبليس أنه قال «أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» على وجه الإنكار

---

(۱) فى المخطوطة (و ان كان الغرض)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۶

لذلك، و أن من خلق من نار أشرف و أعظم، من الذى خلق من طين، و آدم إذا كان مخلوقاً من طين كيف يسجد له من هو مخلوق من نار، و هو إبليس، و ذلك يدل على ان إبليس فهم من ذلك الأمر تفضيله عليه، و لو كان بمنزلة القبلة لما كان لامتناعه عليه وجه، و لا لدخول الشبهة بذلك مجال.

و «طيناً» نصب على التمييز، و يجوز ان يكون نصباً على الحال. و المعنى إنك انشأته فى حال كونه من طين.

و وجه الشبهة الداخلة على إبليس ان الفروع ترجع الى الأصول فتكون على قدرها فى التكبر أو التصغر، فلما اعتقد أن النار أكرم أصلا من الطين جاء منه انه أكرم ممن خلق من طين، و ذهب عليه بجهله أن الجواهر كلها متماثلة، و ان اللّه تعالى يصرفها بالاعراض كيف شاء مع كرم جوهر الطين و كثرة ما فيه من المنافع التى تقارب منافع النار او توفى عليها.

و انما جاز ان يأمره بالسجود له، و لم يجز ان يأمره بالعبادة له، لأن السجود يترتب فى التعظيم بحسب ما يراد به، و ليس كذلك العبادة التى هى خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع، لأنه يترتب فى التعظيم بحسب نيته، يبين ذلك أنه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة فى

التعظيم على قياس غيره من أفعال الجوارح.

قال الرماني: الفرق بين السجود لآدم و السجود الى الكعبة، ان السجود لآدم تعظيم له بإحسانه، و هذا يقارب قولنا في أنه قصد بذلك تفضيله بأن أمره بالسجود له.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن المعنى ما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً محققين ظن إبليس فيهم مخالفين موجب نعمة ربهم على أمتهم و عليهم. ثم حكى تعالى عن إبليس أنه قال «أَ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ» و معناه اخبرنى عن هذا الذى كرّمته عليّ لم كرّمته علي؟ و قد خلقتني من نار و خلقته من طين! فحذف لدلالة الكلام عليه.

و إنما قال «أ أسجد» بلا حرف عطف، لأنه على قوله «أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» و الكاف في قوله «أ رأيتك» لا موضع لها من الاعراب، لأنها ذكرت فى التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۷

المخاطبة توكيداً، و (هذا) نصب ب (أ رأيتك)، و الجواب محذوف. و المعنى ما قدمناه.

و قوله «لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا»، و معنى لأحتنكن لاقطعنهم الى المعاصى، يقال منه: احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم او غير ذلك، قال الشاعر:

أشكو اليك سنة قد أجحفت جهداً إلى جهد بنا و أضعفت

و احتنكت أموالنا و جلفت «۱»

و قال ابن عباس: معنى «لأحتنكنّ» لأستولينّ، و قال مجاهد: لأحتوين، و قال ابن زيد: لأضلنهم، و قال قوم: لاستأصلن ذريته بالإغواء، و قال آخرون:

لأقودنهم إلى المعاصى، كما تقاد الدابّة بحنكها إذا شدّ فيها حبل تجرُّ به.

و قوله «الا قليلًا» استثناء من إبليس القليل من ذرية آدم الذين لا يتبعونه و لا يقبلون منه. فقال اللَّه تعالى عند ذلك «اذهب» يا إبليس «فَمَنْ تَبِعَكَ» من ذرية آدم و اقتفى أثرك و قبل منك «فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً» أى كاملًا، يقال منه: و فرته أفره و فراً، فهو موفور، و قال زهير:

و من يجعل المعروف من دون عرضه يفره و من لا يتق الشتم يشتم «۲»

و و فرّته توفيراً، و يقال: موفوراً بمعنى وافر، في قول مجاهد، كأنه ذو وفر، كقولهم: لابن أى ذو لبن، و قد دل على انهم لا ينقصون من عقابهم الذين يستحقونه شيئاً، و فى ذلك استخفاف به و هو ان له. و انما ظن إبليس هذا الظن الصادق، بأنه يغوى اكثر الخلق، لان اللَّه تعالى كان قد أخبر الملائكة أنه سيجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء، فكان قد علم بذلك. و قيل:

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۵: ۷۵

(۲) ديوانه (دار بيروت) ۸۷ و تفسير الشوكاني (الفتح القدير) ۳/ ۲۳۳ و تفسير روح المعانى ۱۵/ ۱۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۸

انما قال ذلك، لأنه وسوس الى آدم فلم يجد له عزماً، فقال: بنو هذا مثله فى ضعف العزيمة، ذكره الحسن. و هذا الوجه لا يصح على أصلنا، لان عندنا ان آدم لم يفعل قبيحاً، و لا ترك واجباً، فلو ظن إبليس ان أولاده مثله لانتقض غرضه، و لم يخبر بما قال.

و (لئن) حرف شرط، و لا يليه الا الماضى، و الشرط لا يكون الا بالمستقبل و العلة فى ذلك ان اللام فى (لئن) تأكيد يرتفع الفعل بعده و (ان) حرف شرط ينجزم الفعل بعده، فلما جمعوا بينهما، لم يجز ان يجزم فعل واحد و يرفع، فغير المستقبل الى الماضى، لان الماضى لا يبين فيه الاعراب، ذكر هذه العلة ابن خالويه.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۶۴ الى ۶۶] ..... ص : ۴۹۸

وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (۶۴) إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَ كَفى بِرَبِّكَ وَكِيلاً (۶۵) رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً (۶۶)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حفص وحده «و رجلك» بكسر الجيم. الباقون بتسكينها من سكّن أراد جمع (راجل) مثل صاحب و صحب، و راكب و ركب. و من كسر أراد قولهم: رجل يرجل، فهو راجل.

قوله: «وَ اسْتَفْزِزْ ... وَ أَجْلِبْ» صورته صورة الأمر و المراد به التهديد، و جرى التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۴۹۹

مجرى قوله «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «۱» و كما يقال للإنسان: اجهد جهدك، فسترى ما ينزل بك، و انما جاء التهديد بصيغة الامر، لأنه بمنزلة من امر باهانة نفسه، لان هذا الذى يعمله هو ان له و هو مأمور به. و معنى (استفزز) استزل، يقال:

استفزه و استزله بمعنى واحد، و تفزز الثوب إذ تمزق، و فزه تفززاً، و أصله القطع، فمعنى استفزه استزله بقطعه عن الصواب «مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ» فالاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل، و منه الطوع و الطاعة، و هو الانقياد للفعل.

و قيل فى الصوت الذى يستفزهم به قولان:

أحدهما- قال مجاهد: صوت الغناء و اللهو.

الثانى- قال ابن عباس: هو كل صوت يدعا به الى معصية اللَّه. و قيل: كل صوت دعى به الى الفساد، فهو من صوت الشيطان.

و قال: «وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ» فالاجتلاب السوق بجلبة من السائق. و فى المثل (إذا لم تغلب فاجلب) يقال: جلب يجلب جلباً و اجلب إجلاباً، و اجتلب اجتلاباً، و استجلب استجلاباً، و جلّب تجليباً مثل صوّت، و اصل الجلبة شدة الصوت، و به يقع السّوق.

و قوله: «بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: كل راكب او ماشٍ فى معصية اللَّه من الانس و الجن، فهو من خيل إبليس و رجله، و الرجل جمع راجل مثل تجر و تاجر، و ركب و راكب.

و قوله: «وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ» فمشاركته إياهم فى الأموال كسبها من وجوه محظورة او إنفاقها فى وجوه محظورة، كما فعلوا فى السائبة و البحيرة و الحام، و الإهلال به لغير اللَّه، و غير ذلك. و مشاركته فى الأولاد، قال مجاهد و الضحاك: فهم أولاد الزنا. و قال ابن عباس: الموؤدة. و قيل: من هوّدوا و نصّروا، فى قول الحسن و قتادة. و قال ابن عباس فى رواية: هو تسميتهم عبد

---

(۱) سورة ۱: حم السجدة (فصلت) آية ۴۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰۰

الحارث، و عبد شمس، و ما أشبه ذلك. و قيل: ذلك واحد من هذه الوجوه، و هو أعم.

و قوله: «وعدهم» اى منّهم البقاء و طول الأمل. ثم قال تعالى «وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ» أى ليس يعدهم الشيطان «الا غرورا» و نصب على انه مفعول له [اى ليس يعدهم الشيطان الا لأجل الغرور] «۱». ثم قال تعالى «ان عبادى» يعنى الذين يطيعونى و يقرّون بتوحيدى و يصدقون أنبيائى، و يعملون بما أوجبه عليهم، و ينتهون عن معاصىّ «ليس لك» يا إبليس «عليهم» حجة و لا سلطان. قال الجبائى: معناه ان عبادى ليس لك عليهم قدرة، على ضرّ و نفع اكثر من الوسوسة، و الدعاء الى الفساد، فأمّا على كفر أو ضرر، فلا، لأنه خلق ضعيف متخلخل، لا يقدر على الإضرار بغيره.

ثم قال «وَ كَفى بِرَبِّكَ» اى حسب ربك «وكيلا» اى حافظاً، و من يسند الامر اليه و يستعان به فى الأمور.

ثم خاطب تعالى خلقه فقال: «رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ» هو الذى «يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ» قال ابن عباس: معناه يجريها، و به قال قتادة،

و ابن زيد يقال: أزجى يزجى ازجاء إذا ساق الشـىء حالًا بعد حال «لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» اى لتطلبوا فضل اللّه فى ركوب البحر من الأرياح و غيرها «إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» اى منعماً عليكم راحم لكم، يسهل لكم طرق ما تنتفعون بسلوكه ديناً و دنيا.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٦٧ الى ٦٩] ..... ص : ٥٠٠

وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً (٦٧) أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً (٦٩)

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰۱

ثلاث آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو «أن نخسف ... او نرسل ... أن نعيدكم ... فنرسل» بالنون فيهن. الباقون بالياء. الا أبا جعفر، و ورش، فإنهما قرأ ا «فتغرقكم» بالتاء يردَّ انه الى الريح. و من قرأ بالنون أراد الاخبار من اللّه عن نفسه. و من قرأ بالياء أراد أن محمداً اخبر عن اللّه، و المعنيان متقاربان. و قال ابو على: من قرأ بالياء فلانه تقدم «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ ... أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ» و من قرأ بالنون، فلان مثله قد ينقطع بعضه عن بعض. و المعنى واحد، يقول اللّه تعالى لخلقه: انه إذا نالكم الضر، و أنتم ركاب البحر بان أشرفتم على الهلاك و خبّ بكم البحر و ماجت الأمواج «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ» اى يكون بمنزلة من يضل عنكم، و لا ينجيكم من أهواله الا اللّه تعالى. و انما خص البحر بذكر النجاة، لان له اهوالًا هيجانية و خبة، لا يطمع عاقل فى ان ينجيه احد منه الا الذى خلق النفس و أنعم بما وهب من العقل و السمع و البصر. و قال: إذا دعوتموه فى تلك الحال، و نجاكم، و خلصكم، و أخرجكم منه الى البر أعرضتم عن ذكر اللّه، و الاعتراف بنعمه.

ثم قال تعالى: «وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً» لنعم اللّه تعالى، ثم قال مهدداً لهم:

«أ فأمنتم» اى هل أمنتم إذا ضربتم فى البرّ «أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ» جانبه و يقلب أسفله أعلاه فتهلكون عند ذلك، كما خسفنا بمن كان قبلكم من الكفار نحو قوم لوط و قوم فرعون «أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً» بمعنى حجارة تحصبون بها او ترمون بها.

و الحصباء الحصى الصغار، و يقال: حصب الحصى يحصبه حصباً إذ رماه رمياً متتابعاً، و الحاصب ذو الحصب. و الحاصب فاعل الحصب «ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا» أى من يدفع ذلك عنكم. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰۲

ثم قال: «أم» اى هل «أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ» فى البحر دفعة اخرى بان يجعل لكم الى ركوبه حاجة «فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ» فالقاصف الكاسر بشدة قصفه يقصفه قصفاً، فهو قاصف، و تقصف شعره تقصفاً، و انقصف الرجل انقصافاً. و قصّف الشيء تقصيفاً، «فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً» اى من يتبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم او يأخذ بثاركم، و قيل ان القاصف الريح الشديدة تقصف الشجر بشدّتها. و انما قيل: حاصب على وزن فاعل لامرين:

أحدهما- ريح حاصب أى تحصب الحجارة من السماء، قال الشاعر:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن منثور «١»

و قال الآخر:

و لقد علمت إذا العشار تروحت حتى تبيت على العصاة حفالا «٢»

الثانى- حاصب ذو حصب.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٧٠ الى ٧٢] ..... ص : ٥٠٢

وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)

ثلاث آيات بلا خلاف.

---

(١) قائله الفرزدق ديوانه (دار بيروت) ١: ٢١٣ و تفسير الطبرى ١۵/ ٧٩ و تفسير القرطبى ١٠/ ٢٩٢ و الشوكانى ٣/ ٢٣۵ و روح المعانى ١۵/ ١١۶

(٢) تفسير الطبرى ١۵/ ٩٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۵٠٣

اخبر اللَّه تعالى: انه كرّم «بنى آدم» و انما عنى بنى آدم بالتكرمة مع ان فيهم كفاراً، لان المعنى كرمناهم بالنعمة على وجه المبالغة فى الصفة. و قال قوم: جرى ذلك مجرى قوله «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» «١» فأجرى الصفة على جماعتهم من اجل من فيهم على هذه الصفة. ثم بين تعالى الوجوه التي كرّم بها بنى آدم بأنه حملهم فى البرّ و البحر على ما يحملهم من الإبل و غيرها، كما قال: «وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً» «٢» و البحر، و السفن التي خلقها لهم و أجراها بالرياح فوق الماء ليبلغوا بذلك حوائجهم «وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ» يعنى من الثمار و الفواكه و طيبات الأشياء، و ملاذها التي خص بها بنى آدم و لم يشرك شيئاً من الحيوان فيها من فنون الملاذ. و قيل: من تفضيل بنى آدم ان يتناول الطعام بيديه دون غيره، لان غيره يتناوله بفيه، و انه ينتصب، و ما عداه على اربع او على وجهه.

و قوله: «وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا» و ليس المراد بذلك تفضيلهم بالثواب، لان الثواب لا يتفضل به ابتداء، و انما فضلهم ابتداء بان خلق لهم من فنون النعم و ضروب الملاذ ما لم يجعله لشيء من الحيوان، و انما فعل ذلك تفضلًا منه تعالى، و لما فى ذلك من اللطف للعاقل، و الصلاح الذى ينتظم و يتم بهذا التأويل، و استدل جماعته بقوله «وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا» على تفضيل الملائكة على الأنبياء، قال لان قوله «عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا» يدل على ان هاهنا من لم يفضلهم عليهم، و ليس الا الملائكة، لان ابن آدم أفضل من كل حيوان سوى الملائكة بلا خلاف. و هذا باطل بما قلناه من ان المراد بذلك تفضيلهم بالنعم الدنياوية، و الالطاف، و ليس المراد بذلك الثواب بدلالة ابتدائهم بهذا التفضيل.

و الثواب لا يجوز الابتداء به.

و قوله «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» قال الزجاج: يتعلق بقوله «يُعِيدُكُمْ ...

يَوْمَ نَدْعُوا» و قيل: تقديره اذكر يوم. و قيل انه يتعلق بقوله

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠

(٢) سورة ١۶ النحل آية ٨ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۵٠۴

«وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا ... يَوْمَ نَدْعُوا»، لان ما فعله بهم من الالطاف فى الدنيا، لان يطيعوا و يفعلوا من الافعال ما يدعون به يوم القيامة.

و اختلفوا فى الإمام الـذى يدعون به يوم القيامة، فقال مجاهد و قتادة: إمامه نبيه. و قال ابن عباس: إمامه كتاب علمه. و روى عنه ايضـاً أن إمامهم كتابهم الذى انزل اللّه اليهم فيه الحلال و الحرام و الفرائض و الأحكام. و قال البلخى:

بما كانوا يعبدونه، و يجعلونه إماماً لهم. و قال ابو عبيد:

بما كانوا يأتمون به فى الدنيا. و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).

و قوله «فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ ...» الايـة، جعل اللّه تعالى إعطاء الكتاب باليمين من علامـة الرضا و الخلاص، و أن من أعطى كتـابه بـاليمين تمكن من قراءته و سـهل له ذلـك، و كان فحواه أن من أعطى كتابه بشـماله أو وراء ظهره، فإنه لا يقـدر على قراءة كتابه، و لا يتأتى له، بل يتلجلج فيه، لما يراه من المعاصى الموبقات.

و قوله «وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» معنـاه لا يبخس أحـد حقه، و لا يظلم شيئاً، سواء كان مستحقاً للثواب أو العقاب، فإن المسـتحق للثواب لا يبخس منه شيئاً و المستحق للعقاب لا يفعل به أكثر من استحقاقه، فيكون ظلماً له. (و الفتيل) هو المفتول الذى فى شق النواة- فى قول قتادة- و قيل الفتيل فى بطن النواة، و النقير فى ظهرها، و القطمير قشر النواة، ذكره الحسن.

و قوله «وَ مَنْ كانَ فِي هـذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» قرأ أهل العراق إلا حفصاً و الأعشـى «وَ مَنْ كانَ فِي هـذِهِ أَعْمى بالإمالـة. البـاقون بالتفخيم و قرأ حمزة و الكسائى إلا نصيراً، و خلفاً، و أبا بكر إلا الأعشـى و البرجمى «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى بالإمالـة: الباقون بالتفخيم.

و قيل فى معنى الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد و قتادة، و ابن زيد: من كان فى أمر هذه التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰۵

الـدنيا، و هى شاهـدة له من تـدبيرها و توثقها و تقلب النعم فيها أعمى عن اعتماد «۱» الصواب الـذى هو مقتضاها، فهو فى الآخرة التى هى غائبة «۲» عنه «أَعْمى وَ أَضَـلُ سَبِيلًا» و قـال قوم: من كان فى هـذه الـدنيا أعمى عن طريق الحق، فهو فى الاخرة أعمى عن الرشـد المؤدى إلى طريق الجنـة. و قال أبو على: فهو فى الآخرة أعمى عن طريق الجنـة. و من فخم فى الموضـعين، فلأن الياء فيهما قد صارت ألفـاً لانفتاح ما قبلها. و الأصل فمن كان فى هـذه أعمى، فهو فى الآخرة أعمى، و من كان فيما وضـعناه من نعيم الـدنيا أعمى، فهو فى نعيم الآـخرة أعمى. و اما تفريق أبى عمرو بين اللفظين فلاختلاف المعنى، فقال و من كان فى هـذه أعمى ممالًا، فهو فى الاخرة أعمى بالفتح اى أشدّ عماً، فجعل الأول صـفة بمنزلة أحمر و أصفر، و الثانى بمنزلة أفعل منك، كقوله «وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» اى أعمى قلباً. و العمى فى العين لا يتعجب منه بلفظـة (أفعل)، و لا يقال ما أعماه، بل يقال ما أشدّ عماه، و فى القلب ما أعماه بغير أشدّ، لأن عما القلب حمق، كما قال الشاعر لمرور ما أحمره و أبيضه، فقال:

أمّا الملوك فأنت اليوم ألأمهم لؤماً و أبيضهم سر بال طباخ «۳»

و قال بعضـهم: لا وجه لتفريق أبى عمرو، لأن الثانى، و إن كان بمعنى (أفعل منك) فلا يمنع من الامالـة، كما لم يمنع بالذى هو ادنى، قـال ابن خـالويه ابو عبـد اللّه إنمـا أراد ابو عمرو ان يفرق بينهمـا لما اختلف معناهما، و اجتمعا فى آيـة واحـده، كما قرأ «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ» يعنى الكفار، ثم قال فى آخرها «عما تعلمون» «۴» اى أنتم و هم، و لو وقع مفرداً، لأجاز الامالة و التفخيم فيهما، قال ابو على: و من أمال الجميع كان حسناً، لأنه ينحو نحو الياء بالألف ليعلم انها منقلبة الى الياء و ان كانت فاصلـة او مشـبهة للفاصلة، فالامالة حسنة فيها، لأن الفاصلة موضع

---

(۱) فى المخطوطة (اعتقاد)

(۲) أثبتنا ما فى المخطوطة، و كان فى المطبوعة (غايته)

(۳) تفسير القرطبى ۱۰/ ۲۹۹ و تفسير الشوكانى ۳/ ۲۳۸

(۴) سورة البقرة آية ۸۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰۶

وقف، و الالف تخفى فى الوقف، فأمّا إذا أمالها، نحا بها نحو الكسرة و ليكون أظهر لها و أبين.

قوله تعالى :[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۷۳ الى ۷۵] ..... ص : ۵۰۶

وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِی أَوْحَینا إِلَیکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَینا غَیرَهُ وَ إِذاً لاتَّخَذُوکَ خَلِیلاً (۷۳) وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیهِمْ شَیئاً قَلِیلاً (۷۴) إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَیاةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَینا نَصِیراً (۷۵)

ثلاث آيات.

قال الزجاج: معنى الكلام كادوا يفتنونك، و دخلت (ان و اللام) للتوكيد و معنى (كاد) المقاربة. و قوله «و إن كادوا» قال الحسن: معناه قارب بأن همَّ من غير عزم. و

روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم (ان اللَّه وضع عن أمّتى ما حدثت به نفسها إلا من عمل شيئاً او تكلم به)

و قيل انهم قالوا: لا ندعك تستلم الحجر حتى تسلم بآلهتنا. و قال مجاهد، و قتادة: الفتنة التى كاد المشركون ان يفتنوا النبى صلّى اللَّه عليه و سلم بها الإلمام بآلهتهم ان يمسها فى طوافه، لما سألوه فى ذلك، و لاطفوه.

و قال ابن عباس: همَّ بإنظار ثقيف بالإسلام حتى يقبضوا ما يهدى لآلهتهم ثم يسلموا فيها.

امتن اللَّه تعالى على نبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم بأنه لو لا انه ثبته بلطفه، و كثرة زواجره و تواتر نهيه، لقد كاد يركن اى يسكن، و يميل إلى المشركين قليلًا، على ما يريدون يقال: ركُن يركن، و ركَن يركن، ثم قال «إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَیاةِ، وَ ضِعْفَ الْمَماتِ» اى لو فعلت ذلك، لأذقناك ضعف عذاب الحياة، و ضعف عذاب الممات لعظم ذلك منه لو فعله، و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك. و إنما كان يعظم عذابه بالركون اليهم لكثرة زواجره و فساد العباد به. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰۷

و

قيل لما نزلت هذه الآية قال النبى صلّى اللَّه عليه و سلم (اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين) روى ذلك قتادة.

و معنى الفتنة- هاهنا- الضلال، و التقدير و إن كادوا ليفتنونك ليضلوك عن الذى أوحينا اليك، فى قول الحسن و أصل الفتنة المحنة التى يطلب بها خلاص الشيء مما لابسه، فطلبوا إخراجه إلى الضلالة.

و قوله «لِتَفْتَرِیَ عَلَینا غَیرَهُ» اى لتكذب علينا غير ما أوحينا اليك و إن فعلت ذلك لاتخذوك خليلا و ديداً.

و قوله «ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَینا نَصِیراً» اى لو فعلت الركون اليهم لأذقناك ما قلناه من العذاب، ثم لا تجد لك علينا ناصراً يدفع عنك ما نريد فعله بك.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۷۶ الى ۷۸] ..... ص : ۵۰۷

وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَکَ مِنَ الْأَرْضِ لِیُخْرِجُوکَ مِنْها وَ إِذاً لا یلْبَثُونَ خِلافَکَ إِلاَّ قَلِیلاً (۷۶) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنْ رُسُلِنا وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِیلاً (۷۷) أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلی غَسَقِ اللَّیلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کانَ مَشْهُوداً (۷۸)

ثلاث آيات.

قرأ ابن عامر و اهل الكوفة الا أبا بكر «خلافك». الباقون «خلفك» فمن قرأ «خلفك» فلقوله «فَجَعَلْناها نَکالًا لِما بَینَ یدَیها وَ ما خَلْفَها» «۱». و قوله «بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ» «۲» اى لمخالفتهم إياه، و من قرا «خلافك» قال بعدك و خلفك و خلافك بمعنى واحد، يقول اللَّه تعالى «وَ إِنْ کادُوا» يعنى المشركين «لَیسْتَفِزُّونَکَ مِنَ الْأَرْضِ» قال الحسن: معناه ليقتلونك، و قال غيره: الاستخفاف

بالانزعاج.

---

(۱) سورة البقرة آية ۶۶

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۸۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰۸

و قال ابو على: همُّوا بأن يخرجوه من ارض العرب لا من مكة فقط، إذ قد أخرجوه من مكة، و قال المعتمر ابن أبى سليمان عن أبيه: الأرض التى أرادوا استزلاله منها: هى ارض المدينة، لان اليهود قالت له: هذه الأرض ليست ارض الأنبياء، و انما أرض الأنبياء الشام. و قال قتادة و مجاهد: هى مكة، لان قريشاً همّت بإخراجه منها. ثم قال تعالى: انهم لو أخرجوك من هذه الأرض لما لبثوا، لما أقاموا بعدك فيها إلا قليلا. و قال ابن عباس و الضحاك: المدة التى لبثوا بعده هو ما بين خروج النبى من مكة، و قتلهم يوم بدر. و من قرأ خلافك أراد بعدك، كما قال الشاعر:

عقب الرذاذ خلافها فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا «۱»

الرذاذ المطر الخفيف، يصف روضة و أرضاً غبّ مطرها، و كانت خضراء و قال الحسن الاستفزاز- هاهنا- القتل.

و قوله «وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ» بالرفع، لان (إذاً) وقعت بعد الواو، فجاز فيها الإلغاء، لأنها متوسطة فى الكلام، كما انه لا بد من ان تلغى فى آخر الكلام.

و قوله «سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا» انتصب (سنة) بمعنى لا يلبثون. و تقديره: لا يلبثون لعذابنا إياهم كسنة من قبلك، إذ فعلت أممهم مثل ذلك. ثم قال «لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا» اى تغييراً و انتقالًا من حالة إلى حالة اخرى. بل هى على وتيرة واحدة. ثم امر نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم فقال «أَقِمِ الصَّلاةَ» و المراد به أمّته معه «لِدُلُوكِ الشَّمْسِ» اختلفوا فى الدلوك، فقال ابن عباس، و ابن مسعود، و ابن زيد: هو الغروب و الصلاة المأمور بها- هاهنا- هى المغرب، و قال ابن عباس فى رواية اخرى و الحسن، و مجاهد، و قتادة:

دلوكها زوالها، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).

و ذلك ان الناظر اليها يدلك عينيه، لشدة شعاعها. و اما عند غروبها فيدلك عينيه لقلة تبينها، و الصلاة المأمور بها عند هؤلاء الظهر، و قال الراجز:

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۳۸۷ و تفسير الطبرى ۱۰/ ۱۲۷، ۱۵/ ۸۴ و اللسان و التاج (خلف) و تفسير الشوكانى ۳: ۲۳۹ و قد روى (عقب الربيع) و فى راوية اخرى (عفت الديار).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۰۹

هذا مقام قدمى رباح للشمس حتى دلكت براح «۱»

و رباح اسم ساقى الإبل. من روى بكسر الباء أراد براحته، قال الفراء:

يقال: بالراحة على العين، فينظر هل غابت الشمس بعد، قال الفراء هكذا فسروه لنا، و من رواه بفتح الباء جعله اسماً للشمس مبنياً على (فعال) مثل قطام و حذام و قال العجاج:

و الشمس قد كادت تكون دنفا ادفعها بالراح كى تزحلفا «۲»

و غسق الليل ظهور ظلامه، و يقال غسقت القرحة إذا انفجرت، فظهر ما فيها. و قال ابن عباس و قتادة: هو بدؤ الليل، قال الشاعر:

إن هذا الليل إذ غسقا «۳»

و قال الجبائى غسق الليل ظلمته، و هو وقت عشاء الآخرة. و قوله «وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ» قال قوم يعنى قرآن الفجر فى الصلاة، و ذلك يدل

على أن الصلاة، لا تتم إلا بالقراءة، لأنه أمر بالقراءة و أراد بها الصلاة، لأنها لا تتم إلا بها.
و قوله: «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً» معناه يشهده ملائكة الليل، و ملائكة النهار، ذهب اليه ابن عباس، و قتادة و مجاهد و ابراهيم. و روى عن امير المؤمنين (ع) و أُبى بن كعب أنها الصلاة الوسطى
، و قال الحسن: «لِدُلُوكِ الشَّمْسِ» لزوالها: صلاة الظهر، و صلاة العصر الى «غَسَقِ اللَّيْلِ» صلاة المغرب و العشاء

---

(۱) البيت من نوادر أبى زيد. تفسير القرطبى ۱۰: ۳۰۳ و مجاز القرآن ۱: ۳۸۷ و تهذيب الألفاظ ۳۹۳ و المجالس للثعالبى ۳۷۳ و تفسير الشوكانى ۳: ۲۴۱ و تفسير الطبرى ۱۵: ۸۵ و غيرها. و قد روى (عدوة) بدل للشمس و روى ايضاً (ذبيب) فى رواية اخرى.
(۲) ديوانه ۸۲ و تفسير القرطبى ۱۰: ۳۰۳ و تفسير الطبرى ۱۵: ۸۶ و تفسير القرطين ۱: ۲۶۱
(۳) قائله عبد اللَّه بن قيس الرقيات. ديوانه (دار بيروت) ۱۸۸ و تفسير روح المعانى ۱۵: ۱۳۲ و تفسير القرطبى ۱۰: ۳۰۴ و تفسير الطبرى ۱۵: ۸۷ و مجاز القران ۱: ۳۸۸ و اللسان و التاج (غسق) و تفسير الشوكانى ۳: ۲۴۱ و عجزه:
و استكن الهم و الارقا

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۰

الآخرة، كأنه يقول من ذلك الوقت الى هذا الوقت على ما يبين لك من حال الصلوات الأربع، ثم صلاة الفجر، فأفردت بالذكر. و قال الزجاج: سمى صلاة الفجر «قُرْآنَ الْفَجْرِ»، لتأكد أمر القراءة فى الصلاة، و معنى «لِدُلُوكِ الشَّمْسِ» أى عند دلوكها. و استدل قوم بهذه الآية على أن وقت الاولى موسع الى آخر النهار، لأنه أوجب إقامة الصلاة من وقت دلوك الشمس الى وقت غسق الليل، و ذلك يقتضى ان ما بينهما وقت. و هذا ليس بشىء، لأن من قال: إن الدلوك هو الغروب لا دلالة فيها عليه عنده، لان من قال ذلك يقول: انه يجب إقامة المغرب من عند المغرب الى وقت اختلاط الظلام الذى هو غروب الشفق، و ما بين ذلك وقت المغرب.
و من قال: الدلوك هو الزوال يمكنه أن يقول: المراد بالآية البيان لوجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن، لا بيان وقت صلاة واحدة، فلا دلالة له فى الآية.
و (مشهوداً) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- تشهده ملائكة الليل، و النهار.
و الثانى- قال الجبائى: فيه حث للمسلمين على ان يحضروا هذه الصلاة و يشهدوها للجماعة.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۷۹ الى ۸۱] ..... ص : ۵۱۰

وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً (۷۹) وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً (۸۰) وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (۸۱)
ثلاث آيات.
هذا خطاب للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم يقول اللَّه تعالى له: «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ» و التهجد التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۱
التيقظ بما ينفى النوم، و الهجود النوم، و هو الأصل، هجد يهجد هجوداً، فهو هاجد إذا نام، قال لبيد:
قلت هجدنا فقد طال السرى «۱»
و قال الشاعر:
ألا طرقتنا و الرفاق هجود فباتت بعلّات النوال تجود «۲»
و قال الحطيئة:

ألا طرقت هند الهنود و صحبتى بحوران حوران الجنود هجود «۳»

و قال علقمة، و الأسود: التهجد يكون بعد نومة. و قال المبرّد:- التهجد عند أهل اللغة- السهر للصلاة، أو لذكر اللّه، فإذا سهر للصلاة قيل تهجد، و إذا أراد النوم قال هجدت. و النافلة فعل ما فيه الفضيلة مما رغّب اللّه فيه، و لم يوجبه. و النافلة. الغنيمة، قال الشاعر:

إن تقوى ربنا خير نَفل و بإذن اللّه ريثى و العجل «۴»

اى خير غنيمة. و الحسن من أفعال العباد على ثلاثة أقسام: واجب، و ندب، و مباح. و قال الرمانى: يجوز ان يكون نافلة اكثر ثواباً من فريضة إذا كان ترك الفريضة صغير، لأن نافلة النبى صلّى اللّه عليه و سلم أعظم من هذه الفريضة، من فرائض غيره.

و قد تكون نعمة واجبة أعظم من نعمة واجبة، كنعم اللّه تعالى، لأنه يستحق بها العباد من نعمة الإنسان التى يستحق بها الشكر فقط.

و قوله: «نافِلَةً لَکَ» وجه هذا الاختصاص هو أنه أتمّ، للترغيب لما فى ذلك من صلاح أمته فى الابتداء به و الدعاء الى الاستنان بسنته.

و روى أنها فرضت عليه، و لم تفرض على غيره، فكانت فضيلة له، ذكره ابن عباس، فيجوز ذلك

---

(۱) ديوانه ۲/ ۱۳ و مجاز القرآن ۱/ ۳۸۹ و الاقتضاب ۴۰۸ و روح المعانى ۱۵/ ۱۳۸ و اللسان (هجد)

(۲) تفسير القرطبى ۱۰: ۳۰۸ و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) ۳: ۲۴۲ و تفسير الطبرى ۱۵: ۸۹

(۳) تفسير الطبرى ۱۵: ۸۹

(۴) قائله لبيد بن ربيعة و قد مر هذا الرجز فى ۵: ۸۶ من هذا الكتاب [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۲

بترغيب يخصّه فى شدته. و قال مجاهد: لأنها فضيلة له و لغيره كفّارة، لان اللّه تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و هذا ايضاً من اختصاصه بما ليس لغيره.

و قوله: «عَسى أَنْ يَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً» معناه متى فعلت ما ندبناك اليه من التهجد يبعثك اللّه مقاماً محموداً، و هى الشفاعة، فى قول ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و قتادة. و قال قوم: المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد.

و (عسى) من اللّه واجبه. و قد أنشد لابن مقبل فى وجوبها:

ظنى بهم كعسى و هم بتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال «۱»

يريد كيقين، ثم أمر اللّه نبيه صلّى اللّه عليه و سلم أن يقول: «أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ» قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة: إدخاله المدينة حين أخرج من مكة. و قيل ادخلنى فيما أمرتنى و اخرجنى عما نهيتنى بلطف من ألطافك. و قال الفراء: قال ذلك حين رجع من معسكره الذى أراد أن يخرج الى الشام، حين قالوا له: ليست المدينة أرض الأنبياء، و «أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ» يعنى الى مكة.

و قال أيضاً: يا محمد قل «وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً» قال الحسن و قتادة: معناه اجعل لى عزّاً امتنع به ممن يحاول صدى عن إقامة فرائض اللّه فى نفسه و غيره. و قال مجاهد: حجة بينة. ثم قال: «وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ» يعنى التوحيد و خلع الأنداد و العبادة للّه وحده لا شريك له «وَ زَهَقَ الْباطِلُ» قال ابن عباس: معناه ذهب الباطل، و زهقت نفسه زهوقاً إذا خرجت، فكأنه خرج الى الهلاك. و قيل امر بهذا الدعاء إذا دخل فى أمرٍ او خرج من امر. ثم قال تعالى و أخبر «إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً» باطلًا هالكاً لا ثبات له، و انه يضمحل و يتلاشى. و

روى عن ابن مسعود أنه قال: دخل النبى صلّى اللّه عليه و سلم يوم الفتح مكة، و حول الكعبة ثلاثمائة و ستون صنماً، فجعل يطعنها بعود، و يقول:

---

(۱) اللسان (ظنن)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۳

«جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً» و جاء الحق و ما يبدى الباطل و ما يعيد.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۸۲ الى ۸۴] ..... ص : ۵۱۳

وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً (۸۲) وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً (۸۳) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً (۸۴)

ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى: أنه أنزل القرآن و فيه شفاء، و وجه الشفاء فيه من وجوه:

أحدها- ما فيه من البيان الذى يزيل عمى الجهل و حيرة الشك.

و ثانيها- أنه من جهة نظمه و تأليفه يدل على انه معجز دال على صدق من ظهره على يده.

و ثالثها- انه يتبرك به فيدفع به كثيراً من المكاره و المضار، على ما يصح و يجوز فى مقتضى الحكمة.

و رابعها- ما فى العبادة بتلاوته من الصلاح الذى يدعو الى أمثاله بالمشاكلة التى بينه و بينه الى غير ذلك. ثم قال: «وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ» يعنى القرآن لا يزيد الظالمين بمعنى انهم لا يزدادون عنده «الا خسارا» يعنى يخسرون ثوابهم و يستحقون العقاب لكفرهم به و حرمان أنفسهم تلك المنافع التى فيه، صار كأنه يزيد هؤلاء خسراناً بدل زيادة المؤمنين تقى و ايماناً. ثم قال: «وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۴

أى ولّى عرضه، كأنه لم يقبل علينا بالدعاء و الابتهال، و باعد عن أنعامنا عليه بضروب النعم، فلا يشكرها، كما اعرض عن النعمة بالقرآن.

و قوله: «وَ نَأى بِجانِبِهِ» أى بعد بنفسه عن القيام بحقوق نعم اللّه. و قال مجاهد: معناه تباعد منا «وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً» يعنى إذا لحق الإنسان شر و بلاء «كانَ يَؤُساً» اى قنوطاً من رحمة اللّه، فقال اللّه لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم قل لهم: «كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ» أى على طريقته التى تشاكل أخلاقه. و قال مجاهد: على طبيعته.

و قيل على عادته التى ألفها. و المعنى انه ينبغى للإنسان ان يحذر إلف الفساد فلا يستمر عليه، بل يرجع عنه. ثم قال: «فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلًا» يعنى انه عالم بمن يهتدى الى الحق ممن يسلك طريق الضلال، لا يخفى عليه شىء من أحوالهم.

و أمال حمزة و الكسائى «و نأى بجانبه» بكسر النون و الهمزة، و أمالوا الياء، و أمالوا النون لمجاورة الهمزة، لأنها من حروف الحلق، كما يقولون: رغيف و شعير و بعير بكسر أولهن. و قرأ ابن عامر «و ناء بجانبه» من ناء ينوء، فانقلبت الواو الفاً لانفتاح ما قبلها، و مدّت الالف تمكيناً للهمزة.

و قرأ ابو عامر عن عاصم و ابو عمرو- فى رواية عياش- «و نئى» بفتح النون و كسر الهمزة ممالًا و مثل ذلك رأى و رئى، و راء و رأه فى القلب، فإذا قالوا فعلت، قالوا رأيت بلا خلاف. و انشد المبرد حاكياً عن أبى عبيد:

أ غلام معلل راء رؤياً فهو يهذى بما رأى فى المنام «۱»

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۸۵ الى ۸۷] ..... ص : ۵۱۴

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (۸۵) وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا (۸۶) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً (۸۷)

(۱) تفسير الطبرى ۱۵: ۹۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۵

ثلاث آيات.

يقول اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ» يا محمد. و اختلفوا فى الروح الذى سألوا عنه. فقال ابن عباس: هو جبرائيل. و

روى عن على (ع) أن الروح ملك من الملائكة له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان يسبح اللّه بجميع ذلك.

و قيل: هو روح الحيوان، و هو الأظهر فى الكلام.

و قال قتادة: الذى سأله عن ذلك قوم من اليهود. و قيل: الروح هو القرآن، ذكره الحسن، لقوله: «وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» «۱» و اختاره البلخى، و قوى ذلك بقوله بعدها: «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ» يعنى القرآن، فقال اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم قل لهم «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى» فعلى قول من قال: انهم سألوا عن القرآن أو عن جبرائيل او الملك أو روح الحيوان، فقد أجاب عنه لأنه قال: «مِنْ أَمْرِ رَبِّى» أى من خلق ربى و فعله. و على قول:

من قال انهم سألوه عن ماهية روح الإنسان، لم يجب، و انما عدل عن جوابهم، لأنهم وجدوا فى كتابهم انه إن أجاب عن الروح، فليس بنبىّ، فأراد صلّى اللّه عليه و سلم ان يصدق نبوته بموافقة امتناعه من الجواب، لما فى كتابهم. و يقوى ذلك قوله:

«وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» اى لم أعط من العلم الا شيئاً يسيراً، و الأكثر لا اعلمه، لان معلومات اللّه تعالى لا نهاية لها. و الروح من الأمور المتروكة التى لا يصلح النص عليها، لأنه ينافى الحكمة، لما فيه من الاستفساد. و انما اعلم ما نص لى عليه مما يقتضى المصلحة، و هو قليل من كثير.

و قيل ايضاً انهم لم يجابوا عن الروح، لان المصلحة اقتضت ان يحالوا على ما فى عقولهم من الدلالة عليه، لما فى ذلك من الرياضة على استخراج الفائدة، و ان ما طريقه السمع، فقد اتى به، و ما طريقه العقل، فإنما يأتى به مؤكداً لما فى العقل لضرب من التأكيد، و لما فيه من المصلحة. و الروح جسم رقيق هوائى على بنية حيوانية فى كل جزء منه حياة، ذكره الرمانى. و قال: كل حيوان،

(۱) سورة الشورى آية ۵۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۶

فهو روح و بدن الا أن فيهم من الأغلب عليه الروح، و فيهم من الأغلب عليه البدن. ثم قال: «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ» و معناه انى اقدر ان آخذ ما أعطيك، كما منعته من غيرك، لكنى دبرتك بالرحمة لك، فأعطيتك ما تحتاج اليه و منعتك ما لا تحتاج اليه و الى النص عليه. و ان توهّم قوم أنه مما يحتاج اليه، فتدبر أنت بتدبير ربك و ارض بما اختاره لك، و لو فعلنا ذلك لم تجد لك علينا وكيلًا يستوفى ذلك منا. و قال قوم: معنى «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ» اى لنمحونّ- هنا- القرآن من صدرك و صدر أمّتك. و قوله: «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» أعطاك ما أعطاك من العلوم و منعك ما منعك منها «إِنَّ فَضْلَهُ كانَ» فيما مضى و فيما يستقبل «عَلَيْكَ كَبِيراً» عظيماً، فقابله بالشكر.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۸۸ الى ۹۰] ..... ص : ۵۱۶

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (۸۸) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (۸۹) وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (۹۰)

ثلاث آيات.

قرأ اهل الكوفة «تفجر» بالتخفيف. الباقون بالتشديد، يقال: فجر يفجر بالتخفيف إذا شق الأنهار، و من شدد، فلقوله «وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً» «۱» اى مرة بعد مرة، و لقوله «فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً» فالتفجير لا يكون إلا من فجر.

فی الآية الاولى، تحدى للخلق ان يأتوا بمثل هذا القرآن و أنهم يعجزون عن

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۳۴

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۷

ذلك و لا يقدرون على معارضته، لأنه تعالى قال «قل» يا محمد لهؤلاء الكفار «لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ» متعاونين متعاضدين «عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ» فی فصاحته و بلاغته و نظمه، على الوجه الذى هو عليه، من كونه فی الطبقة العليا من البلاغة و على حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت، لما أتوا بمثله، و لعجزوا عنه «وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» اى معيناً، و المثلية التى تحدوا بالمعارضة بها معتادة بينهم، كمعارضة علقمه لامرئ القيس، و معارضة الحرث ابن حلزة عمرو بن كلثوم، و معارضة جرير الفرزدق. و ما كان ذلك خافياً عليهم.

ثم قال «وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِی هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» و تصريفه إياه هو توجيهه إياه فی معانٍ مختلفة. و قال الرمانی: هو تصيير المعنى دائراً فيما كان من المعانى المختلفة. و ذلك أنه لو أدير فی المعانى المتفقة لم يعد ذلك تصريفاً، فالتصريف تصيير المعنى دائرا فی الجهات المختلفة.

و قوله «لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» انما رفعه لأنه غلب جواب القسم على جواب (إن) لوقوعه فی صدر الكلام، و قد يجوز أن يجزم على جواب (إن) إلا أن الرفع الوجه، و قال الأعشى:

لئن منيت بنا عن غب معركة لا تلقنا من دماء القوم ننتقل «۱»

و قوله «فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً» معناه إنما «صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِی هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» ليستدلوا به على كونه من قبل اللَّه تعالى و مع ذلك يأبى أكثر الناس إلا الجحد به، و إنكاره، فالكفور- هاهنا- هو الجحود للحق بالاستكبار.

و يقولون مع ذلك «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ» يا محمد «حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» و معناه حتى تشقق من الأرض عيناً ينبع بالماء أی يفور، فهو على وزن

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۱۴۹ و روايته (تلفنا) بدل (تلقنا) و المعنى واحد. و هو فی تفسير روح المعانى ۱۵: ۱۳۶ و تفسير الطبرى ۱۵: ۱۰۰

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۸

(مفعول) من (نبع)، يقال نبع الماء ينبع، فهو نابع، و جمعه ينابيع، و انما طلبوا عيوناً ببلدهم- فی قول قتادة- و التفجير التشقيق عما يجرى من ماء او ضياء، و منه سمى الفجر، لأنه ينشق عن عمود الصبح، و منه الفجور، لأنه خروج الى الفساد لشق عمود الحق.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۹۱ الى ۹۳] ..... ص : ۵۱۸

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (۹۱) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (۹۲) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِی السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّی هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً (۹۳)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «قال سبحان ربى». الباقون «قُلْ سُبْحانَ رَبِّى» و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و عاصم «كسفاً» بفتح السين. الباقون بإسكانها من قرأ «قال سبحان» معناه إن الرسول قال ذلك عند اقتراحهم ما تقدم ذكره، مما لا يدخل تحت مقدور البشر. و من قرأ «قل» فعلى أنه أمر بأن يقول لهم ذلك و يقويه قوله «قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» «۱» قال ابو زيد: يقال: كسفت الثوب أكسفه كسفاً إذا قطعة قطعاً، و الكسف القطع واحده كسفة مثل قطعة. قال ابو عبيد: كسفاً قطعاً. و من فتح السين جعله جمع كسفة، قال كسَفاً مثل قطعة و قطع. و من سكنه جاز ان يريد

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۱۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۱۹

الجمع، مثل و سدرة. و يجوز ان يريد به المصدر. و المعنى أطبق علينا السماء كسفاً اى طبقاً.

نزلت هذه الآية فى أقوام اقترحوا على النبى صلّى اللَّه عليه و سلم هذه الآيات، قالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ» اى لن نصدقك فى أنك رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم حتى تأتى بها، و هم كانوا جماعة من قريش، منهم عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و ابو سفيان، و الأسود ابن المطلب بن أسد، و زمعة بن الأسود، و الوليد بن المغيرة، و ابو جهل ابن هشام، و عبد اللَّه بن أبى أميَّة، و أميَّة بن خلف، و العاص بن وابل، و نبيه و منبه ابنا الحجاج السهميان. على ما ذكر ابن عباس.

فمن الآيات التى اقترحوها ما ذكره فى الآية المتقدمة بأن قالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» اى تشقق لنا من الأرض عيون ماء فى بلادنا «أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ» يعنى بستاناً من نخيل و عنب، و تشقق الأنهار خلالها اى فى خلالها، و وسطها تشقيقاً «أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً» و قرئ بسكون السين، و فتحها، و الكسف القطع، فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة. و يحتمل وجهين:

أحدهما- ان يكون جمع كسفة و كسف بسكون السين كسدرة و سدر بسكون الدال، و هو للجنس يصلح، للكثير و القليل، و يقول العرب: اعطنى كسفة من هذا الثوب أى قطعة منه، حكى ذلك الفراء، انه سمعه من بعض العرب، و من ذلك الكسوف، لانقطاع نوره.

و الثانى- يجوز ان يكون الكَسف مصدراً من كسفت الشىء إذا غطيته بالغطاء عمّن يراه، فكأنهم قالوا: تسقطها طبقاً علينا.

و قوله «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا» فيه دلالة على أنهم كانوا مشبهة، لأن العارف باللَّه على الحقيقة لا يقول هذا، لأنه لا يجوز عليه تعالى المقابلة، و لا لهم استعمال هذا على معنى دلائل و آيات اللَّه إذ لا دلائل تدل على ذلك، فلا يشرط فى الظاهر ما ليس فيه، لأنه لم يثبت معرفتهم و حكمتهم، فيصرف ذلك عن التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۰

ظاهره. و معنى «قبيلًا» قال الفراء: معناه كفيلًا بذلك، يقال قبلت و كفلت، و زعمت و حملت قبِلَه. و قال غيره: يعنى مقابلة. و قال قتادة و ابن جريج و الزجاج:

معناه نعاينهم معاينة، قال الشاعر:

نصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى بشّرتها قبيلها «۱»

اى قابلتها، و هى مقابلة لها، و العرب تجريه فى هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث.

و قوله «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ» قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الفراء: يعنى بيتاً من ذهب «أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ» اى تصعد إليها أمامنا بحذائنا بسلم، قال الفراء إنما قال فى السماء، و لم يقل الى، لأن المراد او ترقى فى سلم الى السماء، فأتى ب (فى) ليدل على ما قلناه يقال: رقيت فى السلم أرقى رقياً، و رقيت من الرقيا أرقوه رقياً و رقية «وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ» اى لصعودك حتى تنزل علينا كتاباً مكتوباً نقرأه كما أنزل على موسى الألواح، فقال اللَّه تعالى له «قل» يا محمد «سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا» و إنما أجابهم

بذلك، لان المعنى انكم تقترحون على الآيات و ليس أمرها إليّ و إنما أمرها الى الذى أرسلنى و الذى هو أعلم بالتدبير منى و ما ينص عليه من الدليل، فلا وجه لطلبكم هذا منى مع ان هذه صفتى، لانى رسول أؤدى إليكم ما أوحى إليّ و أمرت بان أؤديه إليكم. و من قرأ «قال سبحان» حمله على أن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم قال ذلک ابتداء من قبل نفسه، قبل ان يؤمر به، لعلمه بأن الآيات لا تتبع الشهوات، و الاقتراحات،

---

(۱) قائله الأعشى ديوانه (دار بيروت) ۱۳۵ و قد مر تخريجه فى ۱: ۳۵۰ و رواية الديوان

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى يسرتها قبولها

و كان على هامش المطبوعة حاشية هى (كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها، و يروى قبولها اى يئست منها و القبيل و القبول كلاهما بمعنى القابلة- هنا- سميت بذلک لقبولها الولد، و تلقيها إياه عند الولادة) انتهى. و على هذه الحاشية المذكورة علامة تدل على انها وجدت فى بعض المخطوطات.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۱

و انما تتبع المصالح، و لو تبعت الشهوات لكان كل واحد يقترح غير ما يقترحه الآخر فيؤدى الى الفساد.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۹۴ الى ۹۶] ..... ص : ۵۲۱

وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً (۹۴) قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً (۹۵) قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (۹۶)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى و ما صرف الناس، يعنى المشركين الذين لم يؤمنوا، و انما أخبر عنه بالمنع مبالغة له فى الصرف، لان المنع يستحيل معه الفعل، و الصرف يمكن معه الفعل، لكنه لشدّة صرفه شبّه بالمنع. و قوله «أن يؤمنوا» اى ما صرفهم عن التصديق باللَّه و رسوله حين جاءهم الهدى، يعنى الحجج و البينات، و طريق الحق إلا قولهم «أ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا» فدخلت عليهم الشبهة فى أنه لا يجوز من اللَّه أن يبعث رسولًا إلا من الملائكة، كما دخلت عليهم الشبهة فى أن عبادتهم لا تصلح للَّه، فوجّهوها إلى الأصنام، فعظموا اللَّه تعالى بجهلهم، بما ليس فيه تعظيم.

و هذا فاسد، لأن تعظيم اللَّه إنما يكون بأن يشكر على نعمته بغاية الشكر و يحمد غاية الحمد، و يضاف اليه الحق دون الباطل، و هم عكسوا فأضافوا الباطل اليه و ما يتعالى عن فعله أو إرادته. و إنما عدلوا عن الهدى إلى الضلال تقليداً لرؤسائهم. و اعتقاداً للجهل بالشبهة.

فان قيل لم جاز ان يرسل اللَّه إلى النبى- و هو من البشر- ملكاً ليس من جنسه؟ و لم يجز أن يرسل إلى غير النبى مثل ذلک؟ التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۲

قلنا: لأنه صاحب معجزة، و قد اختير للهداية و المصلحة، فصارت حاله بذلک مقاربةً لحال الملک، و ليس كذلک غيره من الأمة، مع ان الجماعة الكثيرة ينبغى ان يتخير لها ما تجتمع عليه هممها بما لا يحتاج اليه فى الواحد منا إذا أريد صلاح الجميع. و قيل: لأنهم لا يجوز ان يروا الملک، و هم على هذه الهيئة التى هم بها، على أنه يلزمهم على الامتناع من اتباع النبىّ- لأنه بشر مثلهم- الامتناع من اتباع الملک، لأنه عبد و محدث مثلهم فى العبودية و الحدوث، فان جاز ذلک، لان اللَّه تعالى عظمه و شرّفه و اختاره، جاز ايضاً فى البشر لمثل هذه العلة.

ثم قال لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «قل» لهم «لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ» قال الحسن معنى «مطمئنين» قاطنين فيها. و

قال الجبائى: «مطمئنين» عن امر اللَّه الذى يلزم بالاعراض عنه الذم، كما قال تعالى «وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ» «۱». ثم قال له «قل» لهم كفى باللَّه، أى حسبى اللَّه شهيداً و عالماً بينى و بينكم «إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً» أى عالماً بكم و بى، مدرك لنا. و نصب «شهيدا» على التمييز، و تقديره حسبى اللَّه من الشهداء، و يجوز ان يكون نصبا على الحال، و تقديره كفى اللَّه فى حال شهادته. و إنما قال هذا جوابا لهم حين قالوا: من يشهد لك بأنك رسول اللَّه؟ فقال اللَّه له «قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً».

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۹۷ الى ۹۹] ..... ص : ۵۲۲

وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً (۹۷) ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (۹۸) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً (۹۹)

---

(۱) سورة الاعراف آية ۱۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۳

ثلاث آيات.

قيل فى معنى قوله «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» قولان:

أحدهما- من يحكم اللَّه بهدايته و تسميته بها بإخلاصه الطاعة، فهو المهتدى فى الحقيقة، و فيه دعاء الى الاهتداء، و ترغيب فيه و حث عليه. و فيه معنى الامر به.

الثانى- من يهديه اللَّه الى طريق الجنة، فهو المهتدى اليها.

و قوله «وَ مَنْ يُضْلِلْ» يحتمل ايضاً أمرين:

أحدهما- من يحكم اللَّه بضلاله و تسميته ضالًا بسوء اختياره للضلالة فإنه لا ينفعه ولاية ولىّ له، فلو تولّاه لم يعتد بتوليه، لأنه من اللغو الذى لا منزلة له، و لذلك حسن أن ينفى، بمنزلة ما لم يكن.

و الثانى- من يضله اللَّه عن طريق الجنة، و أراد عقابه على معاصيه لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه.

ثم أخبر عن صفة حشرهم الى أرض القيامة، يعنى الكفار، إنه يحشرهم «يوم القيامة» مجرورين «عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً» كما عموا عن الحق فى الدنيا «بكما» جزاء على سكوتهم عن كلمة الإخلاص «و صما» لتركهم سماع الحق و اصغائهم إلى الباطل «كُلَّما خَبَتْ» النار، و الخبوة هدوء النار عن الالتهاب خبت النار تخبو خبواً إذا سكنت، و المعنى: كلما سكنت التهبت و استعرت، و ذلك من غير نقصان آلام أهلها، قال عدى بن زيد:

وسطه كالسراج أو سرح المجدل حيناً يخبو و حيناً يغير «۱»

فان قيل: كيف يحشرهم اللَّه يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صماً، مع قوله «وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها» «۲» و قوله

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۵: ۱۰۵

(۲) سورة ۱۵ الكهف آية ۵۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۴

«سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً «۱»» و قوله «دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً» «۲» قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انهم يحشرون كذلك، ثم يجعلون يبصرون و يشهدون و ينطقون.

الثانی- قال ابن عباس و الحسن: إنهم عمی عمّا يسرهم، بكم عن التكلم بما ينفعهم صم عما يمتعهم «مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» أی مستقرهم.

فإن قيل: لم جاز أن يكونوا عمياً عن العذاب يوم القيامة، و لم يجز أن يكونوا جهالًا به؟.

قلنا: لان الجاهل به لا يجد من ألمه ما يجده العالم، و لأن الحكمة تقتضی إعلامه أن عقابه من أجل جرمه، لأنه واقع موقع التوبيخ له، و موقع الزجر فی الخبر به.

و قوله «ذلك» يعنی ما قدم ذكره من العقاب «جزاؤهم» استحقوه بكفرهم بآيات اللَّه.

و قوله «إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً» مثل التراب متحطمين مترّضضين «أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً» و إنما قالوا ذلك، لانكارهم الحشر و البعث يوم القيامة و الثواب و العقاب. ثم قال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» يعنی هؤلاء الكفار «أَنَّ اللَّهَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» لأنهم كانوا مقرين بأن اللَّه خالقهما، «قادِرٌ عَلی أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» لأن القادر علی الشیء قادر علی أمثاله إذا كان له مثل و أمثال فی الجنس «وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا» يعيشون اليه و يحشرون عنده، لا شك فيه. و قال الجبائی: جعل اللَّه لهم أجلًا لمعادهم و حشرهم لا شك فيه.

ثم أخبر تعالی فقال «فَأَبَی الظَّالِمُونَ» لنفوسهم الباخسون حقها بفعل المعاصی «إِلَّا كُفُوراً» أی كفروا و جحدوا بآيات اللَّه و نعمه.

و فی الآية دلالة علی ان القادر علی الشیء قادر علی جنس مثله إذا كان له مثل.

و فيه دلالة علی أنه يجب أن يكون قادراً علی ضده، لأن منزلته فی المقدور منزلة

(۱، ۲) سورة ۲۵ الفرقان آية ۱۲- ۱۳

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۵

مثله. و فيه دلالة علی انه يقدر علی إعادته إذا كان مما يبقی و تصح عليه الاعادة.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): آية ۱۰۰] ..... ص : ۵۲۵

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّی إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً (۱۰۰)

آية بلا خلاف.

يقول اللَّه لنبيه صلی اللَّه عليه و سلم «قل» لهؤلاء الكفار: لو انكم ملكتم «خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّی» أی ما يقدر عليه من النعم قدرتم علی مثله لما أنفقتموه فی طاعة اللَّه، و امسكتموه خوفا من الفقر. ثم اخبر بأن الإنسان كان قتورا، يعنی مضيقاً سیء الظن باللَّه و بالخلف عن الإنفاق، و هو جواب لقولهم «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» «۱» فأعلمهم اللَّه أنهم لو ملكوا خزائن اللَّه، لأمسكوا بخلا بها و شحّاً خشية نفادها، يقال: نفقت نفقات القوم إذا نفدت، و أنفقها صاحبها أی أنفدها حتی افتقر، و قال قتادة: خشية الإنفاق أی خشية الفقر. و المراد بالإنسان فی الآية- قول ابن عباس و الحسن: هو الكافر. و القتور المضيق للنفقة، يقال قتر يقتر و أقتر إذا قدَّر النفقة. و (أنتم) مرفوع بفعل مضمر، و المعنی قل لو تملكون أنتم، لأن (لو) يقع بعدها الشیء، لوقوع غيره، فلا يليها إلا الفعل، و إذا وليها اسم يعمل فيه الفعل المضمر قال الشاعر:

لو غيركم علق الزبير بحبله أدی الجوار الی بنی العوّام «۲»

و القتور البخيل- فی قول ابن عباس- قال أبو داود:

لا أعدّ الإقتار عدماً و لكن فقد من قد رزئته الأعدام «۳»

و ظاهر قوله «وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً» العموم، و قد علمنا أن فی الناس الجواد، و الوجه فيه أحد أمرين:

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۹۱

(۲) مر هذا البيت فى ۴: ۳۵۱

(۳) تفسير الطبرى ۱۵: ۱۶ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۶

أحدهما- ان الأغلب عليهم من ليس بجواد، و من مقتصد أو بخيل، فجاز تغليب الأكثر.

و الثانى- أنه لا أحد إلا و هو يجر إلى نفسه نفعاً بما فيه ضرر على الغير، فهو بخيل بالإضافة إلى جود اللَّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۲] ..... ص : ۵۲۶

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً (۱۰۱) قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بَصائِرَ وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (۱۰۲)

آيتان بلا خلاف.

قرأ الكسائى وحده «لقد علمتُ» بضم التاء. الباقون بفتحها.

حجة من فتح أنه قال: إن فرعون و ملأه ممن تبعه قد علموا صحة أمر موسى و أن ما أتى به ليس بسحر بدلالة قوله «لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ» «۱» و قوله «فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا» «۲» و قولهم «يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ» «۳» و من قرأ بضم التاء فمن علم موسى.

فان قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه، و علمه لا يكون حجة على فرعون و ملائه، و انما يكون علم فرعون ما علمه من صحة أمر موسى حجة عليه؟.

نقول: إنه لما قيل له «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» «۴» كان ذلك قدحاً فى علمه، لأن المجنون لا يعلم، فكأنه نفى ذلك، فقال لقد علمت صحة

(۱) سورة الاعراف آية ۱۳۳

(۲) سورة ۲۷ النمل آية ۱۳- ۱۴

(۳) سورة ۴۳ الزخرف آية ۴۹

(۴) سورة ۲۶ الشعراء آية ۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۷

ما أتيت به، و أنه ليس بسحر، علماً صحيحاً كعلم العقلاء، فصارت الحجة عليه من هذا الوجه. و رويت هذه القراءة عن أمير المؤمنين (ع) يقول اللَّه تعالى مخبراً عمّا أعطى موسى من الآيات و ذكر أنها تسع آيات معجزات بينات ظاهرات دالات على صحة نبوته. و اختلفوا فى هذه التسع:

فقال ابن عباس و الضحاك: هى يد موسى، و عصاه، و لسانه، و البحر، و الطوفان، و الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم «آياتٍ مُفَصَّلاتٍ». و قال محمد ابن كعب القرظى: الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم، و البحر، و عصاه و الطمسة، و الحجر. و الطمسة دعاء موسى و تأمين هرون، فقال اللَّه تعالى «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما» «۱» و فى رواية عكرمة عن ابن عباس، و مطر الوراق: الطوفان و الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم، و العصا، و اليد، و السنون، و نقص من الثمرات. و به قال الشعبى و مجاهد. و قال الحسن مثل ذلك، غير

أنه جعل الأخذ بالسنين و نقص الثمرات آية واحدة. و جعل التاسعة تلقف العصا ما يأفكون.

و

قال صفوان ابن عسال: سأل يهودى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم عن التسع آيات، فقال:

(هن لا تشركوا باللَّه شيئاً و لا تسرقوا، و لا تزنوا، و لا تقلوا النفس التى حرمها اللَّه الا بالحق، و لا تمشوا ببرىء إلى السلطان يقتله، و لا تسحروا، و لا تأكلوا الربو، و لا تقذفوا المحصنة، و لا تولوا الفرار يوم الزحف، و عليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا فى السبت) «۲»

فقبل يده، و قال أشهد أنك نبىُّ اللَّه.

و قوله «فَسْئَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ» أمر النبى أن يسأل بنى إسرائيل «إذ جاءهم موسى». و قال الحسن عن ابن عباس، قال: معناه سؤالك إياهم، نظرك فى القرآن. و روى عن ابن

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۸۹

(۲) فى بعض المخطوطات (لا تسخروا فى السبت) و فى بعضها (لا تصيدوا فى السبت) و قد أثبتنا ما فى المطبوعة لموافقته لقوله تعالى «لا تَعْدُوا فِی السَّبْتِ» فى سورة النساء آية ۱۵۴، و فى سورة البقرة آية ۶۵ «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِینَ اعْتَدَوْا مِنْکُمْ فِی السَّبْتِ» و فى سورة الاعراف آية ۱۶۲ «إِذْ یَعْدُونَ فِی السَّبْتِ»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۸

عباس أنه كان يقرأ «فَسْئَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ» يعنى فسأل موسى فرعون بنى إسرائيل أن يرسلهم معه.

و قوله «فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ» حكاية عما قال فرعون لموسى «إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا مُوسی مَسْحُوراً» أى معطاً علم السحر بهذه العجائب التى تفعلها من سحرك، و قد يجوز أن يكون المراد «إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا مُوسی ساحراً، فوضع (مفعول) موضع (فاعل)، مثل مشؤوم و ميمون موضع شائم و يأمن. و قيل معناه: إنك سحرت، فأنت تحمل نفسك على ما يقوله السحر الذى بك و قيل مسحور بمعنى مخدوع.

و قوله «قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ» حكاية عما أجاب به موسى فرعون فإنه قال «لَقَدْ عَلِمْتَ» يا فرعون أنّ ما جئت به ليس بسحر و إنى صادق. و من قرأ بضم التاء معناه إنه لما قال له فرعون «إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا مُوسی مَسْحُوراً» قال له موسى «لَقَدْ عَلِمْتَ» انى لست كذلك و أنه ما أنزل هذه الآيات «إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» الذى خلقهن و جعلهن «بصائر» أى حججاً واضحة واحدها بصيرة «وَ إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً» اى ملعوناً ممنوعاً من الخير، تقول العرب ما ثبرك عن هذا الأمر أى ما منعك منه، و ما صرفك عنه، و ثبره اللَّه، فهو يثبِره و يثبُره لغتان. و رجل مثبور محبوس عن الخيرات. قال الشاعر:

إذا جارى الشيطان فى سنن الغى فمن مال ميله مثبور»

و هو قول ابن عباس و سعيد بن جبير، و قال قوم: معناه مغلوباً، روى ذلك عن ابن عباس فى رواية أخرى، و به قال الضحاك. و قال مجاهد: هالكاً، و به قال قتادة. و قال عطية العوفى: مغيراً مبدلًا. و قال ابن زيد: معناه مخبولًا لا عقل له.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۰۳ الى ۱۰۴] ..... ص : ۵۲۸

فَأَرادَ أَنْ یَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِیعاً (۱۰۳) وَ قُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِی إِسْرائِیلَ اسْکُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِکُمْ لَفِیفاً (۱۰۴)

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۵: ۱۰۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۲۹

آيتان بلا خلاف.

قوله «فأراد» يعنى فرعون «أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ» يعنى موسى و بنى إسرائيل «من الأرض» أى يخرجهم منها بالنفى و القتل و الإزعاج كرهاً، من أرض مصر. و أصله القطع بشدة، فزّ الثوب إذا قطعه بشدة تخريق.

فأخبر اللَّه تعالى إنا أغرقناه عند ذلك فى البحر، «وَ مَنْ مَعَهُ» من جنده و أتباعه و نجينا بنى إسرائيل مع موسى (ع) و قلنا لهم من بعد هلاك فرعون «اسْكُنُوا الْأَرْضَ» يعنى أرض الشام، «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» يعنى يوم القيامة و هى الكرة الآخرة «جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً» أى حشرناكم إلى أرض القيامة، مختلطين من كل قوم و من كل قبيلة، قد التف بعضكم على بعض لا تتعارفون، و لا ينحاز منكم أحد إلى قبيلة، و من ذلك قولهم: لففت الجيوش إذا ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع، و كل شىء اختلط بشىء فقد لف به، و قال مجاهد: معناه جئنا بكم من كل قوم. و قال قتادة:

جئنا بكم أجمع أولكم و آخركم، و هو قول ابن عباس و مجاهد- فى رواية- و الضحاك. و (لفيف) مصدر تقول لففته لفاً و لفيفاً، فلذلك أخبر به عن الجميع و لفيفاً نصب على الحال.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۰۵ الى ۱۰۶] ..... ص : ۵۲۹

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (۱۰۵) وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً (۱۰۶)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۳۰

قوله «وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ» يعنى القرآن أنزله اللَّه يأمر فيه بالعدل و بالانصاف، و الأخلاق الجميلة و الأمور الحسنة الحميدة، و ينهى فيه عن الظلم و أنواع القبائح و الأخلاق الذميمة. «وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ» معناه بما ذكرناه من فنون الحق نزل القرآن من عند اللَّه على نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم. قال البلخى: يجوز أن يكون أراد موسى، و يكون ذلك كقوله «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» «۱» و يجوز أن يكون أراد الآيات فكنى عنها بالهاء وحدها، دون الهاء و الألف، و يريد أنزلنا ذلك، كما قال أبو عبيدة قال أنشدنى رؤبة:

فيه خطوط من سواد و بلق كأنه فى العين توليع البهق «۲»

فقلت له: إن أردت الخطوط فقل كأنها، و إن أردت السواد و البياض فقل كأنهما، قال: فقال لى: كأن ذلك و تلك.

ثم قال «وَ ما أَرْسَلْناكَ» يا محمد «إِلَّا مُبَشِّراً» للمطيعين بالجنة «و نذيرا» أى مخوفاً للعصاة من النار.

و قوله «وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ» قرأه أهل الأمصار بالتخفيف. و حكى عن ابن عباس بتشديد الراء، بمعنى نزلناه شيئاً بعد شىء، آية بعد آية، و قصة بعد قصة. و معنى «فرقناه» فصلنا فيه الحلال و الحرام، و ميزنا بينهما، و هو قول ابن عباس. و قال أبى بن كعب معناه بيناه. و قال الحسن و قتادة: فرق اللَّه فيه بين الحق و الباطل.

و من قرأ بالتشديد، قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد: إن معناه أنزل متفرقاً لم ينزل جميعاً، و كان بين أوله و آخره نحو من عشرين سنة. و نصب «قرآنا» على معنى و أحكمنا قرآناً «فرقناه» أو آتيناك قرآناً. و قال بعضهم: نصب بمعنى و رحمة كأنه قال «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً» و رحمة، قال لأن القرآن رحمة.

و قوله «لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ» معناه على تؤدة، فترتله و تبينه و لا تعجل

---

(۱) سورة ۵۷ الحديد آية ۲۵

(۲) مر هذا الرجز فى ۱/ ۲۹۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۳۱

فى تلاوته، فلا يفهم عنك، و هو قول ابن عباس و مجاهد و ابن زيد، و يقال فى المكث لغات: مكث بضم الميم و عليه القراء، و بفتح

الميم و سكون الكاف، و بفتح الميم و كسر الكاف، و حكى مكثى مقصور و مكاثاء ممدود.

و قوله «وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا» أى أنزلناه شيئاً بعد شىء، و هو قول الحسن و قتادة و قوله «وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا» يدل على أن القرآن محدث، لأن القديم لا يجوز وصفه بالمنزل و التنزيل، لأن ذلك من صفات المحدثين.

و قيل فى معنى «على مكث» أنه كان ينزل منه شيء ثم يمكثون ما شاء اللّه و ينزل شيء آخر.

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۰۷ الى ۱۰۹] ..... ص : ۵۳۱

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً (۱۰۷) وَ يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا (۱۰۸) وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (۱۰۹)

ثلاث آيات فى الكوفى خاصة، تمام الأولى سجداً، و آيتان فيما سوى ذلك.

يقول اللّه تعالى لنبيه «قل» لهؤلاء الذين اقترحوا عليك الآيات، و قالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» «۱» على وجه التبكيت لهم فى عدولهم عن نبيه و كفرهم به، و أنه لا يستضر بترك إيمانهم، لأن عيبه راجع عليهم «آمنوا» بهذا القرآن الذى لو اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثله، و تعاونوا عليه لما

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۹۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۵۳۲

قدروا عليه «أَوْ لا تُؤْمِنُوا» و تجحدوه، فإن إيمانكم لن يزيد فى خزائن اللّه شيئاً، و لا ترككم الايمان به ينقص ذلك، و إن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم باللّه و آياته من قبل نزوله من مؤمنى أهل الكتاب، و هم الذين أسلموا «إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ» من القرآن «يخرون» تعظيماً له و تكريماً، لعلمهم بأنه من عند اللّه، لاذقانهم سجداً بالأرض و اختلفوا فى المعنى بقوله «يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ» فقال بعضهم: أراد به الوجوه روى ذلك عن ابن عباس و قتادة. و قال قوم يعنى بذلك اللحى، حكى ذلك عن الحسن. و قوله «وَ يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا» حكاية من اللّه عن هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن خروا للأذقان سجوداً عند استماعهم القرآن يتلى عليهم تنزيها للّه تعالى و تبرئة له مما يضيف اليه المشركون، و يقولون لم يكن وعد ربنا من ثواب و عقاب إلا مفعولا حقّاً يقيناً إيماناً بالقرآن و تصديقاً له. و الأذقان جمع ذقن، و هو مجمع اللحيين. و قال مجاهد و ابن زيد:

«الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ» إلى قوله «خشوعاً» ناس من أهل الكتاب حيث سمعوا ما أنزل اللّه على محمد «يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا» و قال ابن جريج: إذا يتلى عليهم كتابهم. و قال قوم «الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» يعنى به محمداً صلّى اللّه عليه و سلم و المؤمنين. و يراد بقوله «إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ» يعنى القرآن، لأنه من سياق ذكر القرآن، و لم يكن يجرى لغيره من الكتب ذكر، و هو الأقوى، لأن الآية فيها مدح لمن وصف بما فيها، و ذلك لا يليق بالكفار إلا أن يراد بذلك من آمن منهم و كان عالماً قبل ذلك بصحة القرآن إذ علموا بما أنزل اللّه على محمد صلّى اللّه عليه و سلم من التوراة و الإنجيل و يحتمل ذلك اذاً على ما بيناه.

و قوله «وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً» يقول اللّه يخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان إذا يتلى عليهم القرآن «لاذقانهم يبكون و يزيدهم» ما فى القرآن من المواعظ و العبر «خشوعا» يعنى خضوعاً لأمر اللّه و طاعته و استكانة له.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۶، ص: ۵۳۳

قوله تعالى:[سورة الإسراء (۱۷): الآيات ۱۱۰ الى ۱۱۱] ..... ص : ۵۳۳

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِکَ سَبِيلًا (١١٠) وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيکٌ فِى الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً (١١١)

آيتان بلا خلاف.

هذا أمر من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم أن «قل» يا محمد لمشركى قومك المنكرين لنبوّتک الجاحدين لدعائک و تسميتک اللَّه تعالى بالرحمن «ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ» أيها القوم «أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى معناه بأى أسمائه تعالى تدعون ربكم به، و انما تدعون واحد، فله الأسماء الحسنى، و انما أمره بذلک، لان مشركى قومه لما سمعوا النبى صلّى اللَّه عليه و سلم يدعو اللَّه تارة بأنه اللَّه و تارة بأنه الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين حتى قال بعضهم: الرحمن رجل باليمامة، فأنزل اللَّه هذه الآية احتجاجاً لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم بذلک، و انه شيء واحد، و إن اختلفت أسماؤه و صفاته، و به قال ابن عباس و مكحول و مجاهد و غيرهم.

(و ما) فى قوله «أيًا ما» يحتمل أن يكون صلة، كقوله «عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ» «۱»، و يحتمل أن يكون بمعنى أى كررت لاختلاف لفظها، كما قالوا:

ما رأينا كالليلة ليلة.

و قوله «وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِکَ سَبِيلًا» نهى من اللَّه تعالى عن الجهر العظيم فى حال الصلاة، و عن المخافتة الشديدة و أمر بأن يتخذ بين

---

(۱) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۴۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۳۴

ذلک سبيلًا.و حدّ أصحابه الجهر فيما يجب الجهر فيه بأن يسمع غيره، و المخافتة بأن يسمع نفسه.

و اختلفوا فى الصلاة التى عنى بها بالآية فى قوله «وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ» فقال الحسن لا تجهر بإشاعتها عند من يؤذيک، و لا تخافت بها عند من يلتمسها منک.

و قال قوم:لا تجهر بدعائک و لا تخافت، و لكن بين ذلک، قالوا: و المراد بالصلاة الدعاء، ذهبت اليه عائشة، و ابن عباس، و أبو عياض، و عطاء، و مجاهد، و سعيد بن جبير، و عبد اللَّه بن شداد، و الزبير، و مكحول. و

روى عن ابن عباس- فى رواية أخرى- أن النبيّ كان إذا صلى يجهر فى صلاته، فسمعه المشركون فشتموه و آذوه و آذوا أصحابه، فأمر اللَّه بترک الجهر، و كان ذلک بمكة فى أول الامر

، و به قال سعيد بن جبير. و قال قوم:أراد لا تجهر بتشهدک فى الصلاة و لا تخافت به، روى ذلک عن عائشة- فى رواية أخرى- و به قال ابن سيرين.

و

قال قوم: كان النبى صلّى اللَّه عليه و سلم يصلى بمكة جهراً فأمر بإخفاتها

، ذهب اليه عكرمة و الحسن البصرى، و قال قوم: معناه لا تجهر بصلاتک تحسنها مراءاة، فى العلانية، و لا تخافت بها، تثنى فى القيام بها فى السريرة، روى ذلک عن الحسن و قتادة و ابن عباس فى رواية. و به قال ابن زيد و ابن وهب. و قال الطبرى:

يحتمل أن يكون المراد لا تجهر بصلاتک صلاة النهار العجماء، و لا تخافت بها، يعنى صلاة الليل التى تجهر فيها بالقراءة، قال: و هذا محتمل غير انه لم يقل به أحد من أهل التأويل.

ثم قال لنبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم قل يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً» فيكون مربوباً لا ربّاً، لأن ربّ الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيکٌ» فى ملكه فيكون عاجزاً محتاجاً الى غيره ليعينه فيكون ضعيفاً، و لا يجوز أن يكون الإله بهذه

الصفة «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ» معناه لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه، لان ذلك صفة ضعيف عاجز، و لا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة، ثم أمره بأن يعظمه تعظيماً لا يساويه تعظيم، و لا يقاربه لعلوّ منزلته. التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۵۳۵
و

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنه كان يعلم أهله هذه الآية.

و ما قلناه هو قول مجاهد و سعيد بن جبير و ابن عباس. و قال محمد بن كعب القرطى: فى هذه الآية ردّ على اليهود و النصارى حين قالوا اتخذ اللّه الولد- و على مشركى العرب حيث قالوا: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك. و على الصابئين و المجوس حين قالوا: لو لا اولياء اللّه لذل اللّه. فأنزل اللّه رداً لقولهم أجمعين.

و ليس لأحد أن يقول: كيف يحمد اللّه على ان لم يتخذ ولداً، و لم يكن له شريك فى الملك، و الحمد إنما يستحق على فعل ماله صفة التفضل، و ذلك أن الحمد فى الآية ليس هو على أن لم يفعل ذلك. و إنما هو حمد على أفعاله المحمودة، و وجه الى من هذه صفته، لا من أجل أن ذلك صفته، كما تقول: أنا أشكر فلاناً الطويل الجميل، ليس انك تشكره على جماله و طوله، بل على غير ذلك من فعله.

و معنى «وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً» صفه بصفاته التى لا يشركه فيها أحد.

و قيل: كبره عن كل ما لا يليق وصفه به.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ- فى آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتي " القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مرکز
القائمیة
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩